٣٩١

محاضرات
الأستاذ المحقق
الشيخ جعفر السبحاني

سيد المرسلين صلى الله عليه وآله

دراسة تحليلية شاملة للشخصية والسيرة المحمدية
في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية

بقلم
جعفر الهادي

الجزء الثاني

مؤسسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

شبكة الفكر
alfeker.net

محاضرات
الاستاذ المحقق
الشيخ جعفر السبحاني

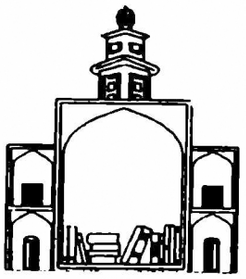

٣٩١

سيد المرسلين صلى الله عليه وآله

دراسة تحليلية شاملة للشخصية والسيرة المحمدية
في شتى أبعادها الاجتماعية والرسالية والسياسية والعسكرية

بقلم
جعفر الهادي

الجزء الثاني

مؤسسة النشر الاسلامي
التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة

سبحانی تبریزی، جعفر، ۱۳۰۸ ش.
سيّد المرسلين صلّى‌الله عليه وآله / تأليف جعفر السبحاني. ـ ـ مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة ۱٤۱۲ ق. = ۱۳۷۰ ش.
ج ۲ ـ ـ (مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة. ۳۹۱).
شابك الدورة ٦ ـ ۳۹٦ ـ ٤۷۰ ـ ٩٦٤ ـ ۹۷۸
عربی.
ISBN 978 - 964 - 470 - 396 - 6
فهرست‌نویسی بر اساس اطلاعات فیپا.
ج ۲ (چاپ چهارم: ۱٤۲۹ ق = ۱۳۸۷ ش).
کتابنامه.
۲ج (چاپ اوّل: ۱٤۱۳ ق = ۱۳۷۱ ش).
۱. محمّد(ص)، پیامبر اسلام، ۵۳ قبل از هجرت ـ ۱۱ ق. الف. جامعهٔ مدرّسین حوزهٔ علمیهٔ قم، دفتر انتشارات اسلامی ب. عنوان.
۹س ۲ س / ۹ / ۲۲ BP
کتابخانهٔ ملّی ایران
۲۹۷ / ۱۹۳
۱۱٤٦ ـ ۷۱م

سيّد المرسلين صلی الله علیه و آله

(ج ۲)

■ تأليف: الأُستاذ المحقّق آية الله الشيخ جعفر السبحاني □
■ تعريب: الأُستاذ الشيخ جعفر الهادي □
■ الموضوع: السيرة النبوية □
■ طبع ونشر: مؤسّسة النشر الإسلامي □
■ عدد الصفحات: ۷۸۰ □
■ الطبعة: الرابعة □
■ المطبوع: ۱۰۰۰ نسخة □
■ التاريخ: ۱٤۲۹ هـ. ق □
■ شابك ج ۲: ۹ ـ ۷۱۷ ـ ٤۷۰ ـ ٩٦٤ ـ ۹۷۸ □
ISBN 978 - 964 - 470 - 717 - 9

مؤسّسة النشر الإسلامي
التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُميّزات النهضة الالهية وخصائصها

خصيصة «الخلود» والعمق في شخصية رسول الاسلام

المصادر الاولى والأصيلة للكتابة عن سيرة النبيّ:

تشبهُ نهضة «الأنبياء» الالهية التي قام بها رسلُ الله وسفراؤه لتخليص البشرية من براثن الأوهام، والخرافات، ولانقاذها من جور المستكبرين وظلم الظالمين أكثر شيء بأمواج البحر التي تبدأ بدوائر صغيرة محدودة، ولكنّها كلما ابتعدت عن مركز الدائرة ازدادت اتساعاً واتساعاً، واشتدت قوتها اكثر فاكثر.

إن الانقلابَ المعنويّ العريض والتحوّل الروحيَ العظيم الذي وُضِعت أُسُسُه في أرض مكة على يدي رسول الاسلام العظيم أضاء بشعاعه ونوره الباهر في اليوم الاوّل غار حراء وثم منزل خديجة وبعض البيوت المتواضعة في مكة فقط، ولكنه اتسع نطاقه بمرور الزمان، حتى عمَّ في مدة ليست بالطويلة شرق الارض وغربها، ودوّى نداءُ التوحيد في منطقة واسعة جداً من العالم (ابتداء من فرنسة وانتهاءً بجدار الصين وما وراءه)[1].

---

(١) لقد كتبت هذه المقدّمة وما بعده خلال تواجدي في الصين عام ١٤٠٨ وقد جئت اليها في مهمة استطلاعية وتبليغية اسلامية، وقد زرت في نفس الفترة التي كنت فيها مشتغلاً بكتابة هذه المقدمة المسجد الجامع في ـ بكين ـ العاصمة، والتقيت بامام ذلك المسجد الذي رحّب بي وبمن كان معي أشد ترحيب، واتحفني بنسخة من ترجمة القرآن الكريم باللغة الصينية، وزرت خلال وجودي في ذلك المسجد قبر رجلين مسلمين من ايران أحدهما تاجر، والآخر عالم جاءا إلى الصين في القرن السادس الهجري، ونشرا الاسلام في بكين وما حولها، وقد نصبت عند قبرهما لوحتان من المرمر نقش عليهما اسمهما، وخصوصياتهما بالاحرف العربية.

وهناك تذكرت حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله «اطلبوا العلم ولو بالصين».

قلت في نفسي: لعل رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يقصد فيما يقصد في هذا الحديث دفع ←

إن مُؤسّسي هذا النوع من النهضات الدينية[١] يتمتعون ـ من حيث الاخلاق والفضائل الانسانية ـ بخصيصة الخلود واللانهاية فان الزمن يكشف باستمرار عن أبعاد أوسع وآفاق جديدة من شخصياتهم فهي تتسع كلما تقادم بها العهد تماماً كأمواج البحر، وكأن الانبياء نسخة ثانية من الطبيعة، فكما أننا كلما أمعنا أكثر في الطبيعة ظهرت لنا منها حقائق اكثر، وانكشفت لنا رموز وأسرار جديدة لم نعهدها من قبل فهكذا شخصيات الانبياء والمرسلين، وسفراء الله الى البشرية.

وتتجلى هذه الحقيقة أكثر ـ فأكثر كلما تعاظمت شخصية من تلك الشخصيات ـ.

وخلاصة القول أننا كلما ازددنا تعمقاً وامعاناً فيهم. اكتشفنا أسراراً كثيرة، وحقائق جديدة عن حياتهم.

ويدل على كلامنا هذا تلك المؤلفات الكثيرة الوافرة التي كتبها علماء التاريخ وأصحاب السير، قديماً وحديثاً، حول رسول الاسلام العظيم صلّى الله عليه وآله ولكن مع ذلك كله كلما تقادم العهد به، وكلما اتسعت النظرات وازدادت عمقاً

المسلمين إلى نشر مبادئ الاسلام في تلك البلاد العريضة التي تضم خمس سكان العالم.

وقد قام المسلمون الغيارى على دينهم، الحريصون على نشره وبثه بهذه المهمة فيما سبق وأدوا ما كان عليهم. فماذا فعلنا نحن؟

وهل ترى يجوز أن يجهل خمس سكان العالم دين الله، ولاينعموا بخيراته؟!

أم هل ترى يجوز في شريعة الانصاف أن يعاني ذلك الشعب الكبير من الاباطرة الطغاة في الماضي، ومن الانظمة والايديولوجيات الجائرة الملحدة في الحاضر، هذا والنبيّ صلّى الله عليه وآله كان يحرص على هداية فرد واحد، والقرآن يقول: «من احياها فكأنما أحيى الناس جميعاً»؟؟

هل خصصت نهضة الانبياء الالهية برقعة صغيرة من الارض هي الجزيرة العربية، وما حولها؟ أم أنها رحمة للعالمين جميعاً؟

سؤال نطرحه على ابناء الاسلام دعاةً ورعايا، حكومات وشعوباً لعلهم يتفكرون؟ (جعفرالهادي).

(١) المقصود من الدين هو المنهاج الواسع الشامل الذي يتكفل سعادة البشرية في الحياتين الدنيا والأخرى وليس مجرد سلسلة من الطقوس الفارغة الخاوية كما هو الحال في المسيحية الحاضرة.

اكتشف المحققون مزيداً من الآفاق، وجديداً من الابعاد في هذه الشخصية الإلهية.

ولقد كان تعاطي السيرة النبوية والحديث حولها في البداية منحصراً (أو بالاحرى مقتصراً) على مشاهدات أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله ومسموعاتهم.

ومع ظهور جيل جديد يدعى بالتابعين بعد وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله اتخذت الاحاديث والسنن الاسلاميّة، وتفاصيل الحياة النبويّة، وقصص غزواته وحروبه رونقاً جديداً، وأحسّ الجيل الجديد برغبة شديدة في أخذ الاحاديث الاسلامية، والتعرف على الحوادث التي وقعت في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله، وأيّام حياته من مولده إلى وفاته.

وكلما ازدادت حالات الوفاة، في أوساط الصحابة والتابعين الذين كانوا يشكّلون المنبع الأوّل والمصدر الأصيل لهذا النوع من العلوم الاسلامية، اتسع الاهتمام بالسيرة وما شابهها وتعاظمت الرغبة فيها وتزايد عطش المسلمين إلى اخذ ومعرفة الأحاديث التي تتضمن بيان خصوصيات حياة رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله، وجزئيات سيرته الطاهرة. هذا من جانب.

ومن جانب آخر كان تشدّد الخليفة الثاني[1]، ومنعه عن كتابة أحاديث النبيّ صلّى الله عليه وآله قد أوجب أن يندثر كثير من الأحاديث الاسلامية، التي سمعها بعض أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله وتدفن تحت التراب بموتهم.

ولقد استمر منع الخليفة عن كتابة الحديث النبوي وبقي ساري المفعول لمدة طويلة بعد وفاته[2]، حتى أتى الى الحكم خليفة معتدل السيرة من الأمويين هو: «عمربن عبدالعزيز» فأمر ـ في رسالةٍ وجّهها الى أبي بكر بن حزم حاكم المدينة

---

(١) تقييد العلم: ص٤٨ـ٥٣.

(٢) لم يترك نهي الخليفة أي أثر على علماء الشيعة الذين كانوا يتبعون علياً عليه السلام، فقد عمدوا في فترة محدودة الى تدوين وضبط الأحاديث، وحفظوا كنوزاً عظيمة من علوم اهل البيت النبوي، للتوسع في هذا المجال راجع كتاب «تأسيس الشيعة لعلوم الاسلام».

٦ ـــــــ

ثنايا رواياتهم ومنقولاتهم وألفها واخرج شيئاً جامعاً حول السيرة النبويّة إلى عالم الكتب والمؤلّفات.

كما أن أوّل من ضبط ودوّن غزوات رسول الاسلام بشكل مفصّل هو الواقدي صاحب «المغازي» و«فتوح الشام» المتوفى عام ٢٠٧هـ[١].

وقد لُخّصت سيرة ابن اسحاق على يد ابن هشام أبي محمد عبدالملك المتوفى عام ٢١٨هـ وعرفت فيما بعد بسيرة ابن هشام (أو السيرة الهشامية) وهو الآن معدود من مصادر التاريخ الاسلامي وسيرة النبيّ الاكرم صلّى الله عليه وآله الموثقة.

ولو أننا تجاوزنا هذه الشخصيات لكان لشخصيتين أُخريين سهمٌ كبيرٌ في تدوين وتسجيل تاريخ حياة رسول الاسلام، وهما:

١ ـ محمد بن سعد الكاتب الواقدي المتوفى عام ٢٣٠هـ مؤلف «الطبقات الكبرى» الذي أورد فيه سيرة النبيّ الأكرام صلّى الله عليه وآله وأصحابه على نحو التفصيل.

وقد طبع هذا الكتاب في لندن مؤخراً، كما اعيد طبعه في لبنان في ٩ مجلدات.

٢ ـ محمد بن جرير الطبري المتوفى عام ٣١٠هـ مؤلف كتاب «تاريخ الامم والملوك».

على أن تثمين جهود هذه الثلة من الكتّاب والمؤلفين لايعني بالضرورة أن كل ماأدرجوه في مؤلفاتهم هو الثابت الصحيح، بل تحتاج مؤلفاتهم ـ كغيرها من المؤلفات، والكتب ـ إلى التحقيق الواسع والتمحيص الدقيق.

ثم ان حركة التأليف حول شخصية رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله

---

(١) عدّ الشيخ الطوسي في رجاله ابن اسحاق من تلامذة الامام جعفر الصادق عليه السلام، وتوجد نسخة خطية من سيرته في مكتبة مدرسة الشهيد المطهري بطهران حسب ما كتب صاحب الذريعة في ج١٢ ص٢٨١ فيها.

وسيرته استمرت بعد ذلك طيلة القرون الاسلامية اللاحقة. ونحن اليوم أمام مكتبة زاخرة من الكتب، والدراسات، المختلفة في أحجامها ومستوياتها، والمتنوعة في طرائقها وأساليبها، التي ألّفت حول رسول الله صلّى الله عليه وآله وهذا إنما يدل على خصيصة العمق واللانهاية التي اتسمت بها شخصية النبيّ صلّى الله عليه وآله الخالدة العظيمة.

وقد أراد صاحب هذه الدراسة أن يقدم للجيل الحاضر شرحاً ناطقاً عن حياة رسول الاسلام العظيم، في حدود ماتسمح به إمكاناته المحدودة، ولم يأل جهداً ـ لتحقيق هذا الهدف على وجه أفضل ـ في مراجعة كتب الفريقين المعتبرة، وان اكتفى بذكر عددٍ قليلٍ من المصادر عند التأليف، وقد بيّنا عذرنا من هذا في الجزء الأوّل من هذه الدراسة.

ولقد تناول الجزءُ الأول من هذا الكتاب حوادث مكة من بدء نشأتها إلى نهاية السنوات الثلاث عشرة الاولى من عصر الرسالة أي ماقبل الهجرة، وها هو الجزء الثاني وهو يتناول حوادث العشر سنوات للهجرة الشريفة، ومن الله التوفيق.

قم المقدّسة ـ الحوزة العلمية

جعفر السبحاني

٢١ شعبان ١٣٩٢ هـ

٢٦
أوّل عمل ايجابيّ للنبيّ في المدينة

عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم:

حملت وجوه فتية الانصار المستبشرة، المبتهجة، بمقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله والاستقبال العظيم الذي قام به أغلبية الأوسيّين والخزرجيين له حملته صلّى الله عليه وآله، على أن يعمد قبل أي شيء إلى تأسيس مركزٍ عامٍ لتجمّع المسلمين فيه في الأوقات المختلفة، وللقيام بالاعمال التربوية والتثقيفية، والسياسية والعسكرية في رحابه.

كما أن عبادة الله الواحد تقع في طليعة البرامج التي جاء بها رسول الاسلام ولذا رأى من اللازم أن يعمد قبل أي عمل آخر الى بناء معبَد للمسلمين حتى يتسنى لهم أن يعبدوا الله ويذكروه فيه في أوقات الصلوات.

أجل كانت الحاجة إلى مثل هذا المركز شديدة فلابد من مكان ليجتمع اعضاء حزب الاسلام (حزب الله) كلَ أُسبوع في يومٍ معينٍ فيه، ويتشاوروا في

---

(١) لابدّ أنك أيها القارئ الكريم تتذكر جيداً أننا قصدنا من السنة الاولى للهجرة الاشهر العشرة المتبقية التي قضى رسول الله شهرين منها في مكة وحظ في الباقي من شهرها الثالث (أي ربيع الاول) على أرض يثرب، بناء على هذا تكون السنة الاولى من الهجرة تسعة أشهر فقط، وتبدأ السنة الهجرية الثانية من شهر محرم الحرام (وليس من اثني عشر ربيع الاول).

١٠ ـــــــ

ولقد كانت مجالس الدرس والتعليم في مسجد المدينة على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله تتسم بروعة كبيرة بحيث عندما شاهد وفد ثقيف مشهداً من مشاهدها انبهروا به، وعجبوا بشدة لاهتمام المسلمين بتعلم الاحكام واكتساب المعارف والعلوم[1].

كما انه كانت تمارس الامور القضائية والفصل بين الخصومات، واصدار الحكم على المجرمين في المسجد، فكان المسجد يومذاك بمنزلة محكمة (بكل معنى الكلمة) أي أنها تقوم بكل ماتقوم بها المحاكم اليوم.

هذا مضافاً إلى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يلقي خطبه الحماسية والجهادية لتعبئة المسلمين من أجل مجاهدة الكفار والمشركين في المسجد.

ولعل من حكمة الاجتماع في المسجد لاجل تحصيل المعارف وتعلم العلوم هو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أراد بذلك أن يثبت عملياًأن العلم والدين توأمان لاينفكان فكلما كان هناك مركز للايمان وجب ان يكون محلاً للعلم أيضاً.

وأما ممارسة القضاء والقيام بالخدمات الاجتماعية، واتخاذ القرارات العسكرية في المسجد فقد كان لأجل أن يعلن للجميع بأن دينه ليس مجرد أمرٍ معنوي لايتصل بالأمور الدنيوية ولاتهمه قضايا الحياة وشؤون المعيشة المادية، بل هو دينٌ شاملٌ كاملٌ لايحض الناس على التقوى، ولايدعوهم إلى الايمان إلّا ويهتم أيضاً بشؤونهم المعيشية وإصلاح أوضاعهم الاجتماعية. فليس هو بالتالي يهتمُّ بجانب ويُغفِلُ جانباً، بل هو دين شامل جامع يتكفل الأُمور المادية والمعنوية معاً.

ولقد كان هذا التلاقي والانسجام (بين العلم والإيمان) محطّ إهتمام المسلمين ونصب أعينهم دائماً حتى بعد مااتَخَذَت المراكزُ التعليمية والمؤسساتُ العلمية البحتة شكلاً مستقلاً وصار لها محلٌ خاص تدرس فيه، فانهم ظلوا يبنون

(١) تاريخ الخميس: ج٢ ص١٣٦.

١٢ ـــــــ

لايستوي مَن يَعمرُ المساجدا يَدأبُ فيها قائماً وقاعِدا
ومن يُرى عنِ الغُبارِ حائدا[١]

وقد أغضب مفادُ هذه الابيات عثمان بن عفان، فقال لعمار مهدّداً: قد سمعتُ ماتقول منذ اليوم يابن سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصا لأنفك أي أضربك بها، وفي يده عصا!!

فلما عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بكلام عثمان غضب وقال:

«مالَهُم وَلِعَمّار، يَدعوهُم إلى الجنّة، وَيَدعُونَه إلى النار.
إنّ عماراً جلدةُ مابين عينيّ وأنفي..»[٢].

وكان «عمار» فتى الاسلام القوي، يحمل قدراً كبيراً من اللبن والاحجار في بناء المسجد ولا يكتفي بحمل شيء قليل منها.

فكان البعض يستغل طيب قلبه واخلاصه فيثقله باللبن والاحجار.

ويروى أن اصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله جعل يحمل كل واحد لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين لبنتين لبنة عنه ولبنة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله محبة منه لرسول الله صلّى الله عليه وآله[٣].

وذات مرة رآه رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد حمّلوه ثلاث لبن أو احجار ثقيلة فشكا اليه عملهم وقال: يارسول الله قتلوني يحملون عليّ مالايحملون فنفض رسول الله صلّى الله عليه وآله وفرته[٤] وكان رجلاً جعداً وهو يقول قولته التاريخية:

«ويح ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، انما تقتلك الفئة الباغية»[٥].

---

(١) السيرة النبوية: ج١ص٤٩٦، وتاريخ الخميس: ج١ ص٣٤٥ والسيرة الحلبية: ج٢ ص٧٦ ومع ان ابن اسحاق صرّح باسم عثمان بن عفان ولكن ابن هشام الذي لخصّ سيرة ابن اسحاق امتنع عن تسمية عثمان. وقال صاحب المواهب الدنية: المراد في هذه الابيات عثمان بن مظعون، راجع هامش سيرة ابن هشام أيضاً.

(٢) تاريخ الخميس: ج١ ص٣٤٥. (٣) السيرة الحلبية: ج٢ ص٧١، البداية والنهاية: ج٢ ص٢١٧.

(٤) اي شعر راسه. (٥) المصدران السابقان

١٤ ـــــــ

فأرادَ رجالُ معاوية أن يموِّهُوا الأمر، ويشوشوه عليه فقالوا: مالعمار ولصفين؟ فذلك مايقوله أهل العراق وما يبالون من الكذب.

ولكن ذاالكلاع لم يقتنع بهذا فقال لعمرو بن العاص: ياأبا عبدالله أما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «إن عماراً تقتله الفئة الباغية»؟

فقال عمرو: أجل، ولكن ليس عمار في رجال علي.

فقال ذوالكلاع: فلابدّ اذن أن أعرف ذلك بنفسي.

ثم أمر رجالاً بأن يتحقّقوا من الأمر. وفي هذه اللحظة الحساسة ادرك معاوية وعمرو خطورة الموقف اذ لوتحقق ذوالكلاع من وجود عمّار في معسكر «علي» أو عرف بمقتله بين يديه عليه السلام إذن لأحدث ذلك شرخاً كبيراً و تمزقاً فضيعاً في جيش الشام، من هنا تمت تصفية ذوالكلاع فوراً اذ قتل بصورة غامضة[١].

إن اشتهار هذا الحديث لدى محدثي السنة والشيعة ليغنينا عن استعراض مصادره، واسناده.

فقد روى الامام احمد بن حنبل أنه لما قُتِلَ عمار بن ياسر دخل عمرو بن حزم على عمرو بن العاص فقال قتل عمّار وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية فقام عمرو بن العاص فزعاً يرجع (أي يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون) حتى دخل على معاوية، فقال معاوية: ماشأنك؟ قال: قُتِل عمّار فقال معاوية: قد قُتِل عمّار فماذا؟ قال عمرو: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية فقال له معاوية: أونحن قتلناه انما قتله عليّ وأصحابه جاؤوا به حتى القوه بين رماحنا (وسيوفنا)[٢].

ولكن لايخفى أن هذا التأويل الباطل الذي لجأ إليه ابن أبي سفيان لتهدئة جنود الشام، ليس مقبولاً عندالله تعالى قط، كما لايقبل به أيُّ عاقلٍ لبيبٍ.

فإنَّ هذا هو الاجتهاد في مقابلة النص، وهو مما لاقيمة له أبداً، فان هذا

---

(١) وقعة صفين: ٣٧٧ و٣٨٧. (٢) مسند الامام احمد بن حنبل: ج٤ ص ١٩٨.

١٦ ـــــــ

كل واحد منهما أنا قتلته، فقال عبدالله بن عمرو: ليطيب به أحدكما نفساً لصاحبه فاني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: تقتله الفئة الباغية قال معاوية: فما بالك معنا؟ قال: ان أبي شكاني إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: اطع أباك مادام حيا، ولا تعصه، فأنا معكم ولستُ اقاتل[١].

إن اعتذار «عبدالله بن عمرو بن العاص» يشبه تأويل ابن كثير الشامي الذي يقول: إن معاوية قاتل «علياً» في صفين إجتهاداً وايماناً، وإن أخطأ في اجتهاده، وذلك لأن إطاعة الوالد واجبة مالم تجر الى مخالفة الشرع، فهذا هوالقرآن الكريم يقول:

«وَ إِنْ جاهَداكَ لِتُشْرِكَ بي مالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا»[٢].

كما ان الاجتهاد إنما يصح إذا لم يكن في المقام نصٌّ صريح، ورد عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، ولهذا كان اجتهاد معاوية وعمرو بن العاص وامثالهما باطلاً مرفوضاً، لكونه في مقابلة النصّ النبويّ.

ولو أننا فتحنا باب الاجتهاد هكذا بدون أية ضوابط لكان جميع المشركين والمنافقين معذورين في معارضتهم، ومحاربتهم لرسول الله صلّى الله عليه وآله، كما لابدّ -حينئذ- أن نقول: إن يزيد والحجاج وأشباههما كانوا معذورين في سفكهم لدماء الائمة المعصومين، والصالحين من المسلمين، بل ومأجورين في عملهم هذا.

* *

انتهى النبيُّ صلّى الله عليه وآله والمسلمون من بناء المسجد، وظل يوسّع فيه كل عام شيئاً فشيئاً.

وقد بُني الى جانب المسجد صفة ليسكن فيها الفقراء والمهاجرون المحرومون.

وكلّف «عبادة بن الصامت» بأن يعلّمهم الكتابة، وقراءة القرآن.

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٢ ص١٦٤ و١٦٥.

(٢) العنكبوت: ٨.

١٨ ـــــــ

تلك المشكلة بحذقٍ كبير، وتدبير رائع جداً.

فقد أُمر من جانب الله تعالى بأن يؤاخي بين المهاجرين والأنصار.

فجمعهم رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم وقال لهم:

«تآخوا في الله أخوَين أخوَين».

وقد ذكرت المصادرُ التاريخيّة الاسلامية، مثل «السيرة النبوية» لابن هشام[1] اسماء كلِّ متآخيين من المهاجرين والأنصار.

وبهذا الاسلوب كرَّس رسول الله صلّى الله عليه وآله الوحدةَ السياسية والمعنوية بين المسلمين وقوّى أُسسَها ودعائمها.

وقد سببت هذه الوحدة، وهذا التآخي الواسع في أن يقرّرَ حلاً للمشكلتين الأُوليين بسرعة وسهولة.

منقبتان عظيمتان:

ولقد ذكر أكثر مؤرّخي السنة والشيعة ومحدّثيهم في هذا الموضع منقبتين عظيمتين، نذكرهما نحن هنا أيضاً: لقد آخى رسول الله صلّى الله عليه وآله بين ثلاثمائة من أصحابه من المهاجرين والأنصار وهو يقول: يافلان أنت أخ لفلان.

ولما فرغ من المؤاخاة،قال له علي عليه السلام، وهو يبكي:

«يارسول الله آخيتَ بين أصحابكَ ولم تؤاخ بيني وبين أحد»؟

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد أخذ بيده:

«أنت أخي في الدنيا والآخرة»[2].

وقد ذكر القندوزي الحنفي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلاً اذ قال:

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي:

«والذي بعثني بالحق نبياً ماأخّرتُكَ إلّا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص ٥٠٤-٥٠٧.

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤.

٢٠ ـــــــ

الاسلاميّة بين أصحابه من الأنصار والمهاجرين على الاختلافات القديمة التي كانت رواسبها باقية بين المسلمين إلى ذلك اليوم، وبذلك حل مشكلة من المشاكل الثلاث التي مرّ ذكرها.

معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب:

كانت المشكلةُ الثانيةُ التي يواجهها رسول الله صلى الله عليه وآله في المدينة هي مشكلة يهود يثرب الذين كانوا يقطنون المدينة وخارجها وكانوا يمسكون بأزمة التجارة والاقتصاد في تلك المنطقة.

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يدرك جيداً أنه مالم تصلح الأوضاع الداخلية في المدينة وما لم يضمَّ الى صفوفه يهود يثرب، وبالتالي مالم يقم وحدةً سياسيةً عريضةً في مركز حكومته، لم تتهيأ لشجرة الاسلام أن تنمو، ولن يتهيّأ له صلّى الله عليه وآله أن يفكر في أمر الوثنيين والوثنية في شبه الجزيرة العربيّة ولايستطيع معالجة المشكلة الثالثة أعني قريش بخاصة.

وبكلمةٍ واحدةٍ مالم يستتبّ الأمن والاستقرار في مقر القيادة لن يمكن الدفاع ضدّ العدوّ الخارجي.

ولقد قام بين يهود المدينة والمسلمين في بداية هجرتهم اليها نوعٌ من التفاهم لأسباب خاصة، لأنّ كلاالجانبين كانا موحّدَين يعبدانِ الله، ويرفضان الأوثان، وكان اليهود يتصوّرون أنهم يستطيعون ـ إذا اشتد ساعد المسلمين، وقويت شوكتهم ـ أن يأمنوا حملات المسيحيين الروم، هذا من جانب، ومن جانب كان بينهم وبين الأوس والخزرج علاقات عريقة ومواثيق قديمة.

من هنا حاولَ النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يكرّس هذا التفاهم، ويبلوره بعقد معاهدة تعايش، ودفاعٍ مشترك بين الأنصار والمهاجرين وقّع عليها يهود المدينة أيضاً[1].

---

(١) المقصود منهم يهود الأوس والخزرج، وأما يهود بني النضير، وبني قينقاع، وبني قريظة فقد عقد

٢٢ ـــــــ

(والحال التي جاء الاسلام وهم عليها من حيث التعاون على الديات الى اولياء المقتول، ودفع الفدية معاً لفكِ الأسير).

٣ ـ وإنَّ المؤمنين لايتركون مفرحاً (أي مثقلاً بالدَين وكثير العيال) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداءٍ أوعقل (أي دفع ديةٍ او فداء أسير).

٤ ـ وإنَّ المؤمنين المتقين (يدٌ واحدة) على من بغى منهم، او ابتغى دسيعة (عظيمة) ظلمٍ أو إثمٍ أو عُدوان أو فساد بين المؤمنين، وأنّ أيديهم عليه جميعاً ولو كان وَلَدَ احدهم.

٥ ـ وأن لايحالف مؤمنٌ مولى (أي عبد) مؤمنٍ دونه (أي دون إذنه).

٦ ـ وأن لايقتل مؤمنٌ مؤمناً في كافر (أي قصاصاً لمقتل كافر على يَدَي ذلك المؤمن) ولاينصر كافراً على مؤمنٍ.

٧ ـ وانَّ ذمةَ الله واحدة (تشمل جميع المسلمين بلااستثناء) يجيرُ عليهم أدناهم (فاذا أجار عبدٌ مسلمٌ كافراً قُبِلَت إجارته واحترِمَ أمانه).

٨ ـ و إنّ المؤمنين بعضَهُم مواليَ بعض دون الناس.

٩ ـ و إنّه مَن تبعنا من يهود فانَّ له النصرَ والاسوةَ غيرَ مظلومِين، ولامتناصرين عليهم.

١٠ ـ و إنَّ سلمَ المؤمنين واحدةً لايُسالَمُ مؤمنٌ دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلّا على سواءٍ وعَدل بينهم (فلايجوز لأحد أن ينفرد بعقدِ معاهَدةِ صلحٍ مع أحدٍ من غير المسلمين إلّا بموافقة المسلمين).

١١ ـ و إنَّ كلَّ غازيةٍ غزت معنا يعقّب بعضها بعضاً (أي يتناوب المسلمون في المشاركة في الجهاد)، وانّ المؤمنين يبيء بعضهُم على بعض بما نالَ دماءَهم في سبيل الله (أي يراقُ منهم الدمُ على السواء لا أن يتعرض للقتل بعضٌ دون بعض) .

١٢ ـ و إنّ المؤمنين المتقين على أحسنِ هدى وأقومه.

١٣ ـ وأن لايجيرَ مشركٌ (من مشركي المدينة) مالاً لقريش، ولانفساً، ولايحولَ دونه على مؤمنٍ (أي لايمنعه من مؤمن).

٢٤ ـــــــ

٢٢ ـ و إنّ بطانة يهود (أي خاصتهم) كأنفسهم.

٢٣ ـ وأنه لايخرج منهم أحدٌ (من هذه المعاهدة) إلّا باذن محمّد صلّى الله عليه وآله.

٢٤ ـ و إنّه لاينحجر على ثأر جرح (اي لايضيع دمٌ حتى الجرح)، وان من فتك (بأحد) فبنفسه فتك، وأهل بيته إلّا من ظلم (أي إلّا إذا كان المفتوك به ظالماً).

٢٥ ـ و إنّ على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وانّ بينهم النصرَ على من حارب أهلَ هذه الصحيفة (أي أن على كل جماعةٍ من المسلمين واليهود أن يقوم بنصيبه من نفقات الحرب).

٢٦ ـ و إنّ بينهم النصحَ والنصيحة (أي أن تكون العلاقات على هذا الاساس) والبر دون الاثم.

٢٧ ـ و إنّه لم يأثم امروءٌ بحليفه (أي لايحقُ لأحدٍ أن يظلم حليفَه وأن النصرَ للمظلوم (لوفعل أحد ذلك).

٢٨ ـ و إنّ يثرب حرامٌ جوفُها لأهل هذه الصحيفة (أي أنّ داخل المدينة حرمٌ ومأمنٌ لجميع من وقّعَ على هذه الصحيفة).

٢٩ ـ و إنّ الجار (وهو من يدخل في أمانِ أحد) كالنفس غير مضارٍّ ولاآثم، (فلايجوز إلحاق ضرر به).

٣٠ ـ و إنّه لاتجار حرمة إلّا باذن أهلها.

٣١ ـ و إنّه ماكان بين أهل هذه الصحيفة من حَدَث أو اشتجار يُخاف فسادُه فان مردَّهُ إلى الله عزّوجلّ وإلى محمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله، وإنَّ الله على اتّقى مافي هذه الصحيفة وأبرّهُ (أي انّه تعالى ناصر وولي لمن التزم بهذه المعاهدة).

٣٢ ـ و إنّه لاتجارُ قريشٌ ولامن نَصَرَها.

«البندُ الثالث»

٣٣ ـ وإن بينهم (أي بين اليهود والمسلمين) النصر على من دهم يثربَ

٢٦ ـــــــ

في إبرام هذه المعاهدة والتوقيع عليها، بل شارك فيها يهودُ الأوس والخزرج فقط، إلّا أنّ تلك الطوائف اليهودية (الثلاث) قد وقعت فيما بعد مع قائد المسلمين وزعيمهم على معاهدات مماثلة أهم بنودها هي:

أن لايُعينوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله ولاعلى أحدٍ من أصحابه بلسان ولايدٍ ولابسلاح ولابكراع (أي الخيل وغيرها من المراكب) في السر والعلانية لابليلٍ ولابنهارٍ، الله بذلك عليهم شهيد، فإن فعلوا فرسول الله في حلٍّ من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم، ونسائهم، وأخذ أموالهم.

وقد كتبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله لكلِّ قبيلة منهم كتاباً على حدة على هذا الغرار، ثم وقع عليها «حيُّ بن أخطب» عن قبيلة بني النضير، و«كعب بن أسد» عن بني قريظة، و«المخيريق» عن قبيلة بني قينقاع[1].

وبهذا سادَ الأمنُ يثرب وضواحيها بعد أن اعتبرت المنطقة حرماً آمناً.

والآن جاء دور أن يعالج رسول الله صلّى الله عليه وآله المشكلة الأُولى، يعني قريش لأنه مادام هذا العدوُّ يعرقل حركة الدعوة، ويقف سدّاً أمام تبليغ الاسلام، فلن يُوَفّقَ لنشر هذا الدين وتطبيق أحكامه، وتعاليمه المباركة.

ممارسات اليهود الإجهاضية:

لقد تسبّبت تعاليمُ الاسلام الرفيعة وأخلاق الرسول العظيم في أن يتزايد عددُ المنتمين الى الاسلام يوماً بعد يوم، وتزداد بذلك قوّةُ الاسلام العسكرية والاقتصادية والسياسية.

وقد أحدث هذا التقدمُ المتزايد الباهر قلقاً وضجةً عجيبةً في الأوساط اليهودية الدينية، لأنهم كانوا يتصوّرون أنهم يستطيعون بدعمهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وتقويته وتأييده جرّه إلى صفوفهم، ولم يكونوا يتصوّرون قط أنّ

---

(١) بحارالأنوار: ج١٩ ص١١٠و١١١. احتفظ في ذاكرتك أيها القارئ الكريم هذا القسم من المعاهدة الثانية لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله عاقب اليهود بسبب نقضهم لهذه المعاهدة.

٢٨ ـــــــ

اليهود هو «المخيريق».

وكان عبدالله بن سلام يعلم بأنه سيذمُّه قومُه من اليهود اذا عرفوا باسلامه وتركَ دينهم،من هنا طلب من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يكتم عن الناس إسلامه، ريثما يحصل أولاً على اعتراف من قومه بعلمه وتقواه، وبمعرفتِه وصلاحِه قائلاً: «يارسول الله إن يهود قومٌ بُهُت، وأني أحبُّ أن تُدخلني في بعضِ بيوتك، وتغيّبني عنهم ثم تسألهم عنّي حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني».

فأدخله رسول الله صلّى الله عليه وآله في بعض بيوته وأخفاه عن الانظار ثم قال لليهود الداخلين عليه:

«أيُّ رجلٍ الحصينُ بنُ سلام فيكم؟».

قالوا: سيدُنا وابنُ سيدنا، وحَبرُنا وعالمُنا، فخرجَ عليهم «عبدُالله بنُ سلام» من مخبأه وقال لهم: يامعشر يهود اتّقوا الله واقبَلوا ماجاءكم به، فوالله إنّكم لتعلمون أنه لرسول الله تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة باسمه وصفته، فاني أشهدُ أنه رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأُومن به وأُصدّقه وأعرِفُه.

فغضب اليهودُ من مقالته، وقالوا له: كذبتَ ووقعوا فيه، وعابوه، وبهتوه[1].

خطةٌ أُخرى للقضاءِ على الحكومة الاسلامية:

لم تضعف مجادلاتُ اليهود واسئلتهُم العويصة عقيدة المسلمين وايمانَهم برسول الله صلّى الله عليه وآله فحسب، بل تسبَّبَت في أن تتضح مكانته العلمية، وقيمة معارفه الغيبية للجميع أكثر من ذي قبل.

ففي ظلّ هذه المجادلات والمحاورات رغب جماعات كبيرة من الوثنيين واليهود في الاسلام فآمنوا برسول الله صلّى الله عليه وآله وصدَّقوه.

من هنا دبَّر اليهودُ مؤامرة أُخرى وهي التذرُّع بأُسلوبِ «فرِّقْ تسُدْ»، لالقاء

(١) السيرة النبوية: ج١ ص ٥١٦.

٣٠ ـــــــ

«يامعشر المسلمين، اللّهَ اللّهَ أبِدَعوى الجاهليةِ وأنا بينَ أظهُرِكُم بَعدَ أن هَداكُم لِلإسلام، وأكرَمَكُم به، وقطع به عنكم أمرَ الجاهِليّة، واستَنقذكُم به من الكُفر، وألّف بينَ قُلُوبِكُم؟؟».

فعرف القومُ أنها مؤامرة مبيَّتة من اليهود اعداءِ الاسلام والمسلمين، وكيدٌ خبيثٌ منهم، فندموا على ماحدث، وبكَوا وعانَق الرجال من الأوس والخزرج بعضهُم بعضاً، ثم انصَرفوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله سامعين مطيعين، وأطفأ اللّهُ عنهم كيدَ أعدائهم[1].

إلّا أن مؤامرات اليهود لم تتوقف عند هذا الحدّ، ولم تنته بهذا، فقد اتسعت دائرة خيانتهم وجنايتهم، ونقضهم للعهد وأقاموا علاقات سرية وخاصةً مع مشركي الأوس والخزرج، ومع المنافقين والمترددين في اسلامهم واعتقادهم، واشتركوا بصورةٍ صريحةٍ في اعتداءات قريش على المسلمين، وفي الحروب التي وقعت بين الطرفين، وكانوا يُقدّمون كل ماأمكنهم من الدعم والمساعدة للوثنيين، ويعملون لصالحهم!!

وقد جَرّت هذه النشاطاتُ السرّيةُ والعلنيةُ المضادّةُ المعاديةُ للاسلام والمسلمين، وهذا التعاون المشؤوم مع مشركي قريش، جرّت إلى وقوع مصادمات وحروب دامية بين المسلمين والطوائف اليهودية أدت في المآل إلى القضاء على الوجود اليهودي في المدينة.

وسيأتي ذكر هذه الحوادث في وقائع السنة الثالثة والرابعة من الهجرة، وسيتضح هناك كيف أن الجماعة اليهودية ردت على الجميل الذي تعكسه كلتا المعاهدتين من أولهما الى آخرهما، بنقض العهد، ومعاداة الاسلام والمسلمين، والتآمر ضدّ رسول الله صلّى الله عليه وآله خاصّة، وبنصرة أعدائه، ودعم خصومه، الأمرُ الذي أجبر النبيّ صلّى الله عليه وآله على تجاهل تلك المعاهدات الودية والانسانية ومن ثم محاربتهم، وإخراجهم من المدينة وما حولها والقضاء على

(١) السيرة النبوية: ج١ ص٥٥٥ ـ ٥٥٧.

ماتبقى مِن كياناتهم الشريرة.

لقد أقام رسول الله صلّى الله عليه وآله في المدينة من ربيع الأول من السنة الأُولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية حتى بنى المسجد والبيوت والمنازل المحيطة بها، وقد أسلم في هذه الفترة كلُ من تبقّى من الأوس والخزرج، ولم يبق دارٌ من دور الانصار إلّا أسلم أهلُها، ماعدا بعض العوائل والفروع ممن بقوا على شركهم، ولكنهم أسلموا بعد معركة بدر[١].

(١) السيرة النبوية: ج١ ص٥٠٠.

٢٧
مناوراتٌ عسكرية
واستعراضاتٌ حربية

الهدفُ من هذا الفصل هو شرحُ وبيان الأسرار الكامنة وراء سلسلة الاستعراضات الحربية، والمناورات العسكرية، التي قام وأمربهارسول الله صلّى الله عليه وآله.

فقد بدأت هذه المناورات منذ الشهر الثامن من الهجرة واستمرت حتى شهر رمضان من السنة الثانية، وتعد في الحقيقة أول مناورات عسكرية، وعروض حربيّة قام بها المسلمون.

إن التفسير الصحيح لهذه الوقائع، وبيان رموزها وأسرارها انما يتيسَّر اذا طالعنا نص ماكُتِبَ حول هذه الوقائع في المصادر التاريخية من دون زيادة أو نقصان ثم نعرض على القارئ الكريم رأي المحققين من المؤرخين فيها.

و إليك فيما يأتي خلاصة هذه الحوادث:

١ ـ لم يكن يمض على إقامة رسول الله صلّى الله عليه وآله في المدينة أكثر من ثمانية أشهر عندما عقد النبيّ أوّل لواءٍ لقائدٍ عسكريّ شجاع هو «حمزة بن عبدالمطلب» وقد أمّره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين بعثهم الى سواحل البحر الأحمر حيث الطرق التجارية التي تمر فيها قافلة قريش التجارية، فالتقوا قافلة قريش في «العيص» فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل من أهل مكة، فاصطفّوا

٣٤ ـــــــ

العسكرية.

هناك مصطلحان رائجان في كتابات المؤرخين وكُتّاب السيرة أكثر من أي مصطلح آخر وهما لفظة: «الغزوة» و«السرّيّة»[١].

والمقصود من «الغزوة» تلك العمليات العسكرية التي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يشارك فيها بنفسه، ويتولى قيادتها بشخصه.

على حين يكون المقصود من «السريّة» إرسال مجموعات عسكرية وفرق وكتائب نظاميّة لايشترك فيها رسول الله بنفسه بل يؤمّرُ عليها أحدَ قادته العسكريّين ويوجّهها إلى الوجهة التي يريدُها.

وقد أُحصيت غزواتُ النبيّ صلّى الله عليه وآله فكانت (٢٧) أو (٢٦) غزوة.

ويعود الاختلاف في العدد الى أن بعض المؤرخين يعتبر غزوة «خيبر» وغزوة «وادي القرى» اللتين حدثتا تباعاً ومن دون فاصلة غزوتين والبعض الآخر عدَّهما غزوةً واحدةً[٢].

وقد وقع نظير هذا الخلاف في تعداد سرايا النبيّ صلّى الله عليه وآله أيضاً فأحصى المؤرخون (٣٥)، (٣٦)، (٤٨)، وحتى (٦٦) سرية.

ويعود هذا الاختلاف إلى أن بعض السرايا لم يُحسب لها حساب لقلّة أفرادها، ولهذا حدث هذا الاختلاف في العدد.

من هنا كلّما ذكرنا لفظَ السرّية قصدنا منه مالم يشارك فيه النبيّ، وكلما ذكرنا لفظَ الغزوة قصدنا منه ماشارك فيه رسول الله صلّى الله عليه وآله بنفسه.

وقد أحجمنا عن ذكر السرايا إلّا سرايا السنوات الأُولى من الهجرة لأن في بيان هذه الطائفة من السرايا أثراً مهماً في تفسير بعض الغزوات مثل غزوة «بدر».

و إليك بيان هذه السرايا والغزوات وشرح تفاصيلها.

---

(١) راجع المحبَّر: ص١١٠ -١١٦.

(٢) مروج الذهب: ج٢ ص٢٨٧ و٢٨٨.

٣٦ ـــــــ

بقرب ينبع على بُعد ٩٠ كيلومتراً من المدينة تقريباً) ولكنه لم يظفر بقافلة قريش التي كان يقودُها «أُميّةبن خلف» وعلى رأس مائة رجل من قريش، فرجع الى المدينة.

٦ ـ وفي منتصف شهر جمادى الأُولى من السنة الثانية للهجرة جاءَ الخبر أن قافلة قريش التجارية تخرج من مكة بقيادة أبي سفيان تريد الشام للتجارة، وقد جمعت قريش كل أموالها في تلك القافلة، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله في جمع من أصحابه لاعتراضها حتى بلغ «ذات العشيرة» وقد استعمل على مكة هذه المرّة «أبا سلمةبن عبدالأسد»، وبقي صلّى الله عليه وآله في ذات العشيرة إلى أوائل شهر جمادى الآخرة ينتظر قافلة قريش، ولكنه لم يظفر بها، ثم وادَعَ فيها بني مدلج وعقد معاهدةَ عدم اعتداء ذكرتها المصادر التاريخية بالنص[١].

وقال ابن الأثير: في هذه الغزوة (والمكان) نزل رسول الله صلّى الله عليه وآله وجماعته في بواط عند عين فنام علي وعمّار فوجدهما رسول الله صلّى الله عليه وآله نائمين في رقعاء من التراب فايقظهما، وحرّك عليّاً فقال: قم ياأبا تراب ألا اخبرك باشقى الناس: أُحيمر ثمود عاقر الناقة، والذي يضربك على هذه [يعني قرنه] فيخضِب هذه منها [يعني لحيته][٢].

٧ ـ بعد أن رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله الى المدينة بعد اليأس من قافلة قريش لم يقم بالمدينة الّا ليالي قلائل لا تبلغ العشر حتى هاجم «كرزبن جابر الفهري» على ابل أهل المدينة ومواشيهم التي كانت قد سرحت للرعى بالغداة.

فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله في طلبه وقد استعمل على المدينة زيدبن حارثة حتى بلغ واديا من ناحية بدر وفاته كرزبن جابر فلم يدركه ثم رجع صلّى الله عليه وآله ومن معه الى المدينة فأقام بها بقية جمادى الآخرة ورجباً

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص٥٩٨، تاريخ الخميس: ج١ ص ٣٦٣.

(٢) الكامل: ج٢ ص ١١٢ والمستدرك على الصحيحين: ج٣ ص١٤٠ و١٤١.

٣٨ ـــــــ

فقال أصحابه اجمعون: نحن سامعون مطيعون لله ولرسوله ولكَ فسِر على بَرَكة الله حيث شئتَ، فسارَ هو ومن معه لم يتخلَّف منهم أحدٌ حتى جاء نخلة فوجد قافلةً لقريش يرأسها «عمرو بن الحضرمي» وهي عائدة من الطائف الى مكة. فنزل المسلمون بالقرب منهم، ولكي لا يكتشفهم العدوّ، ولايعرف بأمرهم ومهمّتهم حلقوا رؤوسهم ليتصوّرالعدوأنهم عمّاريعتزمون الذهاب الى مكة للعمرة

فلما رآهم رجالُ قريش على هذه الحال اطمأنوا وأمنوا جانبهم وقالوا: عُمّارٌ لابأس عليكم منهم.

ثم تشاور المسلمون فيما بينهم في جلسة عسكرية للنظر فيما يجب عمله فتبين لهم: أنهم إذا تركوا القوم (أي قريشاً) في تلك الليلة (وكانت آخر ليلة من شهر رجب) لدخلوا الحَرَم، ولم يمكن قتالهم فيه، وان خرج الشهر الحرام.

فأجمعوا على قتل من قدروا عليه منهم، وأخذ مامعهم، من هنا باغتوا تلك القافلة، ورمى «واقدُبن عبدالله» قائدها «عمروبن الحضرمي» بسهم فقتله، وفرَّ رجالُه إلّا نفرين هما: «عثمان بن عبدالله» و«الحكم بن كيسان» حيث أسرهما المسلمون، وعاد عبدالله بن جحش وأصحابه بالقافلة مع مافيها من أموال قريش والاسيرين إلى المدينة.

ولما قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة وأخبروه بأنهم قاتلوا القومَ في الشهر الحرام (رجب) انزعج رسول الله صلّى الله عليه وآله من تصرف قائد المجموعة وعدم استفساره لما يجب أن يفعله بشدَّة وقال:

«ماأمرتُكُم بِقتال في الشهرِ الحرام».

وقد استخدَمت قريش هذه القضية كسلاحٍ دعائيٍ ضدَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله واشاعت بأنَّ «محمّداً» وأصحابه قداستحلّوا الشهرَ الحرام وسفكوا فيه الدم وأخذوا الاموال كما أنه تشاءم اليهود بهذه القضية وأرادوا أن يثيروا فتنةً، وعاب المسلمون على «عبدالله بن جحش وأصحابه» فعلتهم هذه. هذا من جانب ومن جانب آخر وقف النبيّ صلّى الله عليه وآله الاموالَ والأسيرين

وابى أن يأخذ من كل ذلك شيئاً وبقي ينتظر الوحي.

وفجأة نزلَ جبرئيل بهذه الآية:

«يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرامِ قِتال فيه قُلْ قِتالٌ فيهِ كبير وَصَدٌّ عَنْ سَبيلِ اللّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَإِخْراجُ أَهْلِهِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ»[1].

أَي إن كُنتم قَتلتُم في الشهر الحرام، فقد صَدّوكم عن سبيل الله مع الكفر به وصدّكم عن المسجد الحرام، واخراجُكم منه وأنتم أُهله أكبرُ عندالله من قتل من قُتِلَ منهم «وَالفِتنَةُ أكبَرُ مِنَ القَتلِ» أي ماكانوا يرتكبونه من فتنة المسلم في دينه حتّى يردُّونَه الى الكفر بعد إيمانه أكبر عندالله من القتل.

ولما نزل القرآنُ بهذا الأمر، وفرّج الله تعالى عن المسلمين ماكانوا فيه من الخوف والحيرة قبض رسول الله صلّى الله عليه وآله الأموالَ، والأسيرين وقسمها بين المسلمين، وكانت أول غنيمة غنمها المسلمون.

وبعثت قريشٌ الى النبيّ صلّى الله عليه وآله في فداء أصحابهم فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله:

«لَن نفديهما حتّى يَقدمَ صاحبانا».

يعنى رجلين من المسلمين كانا قد أُسِرا من قِبَل قريش، قد اشتركا في هذه العمليّة ولكنهما أضلا طريقهما في الصحراء فأسرتهما رجال من قريش.

وهكذا أبى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يطلق سراح أسيرَي قريش لقاء فدية إلّا إذا أطلق المشركون أسيرَي المسلمين. قائلاً لموفدي قريش:

«إنّي أخافُ على صاحِبَيَّ فَإن قَتَلتُم صاحِبَيَّ قَتلتُ صاحِبَيكُم».

فاضطرت قريشٌ إلى الافراج عن المسلمَين الأسيرَين، ومع وُصولهما الى المدينة أفرجَ رسول الله صلّى الله عليه وآله عن أسيرَي قريش.

ومن حُسن الحَظ أنَّ إحدى ذينِكَ الأسيرَين أسلمَ ورَجَعَ الآخر إلى مكة[2].

---

(١) البقرة: ٢١٧.

(٢) المغازي: ج١ ص١٣- ١٨، السيرة النبوية: ج١ ص٦٠٣- ٦٠٥.

ماذا كان الهدف من المناورات العسكرية؟

لقد كان الهدفُ الاساسي من بعث وتوجيه السرايا، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات العسكرية مع القبائل القاطنة على خطوط التجارة المكية هو ايقاف قريش على قوة المسلمين العسكرية، واشتداد ساعِدِهم، وخاصة عندما كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يشترك بنفسه في العمليات، ويترصّد مع مجموعات كبيرة من أنصاره تحركات قريش الاقتصادية، ويعترض قوافلها التجارية.

لقد كان رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله يريد بذلك إفهام حكومة مكة الوثنية بأن جميع طرق التجارة المكية هي في متناول يده، وأنه يستطيع ـ متى شاء ـ أن يُشلّ اقتصاد المكيين بتعريض خطوطهم وطرقهم التجارية، للتهديد الجدّي.

ولقد كانت التجارة أمراً حَيَوياً وحساساً جداً بالنسبة إلى أهل مكة، وكانت البضائع التي تنقل منها إلى الطائف والشام تشكّل اساسَ الاقتصاد المكّي، فاذا كانت هذه الخطوط تتعرض للتهديد من قِبَل العدوّ وحلفائه مثل «بني ضمرة» و«بني مدلج» فان ذلك كان يعني انهدام وانهيار حياتهم.

لقد كان الهدف من بعث تلك الدَّوريات العسكرية هو: أن تعرف قريش بأن طريق تجارتها الرئيسية هي الآن تحت رحمة المسلمين، فاذا استمرُّوا في معاداتهم للاسلام وللمسلمين وحالوا دون انتشار الاسلام، والدعوة اليه، واستمروا في ايذاء من تبقّى من المسلمين المستضعفين والعجزة في مكة واضطهادهم، قطع المسلمون شريان اقتصادهم.

والخلاصة أنّ الهدف كان هو أن تعيد قريشٌ النظر في مواقفها في ضوء الحالة الجديدة، والتهديد العسكريّ الاسلامي الجدّي، وتترك للمسلمين الحرية في الدّعوة إلى عقيدتهم، وتفتح الطريقَ لزيارة بيت الله الحرام، ونشر التوحيد ليستطيع الاسلام بمنطقه القويّ، والمحكم أن ينفذ في القلوب، ويتجلّى نورُ الاسلام ويشعَّ على جميع نقاط شبه الجزيرة العربية، وربوعها، وبخاصة منطقة

٤٢ ـــــــ

صلّى الله عليه وآله ينوون ملافاة ماخسروه، رغم أنَّ ثرواتِهم وممتلكاتهم كانت قد صودرت من قِبَل المكيين، ويدل على ذلك أنهم لم يتعرضوا بعد معركة «بدر» لأيّة قافلة تجارية لقريش.

كيف لاوقد كان الهدف وراء أكثر هذه البعوث والارساليات العسكرية هو تحصيل وجمع المعلومات، عن العدوّ وتحركاته وخططه، والمجموعات التي لم يكن يتجاوز عدد أفرادها غالباً الثمانية أوالستين أوالثمانين رجلاً لايمكنها قطع الطريق، واستلاب الاموال، ومصادرة القوافل التجارية الكبرى التي كان يقوم بحراستها رجال أكثر عدداً وأقوى عُدّة من تلك السرايا، بأضعاف المرات غالباً.

فاذا كان الهدف هو الحصول على المال والثروة من هذا الطريق فلماذا خُصَّت قريش بذلك، ولم يعترض المسلمون تجارة غيرهم من القبائل المشركة؟ ولماذا لم يمس المسلمون شيئاً من أموال غير قريش.

واذا كان الهدف هو الغارة، وقطع الطريق واستلاب الأموال، فلماذا كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يبعث المهاجرين فقط، ولايستعين بأحد من الأنصار في هذا المجال غالباً؟

وربما قال هؤلاء المستشرقون: ان المقصود من هذه العمليات الاعتراضية كان هو الانتقام من قريش، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه تعرّضوا على أيدي المكيين لألوان التعذيب والاضطهاد والأذى، فدفعتهم غريزة الانتقام والثأر ـ بعد أن حصلوا على القوة ـ الى تجريد سيوفهم، للانتقام من الذين طالما اضطهدوهم، وليسفكوا منهم دماً!!

ولكن هذا الرأي لايقل في الضعف والوَهن والسخافة عن سابقه، لأنّ الشواهد والقرائن التاريخية الحيّة العديدة، تكذّبه وتفنّده، وتوضّح ـ بجلاء ـ أن الهدف من بعث تلك السرايا والدوريات العسكرية لم يكن أبداً القتال والحرب، والانتقام وسفك الدماء.

واليك مايدلُّ على بطلان هذه النظرية:

٤٤ ـــــــ

ومن هنا انزعج رسول الله صلّى الله عليه وآله بمجرد سماعه بنبأ هذا الصِدام الدموي ولامهم على فعلتهم وقال:

«ماأمَرتُكُم بِقتال».

ويؤيّد هذا ماورد في مغازي الواقدي عن سليمان بن سحيم أنه قال: ماأمرهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقتال في الشهر الحرام، ولاغير الشهر الحرام إنما أمرهم أن يتحسّسوا أخبار قريش[1].

والعلة في أن النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يختار لهذه الدوريات والبعوث رجالاً من المهاجرين دون الأنصار هي أن الانصار قد بايعوا في العقبة على الدفاع، أي أن معاهدتهم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت معاهدة دفاعية تعهّدوا بموجبها بأن يمنعوه من أعدائه ويدافعوا عنه إذا قصدَهُ عدوٌّ.

من هنا ماكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يريد أن يفرضَ عليهم مثل هذه المهمات، ويبقى هو في المدينة، ولكنه عند ما خرج -فيما بعد- بنفسه أخذ معه جماعةً من رجال الانصار تقوية لروابط الاخوة والوحدة بين المهاجرين والأنصار، ولهذا كان رجاله في غزوة «بواط» أو «ذات العشيرة» يتكونون من الأنصار والمهاجرين.

وعلى هذا الاساس يتضح بطلان نظرية المستشرقين حول الهدف من بعث الدوريات العسكرية.

كما أنَّ بالتأمل والامعان في ماقلناه يتضح أيضاً بطلان ماقالوه في هذا المجال في تلك العمليات التي شارك فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله بنفسه، إذ أن الذين خرجوا معه ماكانوا ينحصرون في المهاجرين خاصه بل كانوا خليطاً من المهاجرين والأنصار، والحال أن الأنصار لم يبايعوا النبيّ على القيام بأية عملية هجوميّة ابتدائية، بل كل مابايعوا عليه النبيّ كما قلنا هو: العمل الدفاعي،

---

(١) المغازي: ج١ ص ١٦.

فكيف يصح أن يدعوهم النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى عمليات قتالية إبتدائية هجوميّة.

وتشهد بما نقول حادثةُ وقعة بدر التي سنشرحها في مابعد، فما لم يعلن الأنصار عن موافقتهم على قتال قريش لم يقرر النبيّ صلّى الله عليه وآله الحرب، في تلك الواقعة.

هذا والسبب في تسمية أصحاب السير والتواريخ هذا النوع من العمليات التي خرج فيها النبيّ بنفسه (غزوة) وان لم يقع فيها قتالٌ وغزوٌ، هو أنّهم أرادوا أن يجمعوا كل الحوادث تحت عنوانٍ واحدٍ، وإلّا فلم يكن الهدف الاساسيّ من هذه العمليات هو الحربُ والقتال، أو السيطرة على الأموال وسلبها.

٢٨

تحويل القبلة

من بيت المقدس الى الكعبة

لم يكن قد مضى على هجرة النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى المدينة عدة أشهر إلّا وبدأت نغمة معارضة اليهود للنبيّ صلّى الله عليه وآله تظهر شيئاً فشيئاً!!

وفي الشهر السابع عشر من الهجرة بالضبط[1] أمرالله تعالى نبيَّه صلّى الله عليه وآله بالأمر المؤكَّد القاطع بأن يتحول إلى الكعبة ويتخذها من الآن فصاعداً قبلةً له وللمسلمين كافة، فيتوجهون الى المسجد الحرام في أوقات الصلوات.

هذا هو مجمل القصة، واليك بيانها على وجه التفصيل.

صلّى رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثةَ عَشَر عاماً كاملة في مكة نحو بيت المقدس.

وبعد الهجرة الى المدينة كان الأمرالإلهيّ له هو أن يبقى على الحالة من حيث القبلة، أي بأن يصلي الى بيت المقدس، كما كان يفعل في مكة.

وقد كان هذا الاجراء نوعاً من المحاولة لاقامة التعاون والتقارب بين الدينين

---

(١) الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٤١و٢٤٢، إعلام الورى باعلام الهدى: ص٧١ و٧٢. ويقول ابن هشام في السيرة النبوية: ان القبلة صُرِفت عن الشام إلى الكعبة في رجب على رأس سبعة عشر شهراً من مقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة (السيرة النبوية: ج١ ص٦٠٦) ويرى ابن الاثير أن ذلك حدث في منتصف شهر شعبان (الكامل: ج٢ ص٨٠).

٤٨ ـــــــ

من علامات الايمان والتسليم، والاخلاص والوفاء للدين الجديد.

بينما كانت مخالفته علامةً قويةً من علامات النفاق والتردّد كما يصرّح القرآن الكريم بنفسه بذلك اذ يقول:

«وَما جَعَلْنا القِبْلة التي كُنْتَ عَلَيْها إلّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتّبعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلى عَقِبَيْهِ وَإنْ كانَتْ لَكَبيرَة إلّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ»[1].

ومن المسلَّم أنه يمكن الوقوف على حِكَم أُخرى لهذا الأمر (أي صرف القبلة من الشام الى الكعبة) إذا تتبعنا تاريخ الاسلام بشكل أوسع، وطالعنا أوضاع شبه الجزيرة العربية.

ويمكن الاشارة الى بعض هذه الحِكَم مضافاً الى ماذكرناه:

أولاً: أن الكعبة التي رفعت قواعدها على يَدَي بطل التوحيد وناشرلوائه النبيّ العظيم «ابراهيم الخليل» (عليه السلام) كانت موضع احترام وتقديس من المجتمع العربي، فقد كان العرب يحبون الكعبة ويعظمونها غاية التعظيم على ماهم عليه من الشرك والفساد، فكان اتخاذه قبلة من شأنه كسب رضا العرب، واستمالة قلوبهم، وترغيبهم في الاسلام تمهيداً لاعتناق دين التوحيد ونبذ الاوثان والاصنام.

وأيّ هدفٍ، وأية غاية ترى أسمى وأجلُّ من أن يؤمن المشركون المعاندون المتخلفون عن ركب الحضارة والمدنية، وينتشر الاسلام بسببهم في كل أنحاء العالم.

ثانياً: أن الابتعاد عن اليهود الذين لم يكن يؤمَل في إذعانهم للاسلام، وايمانهم برسالة (محمّد) ذلك اليوم كان يبدو أمراً ضرورياً، لأنهم كانوا يقومون بأعمال ايذائية ضد الاسلام والمسلمين ويطلعون على رسول الله صلّى الله عليه

---

(١) البقرة: ١٤٣. ويمكن بيان هذه العلة بصورة أُخرى وهي إنما أُمو بالصلاة الى بيت المقدس لأن مكة وبيت الله الحرام كانت العرب آلفة بحجها فأراد الله أن يمتحن بغير ما آلفوه ليظهر من يتبع الرسول ممن لا يتبعه. (راجع مجمع البيان: ج١ ص٢٢٢ و٢٢٣).

وآله بين الفينة والأُخرى بأسئلة عويصة يشغلونه بها، يظهرون بها ـ حسب تصورهم ـ أنهم يعرفون أُموراً كثيرة وأنهم علماء، وبذلك يضيّعون على رسول الله صلّى الله عليه وآله الوقتَ، ويشغلونه عن مهامه الكبرى.

فكان تغيير القبلة واحداً من مظاهر الابتعاد عن اليهود واجتنابهم، تماماً مثل نسخ صوم يوم عاشوراء الذي تم لنفس هذا الغرض.

فقد كانت اليهود تصوم يوم عاشوراء قبل الاسلام، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله المسلمون بأن يصوموا هذا اليوم أيضاً، ثم نسخ الأمر بصوم عاشوراء وفرض مكانه صوم شهر رمضان[1].

وعلى كل حال فان الاسلام الذي يتفوق على جميع الأديان، يجب أن تتجلى فيه هذه الحقيقة بحيث يغدو أمرُ تكامله وتفوقه بادياً للعيان، واضحاً للجميع.

وفي هذه الحالة تصوَّر بعض المسلمين أن ماأتوا به من صلاة وعبادة وهم متجهين إلى بيت المقدس كان باطلاً إذ قالوا: كيف بأعمالنا التي كنا نعمل في قبلتنا الأُولى، أو حال من مضى من أمواتنا وهم كانوا يصلون الى بيت المقدس؟!

فنزل الوحيُ الإلهيُ يقول:

«وَما كانَ اللّهُ لِيُضيعَ إيمانكم إنَّ اللّهَ بالنّاسِ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ»[2].

ومع ملاحظة هذه الاعتبارات وبينما كان النبيّ صلّى الله عليه وآله قد انتهى من الركعة الثانية من صلاة الظهر، نزل عليه جبرئيل، وأمره بأن يتوجه بالمصلّين معه حدبَ المسجد الحرام.

وجاء في بعض الاخبار أنّ جبرئيل أخذ بيد النبيّ صلّى الله عليه وآله وأداره نحو المسجد الحرام، فتبعه الرجال والنساء الذين كانوا يأتمون به في

---

(١) مجمع البيان: ج١ ص٢٧٣.

(٢) البقرة: ١٤٣. والمراد من الايمان هنا هوالعمل وهو من الموارد التي استعمل فيها لفظ الايمان وأُريد به العمل.

المسجد[١].

فتحوّل الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فكان أول صلاته الى بيت المقدس، وآخرها الى الكعبة.

ومنذ ذلك الحين جعلت الكعبة المعظمة ـ زاد الله من شرفها ـ قبلة مستقلة للمسلمين يتوجهون اليها في كثير من واجباتهم وشعائرهم الدينية[٢].

هذا والغريب أن اليهود الذين كانوا قبل نزول الأمر بالتحوّل من بيت المقدس الى الكعبة المعظمة يفتخرون على المسلمين بأنهم يصلّون على قبلة اليهود، لما حُوّل المسلمون إلى الكعبة المعظمة، وأُمروا بالصلاة اليها دون بيت المقدس أخذوا يعيبون على المسلمين التوجه إلى نقطةمّا في الأرض فردّ الله عليهم بقوله:

«سَيَقُولُ السُفَهاءُ مِنَ النّاس ماوَلّاهُمْ عَنْ قِبْلَتهمْ التي كانُوا عليها قُلْ لله الْمشرق والْمغربُ يهدي من يشاءُ إلى صراط مُستقيم»[٣].

أي ان الله فوق الزمان والمكان، والتوجه إلى نقطة خاصة في حالة العبادة انما هو لمصالح اجتماعية خاصة فالصلاة الى الكعبة توجّه الى الله كالصلاة الى بيت المقدس سواء بسواء.

كرامةٌ علمية لرسول الله صلّى الله عليه وآله:

وما ينبغي الاشارة اليه هنا هو: أن العرض الجغرافي للمدينة ـ طبقاً لمحاسبات علماء الفلك القدامى ـ هو ٢٥ درجة، وطولها ٧٥ درجة و٢٠ دقيقة، ولهذا كانت قبلة المدينة لاتوافق محراب رسول الله صلّى الله عليه وآله الباقي على حالته السابقة الى الآن في مسجده الشريف، وقد سبّب هذا الاختلاف حيرةً لدى بعض المتخصصين في هذا العلم، وربما دفعهم إلى ارتكاب توجيهات وتبريرات لرفع هذا الاختلاف.

---

(١) بحارالأنوار: ج١٩ ص٢٠١ عن من لايحضره الفقيه.

(٢) كالصلاة والذبح ودفن الموتى، والدعاء وغير ذلك.

(٣) البقرة: ١٤٢.

٥٢ ـــــــ

٢٩
معركة بدر

معركة «بدر» من معارك الاسلام الكبرى ومن حروبه البارزة، وقد اكتسب الذين شاركوا في هذه المعركة منزلة خاصة بين المسلمين فيما بعد.

فالواقعة التي كان يشارك فيها فردٌ أو عدةُ أفراد من المجاهدين في «بدر» أو اذا كانوا يشهدون على أمر قال المسلمون: ووافقنا عليه البدريون.

أجل إن الذين شاركوا في معركة بدر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله يدعون بالبدريين، ولم يكن هذا إلّا لاهميّة تكلم الوقعة التاريخية.

وتتضح علة هذه الأهميّة إذا نحن استعرضنا تفاصيل هذه الوقعة.

لقد قلنا في ماسبق أنه بلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله في منتصف جمادى الآخرة من السنة الثانية للهجرة، أن قافلة قريش التجارية خرجت من مكة إلى الشام بقيادة «أبي سفيان بن حرب».

فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله لملاحقتها إلى «ذات العشيرة» وتوقّف هناك إلى مطلع الشهر التالي، ولم يعثر على تلك القافلة، وقد كان وقت عودة القافلة معلوماً تقريباً، فقد كانت قافلة قريش تعود من الشام إلى مكة في أوائل الخريف.

ومن المعلوم أنّ أوّل خطوةً على طريق الانتصار في مثل هذه المحالات هو

٥٤ ـــــــ

المسلمون في المقابل أموال قريش المأخوذة فيما بينهم وتصرفوا فيها كغنائم حرب من هنا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لهم:

«هذا عِيرُ قريش (أي قافلتهم) فيها أموالهم، فاخرجوا اليها لعَلّ الله ينفلِكُمُوها»[١].

من هنا استخلفَ رسول الله صلّى الله عليه وآله في المدينة «عبدالله بن أُمّ مكتوم» للصلاة بالناس، والقيام بالشؤون الدينية، و«أبا لبابة» للقيام بالشؤون السياسية.

ثم خرج من المدينة في ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً لمصادرة أموال قريش أو بالاحرى توقيفها وحبسها.

النبيّ يتوجه الى منطقة ذَفران[٢]:

لقد ترك رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة بعد أن أتاه خبر عن تحرك قافلة قريش، قاصداً وادي ذفران حيث طريق القافلة في يوم الاثنين، الثامن من شهر رمضان، وقد عقد رايتين سلّم إحداهما إلى مصعب بن عمير، والأُخرى (وتسمى العقاب) إلى علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولقد كانت المجموعة التي خرج بها النبيّ صلّى الله عليه وآله تتألّف من إثنين وثمانين من المهاجرين، ومائة وسبعين من الخزرج، وواحد وستين من الأوس، وكان عندهم ثلاثة أفراس فقط.

---

(١) المغازي: ج ١ ص ٢٠.

(٢) وادي ذفران الذي كان يمرّ به قافلة قريش التجارية يقع على مرحلتين من بدر.
وقد ذكر ابن هشام في سيرته جميع المراحل التي طواها رسول الله صلّى الله عليه وآله من المدينة إلى ذفران ومنه إلى بدر الذي ارتحل اليه رسول الله بعد أن بلغه نبأ تحرك قافلة قريش.
وبدر كان موسماً من مواسم العرب يجتمع لهم به سوقٌ كلّ عام يتبايعون فيه ويتفاخرون على غرار سوق عكاظ، وكان يقع على طريق مكة والمدينة والشام. (راجع السيرة النبوية: ج ١ ص٦١٣- ٦١٨).

ولقد بلغ حبُّ الشهادة عند الاشخاص في المجتمع الاسلامي يومئذ مبلغاً عجيباً حتى أنّ فتياناً دون الحلم اشتركوا في هذه المعركة، وردّ النبيّ صلّى الله عليه وآله بعضهم إلى المدينة لمّا استصغرهم[١].

إن كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله يفيد بانه صلّى الله عليه وآله قد وعدهم بالرخاء والانفراج في المعيشة وذلك عن طريق السيطرة على أموال قريش، وأخذِ بضائعها، وكان المسوّغ لهذا العمل هو ماسبق أن ذكرناه، وهو أن قريشاً كانت قد صادرت كل أموال المهاجرين المسلمين في مكة، منقولها وغير منقولها، ومنعت من دخولهم مكة، وخروجهم منها.

ومن الواضح أن يسمح العاقل لنفسه ـأيّاً كانـ بأن يعامِلَ عدوه بمثل هذه المعاملة التي عامَلَهُ بها العدوُّ.

وأساساً يجب أن نعلم أنّ سبب هجوم المسلمين على قافلة قريش هو أنهم قد ظُلِمُوا وقُهروا، الأمرُ الذي يذكره القرآن الكريم أيضاً، ولذلك يسمح للمسلمين بأن يقاتلوا عدوَّهم ويعترضوا تجارتهم إذ يقول:

«أُذِنَ لِلَّذِيْنَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِموا وَأَنَّ اللّهَ عَلى نَصْرِهِمْ لَقديرٌ»[٢].

ولقد كان أبو سفيان قد عرف ـعند توجهه بالقافلة إلى الشامـ أن رسول الله صلى الله عليه وآله يترصد القافلة، ولهذا اتخذ كافة الاحتياطات عند قفوله ورجوعه من الشام، فكان يسأل القوافلَ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان إذا رأى أحداً منهم سأله: هل أحسستَ أحداً؟!

---

(١) المغازي: ج١ ص ٢١.

وروي أنه كان الرجل يساهم أباه في الخروج مع النبيّ صلّى الله عليه وآله رغبةً في الجهاد في سبيل الله والشهادة فكان ممن ساهم «سعدبن خيثمة» وأبوه في الخروج إلى بدر، فقال سعد لأبيه: انه لوكان غير الجنة آثرتك به، إني لأرجو الشهادة في وجهي هذا.

فقال خيثمة: آثِرني، وقرّمع نسائك! فابى سعد.

فقال خيثمة: إنه لابدَّ لأحدنا من أن يقيم، فاسْتَهَما (أي اقترعا) فخرج سهم سعد فقتل ببدر (المصدر).

(٢) الحج: ٣٩.

وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد خرج مع أصحابه من المدينة، يلاحق قافلة قريش، وقد نزل في وادي ذفران.

ولما أحسّ أبو سفيان بذلك أحجم عن الاقتراب الى منطقة بدر ولم ير بُدّاً من أن يخبر قريشاً بالخطر الذي يحدق بتجارتهم، وأموالهم، ويطلب مساعدتهم، فاستأجر رجلاً يدعى «ضمضم بن عمرو الغفاري» وأمرهُ بأن يجدع بعيره (يقطع أنفه) ويحوّل رَحْله، ويشقّ قميصَه من قُبُله وَدُبُرِه ويصيح الغوث! الغوث، ويخبر قريشاً أنّ محمّداً تعرّض لتجارتهم!!

فخرج ضمضم سريعاً إلى مكّة، ولمّا قدِمها وقف ببطن الوادي يصيح بأعلى الصَوت: يامعشر قريش اللطيمة اللطيمة[1]، أموالكم مع أبي سفيان قد تعرّض لها محمّد في أصحابه، لاأرى ان تدركوها، الغوث الغوث[2].

فأثار هذا المنظرُ المثيرُ، واستغاثات ضمضم المتتابعة أهل مكة، فتجهزوا سراعاً، وتهيّأوا للخروج، وأعدَّ كلُ صناديد قريش ورجالها المقاتلون أنفسهم للتحرّك نحو المدينة إلّا أبو لهب الذي لم يشترك في هذا الخروج، وارسل مكانه «العاصي بن هشام» لقاء أجرٍ قدرُه أربعةَ آلاف درهم.

وأراد «أُميّة بن خلف» هو الآخر أن يتخلّف لاسباب خاصّة، فقد قيل له: أن محمّداً يقول: لأقتلنّ أُميّة بن خلف[3].

فرأى أشراف قريش وسادات مكة أن تخلف رجل مثله يضرّ بقريش ويوهن من عزيمة الجيش، فقرروا إثارته وتحريكه فأتاه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل وهو جالس في المسجد بين ظهرانيّ قومِه، بمجمرةٍ يحملانه فيها نارٌ وعودٌ يتبخّر به حتى وضعاها بين يديه ثم قالا له:

«ياأُميّة استجمر فإنّما أنتَ من النساء»!

---

(١) اللطيمة: الابل التي تحمل الاقمشة والعطور، والنداء يعني: ادركوا اللطيمة ادركوها.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٢ ص٨١، المغازي: ج١ ص٣١، بحارالانوار: ج١٩ ص٢١٦.

(٣) المغازي: ج١ ص٣٥.

٥٨ ـــــــ

فوجد رسول الله صلّى الله عليه وآله والقائد الاعلى للمسلمين نفسَه أمام خيارين:

إما أن يقاتل، ولكنّه لم يخرج هو أو أصحابه الذين مرّ ذكرهم إلّا لمصادرة أموال قريش، فلم يكونوا متهيّئين لمقاتلة الجيش المكّي الكبير. لامن حيث العدد، ولامن حيث العُدّة.

و إما أن يرجع إلى المدينة من حيث أتى، وهذا يعني أن ينهار كلُّ ماكسبوه من الهيبة والمهابة، بفضل المناورات العسكرية، والعروض النظامية السابقة.

وبخاصة إذا تقدم العدوّ نحو المدينة في ظل هذا الانسحاب واجتاح مركز الإسلام «المدينة المنورة».

فرأى النبيّ صلّى الله عليه وآله أن لاينسحب، بل يقاتل العدوّ بما عنده من العدة القليلة والعدد القليل ويقاوم حتى اللحظة الأخيرة والنفس الأخير.

والجدير بالذكر أنّ أكثر الذين كانوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله كانوا من شبّان الأنصار وكان عدد المهاجرين لايتجاوز ٨٢ شخصاً.

وكانت بيعة العقبة التي بايع فيها الأنصار رسول الله صلّى الله عليه وآله بيعةً على الدفاع عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وحمايته لاالقتال والحرب.

اي انهم بايعوه صلّى الله عليه وآله على أن يمنعونه في المدينة فلايصل إليه أحد من أعدائه وهو بينهم.

أمّا أن يخرجوا معه الى خارج المدينة لقتال العدوّ فلم يبايعوا النبيّ صلّى الله عليه وآله على مثل ذلك فماذا يفعل القائدُ الأعلى للمسلمين.

إنه لم يرَ مناصاً من استشارة الناس الذين معه، ومعرفة رأيهم في مايجب اتخاذه من طريقةِ حلٍ لهذه المشكلة.

النبيّ يعقد شورى عسكرية:

وهنا وقف رسول الله صلّى الله عليه وآله في تلك الجماعة وقال: أشيروا

عليَّ أيُّها الناس.

فقام أبو بكر وقال: يا رسول الله إنّها قريش، وخيلاؤُها ماآمَنَت منذ كَفَرَت، ولاذَلَّت مُنذ عزّت ولم نخرج على أهبة الحرب!!

وهذا يعني أنه رأى من الصالح ان ينسحبوا الى المدينة، ولايواجهوا قريشاً.

فقال له رسول الله: إجلس.

ثم قام عمر بن الخطاب، وكرّر نفس مقالة أبي بكر، فأمره النبيّ صلّى الله عليه وآله بالجلوس أيضاً.

ثم قام «المقدادُ بن عمرو» وقال: يا رسولَ الله إمض لِما أراك اللّهُ فنحنُ معك، واللّهِ لانقولُ لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى: إذهَب أنت وربُّك فقاتِلا إنّا هاهُنا قاعِدُون.

ولكن إذهَب انتَ وربُّك فقاتِلا، و إنا مَعَكُما مُقاتِلون.

فَوَالّذي بعثكَ بالحقِّ لوسِرتَ الى برك الغماد (وهو موضع بناحية اليمن) لجالَدنا معك مِن دونه، حتى تبلغَه، ولو أمرتنا أن نخوضَ جَمر الغضا (أي النار المتقدة) وشوكَ الهراس (وهو شجرٌ كبير الشوك) لخضناه معك.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله خيراً ودعا له به.

إخفاء الحقائق وكتمانها:

إذا كان اخفاء الحقائق، والتعتيم عليها وسترها، والتعصب الباطل أمراً مشيناً مِن كلّ من ألَّفَ وكتَبَ، فإنّه ولاشك أقبحُ من المؤرّخ، المؤتَمنَ على التاريخ وحقائقه.

فان على المؤرخ أن يكون مرآةً صادقة للأجيال القادمة لايكدرها غبار التعصب، وغشاوة التحريف والتبديل والكتمان للحقائق.

ولقد ذكر ابن هشام[١] والمقريزي[٢] والطبري[٣] ماوقع في الشورى

(١) السيرة النبوية: ج١ ص٦١٥. (٢) إمتاع الاسماع: ص٧٤. (٣) تاريخ الطبري: ج٢ ص١٤٠.

العسكرية التي عقدها رسول الله صلّى الله عليه وآله وأدرج فيها ماقاله المقداد، وقاله سعدبن معاذ في كتبهم على وجه التفصيل، ولكنهم أحجموا عن إدراج ماقاله أبو بكر وعمر وإنما قالوا: وقال فلانٌ وأحسَنَ، وقال فلانٌ واحسنَ!!

وهنا نسأل ذينك المؤرخين اذا كان ماقاله فلان وفلان حسناً أرضى رسول الله صلّى الله عليه وآله فلماذا تركوا ذكره على نحو التفصيل كما فعلوا بالنسبة إلى كلام مقداد وسعد.

بلى؛ إنهما لم يقولا إلّا ماذكرناه قبل قليل، ليس غير. وإذا كان أولئك المؤلفون يكتمون الحقائق، فقد أظهرها الآخرون وسجلوا نصّ ماقاله الرجلان[1]، ولم يكن قولاً حسناً ولاكلاماً طيباً، بل كان كلامهما مثبطاً، ينمّ عن خوف، ووحشة، فهما صوّرا قريشاً قوةً لاتُقهر، وجيشاً لايُدحَر، غير آبهين بما تترك كلماتهم من الأثر السيئ في نفوس المسلمين في ذلك الظرف الدقيق، واللحظة الخطيرة!!

و إنك أيها القارئ لتستطيع أن تعرفَ مدى إنزعاج النبيّ صلّى الله عليه وآله من مقالتهما، مما ذكره الطبري نفسُه في الصفحة ذاتها، فان الشيخين كما تلاحظ، كانا أوّل من نطقا في تلك الشورى، ثم تكلّم بعدهما المقداد، وسعد بن معاذ.

فان الطبري يروي عن ابن مسعود أنه قال: لقد شهدت من المقداد مشهداً لئن أكون أنا صاحبه احبُّ إليّ مما في الارض من شيء كان رجلاً فارساً وكان

---

(١) المغازي: ج١ ص ٤٨، السيرة الحلبية: ج٢ ص١٦٠، بحارالأنوار: ج١٩ ص٢١٧.
قال الواقدي: ثم قال عمر: يارسول الله أنها والله قريش وعزّها، والله ماذلّت منذ عزّت، والله ماآمنت منذ كفرت، والله لا تسلم عزّها أبداً، ولتقاتلنّك فاتّهب لذلك أُهبته، وأعِدّ لذلك عُدّته!!!
كما جاء في صحيح مسلم :ج٥ص ١٧٠ باب غزوة بدر ومسند أحمد :ج٣ص ٢١٩ بطريقين انه حين بلغ النبيّ صلّى الله عليه وآله اقبال ابي سفيان شاور أصحابه، فتكلم أبوبكر فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فاعرض عنه.

٦٢ ـــــــ

الناس» وهو يريد الأنصار.

فقام سعد بن معاذ الأنصاري وقال: والله لكأنك يارسول الله تريدنا؟

فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: أجل.

فقال سعد: بأبي أنتَ وأُمّي يارسول الله صلّى الله عليه وآله إنا قد آمنّا بكَ، وصدقناك وشهدنا أن ماجئتَ به حقٌ مِن عندالله، وأعطيناك مواثيقنا وعهودنا على السمع والطاعة فامض يارسول اللّهِ لما اردتَ فنحنُ معك، فوالذي بعثك بالحق، لواستعرضت بنا هذا البحر[1] فخضته لخضناه معك ماتخلّف منا رجلٌ واحدٌ، وما نكرهُ أن تلقى بنا عدونا غداً.

إنالصبرٌ في الحرب، صُدق في اللقاء لعلّ الله يريك منّا ماتقرّ به عينك فسِر بنا على بركة الله، وصِل مَن شئتَ، واقطعْ من شئتَ وخذْ مِن أموالنا ماشئتَ، و ما أخذت من أموالنا أحبُّ إلينا مما تركتَ.

فسرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بقول سعد ونشّطه ذلك، وأزال سحابة اليأس من النفوس، وأشعل ضياء الأمل في القلوب.

ولهذا لم يفرغ ذلك الأنصاريُ البطل والقائد المؤمن الشجاع من مشورته الشجاعة إلّا وأصدر رسول الله صلّى الله عليه وآله أمره بالرحيل قائلاً: «سيروا على بركة الله وابشروا فانّ الله قد وعدني إحدى الطائفتين ولن يخلف الله وعده. والله لكأنّي الآنَ أنظُر الى مصارع القوم».

وتحرك الجيشُ الاسلاميُّ بقيادة النبيّ الاكرم صلّى الله عليه وآله ونَزَل عند آبار «بدر»[2].

تحصيلُ المعلومات حول العدوّ:

مع أنّ المبادئ العسكريّة والتكتيكات الحربية في الوقت الحاضر تختلف

---

(١) يقصد البحر الأحمر.

(٢) المغازي للواقدي: ج١ ص٤٨، السيرة النبوية: ج١ ص٦١٥.

عما كانت عليه في العصور الغابرة اختلافاً كبيراً إلّا أنّ مسألة تحصيل المعلومات حول العدوّ ومعرفة أسراره العسكرية، ومدى استعداداته ومبلغ قواه التي يستخدمها، ودرجة معنويات أفراده لا تزال على أهميتها وقيمتها، لم تتغير من هذه، بل ازدادت أهمية في العصر الحاضر ـ كما أسلفنا ـ.

فهي تشكل الآن أيضاً مفتاحاً في الحروب، ومنطلقاً للانتصارات العسكرية.

على أن هذه المسألة قد اتخذت اليوم صبغة التعليم والتمرين، فقد أصبح لها اليومَ كتبٌ ومعاهدُ تتولى تعليم طرائق التجسس العسكري واساليبه، كما ويعزي قادة المعسكر الغربي والشرقي الكثير من نجاحاتهم إلى نجاحهم في توسعة دوائر التجسس ومنظماته التي تستطيع إطلاع أصحابها على معلومات دقيقةٍ ومفصّلة عن خطط العدو وقواه، واماكن تمركزه وتواجده،وخطوط إمداده، وتموينه تمهيداً لإفشالِ تحركاته أو إجهاضها فوراً.

من هنا استقر الجيشُ الاسلاميّ في منطقةٍ تلائم مبادئ التستر بشكل كامل، ومنع عن أي عمل من شأنه انكشاف أسراره، كما أن فرقاً مختلفةً ومتعددة كُلّفت بتحصيل وجمع المعلومات عن قريش وقافلتها وجيشها.

فكانت المعلومات التي توفرت لدى القيادة الاسلامية هي كالتالي:

الف/ انّ النبيّ نفسه ركب هو ورجل من قادة جيشه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمّد وأصحابه وما بلغه عنهم فأخبرهم بأن محمّد وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، وانه إن كان صدق الذي أخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي كان به رسول الله صلّى الله عليه وآله وان قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، وانه ان كان الذي أخبره صدقه فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي فيه قريش.

وهكذاعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله نقطة تواجدقريش،واستقرارقواتهم.

باء/ بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله جماعة «الزبير بن العوام» و«سعد

بن أبي وقاص» بقيادة عليّ عليه السلام الى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا إبلاً يستقي عليها الماء لقريش فيها غلامان أحدهما لبني الحجاج والآخر لبني العاص فأتوا بهما إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسألهما النبيّ عن قريش فقالا: هم والله وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى.

فقال لهما رسول الله صلّى الله عليه وآله: كم القوم وما عدّتهم فقالا: لاندري، كثير. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: كم ينحرون (من الابل) كل يوم؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: القوم فيما بين التسعمائة والألف.

ثم سألهما: فمن فيهم من أشراف قريش؟

قالا: عتبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام وشيبة بن ربيعة وأبو جهل بن هشام وأُميّة بن خلف و..و..

فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله على أصحابه وقال:

«هذه مكّة قد ألقَت إليكم أفلاذ كبدها»[1].

جيم/ كُلِّفَ شخصان بالدخول الى قرية بدر وتقصّي الحقائق حول قافلة قريش فيها فمضيا حتى نزلا بدراً فأناخا ابلهما الى تلّ قريب من الماء، ثم تظاهرا بأنّهما يريدان أن يستسقيا، وكان على الماء جاريتين تستسقيان وتقول إحداهما للأُخرى: إنما تأتي القافلة غداً أو بعد غدٍ فأعملُ لهم ثم أقضيك الذي لك.

فقال لها «مجدي بن عمرو الجهني»، وكان على مقربة منهما: صدقت ثم خلص بينهما.

فسرّ صاحبا رسول الله صلّى الله عليه وآله لما سمعا فعادا في سرّية كاملة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبراه بما سمعا[2].

والآن وبعد أن أصبح رسول الله صلّى الله عليه وآله عارفاً بوقتِ ورود القافلة، ومكان تواجد قريش، معرفةً دقيقةً عمد إلى ترتيب المقدمات اللازمة.

---

(١)و(٢) السيرة النبوية: ج١ ص٦١٧.

كيف هربَ أبو سفيان؟

لقد تعرّض أبو سفيان قائد قافلة قريش لدى توجّهه بها إلى الشام للملاحقة من قبل مجموعة من المسلمين، ولهذا فانه كان يعلم جيداً بأنهم سوف يتعرضون له عند قفوله من الشام أيضاً.

ولهذا عندما وصل بقافلة قريش إلى المنطقة الخاضعة للمراقبة الاسلامية أراحَها في منطقة بعيدة عن متناول أيدي المسلمين ودخل هو قرية «بدر» يتجسس، ويسأل عن أخبار رسول الله صلّى الله عليه وآله، فالتقى «مجدي بن عمرو» على ماء بدر فسأله: هل أحسستَ أحداً؟ (ويقصد هل رأيتَ أحداً من عيون محمّد ورجاله؟).

فأجابه مجدي قائلاً: مارايتُ أحداً أُنكرُه، إلّا أني قد رأيتُ راكبين قدأناخا الى هذا التلّ ثم استقيا في شنٍّ لهم، ثم انطلقا.

فأتى أبو سفيان مُناخهما، فأخذ من أبعار بعيريهما، ففتّه، فاذا فيه النوى فقال: هذه ـ والله ـ علائف يثرب. هذه عيون محمّد وأصحابه، ماأرى القوم إلّا قريباً.

فرجع إلى أصحابه سريعاً وحرّك القافلة من فوره، وابتعد عن بدر وأخذ بها جهة ساحل البحر الأحمر كما أنه كلّف أحداً بإخبار قريش فوراً، بأنّ قافلتهم أفلتت من يد محمّد وأصحابه، وأن أموالهم نجت فليرجعوا وليتركوا محمّداً تكفيه العرب.

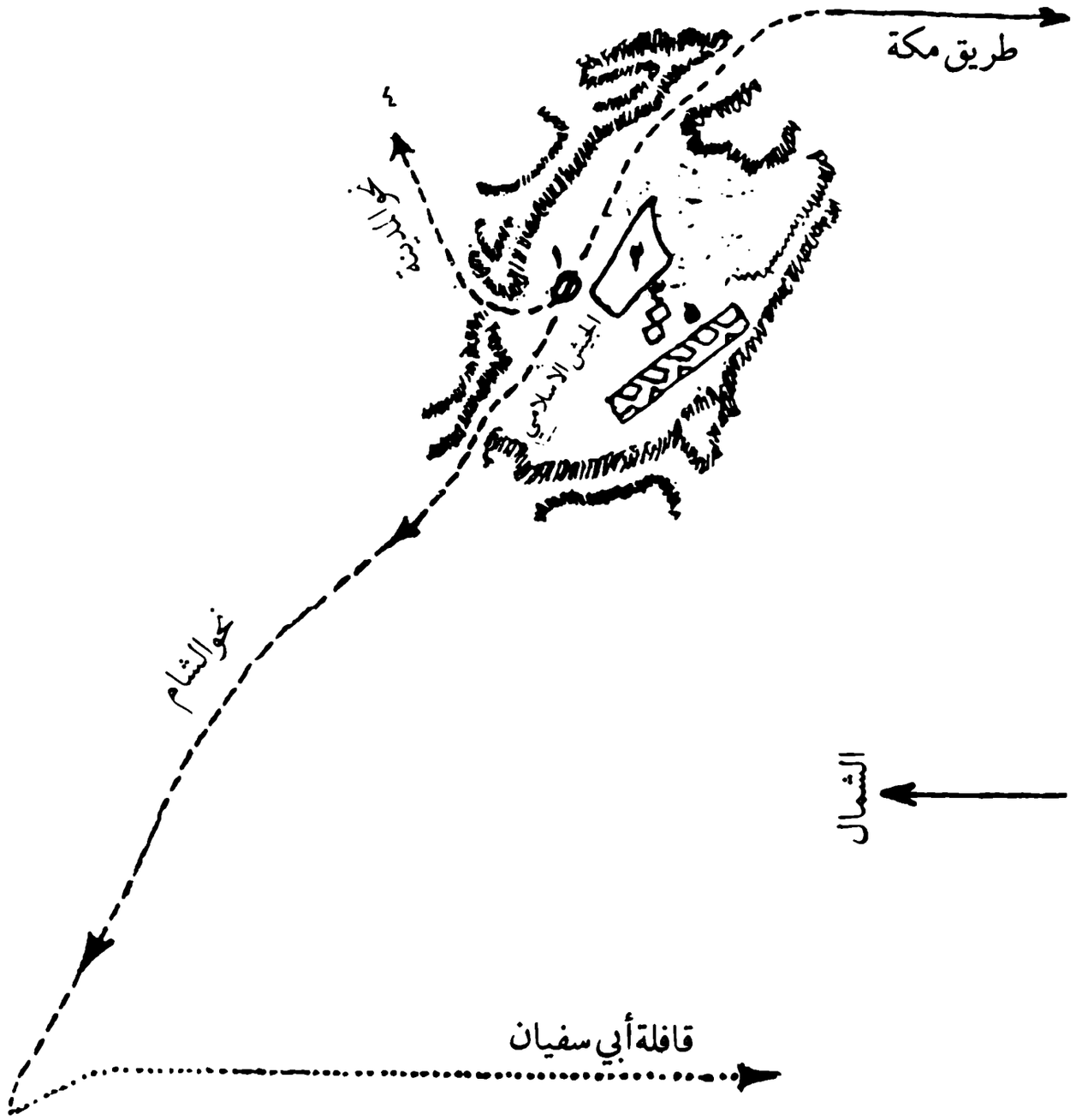

خارطة معركة بدر

دليل الخارطة:

١ ـ القلعة ٢ ـ مدينة بدر ٣ـ النخيل ٤ ـ مسجد العريش ٥ ـ بيوت بدر

٦٨ ـــــــ

فحملت كلماتُ أبي جهل المغرية قريشاً على مواصلة التقدم نحو المدينة، ونزلت في مكان مرتفع[١] خلف كثيب.

وأمطرت السماء مطراً غزيراً فأصاب قريشاً منه مالم يقدروا على أن يرتحلوا معه، ومنعهم من مزيد التقدم.

بينما لم يُحدِث المطرُ أي مشكلة في العدوة الدنيا للمسلمين ولم يمنع من تحركهم بل كا ن بحيث لبد الأرض حتى ثبتت أقدامهم[٢].

و«بدر» منطقة واسعة يتكون جنوبها من مكان مرتفع (العدوة القصوى) وشمالها من مكان منخفض منحدر (العدوة الدنيا) وكانت في هذا الوادي الواسع بضع آبار وعيون ماء، فكان منزلا للقوافل ينزلون فيه ويستقون، ويستريحون ردحاً من الزمن.

وهناتقدم «الحباب بن منذر» وكان فارساً مجرباً وعسكرياً محنكاً باقتراح الى النبيّ صلّى الله عليه وآله إذ قال: يارسول الله أرأيت هذا المنزل منزلاً أنزلكهُ الله ليس لنا أن نتقدمه ولانتأخرعنه أم هوالرأي والحرب والمكيدة؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «بَل هو الرأيُ والحربُ والمكيدة».

فقال: يارسول الله فانَ هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتّى أدنى ماء من القوم، فنزله فنغوّر (أي ندفن العين) ماوراء القُلُب، ثم نبني عليه حوضاً فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشربَ ولايشربون.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لقد أشرتَ بالرأي.

فهض رسول الله صلّى الله عليه وآله ومَن مَعه فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزل عليه، ثم أمر بالقُلُب (الآبار) فغوّرت، وبنى حوضاً على القليب الذى نزل عليه فملى ماءً ثم قذفوا فيه الآنية.

إن هذه الحادثة تكشف جيّداً على إهتمام رسول الإسلام بالمشاورة،

---

(١) وهو مايسمى بالعدوة القصوى.

(٢) ويقال كان المطرينزل على قريش كأفواه القرب وعلى أصحاب رسول الله رذاذاً بقدرمالبد الأرض.

٧٠ ـــــــ

ثانياً: أنّ هذه القصة تتنافى مع الاخبار القطعية التي بشر رسول الله صلّى الله عليه وآله بها المسلمين في ضوء مانزل عليه من آيات.

فهو صلّى الله عليه وآله قبل أن يواجه المسلمون قريشاً قال لأصحابه الذين خرجوا معه من المدينة وعدهم إحدى الطائفتين، أي إما الظفر بقافلة قريش التجارية قطعاً، أو الانتصار على الجيش المكي حتماً ويقيناً إذ قال الله تعالى:

«وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدى الطّائِفَتَيْنِ أنّها لَكُمْ وَتُوَدُّوْنَ أن غَيْرَ ذاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أنْ يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِماتِه وَيَقْطَع دابِرَ الْكافِرين»[1].

و إنما أُقدم على بناء العريش لرسول الله -بناءً على رواية الطبري- في الوقتِ الذي كانت قافلة قريش قد أفلتت وهربت من أيدى المسلمين، ولم يبق الّا الجماعة المسلحة التي خرجت لحماية القافلة، وكان المسلمون يعلمون -طبقا لذلك الوَعد الإلهي القاطع- أنهم سينتصرون على تلك الجماعة الكافرة: «ويقطعَ دابرَ الكافرين» فلم يكن المجال مجال تردد وشك.

وبهذا يكون حديث هزيمة المسلمين في هذه المواجهة ولزوم بناء عريش لحماية النبيّ واعداد ابل سريعة السير عند العريش لينجو صلّى الله عليه وآله عليها بنفسه حديثاً باطلاً لامبرّر له، ولامسوّغ.

يقول ابن سعد نقلاً عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت «سيُهزَم الجمعُ ويُولّون الدُبُر» قلت: وأيُ جمع يُهزَم ومن يُغلَب؟ فلما كان يوم بدر نظرت الى رسول الله صلّى الله عليه وآله يثب في الدرع وثباً وهو يقول: «سيهزَم الجمعُ ويولّون الدُبُر» فعلمتُ ان الله تبارك وتعالى سيُهزمهم[2].

ومع هذا هل يحتمل أن يدور في خلد النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه شيء حول الهزيمة أو يحدثوا أنفسهم بالفرار؟

ثالثاً: أن النبيّ الذي يصف الامام عليّ عليه السلام موقفه وحالته عند اشتداد ضراوة القتال لا تنسجم أبداً ولا تلائم هذا التكتيك الذي لايتسم

---

(١) الأنفال: ٧.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٥.

٧٢ ـــــــ

أنهم لم يكونوا يعرفون شيئاً عن عدد أفراد المسلمين ومبلغ إستعداداتهم، لذلك كلفوا «عمير بن وهب الجمحيّ» ـ وكان فارساً ماهراً في الاحصاء والتخمين ـ بأن يحزر (ويقدر بالحدس) عدد أصحاب محمّد.

فاستجال بفرسه حول عسكر رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم رجع الى قريش وقال: ثلاثمائة رجل يزيدون أو ينقصون، ولكن أمهلوني حتى انظرَ أَلِلْقومِ كمينٌ، أو مددٌ.

فضرب في الوادي حتى أبعد ولكنه لم يرَ شيئاً.

فرجع الى قريش ثانيةً وهو يحمل لهم خبراً مرعباً إذ قال: ماوجدت شيئاً (أي كميناً او مدداً وراء المسلمين) ولكني قد رأيتُ يامعشر قريش البلايا[١] تحمل المنايا، نواضح[٢] يثرب تحمل الموتَ الناقعَ[٣]، قومٌ ليسَ مَعَهُم مَنعةٌ ولامَلجأ إلّا سيوفُهم.

والله ماأرى أن يُقتلَ رَجلٌ منهم حتّى يَقتلَ رجلاً منكم، فاذا اصابوا منكم أعدادهم فماخيرالعيش بعد ذلك فَرَوا رأيكم!!!

وروى الواقدي عبارات عمير بنحو آخر إذ قال: قال عمير: والله مارأيت جلداً ولاعدداً ولاحلقة ولاكراعاً، ولكني رأيت قوماً لايريدون أن يؤوبوا الى أهليهم، قوماً مستميتين ليست لهم مَنَعَة ولاملجأ إلّا سيوفهم، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحَجَفَ[٤] [٥].

و روى المجلسي ماقاله عمير بنحو ثالث إذ قال: قال عمير: ما لهم كمينٌ ولامددٌ، ولكن نواضح يثرب قد حملت الموت الناقع أما ترونهم خُرساً لايتكلمون يتلمظون تلمّظ الافاعي مالهم ملجأ إلّا سيوفهم ماأراهم يولون حتى يقتلوا، ولايُقتلون حتّى يقتُلوا بعددهم فارتاؤا رأيكم[٦].

---

(١) وهي جمع بلية وهي الناقة او الدابة.

(٢) الابل يستقى عليها الماء.

(٣) الموت الثابت البالغ في الافناء.

(٤) الحجف جمع الحجفة وهي التُرس.

(٥) المغازي: ج١ ص ٦٢.

(٦) بحارالأنوار: ج ١٩ ص ٢٢٤.

٧٤ ـــــــ

وقال له: هذا حليفك (عتبة) يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك، فقم وانشد خفرتك[١] ومقتل (أو دم)أخيك.

فقام عامر وكشف عن رأسه، وأخذ يحثو التراب على رأسه، وصاح مستغيثاً واعَمراه واعمراه، تحريكا للناس وإثارةً لمشاعرهم.

فهاج الناس لمنظر عامر وثارت مشاعرتهم لندبته، وأجمعوا على الحرب، وتناسَوا اقتراح عتبة، ونصيحته البليغةالحكيمة لهم.

ولكن عتبة هذا الذي كان يميل الى اعتزال الجيش وترك الحرب، هاجت مشاعره هوالآخر فقام من فوره ولبس لامة حربه واستعد لقتال رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه[٢].

وهكذا نجد كيف يتضاءل نور العقل عند هبوب رياح العاطفة الملتهبة، والمشاعر الثائرة الباطلة وتنطفئ شعلة الفكر، ولايعود يضيء لصاحبه درب المستقبل حتى أن الرجل الذي كان قبل قليل داعية السلام، والتعايش الاخوي يتحول تحت تأثير ذلك الهياج العاطفي، العابر، الاحمق إلى أول مبادر الى القتال وسفك الدماء وازهاق الارواح!!!

ماالذي حتّم القتال؟

لما أبصر الاسود بن عبدالأسد المخزومي وكان رجلاً شرساً سيء الخلق- الحوض الذي بناه المسلمون عند البئر لشربهم قال: اعاهد الله لاشربن من حوضهم أو لاهدمنّه أو لأموتنّ دونه!!

ثم خرج من بين صفوف المشركين وشد حتى دنا من الحوض فاستقبله حمزة، ولما التقيا ضربه بسيفه حمزة فاطار قدمه، وهو دون الحوض فوقع على الأرض تشخب رجله دماً ثم حبا الى الحوض حتى اقتحم فيه يريد ان يشرب منه أو ان

---

(١) اي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم وعهدهم لك لأنه كان حليفاً لهم.

(٢) السيرة النبوية: ج١ ص ٦٢٣، بحارالأنوار: ج١٩ ص٢٢٤.

٧٦ ـــــــ

ولما عرف عتبة أنهم من رجال المدينة قال: مالنا بكم من حاجة.

ثم نادى مناديهم: يامحمّد، أخرج الينا أكفاءنا من قومنا.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«قم ياعبيدَةَ بن الحارث وقم ياحمزة، وقم ياعليّ».

فقاموا، وخرجوا للمبارزة، ولما دَنَوا منهم، سألهم عتبة عن أسمائهم فعرّفَ أبطالُ الاسلام أنفسهم وذكروا أسماءهم.

فقال رجال المشركين الثلاثة: نعم أكفاء كرام.

ويرى البعض أنه بارز كلٌّ من هؤلاء الثلاثة من كان على سنّه من الكفار فبارز عليٌّ عليه السلام الوليدَ (خال معاوية بن أبي سفيان) و بارز حمزة (وهو أوسطهم) عتبة (جدّ معاوية لأُمّه) وبارز عبيدة (وهو أسنّ الثلاثة) شيبة وهو أسنّ الكفار الثلاثة.

غير أن ابن هشام يقول: بارز «حمزة» شيبة، وبارز «عبيدة» عتبة، وبارز «عليٌّ» الوليد بن عتبة[1].

وهذا يعني أن حمزة (الاوسط في السن) قاتل الاسنّ من الكفار.

فأيّ القولين هو الأصح؟

إن ملاحظة أمرين توضح الحقيقة في هذا المجال:

الأوّل: إن المؤرخين كتبوا: أن علياً وحمزة قتلا خصميهما في الحال، ثمّ ساعدا عبيدة على قتل خصمه[2].

الثاني: إن الامام أميرالمؤمنين عليه السلام كتب في كتاب له الى معاوية:

«وَعِندِيَ السَيفُ الذي أعضَضتُه بِجَدِّكَ وَخالِكَ وَأخِيكَ في مَقامٍ

---

(١) راجع لمعرفة كلاالرأيين سنن البيهقي: ج٣ ص٢٧٦.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص١٤٨، السيرة النبوية: ج١ ص٦٢٥ قال: وكرّ حمزة وعليٌّ بأسيافهما على عتبة.

٧٨ ـــــــ

فقال: يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك اللهُ بالحق والعدل فأقِدني (أي اقتصَّ) لي من نفسك. فكشف رسول الله صلّى الله عليه وآله عن بطنه وقال: استقد (أي أنت اقتصَّ) فاعتنقه سوّاد وقبّل بطنه صلّى الله عليه وآله فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ماحملك على هذا؟

قال: يارسولَ الله حضر ماترى (من القتال) فأردتُ أن يكون آخرَ العهد بك أن يمس جلدي جلدَك.

فدعا له رسول الله صلّى الله عليه وآله بخير[١].

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد أن عدّل الصفوف رجع الى غرفة العمليّات (العريش) فدخله وتوجّه إلى ربه بقلبٍ مفعم بالإيمان يناشده ماوعده من النصر وقال في مناجاته لربه في تلك اللحظات:

«اللّهمَّ إنْ تَهْلَك هذه العِصابة فَلَنْ تعبدَ في الأرضِ أبداً»[٢].

ولقد سجّلت المصادرُ التاريخية الاسلامية تفاصيل وجزئيات الهجوم العام، الى درجةمّا، إلّا أنّ من المسلَّم المقطوع به أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان ينزل من العريش أحياناً ويحرّضُهم على القتال والمقاومة. فقد قال في احدى هذه المرات:

«وَالّذي نَفْسُ محمّدٍ بِيَدهِ لايُقاتِلُهُم اليُومَ رَجُلٌ فَيُقتَلُ صابراً مُحتسباً مُقبلاً غيرَ مُدْبِرٍ، إلّا أدْخَلَهُ اللّهُ الجنَّةَ».

ولقد كانت كلمات القائد الاعلى هذه تفعل فعلتها في النفوس، فتثير الهمم، وتوجد شوقا عجيباً الى الشهادة في المقاتلين المسلمين، حتى أن أحدهم ويدعى «عُمَير بن الحمام» أخو بني سلمة قال للنبيّ صلّى الله عليه وآله وفي يده تَمرات ياكلُهُنَّ يارسول الله: بخ بخ، أفما بيني وبين أن أدخلَ الجنّةَ إلّا أن يقتلني هؤلاء.

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص ٦٢٦

(٢) السيرة النبوية: ج١ ص٦٢٧، تاريخ الطبري: ج٢ ص١٤٩.

٨٠ ـــــــ

وبين أُمية صداقة بمكة طلب أُميّة من عبدالرحمان أن يخرجه من أرض المعركة لكي لايُقتَلَ هو وولدُه، او ليُعدّا من الأسرى.

فرضى عبدالرحمان بذلك، وبينما هو يقودهما إذ أبصر بلال بهم وكان أُميّة هوالذي يعذب بلالاً بمكة على ترك الاسلام، فيخرجه الى رمضاء مكة إذا حميت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضعُ على صدره ثم يقول: لا تزال هكذا حتى تفارقَ دينَ محمّد فيقولُ بلال: أحد، أحد.

فلما رآه بلال في الأسر وقد أقدم عبدالرحمان على حمايته والذب عنه وهو يريد نجاته وولده، صاح مستصرخاً المسلمين: ياأنصار الله رأسُ الكفر أُميّة بن خلف لانجوتُ إن نجا.

فأحاط المسلمون بأُميّة وولده من كل جانب وقطّعوهما بسيوفهم حتى فرغوا منهما[1].

وقد نَهى رسول الله صلّى الله عليه وآله عن قتل أبي البختري الذي كان له دورٌ مشرفٌ في نقض الحصار الاقتصادي الذي ضربَتهُ قريش على المسلمين في مكة، وكان لايؤذي رسول الله صلّى الله عليه وآله فلقيه رجلٌ من المسلمين يُدعى «المجذر» فأراد أسره واستبقاءه ريثما يأخذه الى رسول الله صلّى الله عليه وآله ليرى فيه رأيه، ولكنّه نازل المجذّر، وأبى إلّا القتال، فاقتتلا فقتله المجذّر.

ثم ان المجذّر أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال: والذي بعثك بالحق لقد جهدتُ عليه أن يُستأسَر فآتيك به فأبى إلّا أن يقاتلني فقاتلته فقتلته[2].

خسائر بدر في الأرواح والاموال:

لقد قُتِلَ في معركة «بدر» من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وقُتِلَ من المشركين سبعون وأُسِرَ سَبعُون من أبرزهم: النضر بن الحارث، وعقبة ابن أبي معيط، وأبو

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص ٦٣٢.

(٢) السيرة النبوية: ج١ ص ٦٢٩ و٦٣٠ وراجع الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٣.

٨٢ ـــــــ

«ياأهلَ القليب، ياعُتبة بنَ ربيعة، ويا شيبةَ بنَ ربيعة، ويا أُميّة بنَ خلف، ويا أبا جهل (وهكذا عدّد من كان منهم في القليب) هَلْ وَجَدْتُمْ ماوَعَدَكُمْ رَبُّكُمْ حَقاً، فَإنّي قَدْ وَجَدْتُ ماوَعَدَني رَبّي حَقّاً».

فقال له بعض أصحابه: يارسول الله أتنادي قوماً موتى؟

فقال صلّى الله عليه وآله:

«ما أنْتُمْ بَأسْمَعَ لِما أقُولُ مِنْهُمْ وَلكِنهمْ لايَسْتَطيعُونَ أنْ يُجِيْبُوني».

وكتب ابن هشام يقول: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال يوم هذه المقالة:

«ياأَهْلَ القليب بِئسَ عشيرةِ النبيّ كُنْتُمْ لِنَبيّكُمْ كَذَّبْتُموني وَصَدَّقنيَ الناسُ، وَأخْرجْتُموني وآوانيَ الناسُ، وقاتلتموني ونصرنيَ الناسُ، (ثم قال:) هَلْ وَجَدتُمْ ماوَعَدَكُمْ ربّي حَقّاً؟»[1].

الشعر يخلّد هذه القصة:

يُعتبر هذا الموضوع من القضايا الثابتة والمسلَّمة في التاريخ الاسلاميّ، فقد ذكرهُ جميعُ المحدّثين والمؤرخين من الشيعة والسنة، وقد ذكرنا طائفة من مصادره في الهامش.

وقد كان من دأب حسان بن ثابت شاعر عصر الرسالة ان ينشد أبياتاً في كل واقعة من وقائع الاسلام البارزة وبذلك يقوي من عزيمة المسلمين ويشد من أزرهم لأن الشعر يجلي البطولات ويكرم المواقف ويخلد الامجاد ويحافظ على المفاخر ويكسبها طابعاً أبدياً ولهذا يعد وسيلة جيدة لتقوية المعنويات، وإبطال مفعول الحرب الباردة والنفسية التي يقوم بها العدو.

وقد طبع ديوان «حسان» لحسن الحظ، ويمكن لنا أن نقف على الكثير من ايام الإسلام وامجاده من خلال قصائده، وابياته المدرجة فيه.

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص ٦٣٩، السيرة الحلبية: ج٢ ص١٧٩ و١٨٠ وغيرهما.

وقد أنشد حسان قصيدة بائية رائعة حول وقعة بدر الكبرى يشير في بعض ابياتها الى هذه الحقيقة اعني قصة القليب إذ يقول:

يُنادِيهُمْ رسولُ اللّه لمّا ... قَذَفْناهُمْ كباكبَ في القليبِ
ألَمْ تَجدُوا كلامي كانَ حَقّاً ... وَأمْر اللّهِ يَأخُذُ بالقُلُوبِ؟
فما نَطَقُوا وَلَو نَطقُوا لقالُوا ... صَدقتَ وكنتَ ذارأي مصيب!

على أنه لا توجد عبارة ا شد صراحة من ماقاله رسول الله صلّى الله عليه وآله في المقام حيث قال: «ماأنتم بأسمع منهم».

وليس ثمة بيانٌ أكثر إيضاحاً وأشدّ تقريراً لهذه الحقيقة من مخاطبة النبيّ صلّى الله عليه وآله لواحدٍ واحدٍ من أهل القليب، ومناداتهم بأسمائهم وتكليمهم كما لوكانوا على قيد الحياة.

فلايحقّ لأيّ مسلمٍ مؤمنٍ بالرسالة والرسول أن يسارع الى إنكار هذه القضية التاريخية الاسلامية المسلّمة، ويبادر قبل التحقيق ويقول: إن هذه القضية غير صحيحة لانها لا تنطبق على موازين عقلي المادي المحدود.

وقد نقلنا هنا نص هذا الحوار، لكي يرى المسلمون الناطقون باللغة العربية كيف أنّ حديث النبيّ صلّى الله عليه وآله يصرح بهذه الحقيقة بحيث لا توجد فوقه عبارةٌ في الصراحة، والدلالة على هذه الحقيقة.

ومن أراد الوقوف على مصادر هذه القصة فعليه أن يراجع ماذكرناه في الهامش ادناه[1].

---

(١) إن تكلم رسول الله صلّى الله عليه وآله مع رؤوس الشرك الموتى الذين القيت اجسادهم في البئر من مسلمات التاريخ والحديث، وقد اشار الى هذا من بين المحدثين والمؤرخين:
صحيح البخاري: ج٥ في معركة بدر ص٧٦ و٧٧، ٨٦-٨٧، صحيح مسلم: ج٨ كتاب الجنة باب مقعد الميت ص١٦٣، سنن النسائي ج٤ باب أرواح المؤمنين ص٨٩ و٩٠، مسند الامام أحمد: ج٢ص١٣١، السيرة النبوية: ج١ ص٦٣٩، المغازي: ج١ غزوة بدر ص١١٢، بحارالأنوار: ج١٩ ص٣٤٦.

بعد معركة بدر:

يعتقد كثير من المؤرخين المسلمين أن المبارزات الفردية ومن بعدها القتال الجمعي في غزوة بدر استمر حتى زالت الشمس وانتهت المعركة بفرار المشركين وأسر جماعة منهم. ثم بعد أن فرغ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه من دفن شهداء المسلمين صلى بالناس العصر في بدر ثم غادر ارض بدر قبل غروب الشمس من ذلك اليوم، هذا وقد كلّفَ رسول الله صلّى الله عليه وآله اشخاصاً بجمع الغنائم من أيدي الناس.

وهنا واجه رسول الله صلّى الله عليه وآله اول اختلاف بين أصحابه في كيفية تقسيم الغنائم، فقد كان كلُّ فريق يرى نفسه أولى من غيره بها، نظراً لدوره في تلكم المعركة.

فالذين كانوا يحرسون عريش رسول الله صلّى الله عليه وآله مخافة أن يكرّ عليه العدو كانوا يرون أن عملهم لايدانيه في الاهمية أي عمل آخر، لأنهم كانوا يحرسون القائد، ويحافظون على مقرّ القيادة.

وبينما كان الذين جمعوا الغنائم يرون أنهم الأحق لأنهم جمعوها، فيما كان الذين قد قاتلوا العدو ولاحقوه وطاردوه يقولون: والله لولانحن ماأصبتموه، إنا لنحن الذين شغلنا عنكم القومَ حتى أصبتم ماأصبتم[1].

ولاريب أن أسوأ مايصيب أي جيش هو أن يدبّ الخلافُ بين قطعاته وأفراده، فينفرط عقده وتتلاشى وحدته.

من هنا بادر رسول الله صلّى الله عليه وآله للقضاء على هذه الآمال والمطامع المادية وبغية اسكات كل تلك الاصوات إلى إيكال جمع الغنائم وحملها، والمحافظة عليها إلى «عبدالله بن كعب المازني» وأمر جماعة من أصحابه أن يعينوه ريثما يفكّر في طريقة تقسيمها. لقد كان قانون العدل والإنصاف يقضي بأن

(١) المغازي: ج١ ص ٩٨ و٩٩.

يشترك جميع أفراد ذلك الجيش في تلك الغنائم، لأنهم ساهموا بأجمعهم في تلك المعركة، وكان لكلٍ منهم دورٌ ومسؤولية فيها، فما كان لفريق أن يحرز نجاحاً من دون أن يقوم الآخرون بأدوارهم.

من هنا قسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله الغنائم بينهم ـ في أثناء الطريق ـ على قدم المساواة، وفرز لذوي الشهداء أسهماً منها.

ولقد أثارت طريقة النبيّ صلّى الله عليه وآله في تقسيم الغنائم (وذلك بقسمتها على جميع المشاركين معه في معركة بدر بالتساوي) سخط «سعد بن أبي وقاص» فقال: يارسول الله أيعطى فارسُ القوم الذي يحميهم مثل مايعطى الضعيف؟ فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: «ثكلتك أُمُّك، وهل تُنْصَرونَ إلّا بضعفائكم»[١].

وهو صلّى الله عليه وآله يقصد أن هذه الحرب لم تكن إلّا لأجل الدفاع عن الضعفاء، ورفع الحيف عنهم، وانه صلّى الله عليه وآله لم يُبعَث إلّا لإزالة هذه الفوارق والامتيازات الظالمة، وإلّا لاجل اقرار المساواة في الحقوق بين الناس.

هذا ورغم أن خمس الغنيمة هي بنص آية الخمس[٢] لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى وابن السبيل من أهل بيته صلّى الله عليه وآله إلّا أنه صلّى الله عليه وآله لم يخمِّس غنائم «بدر» بل وزّع الخمس على المشاركين في بدر أيضاً.

على أنه يمكن أن تكون آية الخمس لم تنزل آنذاك بعد، أو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يتمتع باختيارات خاصة، فصرف النظر عن أخذ الخمس لنفسه وقرباه، تكثيراً لأسهم المجاهدين، و ذلك ولاريب خطوة حكيمة جداً وخاصة في أول مواجهة عسكرية مع العدو[٣].

---

(١) المغازي: ج١ ص ٩٩.
(٢) الانفال: ١.
(٣) وجاء في بعض المصادر التاريخية ان النبيّ صلّى الله عليه وآله ضرب من الغنائم أسهما لاشخاص لم يحضروا بدر ولم يشتركوا في القتال مع رغبتهم في ذلك وذلك إما لامور أصابتهم عند الخروج ←

قتل أسيرين في اثناء الطريق:

ولما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله في «الصفراء»[١] وهي أحد المنازل على طريق بدر ـ المدينة عرض عليه الاسرى فأمر بقتل النضر بن الحارث وكان من أعداء المسلمين الالداء.

وأمر بأن يضرب عنق عقبة بن أبي معيط إذ كان بعرق الظبية.

وهنا ينطرح سؤال وهو: إن حكم الاسلام في أسرى الحرب هو أنّهم عبيدٌ للمسلمين والمجاهدين، يُباعون ويشترون باثمان مناسبة فلماذا حكم رسول الله صلّى الله عليه وآله في شأن هذين الأسيرين بحكم آخر؟.

ثم إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله الذي خاطب المسلمين في «بدر» في الأسرى الذين بأيديهم وأوصاهم بهم خيراً قائلاً:

«إسْتَوْصُوا بالاسارى خيراً».

كيف اتخذ مثل هذا القرار في حق بعضهم؟

يقول أبو عزيز، وكان صاحب لواء في جيش قريش: كنت أسيراً في أيدي رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا إذا قدّموا غداءهم وعشاءهم خصّوني بالخبز، وأكلوا التمر والخبز عندهم قليل والتمر زادهم، وذلك لوصية رسول الله صلّى الله عليه وآله اياهم بنا، ماتقع في يد رجلٍ منهم كسرة خبز إلّا نفحني بها فأستحي فاردُّها على أحدهم فيردُّها عليّ، وكانوا يحملوننا ويمشون[٢]!!

مع ملاحظة هذه الأُمور لابدّ من الاذعان بأن قتل هذين الأسيرين كان مما تقتضيه المصالحُ الاسلامية العامة، لأنه كان بدافع الانتقام، فقد كان ذانك الأسيران من رؤوس الكفر، ومن مخطّطي الخطط الجهنّميّة ضد الاسلام

إلى بدر او لقيامهم بمهمات، تتعلق بأُمورمراقبة العدو في الطرق او للقيام بمهمات ادارية داخل المدينة.

(١) المغازي: ج١ ص٦٠. (٢) السيرة النبوية: ج١ ص ٦٤٥، المغازي: ج١ ص ١١٩.

والمسلمين، وضدّ الرسالة والرسول، وكانا ممن يؤلبون القبائل ضدّ رسول الاسلام، فلعله لوكان النبيّ صلّى الله عليه وآله يفرج عنهم ويطلق سراحهم عادوا الى تدبير المؤمرات ضدّ الاسلام، والمسلمين، وعملا على تخطيط الخطط، وتأليب القبائل، فلم يكن بدٌ من تصفيتهم والقضاء عليهم.

بشائر النبيّ الى المدينة:

كلّف رسول الله صلّى الله عليه وآله «عبدالله بن رواحة»، و«زيد بن حارثة» بأن يسبقاه الى المدينة، ليبشّرا المسلمين بما حققه رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه في بدر من الانتصار الكاسح والفتح المبين، ويخبرا أهلها بمصرع رؤوس الكفر والشرك كعتبة وشيبة وأبي جهل وأبي البختري وأُميّة، ونبيه ومنبه و.. و..

فما قدم المبعوثان الى المدينة الا والمسلمون عائدون من دفن ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله زوجة عثمان بن عفان فامتزجت الافراح بالاحزان، واختلط السرور بانتصار النبيّ وأصحابه بالحزن على موت ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

وقد أُرعب المشركون واليهودُ والمنافقون بخبر انتصار المسلمين الساحق على قريش، وراحوا يحاولون تكذيبه، وتفنيده حتى إذا دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة ودخل بعده أسرى قريش أصبح الخبر قطعياً مسلّماً، فباءت محاولات المنافقين بالفشل.

المكيّون يعرفون بمقتل أسيادهم:

كان «الحيسمان الخزاعي» أول من قدم مكة واخبر الناس باحداث «بدر» الدامية وبمصرع طائفة كبيرة من سادة قريش على أيدي المسلمين.

يقول أبو رافع الذي كان غلاماً للعباس بن عبدالمطلب آنذاك ثم أصبح من أصحاب النبيّ وعلى فيمابعد: كنت غلاماً للعباس، وكان الاسلام قد دخلنا

أهلَ البيت، فأسلم العباس وأسلَمَت أُمُّ الفضل وأسلمتُ، وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم وكان يكتم إسلامه، وكان ذامال كثير متفرق في قومه، وكان أبو لهب قد تخلّف عن بدر، فلما جاءه الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه، و وجدنا في أنفسنا قوةً وعزةً.

وقد كنت رجلاً ضعيفاً وكنتُ أصنعُ السهام والنبال أنحتها في حجرة زمزم فوالله بينما أنا جالسٌ فيها أنحت سهامي وعندي أُم الفضل جالسة وقد سرَّنا ماجاءَنا من الخبر عن هزيمة قريش، إذ أقبل أبو لهب يجرّ رجليه بشرٍّ حتى جلس عند طنب[1] الحجرة فكان ظهره إلى ظهرى، فبينما هو جالس إذ قال الناسُ: هذا أبو سفيان فقال أبو لهب: هلمَّ إليّ فعندكَ لعمري الخبر.

فجلس إليه والناس قيامٌ عليه فقال: ياابن أخي أخبرني كيف كان أمرُ الناس؟

قال أبو سفيان: والله ماهو إلّا أن لقينا القومَ فمنحناهم أكتافنا يقودُوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا، وأيمُ الله مع ذلك مالمتُ الناسَ، لقينا رجالاً بيضاً على خيل بُلق بين السماء والأرض، والله ماتُبقي شيئاً ولايقومُ لها شيء.

يقول أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة، ثم قلتُ: تلك والله الملائكة.

فرفعَ أبو لهب يده فضرب بها وجهي ضربةً شديدة[2].

اشتراك العباس عمّ النبيّ في بدر:

يبقى أن نعرف أن مسألة اشتراك العباس عمّ النبيّ في غزوة بدر من مشكلات التاريخ وغوامضه، فهو من الذين أَسَرَهُمُ المسلمون في بدر فهو من جانب يشارك في الحرب، ومن جانب آخر يحضر في بيعة العقبة، ويدعو أهل المدينة إلى حماية النبيّ صلّى الله عليه وآله ونصرته.

---

(١) الطنب: الطرف.

(٢) السيرة النبوية: ج١ ص٦٤٦ و٦٤٧.

٩٠ ـــــــ

ذلك لمنع أبي سفيان من النواح والبكاء على القتلى.

فبينما هو كذلك إذ سمع نائحة من الليل فقال لغلامه -وقد ذهب بصرُه وعمي-: هل بكت قريشُ على قتلاها عليّ أبكي على زمعة، فان جوفي قد احترق.

فذهب الغلام ورجع إليه فقال: إنما هي امرأة تبكي على بعيرها قد أضلّته، فأنشد الأسود بن المطلب حينها يقول:

أتبكي أن يضلَ لها بعيرُ ... و يمنعها من النوم السهود

فلا تبكي على بكر[1] ولكن ... على بدر تقاصرت الجدودُ

على بدر سراةِ بني هصيص ... و مخزومٍ ورهطِ أبي الوليدِ

وبكّي ان بكيتِ على عقيل ... و بكيّ حارثا اسد الاسود[2]

القرار الأخير حول مصير الاسارى:

في هذه المعركة بالذات أعلن رسول الله صلّى الله عليه وآله عن قرار تاريخي عظيم ورائع هو: أن من علّم من الاسرى عشرة من صبيان الغلمان والصبيان من أولاد الأنصار الكتابة والقراءة كان ذلك فداؤه وخلّي عن سبيله من غير أن يؤخذ منه مال[3].

وان من دفع فدية قدرها أربعة آلاف درهم إلى ألف درهم خلي سبيله وان من كان فقيرا لامال له أُفرِجَ عنه دون فداء.

فأحدث هذا النبأ في مكة لدى عوائل الاسرى حركة عجيبة ودفعهم الى التفكير في تقديم الفداء الى المسلمين، واطلاق اسراهم.

فهيّأ كلُ واحدٍ منهم مااستطاع وقدم المدينة يفدي اسيره.

وعندما أُفرج عن سهيل بن عمرو لقاء فدية قال عمر بن الخطاب لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يارسول الله دعني أنزع ثنيتي سهيل بن عمرو (أي أسنانه

---

(١) البكر: الفتى من الابل. (٢) السيرة النبوية: ج١ ص٦٤٨. (٣) السيرة الحلبية: ج٢ ص١٩٣.

٩٢ ـــــــ

مالها فافعلوا.

فقالوا: نعم يارسول الله، نفديك بأنفسنا وأموالنا.

فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها وبذلك احترم رسول الله صلّى الله عليه وآله حقوق المسلمين وما يرجع اليهم من أموال بل أنها و الله أعظم مظهر من مظاهر الديمقراطية، (ان صح التعبير) فالنبيّ مع أن له ماله من الولاية على المسلمين يقترح عليهم الافراج عن زوج زينب ويترك الامر لاختيارهم.

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذ على أبي العاص الميثاق بأن يخلي سبيل زينب، ويبعثها الى المدينة.

ففعل أبو العاص ماتعهّد به، وبعث زينب الى المدينة.

ثم إن أبا العاص نفسه أسلم أيضاً وقدم المدينة، وردّ عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله زينب بالنكاح الاول أو بنكاح جديد[1]

رسول الاسلام ومكافحة الأُمية:

كما أنه يتبين من قصة الاسرى الذين اطلق سراحهم لقاء تعليم أولاد المسلمين الكتابة والقراءة مدى اهتمام الاسلام بالثقافة والتثقيف، والوعي والتوعية، فان معرفة القرائة والكتابة بداية التثقيف والتوعية.

ولابدّ أن نقول هنا أيضاً أن اطلاق الاسارى العارفين بالقراءة والكتابة لقاء تعليم صبيان المسلمين تعد أول عملية لمكافحة الامية التي اهتم بها العالم الحاضر.

ففي الوقت الذي كانت الكثير من الدول في عصر الاسلام الاول تمانع من تثقيف أبنائها ورعاياها- كما مرّ عليك في دراسة أوضاع الامبراطوريتين الفارسية والرومية -أعلن رسول الاسلام ان من لم يكن معه فداء وهو يحسن الكتابة دفع اليه عشرة من غلمان المدينة (أي صبيانها) يعلمهم الكتابة فاذا تعلموا كان ذلك فداءه.. وما أعظمها من خطوة ثقافية وحضارية.

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص٦٥١- ٦٥٩، بحارالأنوار: ج١٩ ص٣٤٨ و٣٤٩.

٩٤ ـــــــ

وآله[١].

هذا وقد أمر الله نبيّه الكريم بأن يعلن للاسرى بأن الباب مفتوح على وجوههم لينضموا الى صفوف المسلمين، فينعموا بالاسلام فيعيد الله عليهم أفضل مما أخذ منهم ويغفر لهم ذنوبهم، إذ يقول تعالى:

«ياأيّها النبيُّ قُلْ لِمَنْ في أيْديكُمْ مِنَ الأسْرى إنْ يَعْلَمِ اللّهُ في قُلُوبِكُمْ خَيْراً يُؤْتِكُمْ خَيراً ممّا أُخِذَ مِنْكُمْ ويَغْفِر لكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحيمٌ»[٢]

وبذلك فتح الاسلام باب الأمل أمام الاسارى، وكشف عن نزعته الانسانية، وأيضاً عن رغبته الصادقة في هداية البشرية، ونجاتها.

كما ضرب بذلك مثلاً في الحكمة وحسن السياسة لم يسبق له مثيل.

على انه هدّد الاسرى من ناحية أُخرى إذا أساؤا، وعادوا بعد الخلاص من الاسر إلى التآمر ضد الإسلام.

إذ قال:

«وَإنْ يُريدُوا خِيانَتَكَ فَقَدْ خانُوا اللّهَ مِنْ قَبْل فَأمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللّهُ عَليمٌ حَكيمٌ»[٣].

وبذلك جمع بين الحزم والحكمة، واللين الحكيم والشدّة المعقولة.

القرآن يتحدث عن بدر:

ولقد ذكّر القرآن الكريم المسلمين، ولايزال يذكّرهم بالانتصار الكبير الذي تحقق للمؤمنين في بدر بفضل ثبات المقاتلين ونصر الله وتأييده الغيبي إذ قال:

«إذْ أنْتُمْ بالعُدوَة الدُنيا وَهُمْ بِالعُدوَة الْقُصوى والرَكبُ أسفلَ مِنْكُمْ وَلَو تواعَدْتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ في الْميعادِ وَلكِنْ لِيَقْضِيَ اللّهُ أمراً كانَ مَفْعُولاً لِيَهْلَكَ مَنْ

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٣ ص٣٣٤-٣٥٢ ولابن أبي الحديد كلام آخر يشبه هذا في اهدار من أسقط جنين زينب فراجع.

(٢) و (٣) الانفال: ٧٠ و٧١.

٩٦ ـــــــ

كَفَرُوا أو يَكْبتهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خائبين»[١].

وفي هذه الآيات تصريحات واضحة بما كان عليه المسلمون في معركة بدر من حيث قلة العدة والعدد، وبأبرز الامدادات الغيبية الإلهية التي ساعدت المسلمين على الانتصار على أعدائهم المشركين، الذين كانوا يفوقونهم في العدة والعدد والسلاح والرجال مع التأكيد على أن ذلك الانتصار العظيم جاء نتيجة ثبات المسلمين واستقامتهم، وصبرهم وإخلاصهم.

وأبرز تلك الامدادات الغيبية هي:

١ ـ مع أن الاعداء كانوا متمركزين في العدوة العليا وهي أعلى الوادي والمسلمين في أسفل الوادي، وكان ذلك من شأنه أن يعزز موقع الكفار لإمكان مراقبة المسلمين من مكان مرتفع كما كان من شأنه أن يجعل هجوم المسلمين على الكفار أمراً صعباً، ولكن كفة الحرب رجحت مع ذلك لصالح المسلمين.

٢ ـ إنهم لوكانوا على ميعاد مع العدو، ومع العلم التفصيلي بحجم امكانياته البشرية والقتالية لامتنع عامة المسلمين عن مقابلة المشركين، ولكن شاء الله أن لايعرف المسلمون شيئاً مفصلاً عن المشركين، مسبقاً، بل يواجه المسلمون الأمر الواقع، فيتحقق ماأراد الله من الانتصار على قريش. والى هذا اشار سبحانه بقوله:

«ولو تَواعَدتُمْ لاخْتَلَفْتُمْ في الْميعاد».

٣ ـ تقليل عدد المسلمين في أعين المشركين وتقليل عدد المشركين في أعين المسلمين في أول القتال لكي يستقل الاعداء قوة المسلمين، ولكي لايهاب المسلمون الاعداء ويستعظموا عددهم، واليه يشير تعالى بقوله:

«إِذْ يرِيكُموهُمْ إذا التَقَيْتُمْ في أعْينكُمْ قَليلاً وَيُقَلِّلكُمْ في أعْيُنِهِمْ».

٤ ـ تكبير عدد المسلمين في أعين الكفار في أثناء القتال واليه يشير تعالى بقوله:

---

(١) آل عمران: ١٢٣-١٢٧.

٩٨ ـــــــ

وينبغي الاشارة في ختام هذا العرض التفصيلي ـ نوعاً مّا ـ لوقعة بدر إلى تكتيكات النبيّ صلّى الله عليه وآله الحربية، وإلى أساليبه الحكيمة في تقوية معنويات المسلمين وإلى جانب تنظيم صفوفهم، ممّا لايسع المجال لذكره على وجه التفصيل الكامل.

٣٠
زواج سيدة النساء
فاطمة بنت رسول الله [١]

إن الرغبة الجنسيّة حالة تظهر عند البلوغ لدى كل انسان، وربما تنحرف بالشاب وتهوي به في أحضان الفساد والسقوط الاخلاقي إذا لم تتوفر له أجواء التربية الصحيحة ولم تتح له الفرصة المناسبة، والمسير الصحيح لتنفيذ تلك الرغبة، والاستجابة لها بصورة صحيحة.

وان خير وسيلة للحفاظ على العفة الفردية والحياء العام، وتجنيب الفرد والمجتمع مفاسد وأخطار الإنحراف الجنسيّ هو الزواج.

فان الاسلام يحتّم على الرجل والمرأة ـ تأكيداً لحكم الفطرة وتمشّياً مع ناموس الطبيعة البشرية ـ أن يتزوجا طبقاً لضوابط خاصّة تضمن سلامة الزيجة ودوامها.

وقد جاء هذا التأكيد، والحديث في الكتاب العزيز، والسنة الشريفة بمختلف الصور، وتحت مختلف العناوين:

فقد جاء في الكتاب العزيز:

«وَأَنْكِحُوا الْأيامى مِنْكُمْ وَالصّالِحينَ مِنْ عِبادِكُمْ وَإِمائِكُمْ انْ يَكُونُوا فُقَراءَ يُغْنِهُمُ اللّه مِنْ فَضْلِهِ وَاللّهُ واسِعٌ عَليمٌ»[٢].

---

(١) كان زواج فاطمة بعد وقعة بدر، راجع بحارالأنوار: ج٤٣ ص٧٩ و١١١.

(٢) النور: ٣٢.

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذا الصدد:

«تزوّجوا فانّي مكاثرٌ بكمُ الأُممَ غداً في القيامة»[١].

وقال أيضاً:

«من أحب أن يلقى الله طاهراً مطهّراً فلْيلقهُ بزوجة»[٢].

مشاكل الزواج في العصر الحاضر:

على أن مشاكل الزواج في عصرنا الحاضر لا تنحصر ـ وللاسف ـ في مشكلة واحدة أو مشكلتين.

فالرجال والنساء اليوم يقدمون على الزواج ـ غالباً ـ في ظروف صعبة، وأوضاع رديئة، وتنتهي أكثر الزيجات بسبب تلك الظروف والاوضاع وبسبب، مايلابسها من مستلزمات قاسية وثقيلة بالطلاق والافتراق بعد سلسلة من الخلافات والمنازعات.

فتلك هي صحف البلاد تحمل في أبوابها الاجتماعية كلَّ يوم عشرات الانباء والأخبار عن الجرائم الزوجية وتعالج عشرات المشاكل في مجال العائلة.

ولكن أكثر هذه المشاكل والمصائب تدور حول قضية واحدة، وهي أن الفتيان والفتيات في مجتمعاتنا الحاضرة ليسوا بصدد تشكيل عائلة تضمن سعادتهم الواقعية.

فالبعض يهمّه من الزواج أن يصل عن طريق إلى المناصب الراقية الحساسة.

والبعض الآخر يهمّه من الزواج الحصول على الثروة والمال.

وقلّما يفكر المقدمون على الزواج، وتأسيس العائلة في أُمور هامة وجوهرية كالعفة والطهر، وإذا لوحظ هذا الجانب فإنما يلاحظ بصورة هامشية، لاأساسية.

ويدل على ذلك أن الشباب يتنافس غالباً على التزوج بفتيات من العوائل المعروفة ذات المكانة والشهرة الاجتماعية والمالية، والحال أنه يمكن أن تكون

---

(١)و(٢) وسائل الشيعة: ج١٤ ص ٣و٦.

١٠٢ ـــــــ

زينب ورقية.

ولكنهم غفلوا عن أن هذه الفتاة (أي فاطمة الزهراء سلام الله عليها) تختلف عن أُختيها السابقتين.

إنها ـ كما تدل عليه آية المباهلة ـ[١] ذات مقام رفيع، وشأن كبير.

لقد أخطأ خُطّاب فاطمة عليها السلام في هذا التصور، وما كانوا يعلمون أن زوج فاطمة وقرينها لايمكن أن يكون إلّا كفؤها في التقوى والفضل، والايمان والاخلاص، فاذا كانت فاطمة ـ بحكم آية التطهير ـ معصومة من الذنب وَجَبَ أن يكون زوجُها هو الآخر معصوماً والا لم يكن كفؤُها المناسب.

وليس المال وليست الثورة ملاك هذا التكافؤ.

لقد قال الاسلام: «إذا خطبَ إليكُم كفؤٌ فزوّجوه».

ويفسر هذا التكافؤ بالمماثلة والتكافؤ في الايمان والتقوى، والطهارة والعفاف، لافي المال والثروة[٢].

ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله مأموراً من جانب الله تعالى أن يقول لكل من خطبَ اليه «فاطمة» من اولئك الرجال: «أمرها بيدالله» وهو بهذه الاجابة يكشف القناع عن الحقيقة إلى درجةمّا.

ولقد أدرك أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله أن زواج «فاطمة» ليس أمراً سهلاً وبسيطاً، وأنه ليس لمن كان من الرجال وان بلغ من الثراء، والمكانة الاجتماعيّة أن يحظى بالزواج منها، فان زوج «فاطمة» ليس إلّا من يشابهها من حيث الأخلاق والفضائل، والصدق والايمان، والطهر، والاخلاص، بل ويلي رسول الله صلّى الله عليه وآله في السجايا الكريمة والصفات الرفيعة،

---

(١) آل عمران: ٦١.

في قضية المباهلة اصطحب رسول الله صلّى الله عليه وآله علياً و الحسن والحسين وفاطمة دون غيرها من النساء وسيأتي مفصل هذه القصة.

(٢) راجع الوسائل: ج١٤ ص٥٠ ـ ٥٢.

١٠٤ ـــــــ

«إن علي بن أبي طالب من قد عرفتِ قرابته، وفضله واسلامه، واني قد سألت ربي أن يزوّجك خير خلقه، وأحبهم اليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين؟».

فسكتت فاطمة سلام الله عليها، ولم ير رسول الله صلّى الله عليه وآله في وجهها كراهة فقام وهو يقول:

«اللّهُ أكبر، سكوتُها إقرارها»[١].

ولكن عليّاً عليه السلام لم يكن يملك آنذاك إلا سيفاً، ودرعاً فقط.

فأمره رسول الله صلّى الله عليه وآله بأن يبيع درعه، ويهيء بثمنه عدة الزواج وجهاز العروس، فباع علي عليه السلام درعه، وأتى بثمنه الى النبيّ صلّى الله عليه وآله وسكب المال بين يديه[٢].

فقبض صلّى الله عليه وآله قبضة الدراهم، ودعا بلالاً فأعطاه فقال:

«ابتع لفاطمة طيباً».

ثم أعطى صلّى الله عليه وآله بقية تلك الدراهم إلى أبي بكر وعمّار بن ياسر وأمرهما أن يبتاعا لفاطمة مايصلحها من ثياب وأثاث البيت، وما شاكل ذلك من احتياجات العروسين.

ففعلا ذلك واشتريا ماأمرهما به رسول الله صلّى الله عليه وآله فكان جهاز فاطمة كالتالي:

جهاز فاطمة:

١ ـ قميص بسبعة دراهم.

٢ ـ خِمار[٣] بأربعة دراهم.

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) وفي رواية عن عليّ عليه السلام: فسكبت الدراهم في حجره فلم يسألني كم هي ولاأنا أخبرته.

(٣) الخمار: مقنعة.

١٠٦ ـــــــ

ان البيئة الزوجية يجب أن تكون ـ أساساً ـ بيئة دفء وحنان، بيئة اخلاص مودة. بيئة سلام و وفاق فهذا هو ما يسعد الحياة الزوجية و يوفر للزوجين عيشا هانئا محبباً .

أما المهور الثقيلة، والنفقات الباهضة والجهاز المُكلِف فلا تؤدي إلّا إلى تعكير صفو الحياة الزوجية، والتقليل من بريق الرابطة العائلية، و بالتالي لا تضمن مستقبل الزواج ودوامه، والمحافظة عليه من الهزات.

إن أولياء الفتيات ـ في عصرنا الحاضر يعمدون بغية دعم مكانة فتياتهم وتقوية مركزهن وضمان مستقبلهن إلى فرض سلسلة طويلة وثقيلة من الشروط والقيود ومنها المهر الباهض على العريس حتى لايستطيع أن يقوم بطلاق زوجته تحت دوافع الهوى والشهوة، أو كلما سولت له نفسه ذلك ، على حين أن هذا الاجراء لايضمن بقاء الرابطة الزوجية، ودوامها بل العلاج الحقيقي والناجع هو اصلاح الوضع الاخلاقي للشباب، ورفع مستواهم المعنوي.

يجب أن تكون بيئتنا الثقافية والاجتماعية من الطهر والنقاوة بحيث لايوجد في رحابها امثال هذه النوازع الشريرة عند شبابنا، والا لبلغ الأمر إلى نقطة تستعد فيه الفتاة الى بذل مهرها للنجاة بنفسها من البيت الزوجي.

مواسم الزواج تقام ببساطة:

ثم بعد أن عقد رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام على فاطمة عليها السلام في رحاب مسجده على مرأى ومسمع من المسلمين وفي جو يسوده الفرح والابتهاج والسرور قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام هيّئ منزلا حتى تحوّل فاطمة اليه، فأخذوا منزل أحد الصحابة بصورة مؤقتة، وحوّلت فاطمة إلى علي عليه السلام في منزل ذلك الصحابي الجليل، في زفاف جميل مبارك وقد صنع عليٌ طعاماً من لحم وتمر وسمن واطعم المسلمون جميعاً تقريباً، وساد الناس فرح عظيم لم يشهد له نظير.

عن ابن بابويه: أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله بنات عبدالمطلب ونساء

١٠٨ ـــــــ

وبذلك أبدى رسول الله صلّى الله عليه وآله من نفسه في تلك الليلة صفاء واخلاصاً لم يعرف له نظير حتى في مجتمعاتنا الحاضرة رغم ماحققته من تكامل ورشد.

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله عدد لفاطمة فضائل علي كما ذكر لعلي فضائل فاطمة وانها «لولم يخلق علي لما كان لها كفؤ»[١]. ثم ذكر لهما وظائفهما وواجباتهما العائلية فأوكل إلى فاطمة ماهو في داخل البيت من شؤون وأوكل إلى علي ماهو من شؤون الخارج.

ولابدّ أن نذكر هنا قصة هامة أداء لحق فاطمة، وبياناً لمقامها.

يقول أنس بن مالك: إن النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر إذا خرج الى الفجر فيقول:

«الصلاة ياأهل البيت، انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً»[٢].

هذا وقد كانت هذه الزيجة أفضل زيجة في الاسلام وأكثرها بركة وخيراً، فقد عاش هذان القرينان الطاهران جنبا الى جنب في وئام ووداد، في حياة زوجية طاهرة يسودها الاحترام المتقابل، والاخلاص الكامل من بدايتها إلى نهايتها.

وقد أنجبا أفضل الاولاد والبنات أبرزهم: الامام الحسن والامام الحسين عليهما السلام سبطا رسول الله صلّى الله عليه وآله الا ثيران لديه، والمقربان اليه، وزينب بنت علي التي رافقت أخاها في وقعة كربلاء الدامية وكان لها مواقف عظيمة ومشرفة في الرعاية للحق والعدل، ونصرة الاسلام، وغيرهم من الاولاد ذكوراً واناثاً.

وقد بقي كلاالزوجين (علي وفاطمة) حتى آخر اللحظات عارفين بمكانة

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج٢ ص٢٥٩.

(٢) الدر المنثور: ج٥ ص ١٩٩.

١١٠ ـــــــ

ثم يقول: إن محمّداً ـ مع امتداحه قدمَ علي في الاسلام ارضاءً لابنته ـ كان قليل الالتفات إليه وكان صهر النبيّ الامويان: عثمان الكريم وأبو العاصي أكثر مداراةً للنبيّ من عليّ، وكان عليٌّ يألم من عدم عمل النبيّ على سعادة ابنته ومن عدّ النبيّ له غير قوّامٍ بجليل الأعمال فالنبيّ وان كان يفوّض اليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قيادة اليه!![1]

إلى غير ذلك من الترهات والسخافات التي الصقها تارة إلى رسول الله الاكرم محمّد صلّى الله عليه وآله، وأُخرى إلى حبيبه وابن عمه ووصيه الامام علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن أفضل اجابة على هذه الافتعالات هوما كتبه العلامة الاميني حيث يقول:

كلّ مافي الكتاب من تلكم الأقوال المختلقة، والنسب المفتعلة إن هي إلّا كلم الطائش، تخالف التاريخ الصحيح، وتضادّ ماأصفقت عليه الأُمّة الإسلاميّة، وما أخبر به نبيّها الأقدس.

هل تناسب تقولاته في فاطمة مع قول أبيها صلّى الله عليه وآله: فاطمة حوراء إنسيّة كلّما اشتقتُ إلى الجنّة قبّلتها؟![2]

أو قوله صلّى الله عليه وآله: ابنتي فاطمة حوراء آدميّة؟![3]

أو قوله صلّى الله عليه وآله: فاطمة هي الزهرة؟![4]

أو قول أُمّ أنس بن مالك؟!: كانت فاطمة كالقمر ليلة البدر أو الشمس كفر غماماً، إذا خرج من السحاب بيضاء مشربة حمرة، لها شعر أسود، من أشدّ الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله شبهاً، والله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها ... وتغيب فيه وهو جثلٌ أسحمُ[5]

---

(١) هذه المقتطفات اخذت من كتاب حياة محمّد: ص١٩٧-١٩٩.

(٢) تاريخ الخطيب البغدادي: ج٥ ص٨٦.

(٣) الصواعق: ص٩٦، اسعاف الراغبين: ص١٧٢ نقلا عن النسائي.

(٤) نزهة المجالس: ج٢ ص٢٢٢. (٥) جثل الشعر: كثر والتف واسود فهو جثل: سحم فهو اسحم: اسود.

١١٢ ـــــــ

نعم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله ... فالناس أعداءٌ له وخصومُ

كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسداً وبغضاً: إنّه لدميمُ

أو يَخبرك ضميرك الحرّ في علي ماسلقه الرجل به من (التواني والتردُّد)؟! وعليٌّ ذلك المتقحم في الأحوال، والضارب في الأوساط والأعراض في المغازي والحروب؛ وهو الذي كشف الكرب عن وجه رسول الله في كلّ نازلة وكارسة منذ صدع بالدين الحنيف، إلى أن بات على فراشه وفداه بنفسه، إلى أن سكن مقرَّه الأخير.

أليس عليٌّ هو ذلك المجاهد الوحيد الذي نزل فيه قوله تعالى: «أجعلتم سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله». وقوله تعالى: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاءَ مرضاةِ الله»[1].

فمتى خلى عليٌّ عن مقارعة الرجال والذبّ عن قدس صاحب الرّسالة حتى يصحّ أن يُعزى إليه توان أوتردّد في أمرمن الامور؟! غيران القول الباطل لا حدَّله ولا أمد.

وهل يتصوَّر في أميرالمؤمنين تلك العشرة السيّئة مع حليلته الطاهرة؟! والنبيُّ يقول له: أشبهت خَلقي وخُلقي وأنت من شجرتي التي أنا منها[2].

وكيف يراه النبيّ صلّى الله عليه وآله أفضل أُمَّته أعظمهم حلماً، وأحسنهم خلقاً، ويقول: عليٌّ خير أُمَّتي أعلمهم علماً وأفضلهم حلماً؟![3].

ويقول لفاطمة: إنّي زوَّجتكِ أقدم أُمَّتي سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً؟![4].

---

(١) راجع الجزء الثالث من «الغدير»: ص٤٧، ٥٣ ط ثاني.

(٢) تاريخ بغداد للخطيب: ج١١ ص١٧١.

(٣) الطبري، الخطيب، الدولابي. كما في كنز العمال: ج٦ ص١٥٣ و٣٩٢ و٣٩٨.

(٤) مسند احمد: ج٥ ص٢٦، الرياض النضرة: ج٢ ص١٩٤، ذخائر العقبى: ص٧٨، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٠١، ١١٤ وصححه ووثق رجاله.

١١٤ ـــــــ

وهل يقصر امتداح النبيّ عليّاً بقدم إسلامه؟! حتّى يتفلسف في سرّه ويكون ذلك إرضاءً لإبنته، على أنّ إمتداحه بذلك لوكان لتلك المزعمة لكان يقتصر صلّى الله عليه وآله وسلّم على قوله لفاطمة في ذلك وكان يتأتّى الغرض به، فلماذا كان يأخذ صلّى الله عليه وآله وسلّم بيد عليٍّ في الملأ الصحابي تارةً ويقول: إنَّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة؟ ولماذا كان يخاطب أصحابه أُخرى بقوله: أوّلكم وارداً عليَّ الحوض أوّلكم اسلاماً عليّ بن أبي طالب؟!

وكيف خفي هذا السرّ المختلق على الصحابة الحضور والتابعين لهم باحسان فطفقوا يمدحونه عليه السلام بهذه الاثارة كما يروى عن سلمان الفارسي، أنس بن مالك، زيد بن أرقم، عبدالله بن عبّاس، عبدالله بن حجل،هاشم بن عتبة، مالك الاشتر، عبدالله بن هاشم، محمد بن أبي بكر، عمرو بن الحمق، أبو عمرة عدّي بن حاتم، أبو رافع، بريدة، جندب بن زهير، أُمّ الخير بنت الحريش.

وهل القول بقلّة إلتفات النبيّ إلى عليّ يساعده القرآن الناطق بأنّه نفس النبيِّ الطاهر؟! او جعل مودّته أجر رسالته؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم في حديث الطير المشويِّ الصحيح المرويّ في الصحاح والمسانيد: اللّهم أئتني باحبِّ خلقك إليك ليأكل معي؟!

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم لعائشة: إنّ عليّاً أحبّ الرجال إليَّ، وأكرمهم عليّ، فاعرفي له حقّه وأكرمي مثواه؟![1]

أوقوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: أحبّ الناس إليّ من الرجال عليٌّ ؟![2]

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: عليٌّ خير من أتركه بعدي؟![3]

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: خير رجالكم عليٌّ بن أبي طالب، وخير

---

(١) أخرجه الحافظ الخجندي كما في الرياض: ج٢ ص١٦١، وذخائر العقبى: ص٦٢.

(٢) وفي لفظ: أحب أهلي، من حديث اسامة.

(٣) مواقف الايجي: ج٣ ص٢٧٦، مجمع الزوائد: ج٩ ص١١٣.

١١٦ ـــــــ

صحته: لايذهب بها إلّا رجلٌ منّي وأنا منه[١]

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: لحمك لحمي ودمك دمي والحقُّ معك ؟[٢]

أو قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: مامن نبيّ إلّا وله نظير في أُمّته وعليٌّ نظيري؟[٣]

أو ماصحّحه الحاكم وأخرجه الطبراني عن أُمّ سلمة قالت: كان رسول الله إذا أغضب لم يجترئ أحدٌ أن يكلّمه غير عليّ ؟[٤]

أو قول عائشة: والله مارأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله من عليّ ولافي الأرض امرأة كانت أحبُّ إليه من امرأته؟[٥]

أو قول بريدة وأُبيّ: أحبُّ الناس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم من النساء فاطمة ومن الرجال عليٌّ ؟![٦]

أو حديث جُميع بن عمير قال: دخلت مع عمّتي على عائشة فسألت أيَّ الناس أحبَّ إلى رسول الله؟! قالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها، إن كان ماعلمت صوّاماً قوّاماً؟[٧]

وكيف كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يُقدِّم الغير على عليّ في الإلتفات إليه؟! وهو أوّل رجل إختاره الله بعده من أهل الأرض لمّا اطّلع

---

(١) خصائص النسائي: ج٨.

(٢) المحاسن والمساوى: ج١ ص٣١، كفاية الطالب: ص١٣٥، مناقب الخوارزمي: ص٧٦و٨٣و ٨٧، فرائد السمطين: في الباب ٢ و٢٧.

(٣) الرياض النضرة: ج٢ ص١٦٤.

(٤) مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٣٠، الصواعق: ص٧٣، تاريخ الخلفاء للسيوطي: ص١١٦.

(٥) مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٥٤ وصححه، العقد الفريد: ج٢ ص٢٧٥، خصائص النسائي: ص٢٩، الرياض النضرة: ج٢ ص١٦١.

(٦) خصائص النسائي: ص٢٩، مستدرك الحاكم: ج٣ص١٥٥صححه هو والذهبي، جامع الترمذي: ج٢ ص٢٢٧.

(٧) جامع الترمذي: ج٢ ص٢٢٧ ط هند، مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٥٧، وجمع آخر.

١١٨ ـــــــ

قطّ بعد إسلامه كلمة تُعرب عن صلته مع النبيّ ومداراته له فضلاً عن مقايسته بعليٍّ أبي ذرِّيَّته و سيّد عترته.

وقد اتّهم الرجل نبيّ الإسلام بعد العمل على سعادة إبنته الطاهرة المطهّرة بنصّ الكتاب العزيز، ويقذف عليّاً بالتألّم من ذلك، وكان صلّى الله عليه وآله وسلّم إذا أصبح أتى باب عليٍّ وفاطمة وهو يقول: يرحمكم الله إنّما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً. وكان لم يزل يقول: فاطمة أحبّ الناس إليّ.

ويقول: أحبّ الناس إليَّ من النساء فاطمة.

ويقول: أحبُّ أهلي إليَّ فاطمة.

وكان عمر يقول لفاطمة: والله مارأيت أحداً أحبَّ إلى رسول الله منكِ[١].

وما أقبح الرجل في تقوّله على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم بعدّه لعليٍّ غير قوّام بجليل الأعمال. وقد وازره وناصره وعاضده بتمام معنى الكلمة بكلّ حول وطول من بدء دعوته إلى آخر نفس لفظه، فصار بذلك له نفساً وأخاً ووزيراً ووصيّاً وخليفةً ووارثاً ووليّاً بعده، وكان قائده الوحيد في حروبه ومغازيه، وهو ذلك الملقَّب بقائد الغرّ المحجّلين وحياً من الله العزيز في ليلة أسرى بنبيّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى[٢].

وممّايعجّب بل ويؤسف أن نجد العقاد كاتب النيل الكبير يذهب هذا المذهب، وينحو هذا المنحى ذاته من سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمّ الامامين الهماسين الحسن والحسين عليهما السلام، فيسطر في كتابه «فاطمة الزهراء والفاطميّون»[٣] شيئاً من هذه العبارات والمقالات التافهة التي لايليق بكاتب مثله عرف بالتحقيق والفهم، ان يدرجها في مؤلفه.

---

(١) مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٥٠ وصححه.

(٢) مستدرك الحاكم: ج٣ ص١٣٨ وصححه، الرياض النضرة: ج٢ ص١٧٧، شمس الاخبار: ص٣٩، أُسد الغابة: ج١ ص٦٩، مجمع الزوائد: ج٩ ص١٢١.

(٣) راجع ص٣٢و٣٣.

١٢٠ ـــــــ

٣١
جرائم «بني قينقاع»

كانت معركة «بدر» بمثابة طوفان شديد ضدّ الوثنية في قلب شبه الجزيرة العربية.

طوفان اقتلع بعض جذور الوثنية العريقة، فقد قُتِلَ طائفة من صناديد قريش، وأُسرت أُخرى وهرب الباقون بمنتهى الذل والصغار، وانتشر خبر هزيمة جيش قريش المتغطرس في جميع أنحاء وربوع الجزيرة العربية.

ولكن ساد بعد هذا الطوفان المرعب، شيء من الهدوء والمقرون بالاضطراب والقلق. هدوء كان منشأوه التفكير في مستقبل شبه الجزيرة العام وما تخبئه الايام القادمة لسكانها على أثر التحول الجديد.

وكانت مخاوف القبائل الوثنية، ويهود يثرب الاثرياء ويهود خيبر ووادي القرى تزداد يوماً بعد يوم من تقدم الاسلام المطّرد، وتعاظم شوكته، و اشتداد أمر حكومته الفتية، وكان جميع هؤلاء يجدون مستقبلهم مهدداً بخطر جديّ، بعد أن كانوا لايتصورون أن يكسب رسول الله صلّى الله عليه وآله المهاجر من مكة كلّ هذه النجاحات الباهرة، وأن يبلغ من القوة ذلك المبلغ، بحيث يقهر بقواه المحدودة قوة قريش الكبرى ويكسر شوكتها العريقة!!

وكان يهود بني قينقاع الذين يقطنون داخل المدينة، ويمسكون بخيوط اقتصادها، أشدَّ خوفاً من غيرهم، واكثر قلقاً على مستقبل أمرهم، لأنهم كانوا يخالطون المسلمين مخالطة كاملة وكان وضعهم يختلف عن وضع يهود خيبر و وادي القرى الذين كانوا يعيشون خارج المدينة بعيداً عن مركز قوة المسلمين ومنطقة حاكميتهم!!

١٢٢ ـــــــ

يؤيّدُ بنصره من يشاءُ إن في ذلك لعبرة لأُولي الأبصار»[١].

ولكن اليهود المغرورين المتكبرين لم يشكروا نصيحة النبي هذه أو يسكتوا حسب، بل ردوا عليه بعناد ولجاج وصلافة قائلين: يامحمّد انك ترى انا قومك لايغرنّك أنك لقيتَ قوماً لاعِلمَ لهم بالحرب، فاصبتَ منهم فرصة، إنا والله ولئن حاربناك لتعلمنَّ أنّا نحن الناس (أو أنّا والله أصحاب الحرب، ولئِن قاتلتنا لتعلمنَّ أنك لم تقاتل مثلنا)!![٢]

فلم تترك كلمات يهود «بني قينقاع» الجوفاء، وتشدقهم الفارغ بقوتهم وقدرتهم على القتال والمواجهه أدنى اثر في نفوس المسلمين.

ولكن النبيّ صلّى الله عليه وآله قد أتم عليهم الحجة، فلم يعودوا معذورين حسب السياسة الاسلامية، وقد أصبح ساعتئذ من اللازم الاحتكام إلى منطق السلاح بعد أن لم ينجع سلاح المنطق، ولم يقنع اليهود بضرورة تغيير مواقفهم، والتخلي عن مؤامراتهم وخططهم الايذائية ضد النبيّ صلّى الله عليه وآله والمسلمين.

أجل لابد من استخدام القوة مع هؤلاء اليهود الصلفين المتعنتين والاّ ازدادوا صلافة، وكثرت اعتداءاتهم.

ولهذا أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله ينتظر الفرصة المناسبة لتأديب تلك الجماعة المتعنتة الوقحة.

لهيب الحرب يبدأ من شرارة:

قد تجر بعض الحوادث الصغيرة إلى سلسلة من التحولات والاحداث في الاجتماعات الكبرى. يعني أن تتسبب حادثة جزئية في انفجار الحوادث الكبرى، فيصفي كلٌ من طرفي النزاع حسابه مع الطرف الآخر، انطلاقا من علل واسباب أُخرى، وليست تلك الحادثة الجزئية.

---

(١) آل عمران: ١٢و١٣.

(٢) المغازي: ج١ ص١٧٥ و١٧٦.

١٢٤ ـــــــ

العربيّ خاصة بأهمية كبرى، وخاصة عند البدو الرحل منهم، فكم من دماء جرت لعدوان على عرض ديس أو تعرض للتحرش.

من هنا أزعج وضع تلك المرأة الغريبة وحالها المؤلم واضطرابها الرجل المسلم، وأشعل غيرته فوثب على اليهودي المعتدي وقتله.

وكان من الطبيعي أيضاً أن لايمرّ هذا العمل دون رد من اليهود فيثب اليهود بأجمعهم على ذلك المسلم الغيور ويقتلوه، ويريقوا دمه بأجمعهم.

نحن هنا لايهمّنا أن نعرف أن قتل ذلك الرجل اليهودي لازدرائه بامرأة كان أمراً صحيحاً منطقياً يتفق مع الموازين أم لا ينطبق.

ولكنّه مامن شك في أن وثوب مئات من الرجال واجتماعهم على قتل رجل مسلم واحد، وإراقة دمه، عملٌ بالغ الشناعة والقبح.

من هنا تسبّب انتشارُ هذا الخبر (اي مقتل رجل مسلم واحد على أيدي مجموعة كبيرة من الرجال بصورة مفجعة) في إثارة المسلمين ونفاذ صبرهم، ودفعهم إلى العزم على حسم الموقف حسماً كاملاً وبالتالي هدم قلعة الفساد على رؤوس أصحابها القتلة.

فاحس «بنو قينقاع» بخطر الموقف، وأدركوا انه لم يعد من الصالح أن يبقوا في أسواقهم، ويواصلوا البيع والشراء، وقد تلبّد الجوّ بالغيوم الداكنة على أثر العمل الفضيع والجناية الكبرى التي ارتكبوها.

من هنا تركوا أسواقهم بسرعة، وعادوا إلى قلاعهم المحصّنة، وتحصّنوا فيها، وكان ذلك منهم انسحاباً خانعاً بعد ذلك التشدّق الصلف!!

ولقد أخطاؤا هذه المرة أيضاً إذ ظنوا انهم مانعتهم حصونهم، من انتقام الله. ولو أنهم اعتذروا لخطأهم، وأظهروا الندامة لكانوا يجلبون رضا المسلمين، ويحصلون على عفوالنبيّ صلى الله عليه وآله وهم يعرفون خلقه العظيم؛ وصفحة الكريم.

إلّا أن تحصّنهم كان آية عنادهم، واعلانهم الحرب، ونصبهم العداء الصريح للاسلام والنبيّ والمسلمين.

١٢٦ ـــــــ

وباجلاء «بني قينقاع» عادت الوحدة السياسية الى المجتمع في المدينة.

وكانت الوحدة السياسية هذه المرة مقرونة بالوحدة الدينية إذ كان المسلمون يشكلون الاغلبية الساحقة في المدينة فلم يكن لغيرهم فيها شأن يذكر(١).

تقارير جديدة تصل الى المدينة:

من المعلوم أن الاخبار تنتشر بين الناس بسرعة في المناطق الصغيرة، على العادة.

من هنا فان انباء أكثر المؤامرات والتحركات المعادية للاسلام التي كانت تقع في المناطق المختلفة من شبه الجزيرة كانت تصل بسرعة ـ وعبر المسافرين المحايدين أو الاصدقاء المترصدين ـ الى مركز القيادة الاسلامية في المدينة.

هذا مضافاً الى أن هذا النوع من المعلومات كان يحظى لدى رسول الاسلام باهمية كبرى، فيرصد لها من يأتي بها أولا بأول، ولهذا كانت اكثر التحركات والمؤامرات يقضى عليها في مهدها بفضل الردّ السريع والمناسب الذي كانت القيادة الاسلامية تقوم به في ضوء المعلومات الواردة اليها، أو التي حصلت عليها.

فبمجرّد أن تتضمن هذه المعلومات، إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله خبراً مفاده أن إحدى القبائل تعد قوة، وتستعدّ للهجوم على المدينة كان صلّى الله عليه وآله يبادر الى بعث سرية أو يقود هو بنفسه مجموعة مناسبة لمحاصرة تلك القبيلة، وافشال مؤامرتها، وابطال تدبيرها قبل أن تستطيع فعل شيء، وكان هذا هو اسلوب المباغتة الذي استطاع به رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يقضي على كثير من التحركات المعادية في مهدها.

واليك مختصراً عن بعض تلك الغزوات التي وقعت في السنة الثانية من الهجرة :

---

(١) المغازي: ج١ ص١٧٧، الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٨ و٢٩.

١٢٨ ـــــــ

ملاحقة المسلمين له.

فعرف به النبيّ صلّى الله عليه وآله فندب أصحابه فخرجوا في أثره، وجعل أبو سفيان وأصحابه يتخففون فيلقون أكياس السويق (وهو القمح المقلّى المطحون الملتوت بالسمن أو العسل)، وهي عامة زادهم، فجعل المسلمون يمرّون بها فيأخذونها.

فسميت تلك الغزوة بغزوة السويق لهذا الشأن.

٣ ـ غزوة ذي أمرّ:

بلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله أن قبيلة غطفان تجمع أفرادها، وتتأهب للعدوان على المدينة المنورة، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله على رأس أربعمائة وخمسين رجلاً.

فلما سمع العدو بمسير رسول الله صلّى الله عليه وآله إليهم خافوا خوفاً شديداً فهربوا إلى رؤوس الجبال، فراراً من النبيّ والمسلمين.

فخرج النبيّ صلّى الله عليه وآله اليهم يبحث عنهم فلم يلاق أحداً منهم، وقد غيّبوا سرحهم وذراريهم في ذرى الجبال خوفاً وفرقاً.

فنزل رسول الله صلّى الله عليه وآله «ذا أمرّ»[1] وعسكر معسكره هناك، فأصابهم مطرٌ كثير، فذهب رسول الله صلّى الله عليه وآله ناحية ليقضي حاجة، فأصابه ذلك المطر فبلّ ثوبه، وقد جعل رسول الله صلّى الله عليه وآله وادي «ذي أمرّ» بينه وبين أصحابه، ثم نزع ثيابه فنشرها لتجف، وألقاها على شجرة، ثم اضطجع تحتها، والأعراب ينظرون الى كلّ مايفعل.

فقالت الأعراب لدعثور وكان سيّدها وأشجعها: قد أمكنك محمّد، وقد انفرد من أصحابه، حيث إن غَوَّث بأصحابه لم يُغَث حتى تقتله.

فاختار سيفاً من سيوفهم صارماً ثم أقبل مشتملاً على السيف حتى قام على

---

(١) واد بطريق فيد إلى المدينة. وفاء الوفاء: ج٢ ص٢٤٩.

١٣٠ ـــــــ

وقال: أنت أولى بهذا السيف لأنّك قائد هذه السرية المصلحة.[١]

قريش تغيّر مسير تجارتها:

تعرضت سواحل البحر الاحمر للخطر من قبل عناصرالجيش الاسلامي وحلفائهم، ولم يعد من الممكن مواصلة التجارة وارسال القوافل التجارية عبرها.

من هنا تشاورت قريش فيما بينها، ودرست أوضاعها في ظل هذه المستجدات، واتفقت على أنه لوتركت التجارة لهلكت رؤوس أموالها وفنيت، وكان عليها أن تسلّم للمسلمين.

وان واصلت التجارة لم تحرز في هذا المجال نجاحاً مادامت الطريق غير آمنة، ومادام يمكن أن تتعرض أموالها للمصادرة على أيدي المسلمين كلما عثروا عليها.

فاقترح أحدهم التجارة إلى الشام عن طريق العراق فاستحسنوا رأيه جميعاً، وتهيّأت القافلة للحركة في الخط الجديد وتولّى أبو سفيان وصفوان بنفسيهما مهمة الاشراف على تلك القافلة وادارتها، واستخدما رجلاً من بني بكر يدعى «فرات ابن حيان» ليدلّهما على الطريق.

قال المقريزي في امتاع الاسماع: سمع رجل من المدينة (وهو سليط بن النعمان) بخبر خروج صفوان بن أمية في عيره وما معهم من الاموال فخرج من ساعته وأخبر النبيّ صلّى الله عليه وآله فأرسل زيد بن حارثة في مائة راكب فاصابوا العير، وأفلت أعيان القوم، فقدموا بالعير فخمّسها رسول الله صلّى الله عليه وآله فبلغ الخمس عشرين ألف درهم، وقسّم مابقي على أهل السريّة، وكان فيمن أُسِرَ فرات بن حيّان فأسلم[٢].

---

(١) المناقب: ج١ ص١٦٤، المغازي: ج١ ص١٩٤- ١٩٦.

(٢) إلامتاع الاسماع: ج١ ص١١٢.

٣٢
الدفاع عن الحرّية

غزوة أُحد أو الدفاع عن الحرّيةعند جبل أُحُد:

لم تكن السنة الهجرية الثالثة بأقل من السنة الثانية من حيث وقوع الحوادث والوقائع الملفتة للنظر فيها.

فاذا وقعت في السنة الثانية من الهجرة غزوة «بدر» فقد وقعت في السنة الثالثة منها غزوة «أُحد» وهما من أعظم معارك الاسلام وغزواته.

على أن غزوة «أُحد» لم تكن الغزوة الوحيدة التي وقعت في السنة الثالثة، بل وقعت أيضاً غزواتٌ أُخرى[1] الى جنب طائفة من السرايا، التي اخترنا منها سرية واحدة وغزوتين فقط.

١ ـ سرية محمّد بن مسلمة:

لقد وَصَل نبأ انتصار المسلمين في معركة «بدر» عن طريق رجلين من المسلمين.

ولم يكن الجيش الاسلاميُ الظافر قد وصل الى المدينة بعد، عندماانزعج «كعب بن الاشرف» ـ الذي كانت أُمه من يهود «بني النضير» وكان شاعراً قوياً، وخطيباً بارعاً ـ من الفتح الذي أصابه النبيّ صلّى الله عليه وآله والمسلمون في «بدر» فقال: والله لئِن كان محمّدٌ أصاب أشراف العرب وملوك الناس (ويعني سادة قريش وصناديدهم الذين قتلوا في بدر على أيدي المسلمين لبطنُ

(١) مثل غزوة بحران وغزوة حمراء الأسد.

الأرض خيرٌ من ظهرها!! وبدأ يبث الأكاذيب والشائعات في المدينة ومضى يشكك في انتصارات المسلمين في بدر.

وقد كان يسيء الى رسول الله صلّى الله عليه وآله في قصائده حتى قبل معركة «بدر» ويحرّض الناس على المسلمين.

ثم إنه لما تيقن الخبر خرج حتى قدم مكة وجعل يحرّض قريشا على رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد أنشد في هذا المجال أشعاراً يبكي فيها أصحاب القليب من قريش وقد ذكرتها المصادر التاريخية[١].

ثم رجع كعب هذا الى المدينة فشبّب[٢] بنساء المسلمين حتى آذاهم!!

ولاشك أنه بهذه المواقف المعادية كان من أظهر مصاديق المفسد في الارض، الأمر الذي آل إلى أن يقرّر رسول الله صلّى الله عليه وآله التخلص منه، وكفاية المسلمين شره، وقد أوكل هذه المهمة الصعبة الى «محمد بن مسلمة».

وقد خطّط «ابن مسلمة» للتخلص من «كعب» خطةً رائعةً، وألّف لتنفيذها فريقاً كان من بينهم «أبو نائلة» الأخ الرضاعي لكعب بن الأشرف، ليمكن من هذا الطريق التمويه على كعب وتنفيذ الخطة المذكورة.

فخرج أبو نائلة إلى كعب وجلسا يتحادثان، ويتبادلان الشعر.

ثم إن أبا نائلة قال لكعب ـ بعد ان طلب منه أن يُخرج كل من كان هناك من ذويه وأهله ـ: إني قد جئتك في حاجة إليك أُريد ذكرها لك فاكتم عني، وإني كرهت ان يسمع القوم كلامنا، فيظنون! لقد كان قدوم هذا الرجل (يعني رسول الله) علينا من البلاء، وحاربتْنا العرب، ورمتْنا عن قوسٍ واحدةٍ، وقطّعت السبل عنا حتى جهدت الانفس، وضاع العيال، أخذنا بالصدقة ولانجد ماناكل.

فقال كعب: قد والله كنتُ أُحدّثك بهذا يابن سلامة إن الامر سيصير الى ماأقول.

---

(١) المغازي: ج٢ ص١٢١-١٢٢.

(٢) راجع السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢.

١٣٤ ـــــــ

ثم عاد لمثلها فأخذ بفود رأسه وقال: إضربوا عدوّالله، فضربوه بسيوفهم، وطعنه أبو نائلة بخنجر في بطنه، وصاح صيحة ثم وقع على الارض ولم تنفعه استغاثاته.

ثم عاد هذا الفريق الفدائي إلى المدينة من فورهم ولما بلغوا «بقيع الغَرقد» كبّروا، وقد قام رسول الله صلّى الله عليه وآله تلك الليلة يصلّي، فلما سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله تكبيرهم بالبقيع كبّر، وعرف أنهم قد قتلوه.

وبهذا أعلنوا عن نجاح عمليّتهم الفدائية الجريئة التي أراحت رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه من شرّ ذلك المفسد الخطير الذي لم يفتأ عن إيذاء النبيّ صلّى الله عليه وآله وتناول أعراض المسلمين في أشعاره..[1].

إغتيال مفسد آخر:

وكان أبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي يظاهر كعب بن الاشرف على رسول الله صلّى الله عليه وآله ويقوم بنفس الدور الخبيث الذي كان يقوم به ابن الاشرف من الايذاء والازعاج للنبيّ صلّى الله عليه وآله والمسلمين. فقام فريق فدائي آخر من المسلمين باغتياله على غرار اغتيال صاحبه في عمليةٍ فدائيةٍ جسورةٍ على نحو ماورواه ابن الأثير في كتابه: الكامل في التاريخ بصورة مفصلة[2].

وقد كانت هاتان العمليتان وأُمور أُخرى من أسباب اندلاع معركة «أُحد».

وقد حان الأوان الآن أن نستعرض تفاصيل هذه الواقعة الكبرى!

قريش تتكفل نفقات الحرب:

كانت بذور الرغبة في الانتقام والثأر من المسلمين قد بُذِرَت في مكة من زمان وقد ساعدت خطة المنع من البكاء والنياحة على القتلى على اذكاء روح الانتقام هذه لدى قريش.

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٥١ - ٥٦، المغازي: ج١ ص١٨٤ - ١٩٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٠١.

١٣٦ ـــــــ

فقد استطاعوا بعد محاولات واسعةٍ أن يضمّوا إلى جيش قريش أبطالا وصناديد من بني كنانة وتهامة، فخرجت قريش وهم أربعة آلاف بمن انضم إلى صفوفهم من تلك القبائل[١].

وقد كان هذا هو عدد الرجال الذين شاركوا في هذه المعركة، ولو أضفنا اليهم عدد النساء اللواتي شاركن فيها لتجاوز العدد ماذكرناه.

على أنه لم يكن من عادة العرب أن يشركوا نساءهم في الغزو ويخرجوهن معهم إلى القتال، ولكن نساء مكة الوثنيات شاركن مع رجالهن في هذه المعركة على خلاف عادة العرب، وكان الهدف من أخذهن هو أن يحرّضن الرجال على القتال والصمود، ويمنعن المقاتلين من الفرار، ويذكّرن بقتلى بدر، ويشعلن الحماس في النفوس بدق الدفوف، وإنشاد الأشعار المثيرة للهمم والداعية إلى الثأر و لأن فرار الرجال كان يعني أن تقع النسوة في الأسر،وهوما كان يأباه العربي آنذاك . فتكون الغيرة والحمية على العرض سبباً للمقاومة والصمود.

كما أنه اشترك في هذه المعركة طائفة من العبيد والرقيق طمعاً في العتق الذي وعدوا به إن نصروا أسيادهم وقاتلوا بين أيديهم، وذلك مثل « وحشي» وكان غلاماً حبشياً لمطعم بن جبير يقذف بحربة له قذف الحبشة قلّما يخطئ بها فقال له سيده: أخرج مع الناس فإن نلتَ محمداً أو عليّاً أو حمزة فأنت عتيق[٢].

وعلى أية حال استطاعت قريشٌ أن تجهّز بعدجهد كبيرجيشاً كبيراًقوياًيتألف من سبعمائة دارع ،وثلا ثة آلاف فارس ،ومشاة كثيرين ،وقدخرجوابعدةوسلاح كثير.

الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبيّ:

فلما اجمعت قريش على المسير كتب العباس بن عبد المطلب[٣] كتاباً يضم

---

(١) اختلف علماء التفسير والتاريخ كعلي بن ابراهيم والشيخ الطبرسي في إعلام الورى، وابن هشام والواقدي في عدد المشركين والكفار في هذه المعركة، وما ذكرناه هو الاقرب الى الحقيقة.

(٢) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٩٦.

(٣) وكان العباس كما أسلفنا ممن أسلم وآمن برسول الله صلّى الله عليه وآله في مكة ولكنه ظلّ يكتم ←

١٣٨ ـــــــ

واستشار أبوسفيان أهل الرأي من قريش في ذلك فاستقبحوه وشجبوه بشدة وقالوا:

لوفعلنا ذلك نبشت بنو بكر وخزاعة (وهم أعداء قريش) موتانا[١].

وبعث النبيّ صلّى الله عليه وآله ليلة الخميس الخامس من شهر شوال، السنة الثالثة من الهجرة، «أنساً» و«مونساً» ابني «فضالة» لتجسس على قريش خارج المدينة، واخباره صلّى الله عليه وآله بتحركاتهم، فأخبرا رسول الله صلّى الله عليه وآله باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، وانهم قد سرحوا إبلهم وخيولهم ترعى في مراعي المدينة.

كما أخبر «الحُباب بن المنذر» هو الآخر باقتراب جيش المشركين إلى المدينة، وان طلائع ذلك الجيش قد استقر على مقربة من جبل أُحد، وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله قد بعث الحباب سراً وقال له: لاتخبرني بين أحد من المسلمين إلّا أن ترى قلة.

وبخبر الحباب تأكّد ماأخبر به ابنا فضالة.

وحيث إن المسلمين كانوا يخافون على رسول الله صلّى الله عليه وآله من العدو، أن يهاجموه ليلاً، لذلك باتت وجوه الأوس والخزرج (الانصار) ليلة الجمعة وعليهم السلاح في المسجد بباب النبيّ صلّى الله عليه وآله يحرسونه، وحرست المدينة تلك الليلة حتى أصبحوا.

منطقة «أُحد»:

كان الوادي الطويل الكبير الذي يصل طريق الشام التجارية باليمن يسمى آنذاك بـ«وادي القرى»، وكانت القبائل العربية من اليهود وغير اليهود تقطن في كل منطقة تتوفر فيها ظروف المعيشة ومستلزمات الحياة، ولهذا نشأت على طول هذا الخط «قرى» بسبب وجود مناطق خصبة فيه وقد سُوِّرَت بأسوار من الحجارة،

(١) المغازي: ج١ ص ٢٠٦.

١٤٠ ـــــــ

ولكن هل كان رسول الله صلّى الله عليه وآله نفسه يستفيد من هذه المشاورة؟ وينتفع بآرائهم ونظرياتهم، ومقترحاتهم، أم لا؟.

لقد أجاب علماء العقيدة ورواد علم الكلام الاسلامي من مختلف الطوائف على هذا السؤال في مؤلفاتهم ودراساتهم، وللقارئ الكريم إذا أراد الوقوف على الجواب أن يراجع تلكم المصنفات .

لكن الذي لايمكن انكاره في المقام هو: أن هذه المشاورات سيرة حية تركها رسول الله صلّى الله عليه وآله من بعده، ولقد كانت هذه السيرة مؤثرة جداً بحيث استخدم الخلفاء والأُمراء من بعده من أُسلوب التشاور والشورى، وكانوا يستفيدون على هذا الاساس من آراء الامام علي عليه السلام ونظرياته السامية في الأُمور العسكرية، والمشكلات الاجتماعية التي كانت تطرأ على حياة المسلمين.

المشاورات العسكرية:

لما سمع رسول الله صلّى الله عليه وآله باقتراب قريش الى المدينة وقف في تلك الشورى التي كانت جمعاً كبيراً من صناديد أصحابه، وقادة جيشه وجنوده وقال بصوتٍ عالٍ: «أشيروا عليّ».

وهو يطلب بذلك من اولئك الجنود والقادة أن يدلوا بآرائهم في كيفية مواجهة العدو، وطريقة الدفاع عن حوزة الاسلام وصرح التوحيد المهددة من قبل قريش والمتحالفين معهم من أحزاب الشرك ، وأتباع الوثنية.

فقام «عبدالله بن أُبي بن سلول» وكان من منافقي المدينة، وطرح فكرة التحصّن في داخل المدينة، والقتال فيها على غرار حرب الشوارع. وذلك بأن لايخرج المسلمون من المدينة بل يبقوا داخلها، ويستخدموا أبراجها وسطوحها لمقاتلة العدوّ ودفعه فترمي النساء العدوَّ بالأحجار من السطوح، ويقاتل الرجال أفراده في الشوارع والأزقة قائلاً: يا رسول الله كنا نقاتل في الجاهلية فيها، ونجعل النساء

(١) راجع الخطبة ١٣٤ من نهج البلاغة.

١٤٢ ـــــــ

و يجترى علينا العرب حولنا، حتى يطمعوا فينا إذا رأونا لم نخرج اليهم، فنذبهم عن جوارنا، وعسى الله أن يظفّرنا بهم، فتلك عادة الله عندنا، أو تكون الاخرى: الشهادة.

لقد أخطأتني وقعة بدر، وقد كنتُ عليها حريصاً، لقد بلغ من حرصي أن ساهمت[١] ابني على الخروج فخرج سهمه فرزق الشهادة، وقد كنتُ حريصاً على الشهادة وقد رأيت ابني البارحة في النوم في أحسن صورة يسرح في ثمار الجنة وأنهارها، وهو يقول: الحق بنا ترافقنا في الجنة، فقد وجدتُ ماوعدني ربي حقا.

وقد والله يا رسول الله أصبحت مشتاقاً الى مرافقته في الجنة، وقد كبرت سني ورقّ عظمي، وأحببتُ لقاء ربّي فادْعُ الله يارسول الله أن يرزقني الشهادة ومرافقة سعد في الجنة!!![٢].

إن هذا الذي ذكرناه ليس سوى نموذج واحد من مواقف كثيرة تجدها أيّها القارئ الكريم في صفحات التاريخ الاسلامي المشرقة فهناك الكثير من هؤلاء الفدائيين المخلصين الذين آلوا على أنفسهم أن يدافعوا عن حياض العقيدة وشرف الدين، ورُزقوا الشهادة في نهاية المطاف.

إن الايديولوجية التي لا تعتمد على أُسس الايمان بالله واليوم الآخر قلما تنتج جندياً فدائياً مخلصاً مثل خيثمة، ومن شاكله.

إن روح الفداء والتفاني والايثار بالنفس والتضحية بالغالي والرخيص، التي تدفع بالجندي إلى أن يطلب الشهادة في سبيل إعلاء كلمة الحق، وإعزاز التوحيد باصرار وشوق لا توجد إلّا في مدرسة الأنبياء والمرسلين، ولاتحصل الّا في ضوء تربيتهم.

واما في المجتمعات المادية كالمجتمعات الحاضرة التي تهتم أكبر اهتمام بتحسين أحوال العسكريين حيث إن الهدف من الحروب والمعارك لم يكن قط إلّا الحصول على وضع معيشي أفضل، فانّه لايهم الجنود فيها إلّا الحفاظ على أرواحهم وحياتهم

---

(١) اي اجريت القرعة بيني وبين ولدي.

(٢) المغازي: ج١ ص ٢١٢ و ٢١٣.

١٤٤ ـــــــ

وآله بيته ولبس لامته، وقد لبس الدرع فأظهرها وحزم وسطه بمنطقة من حمائل سيف من أُدم واعتم وتقلّد السيف، وخرج من بيته.

فأثار هذا المشهدُ المسلمين وهزهم بشدة وتصور بعضهم بأن إصرارهم على النبيّ صلّى الله عليه وآله بالخروج من المدينة لم يكن فيه للنبيّ رضا، وخشوا أنهم قد استكرهوه على هذا الأمر، فندموا على ذلك، وقالوا معتذرين: يارسول الله ما كان لنا أن نخالفك فاصنع مابدالك (أو: ماكان لنا أن نستكرهك والأمر الى الله ثم اليك).

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«مايَنْبَغي لِنَبِيّ إذا لَبِسَ لامَتَهُ أن يَضَعَها حَتّى يُقاتِلَ»[١].

النبيّ يخرجُ مِنَ المَدينة:

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالناس الجمعة وخرج على رأس مايزيد على ألف مقاتل قاصداً أُحُد، وذلك بعد أن قال لهم:

«أُنْظُروا إلى ماأمَرْتُكُمْ بِهِ فاتّبعُوهُ إمضُوا عَلى بركة الله فلكُم النصرُ ماصَبَرتُمْ»[٢].

وقد أجاز رسول الله صلّى الله عليه وآله يومئذ لمن لم يبلغوا الحلم بأن يخرجوا معه كسمرة ورافع وكان رامياً جيداً، ورد اسامة بن زيد وعبدالله بن عمر بن الخطّاب[٣].

ثم إن جماعة من اليهود كانوا متحالفين مع عبدالله بن ابي بن سلول قرّروا أن يشتركوا في هذه المعركة ويخرجوا مع المسلمين، ولكن النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يسمح بذلك لأسباب خاصةٍ.

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٣، المغازي: ج١ ص٢١٤، الطبقات الكبرى: ج٢ ص٣٨.

(٢) المغازي: ج١ ص ٢١٤.

(٣) السيرة النبوية: ج٢ ص٦٦.

١٤٦ ـــــــ

ماكان ليتوفر إلّا في ظلّ الدفاع عن صرخ التوحيد المقدس، ليس إلّا.

ولإثبات هذه الحقيقة نشير هنا الى قصة شيخ كبير السن، وشاب لم يمض من عرسه إلّا ليلة واحدة!!

١ ـ كان «عمرو بن الجموح» رجلاً شيخاً أعرج شديد العرج وقد أُصيب في رجله في حادثة. وكان له بنونٌ أربعةٌ مثل الأُسود، يشهدون مع رسول الله صلّى الله عليه وآله المشاهد، فلما كان يوم «أُحُد» أراد ان يخرج مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وقد أبت نفسه أن تفوته المشهادة، وأن يجلس في بيته ولايشترك مع رسول الله في تلك المعركة، وإن اشترك بنوه الأربعة فيها.

فأراد أهله وبنوه حبسَهُ وقالوا له: إنَّ اللهِ عزّوجل قد عذَرَك، ولم يقتنع بمقالتهم، وأتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: إنّ بنيّ يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك فيه، فوالله إنّي لأرجو أن أطأ بعرجتي هذه في الجنّة.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله له:

«أمّا أنتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللّهُ ولا جهادَ علَيْكَ»[1].

ثم قال صلّى الله عليه وآله لبنيه وقومه:

«لاعَلَيْكُمْ أن لا تَمْنَعُوه، لعلَّ الله يَرْزقَهُ الشهادَة».

فخلّوا عنه، وخرج وهو يقول: اللهمّ ارزقني الشهادة ولا تردني الى أهلي.

وقد كان موقف هذا المجاهد الأعرج من مشاهد معركة «أُحد» العظيمة، ومن قصصها الرائعة، فقد كان يحمل ـ وهو على ماهو عليه من العرج ـ على الاعداء ويقول: «أنا والله مشتاقٌ إلى الجنّة» وابنه يعدو في أثره حتّى قُتِلا جميعاً[2].

---

(١) لقول الله تعالى: «لَيْسَ عَلَى الْأَعْمى حَرَجٌ وَلاعَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاعَلَى الْمَريض حَرَجٌ» (الفتح: ١٧).

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص٩٠ و٩١، المغازي: ج١ ص٢٦٥.

١٤٨ ـــــــ

فأذن له رسول الله صلّى الله عليه وآله[١].

فبات حنظلة عند عروسته تلك الليلة ودخل بها، ولما اصبح خرج من فوره وتوجه إلى «أُحد» وهو جنب.

ولكنه حينما اراد أن يخرج من منزله بعثت امرأته الى أربعة نفر من الأنصار، واشهدت عليه أنه قد واقعها.

فقيل لها: لم فعلتِ ذلك؟

قالت: رأيت هذه الليلة في نومي كأنَّ السماء قد انفرجت فوقع فيها حنظلة، ثم انضمت فعلمت أنها الشهادة، فكرهت أن لاأُشهدَ عليه.

ولما حضر حنظلة القتال نظر إلى أبي سفيان على فرس يجول بين العسكر، فحمل عليه، فضرب عرقوب فرسه، فاكتسعت الفرس وسقط أبو سفيان إلى الأرض، وصاح: يامعشر قريش أنا أبو سفيان، وهذا حنظلة يريد قتلي، وعدا أبو سفيان، وجرى حنظلة في طلبه، فعرض له رجلٌ من المشركين فطعنه، فمشى الى ذلك المشرك فطعنه فضربه وقتله، وسقط حنظلة الى الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبدالله بن حزام وجماعة من الأنصار، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«رَأيتُ المَلائكَة تغَسِّلْ حنظلةَ بينَ السَماءِ والاَرْض بماءِ المزن في صحائفَ من ذهَب»[٢].

فكان يسمى غسيل الملائكة أو حنظلة الغسيل.

وكانت الأوس تعدّ حنظلة من مفاخرها فكانت تقول: «ومنا حنظلة غسيل الملائكة».

وكان أبو سفيان يقول: حنظلة بحنظلة ويقصد بالاوّل حنظلة غسيل الملائكة وبالثاني ابنه حنظلة الذي قتل يوم بدر[٣].

---

(١) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٥٧.

(٢) و(٣) أسدالغابة: ج٢ص٥٩و٦٠، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٥٧ وغيرهما.

١٥٠ ـــــــ

إنّ أمر النبيّ المؤكد والمشدّد للرماة بأن لايخلوا أماكنهم في الجبل حيث الثغرة المذكورة يكشف عن معرفته الكاملة بقواعد القتال وقوانين الحرب، وبما يصطلح عليه اليوم بالتكتيك العسكري.

بيد أن نبوغ القائد العسكري لايكفي وحده لإحراز الانتصار إذا كان الجنود يعانون من عدم الانضباطية، وعدم التقيد بأوامر القائد.

و لقد أشار القرآن الكريم إلى الترتيبات الميدانية التي قام بها رسول الله صلّى الله عليه وآله عند استقرار جنود الإسلام في أرض المعركة بأحد، وتعيينه لمكان كل قطعة من قطعات الجيش الإسلامي إذ قال: «وإذ غَدوتَ من أهلِكَ تُبَوئُ المؤمنينَ مَقاعِدَ لِلقِتالِ واللهُ سَمِيعٌ عَليمٌ»[1].

رفع معنويات الجنود وتقوية عزائمهم:

لم يكن النبيّ صلّى الله عليه وآله ليغفل في المعارك والحروب عن تقوية العنصر الروحي لدى الجنود، وما يصطلَح عليه الآن بالروح المعنوية، أو المعنويات العسكرية.

ففي هذه المرة أيضاً لما اصطفّ سبعمائة مقاتل مسلم أمام ثلاثة آلاف من المقاتلين المشركين المدججين بالسلاح، خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله في المسلمين خطبة رفع بها من معنويات المسلمين، وذلك بعد ان نظم صفوفهم وسوّاها.

فلقد كتب «الواقدي» المؤرخ الاسلامي الكبير في هذا الصدد مايلي:

جعل رسول الله صلّى الله عليه وآله الرماة خمسين رجلاً على «عَينين» عليهم «عبدالله بن جبير»، وجعل «أُحُداً» خلف ظهره، واستقبل المدينة، ثم جعل صلّى الله عليه وآله يمشي على رجليه يسوّي تلك الصفوف، ويبوّئ أصحابه

---

(١) مجمع البيان: ج٤ ص٤٩٥، الكشاف: ج١، ص٣٤٦-٣٤٧.

١٥٢ ـــــــ

فشقّ هذا الكلام على «طلحة بن أبي طلحة» وكان شجاعاً، وهو أولُ من حمل راية لقريش، فاندفع من فوره الى ساحة القتال، وطلب المبارزة، متحدياً بذلك أبا سفيان.

الإثارة النفسيّة و إلهاب الحماس:

قبل أن يبدأ القتال أخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله سيفاً بيده وقال: -وهو يثير بذلك همم جنوده-.

«من يأخذ هذا السيفَ بحقّه»؟ فقام اليه رجال، فأمسكه عنهم حتى قام إليه أبو دجانه الأنصاري، فقال: وما حقّه يارسول الله؟

قال: «أن تشرب به العدوّ حتى ينحني».

قال: أنا آخذه يا رسول الله بحقّه.

فأعطاه إياه، وكان أبو دجانه رجلاً شجاعاً، يختال عند الحرب اذا كانت، وكان اذا أعلم، أعلم بعصابة له حمراء، فاعتصب بها عُلِمَ أنه سيقاتل، فلما أخذ السيفَ من يد رسول الله صلّى الله عليه وآله أخرج عصابته تلك فعصّب بها رأسه، وجعل يتبختر بين الصفّين. فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «انها لمشية يبغضها الله إلّا في هذا الموطن»[1].

حقا إن مثل هذه الاثارة النفسية، وهذا التحريك القويّ للهمم أمرٌ ضروريٌ لجيش يقاتل دفاعاً عن الحق والقيم، ولايدفعه إلى ذلك سوى العقيدة، وحب الكمال.

إنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يهدف بعمله إثارة أبي دجانة وحده، بل كان صلّى الله عليه وآله يهدف بذلك إثارة الآخرين، وإفهامهم بأن عليهم أن يبلغوا في الشجاعة والبطولة، والجرأة والإقدام هذا المبلغ.

يقول «الزبير بن العوّام» وهو كذلك رجلٌ شجاع: وَجدت في نفسي حين

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٦٦ و ٦٧.

١٥٤ ـــــــ

قالوا: فلاأنعم الله بك عيناً يافاسق. فلما سمع ردّ الأوس تركهم، واعتزل الحرب بعد قليل[١].

ثم إن هناك مواقف وتضحيات عظيمة قام بها رجال معدودون في معركة أُحُد معروفة بين المؤرخين، أبرزها، وأجدرها بالاجلال تضحيات علي عليه السلام ومواقفه الكبرى في ذلك اليوم.

فهو صاحب اللواء والراية في هذه الموقعة الكبرى.

قال الشيخ المفيد في الارشاد: تلت بدراً غزاةُ أُحد وكانت راية رسول الله صلّى الله عليه وآله بيد أميرالمؤمنين عليه السلام فيها ومما يدل على ذلك مارواه يحيى بن عمارة قال: حدثني الحسن بن موسى بن رباح مولى الانصار قال حدثني أبو البختري القرشي، قال: كانت راية قريش ولواؤها جميعاً بيد قصى ثم لم تزل الراية في يد ولد عبدالمطلب يحملها منهم من حضر ا لحرب حتى بعث الله رسوله صلّى الله عليه وآله فصارت راية قريش وغيرها الى النبيّ صلّى الله عليه وآله، فأقرها في بني هاشم فأعطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام في غزاة ودان وهي أول غزاة حمل فيها راية في الاسلام مع النبيّ ثم لم تزل معه في المشاهد ببدر وهي البطشة الكبرى في يوم أُحد وكان اللواء يومئذ في بني عبدالدار فاعطاه رسول الله صلّى الله عليه وآله مصعب بن عمير فاستشهد ووقع اللواء من يده فتشوفته القبائل فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله فدفعه إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فجمع له يومئذ الراية واللواء[٢].

وقد ورد عن ابن عباس مايؤيد ذلك فقد روى أنه قال: لعلي أربع خصال ليس لأحد من العرب غيره (هو) أول عربي وعجمي صلّى مع النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف...[٣].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٦٧. (٢) الارشاد: ص٤٣، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٨٠.

(٣) ترجمة الامام علي بن أبي طالب من تاريخ مدينة دمشق المعروف بتاريخ ابن عساكر: ج١ ص١٤٢.

١٥٦ ـــــــ

أجل ان قريشاً كانت قد ادخرت لحمل الراية تسعة رجال من شجعان بني الدار وقد قتلوا جميعاً على يد الامام علي عليه السلام على التوالي فبرز غلامهم وقتل هو أيضاً[١].

المقاتلون بدافع الشهوة!!

من الأبيات التي كانت تتغنى بها «هند بنت عتبة» زوجة أبي سفيان ومن كان معها من النساء في تحريض رجال قريش وحثهم على القتال واراقة الدماء والمقاومة، ويضربن معها الدفوف والطبول يتبين ان تلك الفئة لم تكن تقاتل من أجل القيم الرفيعة كالطهر والحرية، والخلق الانساني بل كانت تقاتل بدافع الشهوة الجنسية ومن أجل الوصول إلى المآرب الرخيصة.

فقد كانت الأغاني والأبيات التي ترددها تلك النساء اللائي كنَّ يضربن بالدفوف خلف الرجال على نحو خاص هي:

نحن بناتُ طارقْ نمشي على النمارق

إن تقبلوا نُعانِقْ أو تدبروا نفارقْ

ولاشك أن الفئة التي تقاتل من أجل الشهوات، ويكون دافعها الى الحرب والقتال هو الجنس واللذة، وبالتالي لاتهدف سوى الوصول إلى المآرب الرخيصة فان حالها تختلف إختلافاً بيّناً وكبيراً عن حال الفئة التي تقاتل من أجل هدف مقدس كاقرار الحرية، ورفع مستوى الفكر، وتحرير البشرية من براثن الجهل وأسر الخضوع للاوثان.

ولاشك أن لكل واحدة من تلك الدوافع آثارها المناسبة في روح المقاتل وسلوكه.

ولهذا لم يمض زمان طويل إلّا ووضعت قريش أسلحتها على الارض وولّت هاربة من أرض المعركة بعد أن أُصيبت باصابات قوية بفضل صمود وتضحيات رجال مؤمنين شجعان كعليّ وحمزة وأبي دجانة والزبير و... مخلِّفة وراءها غنائم

---

(١) وقد ذكر المجلسي قصة مصرع هؤلاء في البحار: ج٢٠ ص٨١-٨٢.

١٥٨ ـــــــ

غنائم وأموالاً كثيرة، وقد تبعهم بعض رجال المسلمين ممن بايع رسول الله صلّى الله عليه وآله على بذل النفس في سبيل الله ومضوا يضعون السلاح فيهم حتى أجهضوهم عن العسكر أما أكثر المسلمين فقد وقعوا ينتهبون العسكر ويجمعون الغنائم تاركين ملاحقة العدو وقد اغمدوا السيوف، ونزلوا عن الخيول ظناً بأن الأمر قد انتهى.

فلما رأى الرماة المسؤولون عن مراقبة الشِعب ذلك قالوا لأنفسهم: وَلِمَ نقيمُ هنا من غير شيء وقد هزَم الله العدوّ فلْنذهَبْ ونغنم مع إخواننا.

فقال لهم أميرهم (عبدالله بن جبير): ألَم تعلموا أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لكم: إحموا ظهورَنا فلا تبرحوا مكانكم، وإن رأيتمونا نُقتل فلا تنصرونا، وإن رأيتمونا غنِمنا فلا تشركونا إحموا ظهورنا؟

ولكن أكثر الرماة خالفوا أمر قائدهم هذا وقالوا: لم يرد رسول الله هذا، وقد أذلّ الله المشركين وهزَمهم.

ولهذا نزل أربعون رجلاً من الرماة من الجبل ودخلوا في عسكر المشركين ينتهبون مع غيرهم من المسلمين الاموال وقد تركوا موضعهم الاستراتيجي في الجبل، ولم يبق مع عبدالله بن جبير إلّا عشرة رجال!!

وهنا استغل «خالد بن الوليد» الذي كان مقاتلاً شجاعاً، قلّة الرماة في ثغرة الجبل، وكان قد حاول مراراً أن يتسلل منها ولكنه كان يقابلُ في كل مرة نبال الرماة، فحمل بمن معه من الرجال على الرماة في حملة التفافيّة وبعد أن قاتل من بقي عند الثغرة وقتلهم بأجمعهم انحدر من الجبل وهاجم المسلمين الذين كانوا منشغلين بجمع الغنائم، وغافلين عما جرى فوق الجبل، ووقعوا في المسلمين ضرباً بالسيوف وطعناً بالرماح، ورمياً بالنبال، ورضخاً بالحجارة، وهم يصيحون تقويةً لجنود المشركين.

فتفرقت جموع المسلمين، وعادت فلولُ قريش تساعد خالداً وجماعته، وأحاطوا جميعاً بالمسلمين من الأمام والخلف، وجعل المسلمون يقاتلون حتى قُتِل منهم سبعون رجلاً.

إن هذه النكسة تعود إلى مخالفة الرماة لأوامر النبيّ صلّى الله عليه وآله تحت تأثير المطامع المادية وتركهم ذلك المكان الاستراتيجي عسكرياً والذي اهتم به القائد الاعلى صلّى الله عليه وآله، وأكد بشدة على المحافظة عليه، ودفع أيّ

١٦٠ ـــــــ

قُتِلَ محمّد، ألا قد قُتِلَ محمّد.

ولقد زاد هذا الخبر الكاذب من جرأة العدوّ فتحركت جحافله وأفراده نحو المسلمين يسعى كل واحد منهم أن يقتطع من جسم رسول الله صلّى الله عليه وآله عضواً، وبذلك ينال فخراً في أوساط المشركين!!

وبقدر ماترك هذا الخبر الكاذب من أثر ايجابي في نفوس المشركين، تركَ أثراً سيئاً جداً في نفوس المسلمين، وأضعف معنوياتهم بشدة بحيث تخلّى عددٌ كبيرٌ من المسلمين عن القتال، ولجأوا إلى الجبل فراراً بأنفسهم، ولم يثبت الّا عددٌ قليل لايتجاوز أصابع اليد من الرجال.

هل يمكن أن ينكر أحدٌ فرار البعض؟

لايمكن أبداً أن ينكر أحدٌ فرار أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله إلّا من يعدّون بالاصابع في تلك المعركة، ولايمنع كونهم صحابة، أو كونهم أصبحوا في مابعد ذوي مكانة أو مناصب في المجتمع الإسلامي في مابعد، من القبول بهذه الحقيقة التاريخية المرّة.

فهذا هو ابن هشام المؤرخ الاسلامي الكبير يكتب في هذا الصدد قائلاً: إنتهى أنس بن النضر عمُّ أنس بن مالك إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بايديهم[1] فقال: مايجلسكم؟ (اي مايقعدكم عن القتال والمقاومة).

قالوا: قُتِلَ رسول الله صلّى الله عليه وآله.

قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على مامات عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ثم عاد الى المشركين فقاتلهم حتى قُتِلَ.

أو قال: حسب رواية كثير من المؤرخين:- ان كان محمد قد قُتِلَ فان ربَ محمّد لم يُقتَل، وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله فقاتِلوا على

---

(١) اي استسلموا.

١٦٢ ـــــــ

المجال بالتمعن في آيات من سورة آل عمران[١].

فهذه الآيات تكشف بصورة كاملة عن عقيدة الشيعة حول أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فان الشيعة تعتقد بأنه لم يكن جميع صحابة النبيّ صلّى الله عليه وآله أوفياء لعقيدة التوحيد، متفانين في سبيله، بل كان منهم الضعيف في ايمانه والمنافق، والمتردد، ومع ذلك لم يكن المؤمنون الأتقياء والصالحون الأبرار قلة أيضاً.

ومن العجيب والمؤسف أن يسعى بعض الكُتاب من أهل السنة اليوم إلى التغطية على كثيرٍ من المواقف والاعمال المشينة التي بدرت من بعض الصحابة كالذي مرّ عليك في معركة أُحد، ويحاول تجاوزها بنوع من التبرير البعيد عن روح الحقيقة كمحاولة للمحافظة على شأن جميع الصحابة، ومكانتهم على حين أن هذه التبريرات الفجة، وهذا التعصب اللامنطقي لايمكنها أن تمنع من رؤية الحقيقة كما هي.

فأي كاتب يستطيع إنكار مفاد هذه الآية التي تصرح قائلة:

«إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلى اَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ في أُخْراكُمْ»[٢].

إن هذه الآية تقصدُ اولئِكَ الّذين رآهم أنس بن النضر، ومن شابَهَهُم من الذين تركوا ساحة المعركة، ولجأوا إلى الجبل، وجلسوا يفكّرون في نجاة أنفسهم!!

والأوضح من الآية السابقة قولُ الله تعالى:

«إِنَّ الّذينَ تَوَلَّوا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقى الْجَمْعانِ إِنّما اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطانُ بِبَعْضِ ما كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفا اللّهُ عَنْهُمْ إِنّ اللّه غَفُورٌ حَليمٌ»[٣].

إن الله تعالى يعاتب ويوبّخ الّذين تذرّعوا ـ لفرارهم من المعركة ـ بنبأ مقتل رسول الله صلّى الله عليه وآله على يد العدوّ، وراحوا يفكرون في الحصول على أمان من أبي سفيان بواسطة عبدالله بن أُبي اذ يقول:

«وَما مُحَمَّدٌ إِلّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْقُتِلَ انْقَلَبْتُم عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّه شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّه الشاكِرينَ»[٤]

---

(١) الآيات: ١٢١ ـ ١٨٠. (٢) آل عمران: ١٥٣. (٣) و(٤) آل عمران: ١٥٥ و ١٤٤.

١٦٤ ـــــــ

بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله)

فقلت: ويجوز أن لايكون عنهما لعله عن غيرهما.

قال: ليس في الصحابة من يُحتشَم من ذكره بالفرار، وما شابهه من العيب، فيضطرّ القائلُ إلى الكناية إلّا هما.

قلت له: هذا ممنوع.

فقال: دعنا من جَدَلك ومَنعكَ، ثم حَلَفَ أنه ماعنى الواقديُ غيرهما، وأنه لوكان غيرُهما لذكرهما صريحاً[١].

كما أنّ العلّامة ابن أبي الحديد ذكر في شرحه لنهج البلاغة أيضاً اتفاقَ الرواة كافة على أن عثمان لم يثبت في تلك اللحظات الحساسة يوم أُحُد[٢].

وستقرأ في الصفحات القادمة ماقاله رسول الله صلّى الله عليه وآله عن امرأةٍ مجاهدةٍ متفانية في سبيل الرسالة الاسلامية تدعى «نسيبة المازنية» دافعت عن رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم أُحُد.

فقد لمّح رسول الله صلّى الله عليه وآله في كلامه عنها وعن موقفها العظيم يومذاك ، إلى مايقلّل من شأن الذين فرّوا من المعركة.

نحن لانريد هنا الاساءة إلى أيّ واحد من صحابة النبيّ صلّى الله عليه وآله، بل غاية مانتوخّاه هو الكشف عن الحقيقة، وإماطة اللثام عن الواقع، فبقدر مانستنكر، ونقبّح فرار من فرّ، نكبر صمود من صمد وثبات من ثبت ممن سنأتي على ذكرهم في الصفحات القادمة، وهذا هو ماتمليه علينا روح التحليل الصادق أو تقتضية أمانة النقل، وما يسمى بالامانة التاريخية على الأقل.

خمسة يتحالفون على قتل النبيّ:

في تلك اللحظات التي تشتت فيها جيش المسلمين، وانفرط عقده، وفي الوقت الذي تركزت فيه أن حملات المشركين من كل ناحية على رسول الله صلّى

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ج١٥ ص ٢٣ و٢٤. (٢)المغازي: ج١ ص ٢٧٨ و٢٧٩.

١٦٦ ـــــــ

اليس قال: (أي النبيّ يومَ كان بمكة) أنا أقتلُكَ إن شاء الله، قتلني والله محمّدٌ!!

وقد فعلت الطعنة، وكذا خوفه فعلتهما فمات في منطقة تدعى سرف (وهو موضع على ستة أميال من مكة) فيما كانت قريش قافلةً من أُحد الى مكة[١].

حقاً إن هذا ينمّ عن منتهى الدناءة والخسة في خُلُق قريش وموقفها، فمع أنها كانت تعرف صدق رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعترف به، وتنكرُ أن يكون قد صَدَرَ منه كِذبٌ في قول، أو خُلف في وعد، كانت تعاديه أشدّ العِداء، وتمدّ نحوه يَدَ العدوان، و تبغي مصرعه، وتسعى إلى اراقة دمه!!

كما أنه من جهة أُخرى يدل على شجاعة رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله وبطولته ومقدرته الروحية الكبرى، من ناحية أُخرى، وثباته في عمله من ناحية ثالثة.

أجل لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يدافع عن رسالته السماوية، وعن حياض عقيدته التوحيدية العظمى، ويصمد لاعداء صمودَ الجبال الرواسخ مع أنه ربما دنا من الموت وكان منه قاب قوسين أو أدنى.

ومع أنه كان صلّى الله عليه وآله يرى أن كل همّ المشركين وكل حملاتهم موجهة نحوه بشخصه، إلّا أنه لم يشهد أحد منه أي قول أو فعل يشعر بتوجسه واضطرابه، ولقد صرح المؤرخون بهذا الأمر فقد كتب المقريزي ونادى المشركون بشعارهم [يااللعزى، يالهُبَل] فارجعوا في المسلمين قتلاً ذريعاً، ونالوا من رسول الله صلّى الله عليه وآله مانالوا. ولم يزل صلّى الله عليه وآله شبراً واحداً بل وقف في وجه العدو، وأصحابه تثوب إليه مرة طائفة وتتفرق عنه مرة، وهو يرمي عن قوسه أو بحجر حتى تحاجزوا[٢].

نعم غاية ماسمع من صلّى الله عليه وآله هو ماقاله عندما كان يمسح الدم

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٨٤، المغازي: ج١ ص٢٥١.

(٢) امتاع الاسماع: ج١ص١٣١، المغازى: ج٢ص٢٤٠.

١٦٨ ـــــــ

الدفاع الموفق أو النصر المجدّد:

لوأننا أسمينا هذه المرحلة من تاريخ الاسلام بمرحلة النصر المجدّد لما قلنا جزافاً، فان المقصود من هذا الانتصار هو أن المسلمين استطاعوا ـ وخلافاً لتوقعات العدو الحاقد ـ أن يصونوا رسول الله صلّى الله عليه وآله من خطر الموت الذي كاد أن يكون محققاً، وهذا هو انتصار مجدّد أصابه جند الاسلام.

أما اذا عزونا هذا الانتصار إلى جيش الاسلام برمّته فان ذلك انما هو لأجل تعظيم مقام المجاهدين المسلمين، وإلّا فان ثقل هذا الانتصار العظيم وقع على عاتقِ عدد معدود جداً من رجال الاسلام الذين صانوا حياة الرسول الاكرم عن طريق المخاطرة بحياتهم، وتعريضها للخطر الجدي.

وفي الحقيقة فإنّ بقاء الدولة الاسلامية، وبقاء جذوة هذا الدين المبارك مشتعلةً إنما هو نتيجة تضحيات تلكم القلة القليلة المتفانية في سبيل الله ورسوله.

واليك فيمايلي استعراضاً إجمالياً لتضحيات اولئك الرجال المتفانين في سبيل العقيدة والدين:

١ ـ إن أول وأبرز الرجال الصامدين الثابتين على طريق الجهاد والتضحية في هذه الواقعة هو شاب بطل لم يتجاوز ربيعه السادس والعشرين من عمره...، هو الذي رافق رسول الله صلى الله عليه وآله من سني صغره و بدايات حياته وحتى لحظة وفاة الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله.

إن بطل الاسلام الاكبر وان ذلك الفدائي الواقعي هوالامام «عليّ بن أبي طالب» عليه السلام الذي تحفظ ذاكرة التاريخ الاسلامي عنه الكثير الكثير من مواقف التضحية والفداء في سبيل نشرالاسلام والدفاع عن حوزة التوحيد، وارساء دعائمه.

وفي الاساس ان هذا الانتصار المجدَّد ـ على غرار الانتصار الأول ـ إنما جاء نتيجةً لبسالة وبطولة هذا المجاهد المتفاني في سبيل الاسلام ذلك لأن السبب الجوهري في هزيمة قريش وفرارها في بداية المعركة كان هو سقوط لوائها بعد

١٧٠ ـــــــ

كنانة فيها بنو سفيان بن عويف، وهم خالد بن ثعلب وأبو الشعثاء بن سفيان وأبو الحمراء بن سفيان وغراب بن سفيان، وانها لتقارب خمسين فارساً وهو (أي علي عليه السلام) راجلٌ، فما زال يضربها بالسيف تتفرق عنه، ثم تجتمع عليه هكذا مراراً حتى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة وتمام العشرة منهاممن لايعرف اسماؤهم.

ثم نقل ماقاله جبرئيل، ثم كتب يقول: قلت وقدروى هذا الخبر جماعةٌ من المحدثين وهو من الاخبار المشهورة وقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمد بن اسحاق ورايت بعضها خالياً عنها، وسألت شيخي عبدالوهاب بن سكينة عن هذا الخبر، فقال: خبرٌ صحيحٌ.

فقلت له: فما بال الصحاح (أي مثل صحيح البخاري ومسلم وما شاكلهما) لم تشتمل عليه؟

قال: أوَ كلُّ ماكان صحيحاً تشتمل عليه كتب الصحاح؟ كم قدأهمل جامعو الصحاح من الأخبار الصحيحة؟![1].

٢ ـ ولقد اشار الامام علي عليه السلام نفسُه في كلام مفصل له مع رأس اليهود إلى هذا الموقف اذ قال:

«ذَهَب النبيّ صلّى الله عليه وآله وعسكرَ بأصحابه في سد أُحد واقبل المشركون الينا فحملوا علينا حملة رجلٍ واحدٍ واستشهد من المسلمين من استشهد، وكان ممّن بقي من الهزيمة، وبقيت مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ومضى المهاجرون والانصار الى منازلهم من المدينة كلٌّ يقول قتل النبيّ صلّى الله عليه وآله وقتل أصحابه، ثم ضرب الله عزّوجلّ وجوه المشركين، وقد جرحت بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله نيفاً وسبعين جراحة، منها هذه، وهذه».

ثم انه عليه السلام ألقى رداءه، وأمرَّ يده على جراحاته، وقال:

«وكان منّي في ذلك ماعلى الله عزّوجلّ ثوابُه إن شاء الله»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ١٤ ص ٢٥٠ و٢٥١.

(٢) الخصال: ص ٣٦٨.

١٧٢ ـــــــ

جعل من نفسه ترساً يقي النبيّ صلّى الله عليه وآله من سيوف الكفار ورماحهم، وسهامهم وأحجارهم، وقد وقعت سهام كثيرة في ظهره ولكنه ظل مترساً بجسمه دون النبيّ، وبذلك حافظ على حياته الشريفة[١].

وقد جاء أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال له يوم «أُحُد» بعد ان فرّ وانهزم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وحاصره الكفار من كل جانب يا أبا دجانة أما ترى قومك، قال: بلى، قال:

«إلحق بقومك وأنتَ في حلٍ من بيعتي، أمّا عليٌّ فهو أنا وأنا هو».

فبكى أبو دجانة بكاءً مراً وقال:

لاوالله، لاجعلت نفسي في حلٍ من بيعتي إني بايعتك، فالى من أنصرفُ يا رسول الله الى زوجة تموتُ، أو ولد يموتُ، او دارٍ تخربُ، او مالٍ يفنى، أو أجل قد اقتربَ؟

فرقّ له النبيّ صلّى الله عليه وآله فلم يزل يقاتلُ حتى اثخنتهُ الجراحةَ وهو في وجه و«عليٌّ» في وجه، فلما سقط احتمله عليٌّ عليه السلام فجاء به إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فوضعه عنده فقال: يا رسول الله أوفيت ببيعتي؟ قال: نعم[٢].

وقد ذُكر في كتب التاريخ أشخاصٌ آخرون كعاصم بن ثابت، وسهل بن حنيف، وطلحة بن عبيدالله، وغيرهم ممن يبلغ -حسب بعض الكتب- ٣٦ شخصاً ادُعي أنهم ثبتوا ولم يفروا، إلّا أنّ ماهو مسلم به تاريخيا هو ثبات علي عليه السلام وأبي دجانة، وحمزة وامرأة تدعى أُم عامر، وأما ثبات غير هؤلاء الأربعة فامرٌ مظنونٌ بل ومشكوكٌ في بعضهم.

٣ - **حمزةُ بنُ عبدالمطلب**، عمُّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان من شجعان العرب ومن المعروفين ببطولا ته في الاسلام، وهو الذي أصرّ على أن

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٨٢.

(٢) بحارالأنوار: ج ٢٠ ص ١٠٧ و١٠٨ عن روضة الكافي: ص٣١٨- ٣٢٢.

١٧٤ ـــــــ

فلما قدمتُ الى مكة أُعتقت ثم اقمتُ حتى إذا افتتح رسول الله صلّى الله عليه وآله مكة هربت الى الطائف فمكثتُ بها. فلما خرج وفدُ الطائف إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ليُسلِمُوا تعيّت عليّ المذاهب، فقلتُ: ألحق بالشام أو اليمن، أو ببعض البلاد، فوالله إني لفي ذلك مِن همّي إذ قال لي رجُلٌ: ويحَكَ إنه والله مايقتل أحداً من الناس دَخَلَ في دينه، وتشهَّد شهادته.

فلما قال لي ذلك، خرجتُ حتى قدمتُ على رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينةَ، فلم يَرُعْهُ إلّا بي قائماً على رأسه أتشهّد بشهادة الحق، فلمّا رآني قال: أوحشي؟!

قلت: نعم يا رسول الله.

قال: أُقعد فحدثّني كيفَ قتلتَ حمزةَ، فحدثتُه بما جرى له معه، فلما فرغتُ من حديثي قال: ويحك! غَيّب عني وجهَكَ فلاأرَيَنَّكَ.

أجل هذه هي الروحُ النبويّة الكبرى، وتلك هي سعة الصدر التي وهبها الله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وآله قائد الاسلام الأعلى، ومعلم البشرية الاكبر، تراه عفى عن قاتل عمه، مع أنّه كان في مقدوره أن يعدمه بمائة حجة وحجة!!

يقول وحشي: فكنتُ أتنكَّبُ رسول الله صلّى الله عليه وآله حيث كانَ لئلّا يراني، حتى قبضه الله صلّى الله عليه وآله.

فلما خرج المسلمون الى قتال مسيلمة الكذاب خرجتُ معهم، وأخذتُ حربتي التي قتلتُ بها حمزةَ، فلمّا التقى الناسُ رايتُ مسيلمةَ الكذاب قائماً في يده السيفُ، وما أعرفُه، فتهيأتُ له، وتهيّأ له رجل من الأنصار من الناحيةِ الأُخرى، كلانا يريدُه فَهزرتُ حربتي حتى إذا رضيتُ منها دفعتها إليه، فوقعت فيه، وشد عليه الأنصاريُ فضربَهُ بالسيف.

هذا هو ماادّعاه وحشي، بيد أنَّ هشام قال في سيرته: بلغني أن وحشياً لم يزل يُحدّ في الخمر حتى خُلِعَ من الديوان فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمتُ أنَّ الله تعالى لم يكن ليدعَ قاتل حمزة[1].

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ١٧٢ و١٧٣.

١٧٦ ـــــــ

محمد، لانجوتُ إن نجا. فاعترض له مصعبٌ بن عمير وناس معه، فكنتُ فيهم فضربني هذه الضربة، ولقد ضربتُه على ذاك ضربات، ولكنَّ عدوَّ الله كان عليه درعان. هذا والنبيّ صلّى الله عليه وآله ينظر اليّ، فنظر الى جرحٍ على عاتقي، فصاح بأحد اولادي وقال: «اُمَّكَ اُمّكَ إعصبْ جُرْحها». فعاونني عليه.

ثم إنها رأت أن ابنها جرح فاقبلت إليه ومعها عصائب في حقوها قد أعدّتها للجراح فربطت جرحه والنبيّ صلّى الله عليه وآله ينظر، ثم قالت لولدها: إنهضْ يابني فضاربِ القومَ.

فأعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله باستقامتها وثباتها وايمانها وقال:

«وَمَنْ يُطيقُ ماتُطيقينَ ياأُمّ عمارة»؟!

وفي الأثناء اقبل الرجل الذي ضرب ولدَها فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا ضارب ابنك فاعترضت له، وحملت عليه كالأسد المغضب وضربت ساقه فبرك.

فازداد رسول الله صلّى الله عليه وآله إعجاباً بشجاعتها وتبسّم حتى بدت نواجذه وقال:

«استقدتِ ياأُمَّ عمارة الحمدلله الذي ظفّرك وأقرّ عينكِ من عدوّك».

وعندما نادى منادي النبيّ صلّى الله عليه وآله الى حمراء الأسد، بعد معركة أُحُد، وطلب من الجرحى أن يخرجوا لملاحقه جيش المشركين، شدّت عليها ثيابها و قد كان بها جراح عديدة أعظمها الجرح الذي على عاتقها فما استطاعت بسبب نزف الدم، فأرادت أن تخرج مع العسكر منعتها جراحها الباهضة من ذلك، فلما رجع رسول الله صلّى الله عليه وآله من غزوة حمراء الاسد ماوصل الى بيته حتى أرسل اليها عبدَالله بن كعب المازني يسأل عنها فرجع إليه يخبره بسلامتها، فسُرّ النبيّ بذلك.

ولقد أثار موقف هذه المرأة البطلة الثابتة على درب الايمان سرور النبيّ واعجابه فقال في حقها مشيداً بموقفها البطل ومعرضاً بفرار من فرّ وهروب من هرب في معركة أُحد:

١٧٨ ـــــــ

اعقابها بفضل ثبات علي عليه السلام وأبي دجانة وأنفارٍ آخرين (احتمالاً) وقد رأى النبيّ صلّى الله عليه وآله أن من الصالح في تلك اللحظات أن لاينتشر تكذيبُ شائعة مقتل النبيّ صلّى الله عليه وآله لكي لايصرّ العدوُ على البقاء في أرض المعركة مع ماكان عليه المسلمون من التشتت والتفرق، والمحنة، ومن هنا صعد هو وبعض أصحابه إلى الشعب في جبل أُحُد.

وفي خلال ذلك سقط رسول الله صلّى الله عليه وآله في حفيرة في الجبل حفرها أبو عمار الفاسق للمسلمين، فأخذ علي عليه السلام بيد النبيّ صلّى الله عليه وآله وأخرجه منها، وكان أوّل من عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله من المسلمين، «كعب بن مالك» وقد رأى عينيه صلّى الله عليه وآله تزهران من تحت المغفر فنادى بأعلى صوته: يامعشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله صلّى الله عليه وآله فأشار اليه رسول الله صلّى الله عليه وآله أن أنصت.

وذلك لأن انتشار خبر سلامة النبيّ صلّى الله عليه وآله كان من شأنه أن يدفع المشركين ـ كما قلنا ـ الى مواصلة حملاتهم على المسلمين، بهدف استئصال شأفتهم ولهذا أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله كعباً بالسكوت، فسكت كعب[1].

وأخيراً وصل رسول الله صلّى الله عليه وآله الى فم الشِعب، ولما عرف المسلمون بحياته صلّى الله عليه وآله سروا بذلك وأخذوا يتجمّعون عنده، وهم يُظهرون الندامة من تركه بين الاعداء، والفرار بأنفسهم الى الجبل، وأخرج أبو عبيدة الجرّاح حلقتي المغفر من وجه رسول الله صلّى الله عليه وآله وجاء علي عليه السلام بماءٍ في درقته فغسل رسول الله صلّى الله عليه وآله به الدمَ عن وجهه وصبّ منه على رأسه وقال:

«اشْتَدّ غضَبُ الله على مَنْ دَمّى وجهَ نَبيّهِ»[1].

العدوُّ يحاول استغلال الفرصة:

في الوقت الذي واجه المسلمون فيه هزيمة كبرى انهارت بها الكثير من

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٨٣.

١٨٠ ـــــــ

فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله بأن ينادي المسلمون بشعار مضاد لشعار أبي سفيان، مشابه له في الوزن والسجع فقال: قولوا:

«الله مولانا ولا مولى لكم».

أي اذا كنتم تعتمدون على صنم مصنوع من الحجر والخشب، فاننا نعتمد على الله الخالق، القادر والعلي الاعلى.

فنادى منادي الشرك ثالثاً: يَومٌ بيومِ بدر. فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بان يجيبه المسلمون.

«لاسَواء قتلانا في الجنة، وقتلاكُم في النار».

فكان لشعارات المسلمين القوية الرادعة التي كان يرددها المئات، أثرها العجيب في نفس رأس الشرك أبي سفيان الذي بدأ هذه الحملة النفسية والحرب الباردة بغية تحطيم ايمان المسلمين، ورأى كيف ارتد كيده إلى نحره ولهذا انزعج بشدة وقال: ألا إن موعدَكم بدر للعام القابل.

ثم انصرف إلى أصحابه، وغادروا جميعاً أرض المعركة راجعين إلى مكة[1].

وكان على المسلمين الآن ـ وفيهم مئات الجرحى والمصابين وسبعون قتيلاً ـ أن يُصَلّوا الظهرَ والعصر فصلى بهم رسول الله صلّى الله عليه وآله جلوساً، وصلّوا معه جلوساً، لما أصابهم من الضعف، ثم أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بدفن الشهداء، ومواراتهم الثرى عند جبل أُحد.

نهاية المعركة:

وَضَعت الحرب أوزارها، وتباعد الجانبان، وقد تحمّل المسلمون من الخسائر في الارواح ثلاثة أضعاف ماتحمّله المشركون. وكان عليهم أن يبادروا إلى دفن الشهداء على النحو الذي أمرهم به الدين.

ولكنهم فُوجئوا بأمر فضيع، فقد اغتنمت نسوة من قريش وفي طليعتهن هند

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٩٤.

١٨٢ ـــــــ

ولم يمض زمان حتى نزل جبرئيل بقوله تعالى:

«وَ إِنْ عاقَبْتُمْ فَعاقِبُوا بِمثلِ ماعُوقِبْتُمْ به ولئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خيرٌ للصّابِرين»[١].

ولقد كشف الاسلام مرة أُخرى ومن خلال هذه الآية ـ التي تتضمن أصلاً اسلامياً في مجال القضاء مسلماً به ـ عن وجهه الانسانيّ العاطفيّ، وأظهر للجميع بأن الدين الاسلامي ليس شريعة انتقام، وثأر، فهو يعلّم أتباعه بأن لايغفلوا في أشدّ اللحظات والحالات النفسية هياجاً وغضباً عن قانون العدالة، والحق، وبهذا يكون الاسلام قد راعى مبادئ العدالة والانصاف على الدوام، وصانها من الانهيار، والسقوط.

ولقد أصرّت صفية أُخت حمزة أنّ ترى جثمان أخيها، إلّا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أمرَ ابنها الزبير أن يحبسها ويصرفها عن ذلك لكي لا ترى مابأخيها فلاتحتمل الصدمة.

فقالت صفية: قد بلغني أن قد مثّل بأخي وذلك في الله، فما أرضانا بما كان من ذلك! لاحتسبنَّ ولأصبرنَّ إن شاء الله.

فأخبر الزبيرُ رسول الله صلّى الله عليه وآله بمقالتها فقال صلّى الله عليه وآله: خلّ سبيلَها، فأتته، فنظرت إليه فصلّت عليه، واسترجَعت، واستغفرت له، ثم أُمر به رسول الله صلّى الله عليه وآله فدفن[٢].

حقاً أن قوّة الإيمان أعظم القوى، فهي تحبس الانسانَ وتحفظه في أصعب الحالات، وتفيض على صاحبه حالة من السكينة والوقار.

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله صلى على شهداء أُحد الأبرار، وأمر بدفنهم واحداً واحداً أو إثنين إثنين، وأمر بأن يُدفن «عمرو بن الجموح» و«عبدالله بن عمرو» في قبر واحد.

---

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٧.

١٨٤ ـــــــ

القوية المتأصلة في كيان الانسان بحيث لايمكن لأي أحد أن يغفل عنها مهما كانت الظروف وهي بالتالي من القوة والهيمنة على وجود الانسان بحيث يضحّى في سبيلها بكل شيء.

ولكن قوة الايمان وحبّ الانسان للعقيدة، وتعشقه للمعنويات أقوى وأشدّ تأثيراً من ذلك، فهذا الجنديّ الشجاع لم يكن بين -حسب ماتفيده النصوص التاريخية- وبين الموت في ذلك الوقت سوى لحظات، ومع ذلك نجده ينسى نفسه، ويفكر في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي كان يعتبره أقوى سبب لبقاء الدين، ودوام الشريعة، وهذا هوالهدف المقدّس الذي قاتل من أجله سعد البطل، ولهذا لايحمل ذلك الرجل الأنصاري سوى رسالة واحدة إلى أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يحثهم فيها على السهر على حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله والعمل معه على تحقيق أهدافه، في ارساء دعائم التوحيد.

النبيّ يعود الى المدينة:

كانت الشمس تميل نحو المغرب وكانت تستعد للملمة أشعتها الذهبية من صفحة الكون، وكان السكون والصمت يخيم على كل مكان من الأرض.

في مثل هذه اللحظات كان على المسلمين المقاتلين أن يعودوا بجرحاهم الى منازلهم في المدينة ليستعيدوا قواهم، ويجدّدوا نشاطهم، ويضمدوا جرحاهم.

ولهذا صدرت أوامر من جانب النبيّ صلّى الله عليه وآله بالتوجه نحوالمدينة.

فلما كانوا بأصل الحرة قال صلّى الله عليه وآله: اصطفوا فنثني على الله، فاصطف الرجال صفين خلفهم النساء ثم دعا فقال:

اللّهم لكَ الحمدُ كلُه، اللّهم لاقابضَ لما بَسطتَ، ولاباسطَ لما قبضتَ، ولامانِعَ لما أعطيتَ ولامعطي لما منعتَ ولاهادي لمن اضللتَ ولامضلّ لمن هديتَ، ولامقرّبَ باعدتَ ولامباعِدَ لما قرّبتَ.

اللّهم انّي أسألك من بركتك، ورحمتك وفضلك وعافيتك.

اللّهم انّي أسألك النعيمَ المقيمَ الذي لايحولُ ولايزول.

١٨٦ ـــــــ

«ارجعن يرحمكنّ الله فقد آسيتنّ بأنفسكنّ».

وقيل لما سمع صلّى الله عليه وآله بكاءهنّ قال:

«رَحِمَ الله الأنصارَ فانّ المواساةَ منهُم ماعلمت لقديمة.. مُروهُنَّ فَليَنصرِفنَ»[1].

ذكريات مثيرة عن امرأة مؤمنة:

إن للنسوة المؤمنات صفحات مشرقة، وعجيبة في تاريخ الاسلام، لأننا قلما نجد لها نظيراً في عالم المرأة اليوم.

ومن تلك النسوة المؤمنات ذوات المواقف الرائعة والعجيبة في صدر الاسلام المرأة الدينارية، التي أُصيب زوجُها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلّى الله عليه وآله بأُحد.

فانّها لما نعوا لها مصرعَ رجالها قالت: فما فعلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله؟

قالوا: خيراً يا أُمّ فلان، هو بحمدالله ِكما تحبّين.

قالت: أرونيه حتى أنظر إليه؟

فأُشير لها إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جلل (اي صغيرة)[2].

ماأعظم تلك الاستقامة، وما أعظم ذلك الايمان الذي يجعل من الانسان طوداً راسخاً ثابتاً في وجه العواصف والاعاصير.

نموذجٌ آخرٌ من النسوة المجاهدات:

لقد أشرنا في الصفحات الماضية بصورة إجمالية إلى قضية «عمرو بن الجموح» الذي آلى على نفسه أن يشازك في الجهاد مع ماكان به من العرج

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ٩٩، امتاع الاسماع: ج١ ص ١٦٣ و١٦٤.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص ٩٩.

١٨٨ ـــــــ

على أن هؤلاء لم يقاتلوا من أجل المآرب المادية، وانما قاتلوا من أجل الهدف، وهو إعلاء كلمةِ الدين واقامة صرح التوحيد، ومحو الوثنية والشرك .

هذا وفي بقية هذه القصة ماهو أعجب من اولها، وهو أمر، لايمكن أن يدرَكَ بالمقاييس المادية، والأُسس التي ينطلق منها أصحاب الاتجاه المادي في تحليل القضايا التاريخية. وانما يهضمها -فقط- من يؤمن بعالم آخر وراءَ العالم الماديّ المِصرف، ويصدّق بتأثيره في هذا العالم، وبالتالي لايقبل بها إلّا من يصدّق بقضية الإعجاز والمعجزة، ويذعن لها ويعترف بصحتها من غير تلكّوء وابطاء.

واليك هذه البقية:

لمّا زجرت هند بعيرها لتدخل به المدينة بَرَكَ البعير في مكانه.

فقالت النسوة التي كنَّ هناك : لعلّه بَرَكَ لما عليه.

فقالت هند: ماذاكَ به، لربما حمل مايحمل البعيران، ولكنّي أراه لغير ذلك . فزجرته ثانية، فقام، فلما وجّهت به إلى المدينة بَرَكَ ،فوجهته راجعة الى أُحدفاسرع.

فرجعت إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فأخبرته بذلك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فانَّ الجَمَلَ مأمورٌ. هل قال (يعني: عمرو بن الجموح) شيئاً؟

قالت: إنَّ عمراً لمّا وجّه إلى أُحُد استقبل القبلةَ، وقال: اللّهم لا تردّني إلى أهلي خزياً، وارزُقني الشهادة!!

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: «فلذلك الجملُ لايمضي. إنَّ منكم يامعشر الأنصار من لوأقسم على الله لابرَّهُ، منهم عمرو بن الجموح، ياهند مازالتِ الملائكة مظلةً على أخيكِ مِن لدن قُتِلَ إلى الساعة ينظرون أين يُدفَن»، ثم مكث رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى قبرهم، ثم قال:«ياهند قد ترافقوا في الجنة جميعاً، عمرُو بن الجموح، وابنُك خلّاد، وأخوك عبدالله».

قالت هند: يا رسول الله فادعُ لي عسى أن يجعلَني معهم[1].

---

(١) امتاع الاسماع: ج ١ ص ١٤٦ - ١٤٨.

١٩٠ ـــــــ

إنهيار الوحدة والانسجام في الجبهة الداخلية أخطر بكثير من تعرّض البلاد لهجوم من الخارج.

من هنا كان يتعيّن على النبيّ صلّى الله عليه وآله أن يُرهب العدو الداخلي، ويفهمه بأنّ قوى التوحيد لم تفقد إنسجامها وتماسكها وانّ أيّة خطوة أو نشاط مُعاد يهدّد أساس الاسلام للخطر سيُسحَق بشدة في اللحظة الأُولى.

ولهذا أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بأن يخرج في نفس الليلة لملاحقة العدوّ (أي مشركي مكة).

فكلّف النبيّ صلّى الله عليه وآله رجلاً بأن ينادي في كل مناطق المدينة: «ألا عِصابَةٌ تشدّدُ لأمر الله تَطْلُبُ عدوّها، فانّها أنكأ للعدوّ وأبعد للسمع.

ألا لايخرجن معنا الّا من حضر يومنا بالامس».

أو قال: «يامعشر المهاجرين والأنصار من كانت به جِراحة فليخرج، ومن لم يكن به جراحة فليقم».

وانما خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله كما أسلفنا لِيُرهب العدوّ وليبلغهم أنه خارج في طلبهم فيظنوا به قوّة، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوّهم[1].

على أن لهذا التقييد، ولهذا النهي عن خروج غَير الجرحى، أو مَن لم يشترك في أُحد، عللاً أو حكماً لاتخفى على العارفين بالسياسة، والرموز العسكرية.

ويمكن الاشارة الى بعضها:

أولاً: انّ هذا التحديد، وبالتالي الاقتصار على من شارك في معركة أُحُد هو نوع من التعريض بمن امتنع من المشاركة في تلك المعركة، وفي الحقيقة هو نوعٌ من تجريدهم من صلاحية المشاركة في الدفاع المقدّس.

ثانياً: إنّ هذا التحديد هو نوع من عقاب المشاركين في معركة أُحُد، لأنّهم بتجاهلهم لتعاليم القيادة، وانصرافهم بسرعة الى المطامع المادية، والغفلة عن ملاحقة العَدوّ في حينه تسببوا في توجيه تلكم الضربة النكراء الى الاسلام،

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج٢ ص ٥٣٥ ـ ٥٤١.

١٩٢ ـــــــ

عزموا على الرجوع الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه للكرة عليهم، واستئصالهم، والقضاء عليهم بالمرة.

فلما رأى أبو سفيان معبداً (وكان معبد قد استهدف من خروجه الى أبي سفيان وجماعة المشركين القيام بخدمة لصالح النبيّ صلّى الله عليه وآله وأصحابه) قال: ماوراءك يامعبد، وماذا عندك من الاخبار؟

فقال معبد: ـ وهو يريد إرعاب قريش وصرفهم عن الرجوع الى المدينة ـ محمّدٌ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم ارَ مثله قط، يتحرّقون عليكم تحرقاً قد اجتمع معه من كان تخلّف عنه في يومكم، وندموا على ماصنعوا، فيهم من الحَنَقِ وشدة الغيظ عليكم شيء لم ارَ مثله قط!!

فقال أبو سفيان: ـ وقد أُرعب بشدة من هذا النبأ ـ ويحك ماذا تقول؟

قال معبد: والله ماأرى ان ترتحل حتى أرى نواصيَ الخيل.

قال أبو سفيان: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيّتهم!

قال معبد: فاني أَنهاك عن ذلك.

وقد تركت كلمات معبد، ووصفُه لقوة المسلمين وعزمهم الشديد على توجيه ضربة الى الكفار أثرها في نفس أبي سفيان الذي تملّكهُ خوفٌ شديدٌ، دعاهُ إلى الإنصراف عن الرجوع الى المدينة ثانيةً، والعزم على القفول الى مكة[1].

ومضى رسول الله صلّى الله عليه وآله بأصحابه حتى عسكروا ليلاً بحمراء الاسد، فامر بأن يوقد المسلمون النيران فأوقدوا خمسائة نار حتى ترى من المكان البعيد، وذهب صوت معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، وتصور العدو أن النبيّ جاءهم في جيش عظيم، فتشاوروا حول الرجوع الى المدينة فنهاهم صفوان عن ذلك، فانصرفوا[2].

---

(١) السيرة النبوية: ج ٢ ص ١٠٢، امتاع الاسماع: ج١ ص١٦٩ و١٧٠.

(٢) الطبقات الكبرى: ج ٢ ص ٤٩.

١٩٤ ـــــــ

وقد وقعت معركة أُحد يومَ السبت السابع من شهر شوال من السنة الثالثة للهجرة النبوية الشريفة، هذا مضافاً الى غزوة حمراء الاسد التي استمرت إلى يوم الجمعة من ذلك الاسبوع نفسه، فتكون قضايا ووقائع هذه الغزوة في الرابع عشر من شهر شوال من نفس تلك السنة.

ميلاد الامام الحسن السبط:

هذا وقد ولد في هذه السنة (اي السنة الثالثة من الهجرة) سبط رسول الله صلّى الله عليه وآله الاكبر الإمام الحسن بن علي عليه السلام في منتصف شهر رمضان من تلك السنة، واجرى له رسول الله صلّى الله عليه وآله مراسيمَ ولادة خاصة ذكرها أصحاب الحديث وتجد تفصيلها في سيرة الائمة من أهل البيت النبوي الطاهرين.

٣٣
فاجعة فريق المبلّغين[١]

لقد ظهرت الآثار السياسية لنكسة المسلمين في معركة «أُحُد» بصورة واضحة بعد الحرب.

فمع أن المسلمين أظهروا مقاومة رائعة أمام العدوّ المنتصر ومنعوا من رجعته الى المدينة وتحقيق أهدافه الخطيرة في استئصال المسلمين إلا أن التحريكات الداخليّة والخارجية ضدّ الاسلام بهدف القضاء على هذا الدين، ورجاله قد تصاعد مدّها في أعقاب حادثة «أُحُد».

وقد تجرّأ منافقو المدينة، ويهودها والمشركون المتواجدون في شتى النقاط البعيدة خارج المدينة على أثر ذلك، وبدأوا يحيكون المؤامرات ضدّ الاسلام والمسلمين ويجمعون الاسلحة والرجال لشن الحروب والغارات على المدينة.

وقد استطاع رسول الله صلّى الله عليه وآله وبمهارة كبيرة إطفاء كلّ تلك التحريكات، كما واستطاع قمع تحرّكات القبائل القاطنة خارج المدينة التي كانت تنوي الهجوم على المدينة وذلك بارسال السرايا والمجموعات القوية من المجاهدين.

وفي هذا الاثناء بلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله نبأ مفاده أن قبيلة بني أسد تنوي الهجومَ على المدينة وتسخيرها، وقتل المسلمين، ونهب أموالهم، فبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله من فوره جماعة من المقاتلين يبلغ عددهم(١٥٠)

---

(١) وقعت حادثة قتل المبلّغين في الشهر السادس.

رجلاً بقيادة «أبي سلمة» الى منطقة تجمع المتآمرين.

ثم إنه صلّى الله عليه وآله أوصاهم بأن يخفوا مقصدهم الأصلي، ويسلكوا طريقاً آخر غير الطريق المتعارف، ويقيموا نهاراً ويسيروا ليلاً، ليعمّوا على القوم.

وقد فعل «أبو سلمة» وجماعته ماأوصاهم به رسول الله صلّى الله عليه وآله فكانوا يسيرون الليل، ويكتمون النهار، حتى وردوا المنطقة فاحاطوا ببني أسد في عماية الصبح، وقضوا على المؤامرة في مهدها، وعادوا غانمين موفورين إلى المدينة، وقد وقعت هذه الحادثة في شهر المحرّم على رأس خمسة وثلاثين شهراً من الهجرة[1].

خطة ماكرة للفتك بالمبلّغين:

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقوم بافشال بارسال السرايا والمجموعات العسكرية جميع مؤامرات المتآمرين ضد الاسلام، كما أنه كان يقوم الى جانب ذلك ببعث المجموعات التبليغية الى القبائل، والجماعات وبذلك يجلب قلوب المحايدين منهم نحو العقائد الاسلامية.

وكان المبلّغون والدعاة الذين كانوا من قراء القرآن الكريم، ومن الملمين بالاحكام الاسلامية والتعاليم النبوية يبدون استعداداً عجيباً للقيام بهذه المهمّة الصعبة ولو كلّفت حياتهم فكانوا ينقلون تعاليم الاسلام إلى الناس في المناطق النائية، والاماكن البعيدة بأوضح بيان وأوضح اسلوب.

ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله ببعثه للمجموعات العسكرية من جانب، وارساله للفرق التبليغية من جانب آخر يقوم -في الحقيقة- بوظيفتين هامتين من وظائف المنصب النبوي.

---

(١) المغازي: ج١ ص ٣٤٠، وامتاع الاسماع: ج١ ص١٧٠، ولابدّ أنك أيها القارئ الكريم تتذكر أن السنة الثالثة للهجرة تنتهي عند انتهاء الشهر الرابع والثلاثين، وتكون حوادث الشهر الخامس والثلاثين متعلقة بالسنة الرابعة من الهجرة.

١٩٨ ـــــــ

الغَنَويّ» مع تلك الجماعة إلى القبائل المذكورة.

فخرج هؤلاء المبلغون ووفد القبيلتين من المدينة متوجّهين الى حيث تتواجد «عضل» و«قارة»، ولمّا كانوا بماء يسمى الرجيع تقطن عنده قبيلة تدعى «هذيل» كشف مندوبو القبيلتين عن نواياهم الشرّيرة، واستصرخوا هذيلا وكميناً من رجالهم، وكانوا مائة رام وبأيديهم السيوف فاحاطوا بالدعاة يريدون أسرهم ثم قتلهم وابادتهم!!

فلم ير المبلّغون بدّاً ـ وهم محاطون بتلك الجماعات المسلحة ـ من اللجوء الى سيوفهم والدفاع عن أنفسهم.

ولكن العدوّ قال: مانريد قتالكم، وما نريد إلّا ان نصيب منكم من أهل مكة ثمناً، ولكم عهدالله وميثاقه لانقتلكم!!

فنظر الدعاة بعضهم الى بعض، وقرر أكثرهم المقاومة وعدم الرضوخ لهذا العرض الغادر، والخطة الماكرة، وقال أحدهم: إني نذرت أن لاأقبل جوارَ مشرك [1] ثم جعلوا يقاتلون القوم قتال الرجال الابطال، حتى قتلوا إلّا ثلاث هم: «زيد بن دثنّة» ،و«خبيب بن عديّ»، و«عبدالله بن طارق البلويّ» فقد أغمد هؤلاء سيوفهم وسلّموا، فأُخِذوا ووثّقوا بأوتار قسيّهم، ولكن «عبدالله» ندم على فعله، فنزع يده من رباطه ثم أخذ سيفه، وراح يقاتلهم حتى قتلوه رميا بالحجارة، وقد انحازوا عنه وهو يشدّ فيهم وينفرجون عنه، ودفن في مر الظهران.

ثم أخذوا الأسيرين الآخرين «خبيب» و«زيد» وقدموا بهما مكة فباعوهما لأهل مكة!!

فأمّا زيد بن الدثنّة فقد اشتراه «صفوان بن اُمية» وقتله ثأراً لابيه، ولقتله قصة عجيبة سطر فيها أروع آيات المقاومة والوفاء والاخلاص.

فقد اشتراه «صفوان بن امية» كما أسلفنا ليقتله بأبيه، وقد حبسه صفوان في الحديد، وكان يتهجّد بالليل ويصوم بالنهار، ولايأكل شيئاً مما أُتى به من

(١) أو قالوا: والله لانقبل من مشرك عهداً ولاعقداً أبداً (السيرة النبوية:ج٢ ص١٧٠).

٢٠٠ ـــــــ

قال: لاوالله ماأحَبُّ أنّي رجعتُ عن الاسلام وأنّ لي مافي الأرض جميعاً.

فقالوا: أمّا واللات والعزّى لئن لم تفعل لَنَقتلنّك!

فقال: إن قتلي في الله لقليل، فلمّا أبى عليهم وقد جعلوا وجهه من حيث جاء (أي نحو المدينة)، قال: أما صرفكم وجهي عن القبلة، فان الله يقول: «فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ» ثم قال: اللهم إني لاأرى إلّا وجه عدوّ، اللهم أنه ليس هاهنا أحدٌ يبلّغ رسولَك السلامَ عنّي فبلّغه أنتَ عنّي السلام.

ثم دعا على القوم وقال: اللّهم أحصِهم عَدَداً واقتُلهُم بَدَداً، ولا تغادر منهم أحداً.

ثم دعوا أبناءً من أبناء من قُتِلَ ببدر فوجدوهم أربعين غلاماً، فأعطوا كل غلامٍ رمحاً، ثمّ قالوا هذا الّذي قتل آباءكم، فطعنوه برماحهم طعناً خفيفاً فاضطرب على الخشبة فانقلب، فصار وجهه الى الكعبة، فقال: الحمد لله الّذي جَعل وجهي نحو قبلته التي رضي لنفسه ولنبيه وللمؤمنين!!

فأثارت روحانيته الكبرى، وطمأنينته العظيمة غيض أحد المشركين الحاضرين، وهو «عقبه بن الحارث» وتملكه غضب شديدٌ من إخلاصه للاسلام فأخذ حربته وطعن بها خبيباً طعنة قاضية، قتلته، وهو يوحّد الله ويشهد أن محمّداً رسول الله.

ويروي ابن هشام أن خبيباً أنشد قبل مقتله أبياتاً عظيمة نذكر هنا بعضها:

إلى اللّهِ أشْكُو غُرْبَتي ثمّ كُربَتي ... وماأرصدَ الأحزابُ لي عند مَصْرعي

فذا العرش صبّرني عَلى مايُرادُبي ... فقد بضّعوالحمي وقدياسَ مَطْمَعي

وذلكَ في ذات الاله وأن يشأْ ... يبارك على أوصالِ شلوٍ مُمزّع

وقَد خيّروني الكفر والموتَ دونَه ... وقَد هَمَلَتْ عيناي من غير مجزع

ومابي حِذارُ الموت أني لميّت ... ولكن حِذاري جحم نار ملفّع

فوالله ماأرجو إذا متّ مسلماً ... على أي جنب كان في الله مَصْرَعي

فلستُ بمُبدٍ للعدوّ تخشعاً ... ولاجزعاً إنّي إلى اللّهِ مرجعي

٢٠٢ ـــــــ

عمرو»، فساروا حتى نزلوا ببئرمعونة وهي بين أرض بني عامر وحرّة بني سليم وهم يحملون من رسول الله صلّى الله عليه وآله كتاباً إلى عامر بن الطفيل أحد زعماء «نجد»، وكلّف أحد المسلمين بايصال ذلك الكتاب إلى عامر، فلما أتاه الكتاب لم ينظر فيه حتى عدا على الرجل (حامل الكتاب) فقتله، ثم استصرخ بني عامر على المبلّغين، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه، وقالوا: لن ننقض عهدَ أبي براء، وقد عقد لهم عقداً وجواراً.

فاستصرخ عليهم قبائل بني سُليم فأجابوه إلى ذلك فخرجوا حتى نزلوا حيث نزل جماعة الدعاة، فأحاطوا بهم في رحالهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم، ثم قاتلوهم حتى قتلوا عن آخرهم بعد أن أبدوا مقاومة كبرى، وبسالة عظيمة، ولم يكن يتوقع منهم غير ذلك.

فانّ مبعوثي النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يكونوا مجرد رجال فكر وعلم فقط، بل كانوا رجال حروب، وأبطال معارك، ولذا رفضوا الاستسلام للمعتدين، واعتبروا ذلك عاراً لايليق بالمسلم الحرّ الأبيّ، فقاتلوهم حتى استهشدوا جميعاً، إلّا كعب بن زيد، فانه جرح فعاد بجراحه الى المدينة، وأخبررسول الله صلّى الله عليه وآله بما جرى لأصحابه على أيدي قبائل بني سليم المشركة الغَدَرة.

فحزن رسول الله والمسلمون جميعاً لهاتين الحادثتين، المفجعتين اشد الحزن بل ولم يجدعلى قتلى مثل ماوجدعليهم، وبقي رسول الله يذكرشهداء بئرمعونة ردحاًمن الزمان[1]

هذا ولقد كانت هاتان الحادثتان المؤسفتان المؤلمتان جميعاً من نتائج النكسة التي أصابت المسلمين في «أُحُد» والتي جرّأت القبائل خارج المدينة على قتل رجال المسلمين ودعاتهم غدراً ومكراً.

كيدُ المستشرقين وجفاؤهم:

إن المستشرقين الذين دأبوا على نقد أبسط سوء يتعرض له مشرك على أيدي

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص١٨٣- ١٨٧ امتاع الاسماع: ج١ ص١٧٠- ١٧٣.

٢٠٤ ـــــــ

يرجع فريق التبليغ إلى المدينة.

لقد كانت خطة رسول الله صلّى الله عليه وآله خطة مدروسة وصحيحة لأن جماعة المبلّغين الثانية لم تقتل على يد قبيلة أبي براء، ومع أن ابن أخيه عامر بن الطفيل قد استصرخ قبيلة أبي براء التي كانت قبيلته أيضاً، ضدّ جماعة المبلّغين إلّا أن قبيلة أبي براء أبت أن تنفر معه، ولم يستجب لندائه أحدٌ منهم بل قالوا: لن يُخفَرَ جوار أبي براء. ولما أيس منهم استصرخ قبيلةً أُخرى لا تمتُّ إلى قبيلة أبي براء بصلة، فاقدمت تلك القبائل على محاصرة الدعاة الأربعين ومقاتلتهم.

ثم إن جماعة المبلّغين المذكورة كانت قد بعثت عند مغادرتها المدينة وتوجهها الى منطقة أبي براء رجلين من رجالها هما: عمرو بن أُميّة و«حارث بن الصمة»[1] ليرعيا إبل الجماعة ويحافظا عليها، وبينما كان الرجلان يقومان بواجبهما اذ أغار عليهما «عامر بن الطفيل». فقتل حارث بن الصمة، واطلق سراح عمرو بن أُميّة.

فعاد عامر الى المدينة، في اثناء الطريق التقى رجلين من العامريين فرافقهما وأمهلهما حتى اذا ناما وثب عليهما فقتلهما، وهو يرى بأنه انتقم لزملائه من المسلمين من بني عامر، وقد أخطأ في تصوره هذا لأن بني عامر لم تخفر جوار سيدها أبي براء ولم تنقض أمانة كما أسلفنا، ولم يشترك في جريمة قتل الدعاة الأربعين.

فلما قدم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره الخبر، حزن رسول الله صلّى الله عليه وآله لذلك وقال لعمرو:

«بئس ما صنعت، قتلت رجلين كان لهما مني أمان وجوار، لا دفعن ديتهما».

ولكن الاجابة الاكثر وضوحاً على هذا الاعتراض (او السؤال) هو ما يذكره ابن سعد صاحب الطبقات إذ يقول: وجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله خبر أهل بئر معونة، وجاءه تلك الليلة أيضاً مصاب خبيب بن عديّ ومرثد بن أبي مرثد[2].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص١٦٨ وصاحب السيرة يرى انه المنذر بن محمد.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٢ ص٥٢ و٥٣.

٣٤
غزوة «بني النضير»

لقد فرح منافقو المدينة ويهودها بانتكاسة المسلمين في معركة «أحد» كما فرحوا أيضاً بمصرع رجال التبليغ والدعوة، فرحاً بالغاً وباتوا يتحيّنون الفرصة لإثارة القلاقل والفتن في المدينة لإفهام القبائل خارجها بأنه لا توجد أية وحدة سياسيّةٍ وانسجام اجتماعيّ في مركز الاسلام، وعاصمة الحكومة الاسلامية، وأن في مقدور الأعداء الخارجيين أن يُجهزوا على حكومة الاسلام الفتية، ويقضوا عليها بسهولة!!

ولكي يقفَ رسول الله صلّى الله عليه وآله على نوايا ودخائل يهود بني النضير مشى في جماعة من أصحابه إلى حصنهم.

على أن الهدف الظاهري المعلَن عنه كان هو الاستعانة بهم في دية العامريّين اللذين قتِلا خطأ على يد «عمرو بن أُميّة» كما أسلفنا، وذلك بموجب الاتفاقيّة المعقودة بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وبين اليهود وكذا بني عامر وغيرهم والقاضية بالتعاون معاً في تسديد الدية في مثل هذه الموارد.

فلما وصل رسول الله صلّى الله عليه وآله الى حيث يسكن بنو النضير، وكلّمهم في أن يعينوه في تلك الدية، رحبوا به ظاهراً، ووعدوا بأن يلبّوا مطلبه، ثم إنهم خاطبوه قائلين: ياأبا القاسم نعينك على ماأحببتَ. ثم دعوه إلى أن يدخل في بيَوتهم، ويقضي يومه فيها، قائلين: قد آن لك أن تزورنا، وأن تأتيَنا، إجلس حتى نطعمك، فلم يقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله بتلبية مطلبهم، بل

جلس مستنداً الى جداربيت من بيوتهم واخذ يكلمهم[١].

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله احسَّ بشرٍّ من ذلك الترحيب الحارّ الذي قابلته به رجال بني النضير، والذي رافق حركات مشبوهة منهم!!

هذا مضافاً إلى أنه صلّى الله عليه وآله شاهدهم وقد خلا بعضهم إلى بعض يتناجون ويتهامسون الأمر الذي يدعو الى الشك، ويورث سوء الظن!!

وقد كان سوء الظن هذا في محله، فقد قرر سادة يهود ـ لمّا أتاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله في رهط قليل من أصحابه ـ أن يتخلصوا منه باغتياله والغدر به على حين غفلة منه صلّى الله عليه وآله، فانتدبوا أحدهم وهو «عمرو بن جحاش» لتنفيذ هذه الجريمة، وذلك بأن يعلو على البيت الذي استند رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى جداره فيلقى عليه صخرة تقتله.

إلّا أنّ هذه المؤامرة انكشفت ـ ولحسن الحظ ـ قبل تنفيذها، إما من خلال حركات أُولئك اليهود الخبثاء، المشبوهة، أو بخبر أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله من السماء، كما يروي ابنُ هشام والواقدي في مؤلفيهما.

فنهض رسول الله صلّى الله عليه وآله سريعاً، كأنه يريد حاجة، وتوجه من توّه إلى المدينة دون أن يخبر أصحابه الذين أتو امعه، بقصده.

وبقي أصحابه هناك ينتظرون عودته من حاجته دون جدوى.

وندمت يهود على ماصنعت، واضطربت لذلك إضطراباً شديداً، واصابتها حيرة شديدة فيما يجب أن تقوم به.

فمن جهة خشيت أن يكون رسول الله صلّى الله عليه وآله قد عَلِمَ بمؤامرتهم وتواطئهم، فيقدم على تأديبهم لنقضهم ميثاق التعايش السلميّ، ولتواطئهم القبيح، ومكرهم السيء.

ومن ناحية أُخرى أخذت تفكّر في أن تنتقم من أصحابه الموجودين هنا إن هو فاتهم، ولكنها خشيت أن يؤدي ذلك إلى مزيد من تأزّم الموقف، وان ينتقم

---

(١) يقول صاحب المغازي: إن النبيّ جاء بني النضير في ناديهم ج١ ص٣٦٤.

٢٠٨ ـــــــ

ثم دعا محمد بن مسلمة وأمره بأن يذهب إلى بني النضير، ويبلغ سادتهم، من قِبَلِه رسالة.

فخرج محمد بن مسلمة الأنصاري الاوسي[١] الى بني النضير وقال لسادتهم: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أرسلني اليكم يقول:

«قد نَقَضتُم العهدَ الّذي جَعلتُ لكم بما هَمَمتُمْ به من الغدر بي.

أُخرجُوا مِن بلادي فقد أجّلتكُم عشراً فمن رُئي بعدَ ذلك ضربتُ عنقه».

فأحدثت هذه الرسالة الشديدة اللهجة والساخنة المضمون انكساراً عجيباً في يهود بني النضير، وأخذوا يتلاومون، وأخذ يحمّل كل واحد منهم الآخر مسؤولية هذه القضية.

فاقترح عليهم أحد سادتهم أن يعتنقوا الاسلام، ويؤمنوا برسول الله صلّى الله عليه وآله، ولكن عنادهم منعهم من القبول بهذا الاقتراح. وعمتهم حالة يرثى لها من الحيرة، والانقطاع، فقالوا لمبعوث النبيّ صلّى الله عليه وآله: يامحمّد ماكنّا نرى أن يأتي بهذا رجلٌ من الاوس.

ويقصدون أنه كان بيننا وبين الأوس حلفٌ فما بالك تريد حربنا الآن.

فقال محمد بن مسلمة: تغيّرت القلوب.

وقد كان هذا الاجراء متطابقاً مع ماجاء في ميثاق التعايش الذي عقده رسول الله صلّى الله عليه وآله مع يهود يثرب ابان دخوله المدينة، وقد وقع عليه عن اليهود بني النضير حيي بن أخطب، وقد نقلنا في ماسبق النصّ الكامل لهذا الميثاق وها نحن ندرج هنا قسماً منه ليتضح ماذكرناه.

جاء في أحد بنود الميثاق (العهد):

«ألّا يعينوا (أي بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع) على رسول الله صلّى الله عليه وآله ولاعلى أحد من أصحابه بلسانٍ ولايدٍ ولابسلاحٍ ولابكراعٍ في السرّ والعلانية لابليلٍ ولابنهارٍ والله بذلك عليهم شهيدٌ، فان فعلوا فرسول الله في حلٍ

(١) المغازي: ج١ ص٣٦٦.

٢١٠ ـــــــ

وقد كان رأس هذا الحزب هو «عبدالله بن أُبي» و«مالك بن أُبي» و..و..

ولمّا سمع هؤلآء المنافقون بما يلقاه بنو النضير من رسول الله صلّى الله عليه وآله أرسلوا اليهم من يقول لهم: لا تخرجوا من دياركم وأموالكم، وأقيموا في حصونكم، فان معي ألفين من قومي وغيرهم من العرب، يدخلون معكم حصنكم فيموتون من آخرهم قبل أن يوصل إليكم وتمدكم قريظة فانه لن يخذلونكم، ويمدّكم حلفاؤكم من غطفان؟!

ولقد جرّات هذه الوعود بني النضير، فانصرفوا عن فكرة الرضوخ لمطلب النبيّ صلّى الله عليه وآله فأغلقوا أبواب حصونهم، وأعدُّوا عدة الحرب، وعزموا على أن يقاوموا رسول الله صلّى الله عليه وآله مهما كلّف الثمن، ولا يسمحوا للمسلمين بأن يسيطروا على بساتينهم وممتلكاتهم دون عوض.

فَنَصَحَهم أحدٌ كبرائهم وهو «سلام بن مشكم» وشكك في وعود عبدالله بن أُبي، واعتبرها وعوداً جوفاء، وقال: ليس رأي ابن أُبيّ بشيء، فهو والله جلاؤُنا من أرضنا، وذهاب أموالنا، أو سباء ذرارينا مع قتل مقاتلينا.

إلّا أن «حيي بن أخطب» أبى إلّا محاربة رسول الله صلّى الله عليه وآله وحث الناس على المقاومة والصمود، وأرسل الى رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنا لانبرح من دارنا وأموالنا فاصنع ماأنت صانع!!

فعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله برسالة «عبدالله بن ابي» إلى بني النضير، ووعوده لهم، فاستخلف ابن أُمّ مكتوم على المدينة، وسار صلّى الله عليه وآله في أصحابه مكبّراً لمحاصرة بني النضير فصلّى صلاة العصر بفضائهم واستقر في الطريق بين «بني النضير» وبين «بني قريظة» ليقطع بذلك سبيل الاتصال بين هذين الفريقين، وحاصر بني النضير ست ليال -حسب رواية ابن هشام-[1] أو خمسة عشر يوماً حسب روايات آخرين، ولكن اليهود تحصنوا منه في الحصون، وأظهروا المقاومة، والإصرار على الامتناع، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص١٩١، وهذا من التكتيكات العسكرية التي كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يستعملها ليقطع خطوط الارتباط بين الجماعات المتعاونة.

٢١٢ ـــــــ

والدروع، فرضي رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك.

فاحتملوا من أموالهم أكبر قدر ممكن، حتى أن الرجل منهم يقلع باب بيته فيضعه على ظهر بعيره، ثم يخرب بيته بيديه!!

فخرج جماعة منهم إلى خيبر، وسارت جماعة أُخرى منهم الى الشام.

وقد خرجت تلك الزمرة الذليلة المسكينة وهم يضربون بالدفوف، ويزمّرون بالمزامير، وقد البسوا نساءهم الثياب الراقية، وحليّ الذهب، مظهرين بذلك تجلّداً ليغطوا على هزيمتهم، ويروا المسلمين أنهم غير منزعجين من مغادرتهم تلك الديار!!

مزارع بني النضير تقسَّم بين المهاجرين فقط:

إن مايغنمه جنود الاسلام دون قتال وهو مايسمى بالفيء يعود أمره الى رسول الله صلّى الله عليه وآله خاصة يضعه حيث يشاء ويصرفه فيما يرى من مصالح الاسلام لقوله تعالى:

«ماأفاء اللّهُ عَلى رسُولِهِ من أهل القُرى فلِلّهِ وَلِلرّسولِ ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل»[1].

وقدرأى النبيّ صلّى الله عليه وآله أن من الصالح أن يقسم المزارع والممتلكات التي غنمها من بني النضير على المهاجرين دون الأنصار، لحرمانهم من ممتلكاتهم وثروتهم في مكة بسبب الهجرة منها الى المدينة، وكانوا في الحقيقة ضيوفاً على الأنصار طوال هذه المدة، وقد أيّد «سعد بن معاذ» و«سعد بن عبادة» هذا الرأي، ومن هنا قسَّم رسول الله صلّى الله عليه وآله جميع تلك المزارع والممتلكات على المهاجرين خاصّة، ولم يصب أحد من الأنصار منها شيئاً الا رجلان كانا محتاجين هما: «سهل بن حنيف»، و«أبو دجانة»، الانصاريين وحصل بذلك انفراج في أحوال المسلمين عامة، وأعطى «سعد بن معاذ» سيف

(١) الحشر: ٧.

٢١٤ ـــــــ

وقال المقريزي: وفُقِدَ عليّ رضي الله عنه في بعض الليالي فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله: انه في بعض شأنكم، فعن قليل جاء برأس «عزوك» وقد كمن له حتى خرج في نفر من اليهود يطلب غرّة من المسلمين وكان شجاعاً رامياً فشدّ عليه علي رضي الله عنه، فقتله وفرّ اليهود[1].

(١) امتاع الاسماع: ج١ ص١٨٠.

٣٥
تحريم الخمر
ذات الرقاع ، بدر الصغرى

١ ـ تحريم الخمر:

كانت الخمور، وعلى العموم جميع المسكرات ولا تزال من أشد الاوبئة الاجتماعية التي تهدد أمن وسلامة المجتمعات البشرية وتجر اليها أكبر الأخطار ويكفي في خطورة هذا السمّ القاتل أنه يعادي أكبر مايميّز البشر عن ماسواه من الاحياء، ذلكم هو العقل، فان الخمرة هو العدوّ الأول لهذه الموهبة الالهية التي في سلامتها ضمان سعادة الانسان.

إن الفارق بين الانسان وبين سائر الاحياء هو القوة العاقلة التي يمتلكها الانسان دون غيره، وتكون المسكرات من أعدى أعداء هذه القوة، من هنا كان المنع من تعاطي الخمور والمسكرات من أبرز البرامج التي جاء بها الأنبياء، وكانت الخمور محرمة في جميع الشرائع السماوية[1].

---

(١) عام ١٣٣٩ هجري زار الدكتور آرشه تونك رئيس منظمة مكافحة الخمور ايران، وقد سرّ لما سمع أن الاسلام يحرم تعاطي المسكرات.

وقد كان يحبّ أن يلتقي بزعيم المذهب الشيعي يومئذ: (آية الله السيد البروجردي) ليتعرف على رأي الاسلام في الخمور والمسكرات، فاصطحبه أحد الدكاترة المعروفين في طهران إلى منزل السيد البروجردي في مدينة «قم»، وبعد الاستئذان تشرف بلقاء السيد، وقد حضر العلامة الطباطبائي في ذلك المجلس وكنت أنا ووالدي حاضرين هناك كذلك.

فكان أول سؤال طرحه الدكتور هو: لماذا حرم الاسلام المسكرات؟

فقال الامام البروجردي: يكفي أن أُشير لك من بين العلل الكثيرة إلى علة واحدة وهي أن الخمرة تحطّم العقل الذي به يمتاز الانسان عن سائر الاحياء، ويتميز عليهم. كما اوضحناه اعلاه.

ولقد كانت معاقرة الخمور من الآفات التي كانت متفشية ومتجذرة في المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربيّة بحيث كانت معالجتها تحتاج الى وقت طويل، واسلوب مدروس، ولم تكن الظروف والاحوال في ذلك العهد لتسمح بأن يعلن رسولُ الاسلام عن تحريم الخمر دفعةً واحدةً ومن دون اية مقدمات، وممهّدات لذلك، بل كان يتحتم عليه أن يعالج هذا الوباء الاجتماعيّ من خلال إعداد الناس لمرحلة التحريم النهائي والقطعي تماماً كما يفعل الطبيب بالنسبة إلى المرضى الذين طال بهم المرض، وتجذر.

من هنا حرّمت الخمر في أربع مراحل تدريجية ضمن آيات أربع أظهرت الاستياء من الخمر لكن لاعلى نمطٍ واحدٍ، بل بدأت من مرحلةٍ مخفّفة حتى انتهت إلى مرحلة الاعلان عن التحريم القطعي.

إنّ التمعن في هذه الآيات تكشف لنا عن كيفيّة الأُسلوب النبويّ في التبليغ والإرشاد، والدعوة والهداية، وينبغي للخطباء، والكتاب أن يتبعوا هذا الاسلوب المؤثر والمفيد في معالجة الأدواء الاجتماعية المزمنة، ويكافحها بهذا الشكل حتى يحصلوا على أفضل النتائج.

إن الشرط الاساسي لمكافحة ناجحة لأيّ خلق وسلوك فاسد هو إيقاظ المجتمع وإيقافه أوّلاً على أضرار ذلك السلوك، ومفاسده، وتذكيره بآثاره السيئة ليحصل لدى المجتمع -بذلك- الاستعداد الروحي بل والدافع الباطني إلى خوض معركة أساسية وجذرية ضدّ ذلك السلوك الفاسد، والخلق الذميم، ويكون الناس هم الضمانة لانجاح هذه المهمة. وذلك لأن ردّ المعتاد عن عادته كالمعجز كما في الحديث الشريف[1].

كيف والعرب كانوا يعشقون الخمرة حتى أن الرجل منهم ربما كان يوصي بأن يدفن الى جنب كرمة لتسقى عظامه بالخمر.

يقول أحدهم:

---

(١) مفاتيح الغيب: ج٢ ص٢٦٣.

٢١٨ ـــــــ

الآية، فقد تلاسورة «الكافرون»، وبدل أن يقول: «لاأعبُدُ ماتعبدون» قرأ: «أعْبُدُ ماتعبدون». فاضطربت تلك الجماعة لهذا الأمر، وخشيت أن تكون ارتكبت بذلك أمراً عظيماً!!

وقد هيّأ هذا الحادث الناس ليحرّم تعاطي الخمر في ظروف وحالات خاصة على الاقل.

من هنا جاء الاعلان عن حرمة تعاطي الخمر قبل الصلاة، وأعلن القرآن الكريم بصراحة أنه لايجوز لمسلم أن يصلّي في حالة السكر، وقد أعلن عن هذا التشريع الالهيّ في قول الله تعالى:

«ياأيّها الّذينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصلاة وَأنْتُمْ سُكارى حتّىٰ تعلَمُوا ماتَقولُون»[1].

ولقد بلغ من تأثير هذه الآية، وفاعليتها أن هجر جماعة من المسلمين تعاطي الخمر بالمرّة بحجة أن مايضرّ بالصلاة يجب ان يُطرَد من حياة المسلم نهائياً.

ولكن البعض بقي يتعاطاها حتى أنّ رجلاً من الأنصار دعا جماعة الى مائدة أحضر فيها الخمر ـ رغم نزول الآية الحاضرة ـ فلما شربوا وأسكروا حمل بعضهم على بعض، وجرح بعضهم بعضاً فشكوا أمرهم إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله، وكان الخليفة الثاني لم يزل يشرب الخمر إلى ذلك معتقداً عدم كفاية الآية الحاضرة في التحريم القطعيّ لها ولهذا رفع يديه إلى السماء وقال: اللّهم بيّن لنا بياناً شافياً في الخمر.

ولايخفى أن هذه الحوادث والوقائع المؤسفة قد هيّأت الارضية بشكل رائع لتقبّل مسألة تحريم الخمر تحريماً كاملاً وقاطعاً، من هنا نزل قولُه تعالى يعلن عن هذه الحرمة القطعية:

«ياأيّها الذِينَ آمَنُوا انّما الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ والأنْصاب والأزْلام رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون»[2].

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

٢٢٠ ـــــــ

فهل ينتظر هواة الغرب بعد هذا البيان الواضح والتحريم الصريح بياناً كافياً شافياً؟!

وفي الحقيقه نحن لانحتاج إلى مثل هذا الاستدلال أبداً فالآيات الأربع المتقدمة التي وصفت الخمر بأنها «رجس» وأنها نظير «الميسر»، وأنها «عمل شيطاني»، مناقض للفلاح، وسببٌ «للعداوة» و«البغضاء»، قد أعلنت عن حرمتها بصورة واضحة لا إبهام فيها، ولاغموض، وهي بالتالي أقوى بيان لمن تدبّر وأنصف، وتجرّد عن الاهواء والأغراض المريضة.

وهنا لابدّ أن نذكّر بنقطةٍ هامةٍ وهي أن النبيّ الاكرم صلّى الله عليه وآله إستطاع ان يطهّر في هدى هذه الآيات الأربع، بيئته ومجتمعهُ من أدران هذه العادة الشريرة، ويقوم المؤمنون أنفسهم بتنفيذ هذا الحكم من دون قهر أو إجبار، بينما لم يستطع العالمُ الغربي رغم كل مايملك من الإمكانات الماديّة العريضة، وأجهزة الدعاية الواسعة أن يخطو خطوةً ناجحةً في هذا الطريق، فقد اخفقت كل خططه، أمامَ هذا السمّ القاتل، والفشل الذي أصاب الولايات المتحدة في مكافحة المشروبات الروحية في أعوام ١٩٣٣- ١٩٣٥ أمر معروف للجميع، وله قصة عجيبة يمكن أن يقف عليها القارئ الكريم في مصادرها[1].

رواية مختلَقَة:

ومن عجيب الأمر أن يروي بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى: «ولا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون» رواية جاء فيها أن امام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام كان ضمن جماعة شربوا الخمر ثم قاموا الى الصلاة فقرأ أمامهم غلطاً: «اعبد ماتعبدون» فانزل الله تعالى هذه الآية: «لا تقربواالصلاةوانتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون».

نقول إن من العجيب أن تنسب إلى الامام علي عليه السلام مثل هذه

(١) راجع ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين :ص٨٠وغيره.

٢٢٢ ـــــــ

وما عبدت صنماً قط لأني علمت أنه لايضر ولاينفع.

فضرب النبيّ صلّى الله عليه وآله على عاتقه وقال: «حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة في الجنّة»[١].

نعم هذا هو موقف من هو أقل مرتبة ومنزلة من الإمام علي عليه السلام من الخمر، ولو في العهد الجاهلي، وقبل تحريمها في الاسلام.

لكن يد الوضع والدس أبت إلّا أن تختلق رواية في المقام، فقد جاءت في جامع البيان للطبري روايتان نذكرهما سنداً ومتناً ليقف القارئ على ماتعانيان من مآخذ:

١ ـ حدثنا محمد بن بشار قال حدثنا عبدالرحمان قال حدثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبي عبدالرحمان عن علي أنه كان هو وعبدالرحمان ورجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبدالرحمان فقرأ: ياأيها الكافرون فخلط فيها فنزلت: لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى.

٢ ـ حدثني المثنى قال حدثنا الحجاج بن المنهال قال حدثنا حماد عن عطاء بن السائب عن عبدالله بن حبيب أن عبدالرحمان بن عوف صنع طعاماً وشراباً فدعا نفراً من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله فأكلوا وشربوا حتى تملّوا فقدّموا علياً يصلّي بهم المغرب فقرأ: قل ياأيها الكافرون اعبُد ماتعبدون وأنتم عابدون ماأعبد وأنا عابد ماعبدتم. لكم دينكم ولي دين. فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: «لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ماتقولون»[٢].

والروايتان ـ مضافا إلى مايرد عليهما من الاشكال ـ تعانيان من مؤاخذات متعددة أبرزها الاشكال في سندهما، فكلتا الروايتان تنتهيان إلى عطاء بن السائب، وهو مطعون في وثاقته وديانته، وفي حفظه وحديثه، واليك ماقال عنه أئمة علم الرجال:

---

(١) الدرجات الرفيعة: ص٧٠ نقلاً عن الامالي لابن بابويه.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري: ج٥ ص٦١.

٢٢٤ ـــــــ

فترة صباه في كنف رسول الله صلّى الله عليه وآله فانه أفضل ردّ على هذه الرواية ونظائرها: قال عليه السلام:

«قَد علمتُم موضعي من رسول الله صلّى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وَضَعني في حِجره وأنا وَلدٌ يضمّني الى صدره، ويكنفني في فراشه، ويُمسّني جسَدَه ويُشِمُّني عرفه، وكان يمضغ الشيء فيلقمنيه وما وَجَدَ لي كذبةً في قول، ولاخطلة في فِعل، ولقد قرن الله به صلّى الله عليه وآله من لدن كان فطيماً أعظمَ مَلَك من ملائكته يسلُك به طريقَ المكارم، ومحاسنَ أخلاق العالَم، ليلَه ونهارَه، ولقد كنتُ اتبعُه إتباع الفصيل أثر أُمه، يرفع لي في كل يومٍ من أخلاقه عَلَماً، ويأمرني بالاقتداء به»[1].

هذا وأغلب الظن ان الذين اختلقوا هذه الرواية لما وجدوا أمثال هذه القبائح في حياة بعض الصحابة أرادوا ان يساووا بين الامام علي عليه السلام وغيره، فاختلقوا هذه الفرية الوقحة.

ومما يثير الاستغراب أن يقع بعض الكتّاب والمفكّرين المعاصرين في نفس ماوقع القدامى من الخطأ في هذا المجال، ويذكر هاتين الروايتين في تفسيره للقرآن الكريم، مع كل هذه المؤاخذات عليهما حتى في صورة النقل، كما فعل سيد قطب في تفسيره «في ظلال القرآن»[2]، إذ ليس كلّ ماهو مذكور في كتب الاقدمين يصح نقله، ويجوز تكراره. وبخاصة من دون تعليق وتكذيب.

غزوةُ ذات الرقاع:

قيل إنما سُمّيت هذه الغزوة، وهذا الجهاد المقدس بالرقاع، لأنّ المسلمين مرّوا بأرض بقع سود، وبقع بيض كأنها مرقعة برقاع مختلفة.

وربما قيل لأن الحجارة أوهنَت أقدام المجاهدين فكانوا يلفّون على أرجلهم

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ١٩٢.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: «ولا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى».

٢٢٦ ـــــــ

مواقف خالدة في هذه الغزوة:

يروي المؤرخون والمفسرون المسلمون كابن هشام[١] وأمين الاسلام الطبرسي[٢] قصصاً عجيبة، وحوادث مثيرة للاعجاب وقعت في هذه الغزوة تكشف عن عمق مروءة النبيّ صلّى الله عليه وآله مع أعدائه، وقد نقلنا نظير هذا في غزوة ذي أمر، من هنا نحجم عن ذكر ذلك في هذه الدراسة رعاية للاختصار، ولكن نلفت نظر القارئ الكريم إلى القصة التالية التي تكشف عن صمود المسلمين واخلاصهم لدينهم.

الحُرّاس الصامدون:

مع أن جيش الاسلام قد عاد الى المدينة من هذه الغزوة من دون قِتال ولكنّه أصاب مع ذلك بعض الغنائم، واستراح في شِعبٍ في أثناء الطريق، وبات ليلته هناك ، ثم كلّف رسول الله صلّى الله عليه وآله رجلين بحراسة الجيش ليلاً يدعيان: «عباد» و«عمار»، فقسم الرجلان الليل بينهما، فنام أحدهما وسهر الآخر يحرس الجيش، وكان الذي سهر أول الليل هو «عباد».

ثم إن رجلاً من العدوّ خرج في أثر المسلمين، وكان يقصد أن يريق دماً أو يصيب شيئاً ويعود الى محله.

وقام «عباد» يصلّي، وأقبل ذلك الرجل يطلب غِرّةً فلما رأى «عباد» سوادَه من قريب قال ذلك الرجل في نفسه: نعلم الله أنّ هذا لطليعة القوم، وحرسهم ففوّق له سهماً ورماه به فأصاب عباداً ولكن عبّاداً نزع السهمَ ووضعه، وثبت قائماً يصلّي فرماه العدوّ بسهم آخر، فأصابه فانتزعه وثبت قائماً فرماه بثالثٍ فنزعه، فلما غلب عليه الدم ركع وسجد، ثم قالَ لصاحبه: اجلِس فقد أُصبتُ، فجلسَ عمّار، فلمّا رأى الاعرابيُ أن عماراً قد قام علم أنهما قد علما

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٠٥ ـ ٢٠٩.

(٢) مجمع البيان: ج٣ ص١٠٣.

٢٢٨ ـــــــ

وآله ويخوّفهم من الخروج إلى أبي سفيان إلّا أن كلامَه لم يترك أي أثر في نفس رسول الله صلّى الله عليه وآله، فخرج صلّى الله عليه وآله في ألفٍ وخمسمائة مقاتل من أصحابه، وقد خرجوا ببضائع لهم، وتجارات حتى انتهوا الى «بدر» وقام السوق السنوي هناك فباعوا واشتروا في موسم بدر وربحوا كثيرا ثم تفرّق الناس، ولكن النبيّ وأصحابه بقوا هناك ثمانية أيام ينتظرون أبا سفيان وجيشه.

وقد كان هذا الاجراء اجراءً عسكريا حكيماً ورائعاً إذ أظهر قوة النبيّ وعزيمته وقوة أصحابه وعزيمتهم، ولهذا كان له أثرٌ قوي في نفوس الاعداء.

فلما بلغت أنباء خروج رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه الى بدر، لم ير حكّام مكة المشركون بدّاً من الخروج إلى بدر حفاظاً على ماء الوجه، فخرج أبو سفيان والمشركون بتجهيزات كافية إلى مرّ الظهران، ولكنهم عادوا من منتصف الطريق إلى مكة بحجة الغلاء والقحط، فاعترض صفوان بن أُميّة على أبي سفيان وقال: قدوالله نهيتُك يومئذ أن تعد القومَ، وقد اجترأوا علينا، ورأوا انا قد أخلفناهم، وانما خلفنا الضعف عنهم[1].

ولادةُ السِبط الأصغر لرسول الله:

وفي الثالث من شهر شعبان من هذه السنة (الرابعة من الهجرة) وُلِدَ السبط الثاني لرسول الله صلّى الله عليه وآله الامام الحسين بن عليّ[2] كما توفيت «فاطمة بنت أسد» والدة الإمام علي عليه السلام[3].

وفي هذا العام بالذات أمرَ رسول الله صلّى الله عليه وآله زيد بن حارثة أن يتعلم السريانية من اليهود[4].

---

(١) المغازي: ج١ ص٣٨٤ ـ ٣٩٠، وقد وقعت هذه الحادثة في الشهر الخامس والاربعين بعد الهجرة. وتسمى هذه الغزوة «بدر الموعد».

(٢) و(٣) تاريخ الخميس: ج١ ص٤٦٧.

(٤) إمتاع الاسماع: ص١٨٧، تاريخ الخميس: ج١ ص٤٦٤.

٣٦
من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة

تعتبر معركة «الاحزاب»، وقصة بني قريظة، وزواج رسول الله صلّى الله عليه وآله بزينب بنت جحش من أروع الحوادث التاريخية التي وقعت في السنة الخامسة من الهجرة.

وأوّل هذه الحوادث ـ كما عليه المؤرخون المسلمون ـ هو زواج رسول الله صلّى الله عليه وآله بالمرأة المذكورة.

وقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل هذه القضية ضمن الآيات (٤، ٦، ٣٦، الى ٤٠) من سورة «الاحزاب»، ولايبقى ـ حينئذ ـ مجال لأكاذيب المستشرقين ودسائسهم ومختلقاتهم الواهية.

ونحن هنا ندرُسُ هذه القضية على ضوء أصح المصادر والينابيع التاريخية الاسلامية التي لم تطلها أيدي العبث والتحريف، والمسخ، والتشويه، ألا وهو القرآن الكريم، ثم بعد ذلك نتحدث حول ماقاله المستشرقون ومن لف لفهم،

---

(١) يرى مؤلف كتاب تاريخ الخميس أن هذه الحادثة وقعت في شهر ذي القعدة من السنة الخامسة للهجرة ولكن هذا الرأي يبدو غير صحيح من وجهة نظر المحاسبة الاجتماعية، لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان منشغلاً بغزوة «الاحزاب»، و«بني قريظة» من ٢٤ شهر شوال من السنة الخامسة الى ١٩ من شهر ذي الحجة من نفس السنة فيكون تحقق مثل هذا الزواج في مثل هذه الظروف أمراً مستبعداً جداً، واذا كان الزواج من زينب يُعدّ من حوادث السنة الخامسة لزم ان يكون قد تحقق قبل الحادثتين المذكورتين، ولهذا عمدنا الى ذكر هذه الحادثه قبل تينيك الواقعتين.

ونحى منحاهم في التعامل مع تاريخ السيرة النبوية.

من هو زيد بن حارثة؟

كان زيد شاباً سرقه قُطّاع الطرق من الأعراب وهو صغير من قافلة، وباعوه عبداً في سوق عكاظ، وقد اشتراه حكيم بن حزام لعمّته خديجة بنت خويلد، وقد أهدته خديجة لرسول الله صلّى الله عليه وآله بعد زواجها منه.

ولقد دفعت سيرةُ النبيّ صلّى الله عليه وآله الحسنة، وأخلاقه الفاضلة وسجاياه النبيلة زيداً هذا في أن يحب رسول الله صلّى الله عليه وآله حباً شديداً، حتى أنه عندماجاء أبوه الى مكة يبحث عنه، وعلم بوجوده عند النبيّ صلّى الله عليه وآله مشي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وطلب منه أن يعتقه، ويعيده اليه، ليعيده بدوره إلى أُمه ويُلحقه بأقربائه، فابى زيد إلّا البقاء عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وفضّل ذلك على المضي مع أبيه، والعودة إلى وطنه، وعشيرته، وقد خيّره رسول الله صلّى الله عليه وآله في المكث عنده أو الرحيل مع أبيه إلى وطنه.

على أن ذلك الانجذاب والحب كان متبادلاً بين زيد ورسول الله صلّى الله عليه وآله فكما أن زيداً كان يحب رسول الله صلّى الله عليه وآله ويحب أخلاقه وخصاله، كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يحب زيداً كذلك لنباهته وأدبه حتى أنه أعتقه وتبنّاه، فكان الناس يدعونه زيد بن محمد بدل زيد بن حارثه، ولكي يتأكد ذلك وقف رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم وقال لقريش:

«يامن حَضَر إشهَدُوا أن زيداً هذا إبني»[1].

وقد بقي هذا الحبُ المتبادل بين زيد، وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أن استشهد هذا المسلم الصادق والمؤمن المجاهد في معركة مؤته، فحزن رسول الله صلّى الله عليه وآله لمصرعه كما حزن لولد من أولاده.

---

(١) اسدالغابة: ج٢ ص٢٣٥ وكذا الاستيعاب والإصابة مادة: زيد.

٢٣٢ ـــــــ

مِنْ أمْرِهِمْ، وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبيناً»[١].

فتلاها رسول الله صلّى الله عليه وآله عليهم فوراً فدفع إيمان زينب وأخيها الصادق برسول الله صلّى الله عليه وآله وأهدافه المقدسة إلى أن تبادر زينب إلى الاعلان عن رضاها ورضا أخيها بهذا الزواج، فتزوّجت ابنة شريف قوم «زينب» بعتيق رسول الله صلّى الله عليه وآله زيد وبذلك طبّق رسول الله صلّى الله عليه وآله واحداً من أعظم مناهج الاسلام الحيّة، وآدابه الانسانية الرفيعة، وحطّم عملياً واحدة من أقبح السنن الجاهلية، وأكثرها تخلفاً واجحافاً.

زيد يطلق زوجته:

إلا أن هذا الزواج لم يدم طويلاً، فقد آل إلى الطلاق، والافتراق ويعزى البعضُ ذلك إلى نفسيّة «زينب» وسلوكها الحاد حيث كانت ربما تذكر لزيد دنوّ حسبه، وعلوّ حسبها، وبذلك كانت تمرّ في ذائقته طعمَ الحياة وتسبّب انزعاجه.

ولكن يحتمل أن السبب وراء هذا الطلاق كان هو زيد نفسه، فان تاريخ حياته يشهد بأنه كان يعاني من روح العزلة، وعدم الالفة، فقد اتخذ أزواجاً متعددة وطلقهنّ (إلا الاخيرةمنهن حيث استشهد عنها وهي في حبالته) فيكون هذه الطلقات المتعددة دليلاً على عدم القدرة على الانسجام مع زوجاته، لحالة نفسيّة كان يعاني منها.

ويشهد بذلك أيضاً خطاب رسول الله صلّى الله عليه وآله الحادّ، له، فان النبيّ صلّى الله عليه وآله لمّا عرف بأن زيداً يبغي طلاق زوجته زينب غضب وقال: «إمسك عليكَ زوجَكَ واتّق الله»[٢].

ولو كان الذنب كلّه ذنب زوجته زينب لما كان يُعَدُّ تطليقها عملاً مخالفاً للتقوى.

---

(١) الاحزاب: ٣٦.

(٢) الاحزاب: ٣٧.

٢٣٤ ـــــــ

ماتَعمَّدَتْ قُلُوبكُم وَكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحيماً»[١].

فلايكون الابن المتبنى والولد الحقيقي في صعيد الموضوع سيان أبداً، فكيف في صعيد الاحكام كالتوارث، والزواج والطلاق وما شابه ذلك.

فاذا ورث الولد الحقيقي من ابيه او بالعكس أو حرمت زوجة الولد الحقيقي على أبيه بعد طلاقها من زوجها لايمكن أن نقول أن الابن المتبنى يشبهه ويشترك معه في هذه الاحكام أبداً.

ومن المسلم به أنَّ مثل هذا التشريك في الحقوق والشؤون مضافا إلى كونه لايستند الى أساس معقول وصحيح هو نوع من العبث بعامل النسب، وهو العنصر المهم في المجتمع السليم الصحيح.

وعلى هذا الاساس إذا كان التبني بدافع العاطفة أمراً مستحسناً ومقبولاً، إلّا أنّه إذاكان بهدف إشراكه في سلسلة من الأحكام الاجتماعية التي هي من شؤون الولد الحقيقي وحقوقه يعد أمراً بعيداً وغريباً جداً عن المحاسبات العلمية، والاسس الموضوعية.

ولقد كان المجتمع العربي ـ كما اسلفنا ـ يعدّ الابن بالتبني كالولد الحقيقي دون فرق، وقد كُلّف رسول الله صلّى الله عليه وآله من جانب الله تعالى بأن يقضي على هذا التقليد الجاهلي والسنة الخاطئة باجراءٍ عملي صارخ وذلك بالتزوج بزينب مطلّقة متبناه «زيد»، ويمحي من حياة المجتمع العربي هذا التقليد القبيح بالعمل الذي يفوق القول، ووضع القانون، في التأثير، والفاعلية. ولم يكن لهذه الزيجة غير هذا السبب.

لقد كان هذا التقليد أمراً مقدّساً في المجتمع العربي بشكلٍ كبير جدّاً بحيث لم يكن أحدٌ ليجرأ على نقضه ومخالفته والتزوج بمطلّقة دعيّه[٢] لقبحه في نظر العرب لذلك دعا الله سبحانه نبيّه الى القيام بهذا العمل الخطير، إذ قال:

---

(١) الأحزاب: ٤ وه ،راجع تفسير الميزان: ج١٦ ص٢٩٠ و٢٩١.

(٢) الدعيّ هوالابن المتبنى وجمعه أدعياء.

٢٣٦ ـــــــ

هـذه هي فلسفة تـزوّج رسول الله صلّى الله عليه وآلـه بزينب بنت جحش مطلّقة دعيّه ومتبناه وعتيقه زيد بن حارثة في ضوء القرآن الكريم.

المستشرقون وقضية تزوّج النبيّ بزينب:

إن زواج رسول الله صلّى الله عليه وآله بزينب مطلّقة زيد بن حارثة ـ كـمـا لاحظت ـ قضيةٌ بسيطةٌ خالية عن أي إبهام أو غموض.

ولكنَّ جماعةً من المستشرقين تذرّعوا بهـا لإغراء البسطاء ومـن شاكلـهم غير الملمّـين بالتاريخ الاسـلامي وأرادوا بذلك إضعاف إيمان الذين لايعرفون السيرة الـنـبـويّة حقَّ المعـرفـة، فـانّنا يجب أن ندرس مـاقـالـوه في هذا المجال، ونكشف للقـارئ الكريم عن مواطن الدسّ والتحريف فيه.

ولايخفى أن الاستعمار البغيض لم يكتف للسيطرة على بلادنا باستخدام القوة العسكرية، والسـلاح الاقتصادي بل ربما دخـلها متسـتراً بقناع العـلم والتحقيق، فقد سعى ـ ولم يـزل ـ لفـرض أسوأ هيمنةٍ فكـريةٍ شاملةٍ وتبعـيّة ثقافيّة مقـيتة على شعوبنا وفق تخطيط دقيق ومدروس وهذا هو مايسمّى بالاستعمار الفكري، والثقافي.

وفي الحقيقـة فان المستشـرِق هو طليعة ذلك الاسـتعمار، بل و جيشه المـتقنع بـقـنـاع الـعلـم والمعرفـة الذي يـنفذ إلى أعـماق المجـتمع، ويـتسلسـل إلى اوساط المفكـريـن والمثـقفين ويـنـفـث سمومه الـقـاتلة، ويحذر الـعـقول، ويمهّد الـنـفوس للاستعمار السافر، والمكشوف.

ويمكـن أن لايرتضـي كثير من الكتّاب وعشّاق القلم والثقافة في الغرب منطقنا هذا فيعمدوا الى رمينا بالتحجر، والعصبيّة والتخلف ويتصوروا باننا نقول مـانقوله بدافع العصبيّـة الـقومية أو الـديـنية، ولكـنَّ كـتاباتِ المستشـرقين وإخـفاءَهم المتعـمَّد والكثير للحـقائق، وتحريفـهم ودسّهم المكشـوف في تاريخ الاسلام حيـناً والخفيّ حيناً آخر يشـهد بوضوح أنّ دافعـهم في كثير ممّا كـتبوا ليس حبَّ الـعلم وتحرّي المعرفة، فان أكثر مـاكتبوه ممزوجٌ بطـائفةٍ من أفكارهم المعادية للاسلام، ولرسول

٢٣٨ ـــــــ

ابن الأثير، والطبريّ في حين أن هناك العشرات ممن نقلوا خلافها وبرّأوا ساحة النبيّ العظيم صلّى الله عليه وآله من هذه المساوئ.

وعلى أية حال فإننا نشير في الصفحات التالية دلائل اختلاق هذا القسم من التاريخ، ونعتقد أن القضية في واقعها وحقيقتها واضحة جداً، واغنى من ان ندافع عنها.

واليك أدِلّتنا:

أولاً ـ ان التاريخ المذكور يخالف المصدر الاسلامي الاصيل وهو (القرآن الكريم) لأنّ القرآن بشهادة الآية (٣٧) من سورة الأحزاب تصرّح بأنّ زواج رسول الله صلّى الله عليه وآله من زينب كان لأجل إبطال سنة جاهلية باطلة وهي السنّة القاضية بأنه لايحق لأحد أن يتزوج مطلقة دعيّه، خاصة وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله فعل ذلك بأمر الله سبحانه وليس بدافع من الرغبة الشخصية، والحب الشخصي، ولم يكذّب ذلك أحدٌ في صدر الاسلام.

فاذا كان ماقاله القرآن الكريم مخالفاً للحقيقة لسارع اليهود والنصارى والمنافقون الى نقده وتفنيده، ولأحدثوا ضجة بسبب ذلك، في حين أنّ مثل هذا لم يُؤثَر من أعداء الاسلام الذين كانوا يتحيّنون الفرص للايقاع برسول الله صلّى الله عليه وآله، وتلويث سمعته.

ثانياً ـ أن «زينب بنت جحش» هي تلك المرأة التي اقترحت على رسول الله صلّى الله عليه وآله الزواج بها قبلَ أن يتزوج بها «زيد» ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله أصرّ على ان تتزوج غلامَه المعتق زيداً رغم رغبتها في الزواج من رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فلو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يحبّ الزواج بها ـ وهو يعرفها طبعا ـ لما وجد مانعاً من ذلك عندما طلبت منه الزواج بها، فلماذا لم يتزوج بها؟ ولما رفض طلبها؟.

أجل، انه لم يتزوج بها ولم يجب مطلبها بل الحّ عليها أن تتزوج بشخص آخر رغم أنه أحسّ برغبةٍ شديدة لدى زينب في الزواج منه لامن غيره.

٢٤٠ ـــــــ

قال الفخر الرازي: وفيه إشارة إلى أنَّ التزويج من النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يكن لقضاء شهوة النبيّ صلّى الله عليه وآله بل لبيان الشريعة بفعله، انتهى.

ونحن نعتب عليه أيضاً إذ جعله اشارة ولم يجعله صريحاً وبما أن روح التقليد الأعمى قد اشتدّ بين المسلمين منذ زمن بعيد فالحكاية التي أوردها المؤلف نقلها كثير من المفسرين غير مفكرين بما فيها من طعن في الدين لإفادتها أن الشريعة الاسلامية عبارة عن إتباع أهواء أو تنفيذ شهوات تنزهت عن ذلك كله، ويرحم الله السيّد الآلوسي حيث قال في تفسيره: وحاصل العتاب: لِمَ قلتَ «اَمسِكْ عليك زوجَكَ»، وقد أعلمتك أنها ستكونُ من أزواجك وهو مطابق للتلاوة، لأنّ الله أعلم أنه مبدئ ماأخفاه عليه الصلاة والسلام ولم يظهر غير تزويجها منه فقال: «زوّجناكها» فلو كان الضمير محبتها وارادة طلاقها، ونحو ذلك لأظهره جلّ وعلا، وللقصّاص في هذه القصّة كلامٌ لاينبغي أن يُجعل في حيّز القبول، انتهى.

ثم أورد الروايات المزيفة التي تشبه ماأورده المؤلف (أي ابن الأثير) محذراً الناس منها ومن أمثالها التي لا تروج إلّاعلى الحمقى والمغفلين انتهى. راجع هامش الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٢١. طبعة القاهرة ادارة الطباعة المنيرية عام ١٣٤٩هـ.

توضيح عبارتين:

هذا واستكمالاً للبحث، واتماماً للفائدة ندرج نص الآية التي نزلت في هذا المجال، والتي تسبّبت جملتان منها في إثارة الشكوك لدى بعض الجاهلين بحقائق السيرة النبويّة الزكية، ونعطي بعض التوضيحات اللازمة حولها: واليك نص الآية أولاً:

«وَ إِذْ تَقُولُ لِلّذي أَنْعَمَ اللهُ عليه وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللّه».

٢٤٢ ـــــــ

في أزواج أدعيائهمْ إذا قضوا منهنَّ وطراً وكان امرالله مفعولاً»[١].

فمن هذا التعقيب يستفاد أن ما كان يخفيه رسول الله صلّى الله عليه وآله هو الوحيُ الالهيُ، بأنه عليه أن يتزوج بزوجة دعيّه بعد طلاقها لإبطال سنة جاهلية خاطئة.

٢ ـ و اما الجملة الثانية التي هي بحاجة الى التوضيح فهي قوله تعالى: «وَ تَخْشَى النّاسَ وَ الله أَحقُّ أَنْ تخشاهُ». غير أن هذا القسم من الآية هي الجملة الثانية الأقلّ إيهاماً وغموضاً من الجملة السابقه بدرجات، لأن تجاهل سنّة عريقة متجذرة في بيئة منحرفة (وهي الزواج بمطلّقة الدعيّ) يقترن ـ بطبيعة الحال وحتماً ـ بحرج نفسيٍّ يزول ويرتفع لدى الأنبياء بتوجههم إلى الأمر الالهي..

و اذا كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يعاني من حرج نفسيٍّ شديد من هذه القضيّة فانما هو لأجل أنه صلّى الله عليه وآله كان يتصوّر أن جماعة العرب الذين لم يكن عهدهم بالإسلام طويلاً، لم يمر على انقطاعهم عن عاداتهم وتقاليدهم الجاهلية سوى زمن قصير سيقولون: إن النبي ارتكب عملاً سيّئاً، والحال أن الامر ليس كما يعتقدون.

قال العلامة الطباطبائي في هذا الصدد: قوله: «لكي لايكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم لمّا قضوا منهن وطراً» تعليل للتزويج وبيان مصلحة للحكم. وقوله: و «كان أمرالله مفعولاً» مشيرٌ الى تحقق الوقوع وتأكيد للحكم.

و من ذلك يظهر أن الذي كان النبيّ صلّى الله عليه وآله يخفيه في نفسه هو ما فرض الله له أن يتزوجها لا هواها، وحبه الشديد لها وهي بعدُ مزوَّجة كما ذكره جمع من المفسرين، واعتذروا بأنها حالة جبليّة لايكاد يسلم منها البشر فإن فيه أولاً: منع أن يكون بحيث يقوى عليه التربية الإلهية.وثانياً: أنه لامعنى حينئذ للعتاب على كتمانه وإخفائه في نفسه فلا مجوّز في الإسلام لذكر حلائل الناس

---

(١) الاحزاب: ٣٧.

٢٤٤ ـــــــ

٤ ـ إن الله هو الذي يعلم ما يصلح لهذه البشرية ومايصلحها وهو الذي فرض على النبيّ مافرض ليحلّ للناس ازواج أدعيائهم اذا ما قضوا منهن وطراً وانتهت حاجتهم منهن واطلقوا سراحهن. قضى الله هذا وفق علمه بكل شيء، ومعرفته بالاصلح والاوفق من النظم والشرائع.

٥ ـ إن ماسنّه الله للمسلمين وما اختارهُ تعالى للامة الاسلامية في مجال العلاقات العائلية يريد بها الخير والخروج من الظلمات إلى النور، فعليهم ان يذكروه ويشكروه أبداً ودائماً، فانه سيكون لهم لو أطاعوه وسبّحوه وذكروه شأن في الملأ الاعلى فهو يصلي عليهم و ملائكته، ويذكرهم هناك بالخير، وانما يفعل كل هذا من منطلق الرحمة والعناية بهم.

٦ ـ أن وظيفة النبي صلّى الله عليه وآله في المسلمين هي (الشهادة) عليهم، فليحسنوا العمل، وهي (التبشير) لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران، و(الانذار) للغافلين المسيئين بما ينتظرهم من عذاب ونكال، و(الدعوة الى الله) لا إلى دنيا أو مجد أو عزة قومية أو عصبيّة جاهلية، وذلك باذن الله فماهو بمبتدع، ولا بقائل من عنده شيئاً.

٧ ـ ان على النبي صلّى الله عليه وآله أن يبشّر المؤمنين المطيعين لاوامر الله بأن لهم فضلاً كبيراً، ولا يطيع الكافرين، والمنافقين، وألّا يحفل أذاهم له وللمؤمنين، وان يتوكل على الله وحده وهو بنصره كفيل، وهو يوحي بأن المنافقين أرجفوا بالنبي صلّى الله عليه وآله في هذه القضية، ارجافاً عظيماً.

و كل هذه الامور توحي بأن تغيير تلك السنة الجاهلية (عدم الزواج بمطلّقة المتبنّى) كانت عملية صعبة فاحتاجت إلى كل هذا التعقيب، وبالتالي تثبيت الله للنفوس فيه، كي تتلقى ذلك الأمر بالرضى والقبول والتسليم، وهذا هو الحال عند سنّ القوانين المهمّة والخطيرة.

٣٧
غزوة الاحزاب[١]

لقد قاد رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في السنة الخامسة مجموعة من الغزوات، كما وبعث سلسلة من السرايا لافشال المؤامرات التي كانت في طور الانعقاد أو التكوين أو التي كانت محتملة من جانب العدو.

واليك فيما يأتي بعض غزوات السنة الخامسة:

١ ـ غَزوة دُومة الجندل[٢]:

بلغ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله أنّ بدومة الجندل جمعاً كثيراً وأنهم يظلمون من مرّبهم من المسافرين والتجار، وأنهم يريدون أن يدنوا من المدينة، فخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله في ألف من المسلمين، فكان يسير الليل ويكمن النهار أخذ بعنصر الاستتار والسرية على عادته.

ولمادنا رسول الله صلّى الله عليه وآله من دومة الجندل وعرف به تلك الجماعة تفرقوا من فورهم فلم يجد صلّى الله عليه وآله بها أحداً، فأقام بها أيّاماً وبثّ السرايا والدوريّات وفرّقها حتى غابوا عنه يوماً ثم رجعوا اليه، ولم يصادفوا من

---

(١) ذكر ابن هشام في سيرته أن هذه الغزوة وقعت في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، وحيث إن غزوة الأحزاب انتهت في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة، وطالت محاصرة المدينة شهراً واحداً لذلك يجب أن نقول إن هذه المعركة بدأت منذ الرابع والعشرين من شهر شوال تقريباً.

(٢) المغازي: ج١ ص ٤٠٢، السيرة النبوية: ج٣ ص٢١٣ ودومة الجندل منطقة بين دمشق والمدينة (الطبقات الكبرى: ج٢ ص٤٤).

تلك الجماعة أحداً.

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله عاد إلى المدينة في العشرين من شهر ربيع الثاني، من دون ان يقاتل[١].

* * *

٢ـ غزوة الخندق (الأحزاب):

أجلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يهود بني النضير في السنة الرابعة من الهجرة كما قلنا بسبب نقضهم للميثاق، وسيطر على قسم من أموالهم وممتلكاتهم، واضطرّت بنو النضيرإلى أن تذهب الى «خيبر» وتسكن هناك، أو تسير الى الشام.

و قد كان إجراء النبيّ صلّى الله عليه وآله هذامتطابقاً مع ماجاء في الميثاق المعقود بينه وبين يهود يثرب.

و قد دفع هذا الإجراء بسادة بني النضير وزعمائهم الى التآمر ضدّ الإسلام، فقدموا مكة، وحرّضوا قريشاً على حرب رسول الله صلّى الله عليه وآله واليك مفصل هذه الغزوة:

عَبّأ المشركون العربُ، واليهودُ قواهم في هذه المعركه ضدّ الاسلام.

فقد شكّلوا إتحاداً نظامياً قوياً وحاصروا المدينة مدة شهر واحد، وبما أن أحزاباً مختلفة اشتركت في هذه المعركة سميت هذه المعركة بمعركة الأحزاب، وربما سمّيت بمعركة «الخندق» لأن المسلمين احتفروا خندقاً حول المدينة عظيماً، دفاعاً عنها، ومنعاً للكفار عن اجتياحها.

و لقد كان زعماء بنى النضير وبنى وائل ـ كما أسلفنا ـ هم المحرّكون الأصليّون لهذه الحرب، والمشعلون الرئيسيون لفتيلها.

---

(١) امتاع الاسماع: ج١ ص١٩٣ و ١٩٤.

٢٤٨ ـــــــ

وصفوا اليهود بالعلم والمعرفة، وطلبوا منهم حل مشكلتهم؟! «أجل لقد قال اليهود بوقاحة كبيرة: بل دينكم خيرٌ من دينه، وأنتم أولى بالحق، إنكم لتعظّمون هذا البيت، وتقومون على السقاية، وتنحرون البُدن، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم، فانتم أولى بالحق منه!!!»[١].

و لقد أضافت اليهود بهذه الاجابة الوقحة وصمة عار أُخرى الى سجلّهم الاسود، وزادوا تاريخهم المشؤوم سواداً، وسوءً.

و لقد كانت هذه الغلطة فضيعة، وقبيحة الى درجة أنّ الكتّاب اليهود تأسّفوا لوقوعها، في مابعد.

فهذا هو الدكتور اسرائيل يكتب في كتابه: (تاريخ اليهود في بلاد العرب) حول هذا الموقف المشين جداً قائلاً: «كان من واجب هؤلاء الايتورّطوا في مثل هذا الخطأ الفاحش، والايصرّحوا امام زعماء قريش بأن عبادة الاصنام أفضل من التوحيد الاسلامي ولوأدى بهم الأمر الى عدم اجابة مطالبهم كان من واجبهم أن يضحّوا بحياتهم وكل عزيز لديهم في سبيل ان يخذلوا المشركين، هذا فضلاً عن أنهم بالتجائهم إلى عبدة الاصنام انما كانوا يحاربون أنفسهم ويناقضون تعاليم التوراة»[٢].

و في الحقيقه أن هذا المنطق هو الذي يتوسّل به الساسة الماديون اليوم لإنجاح مقاصدهم، وتحقيق مآربهم. فهم يعتقدون -بكل جدّ- أن عليهم -لتحقيق أهدافهم- التوسل بكل وسيلة ممكنة مشروعة كانت أو غير مشروعة، وهذا هو مقولة «الغاية تبرر الوسيلة» التي طرحها ميكافيلي، وبالتالي فان «الاخلاق» في منظور هذه الجماعة هو مايخدم مصالحهم ويحقق أغراضهم ليس إلّا.

إن القرآن الكريم يتحدث عن هذه الواقعة المرة فيقول:

«ألم تَر إلى الَّذين أُوْتوا نَصِيباً مِنَ الكِتاب يؤمنون بالجبْتِ وَ الطّاغُوت وَ

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٠ ص٢١٧.

(٢) حياة محمّد: ص ٣٢٩.

٢٥٠ ـــــــ

الكبيرة ومسيرها إلى المدينة، وبهدفها، وتاريخ خروجها، ووصولها إلى مشارف يثرب.

فرعا رسول الله صلّى الله عليه وآله أصحابه فوراً وأخبرهم خبر عدوّهم، وشاورهم في الامر، ليستفيدوا من تجارب «أُحُد»، فاقترح جماعة منهم اسلوب التحصن، والقيام بالدّفاع من داخل القلاع والحصون، ولكن هذا العمل لم يكن كافياً لأن جيش العدوّ كان كثيفاً وكبيراًجداً وكان من المحتمل بقوّة أن تقوم عناصره الكثيرة، الكبيرة في عددها بهدم الحصون والقلاع، والقضاء على المسلمين، فلابد اذن من اتخاذ وسيلة تمنع العدوّ من الاقتراب الى المدينة أصلاً.

فقال سلمان الفارسي الذي كان عارفاً بفنون القتال عند الفرس معرفة كاملة: يارسول الله إنّا اذا كُنّا بأرض فارس، وتخوّفْنا الخيل، خَنْدَقْنا حولنا، فهَلْ لك يارسول الله أَنْ تخندقَ؟[1]

و في رواية أُخرى أنه قال: يا رسول الله نَحفر خندقا يكون بيننا وبينهم حجاباً، فلا يمكنهم أن يأتونا من كل وجه، فانا كنّا معاشر العجم في بلاد فارس اذا دهمنا دهم من عدونا نحفر الخنادق فيكون الحرب من مواضع معروفة[2]، (أي محدودة).

فا عجب رأى سلمان المسلمين جميعاً، وكان لهذا التكتيك أثرٌ جوهري وبارز جداً في حفظ الاسلام وصيانة المسلمين.

ومن الجدير بالذكر أن النبي صلّى الله عليه وآله خرج بنفسه يدرس المنطقة ميدانياً ولكى يحدّد المنطقة التي يمكن ان ينفذ من خلالها العدو فقرر ان يحفروا الخندق من ناحية «أُحد» الى «راتج» وكان سائر المدينة مشبك بالبنيان والنخيل لايتمكن العدو منها، وعلّم الموضع الذي يجب ان يحفر بخط خطّه على

---

(١) المغازي: ج٢ ص٤٤٥،تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٣٤.

(٢) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٢١٨.

٢٥٢ ـــــــ

أما طول الخندق فكان بالنظر الى عدد العاملين في حفرها ـ وقد كان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف حسب المشهور، وكان كل عشرة يحفرون (٤٠) ذراعاً ـ هو (١٢٠٠٠) ذراعاً اي ما يقارب خمس كيلومترات ونصف الكيلومتر، وأما العرض فكان بحيث لايقدر الفرسان الماهرون من عبوره بالقفز بأفراسهم، فيكون عرضه بطبيعة الحال مايقارب خمسة أمتار وعمقه خمسة أمتار أيضاً.

القولة النبوية الخالدة في شأن سلمان:

عندما قسّم رسول الله صلّى الله عليه وآله المهاجرين والانصار جماعات جماعات، وأوكل الى كل جماعة حفر موضع من الخندق، تنافس الناس يومئذ في سلمان الفارسي وأراد كلٌ أن يضمّه الى صفّه، فقال المهاجرون: سلمان منا وقالت الأنصار: سلمان منا و نحن أحق به!!

فبلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله قولهم فقال قولته الخالدة في شأن سلمان يومذاك :

«سلمانُ منّا أهل البيت»[1].

ثم إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بقي الى جانب الخندق ستة ليال بأيّامها حتى فرغ المسلمون من عمل الخندق غير أن المنافقين تخاذلوا في هذه القضيّة وكانوا يتذرعون بأعذار مختلفة ليتملّصوا من العمل في الخندق، وربما كانوا يَذهبون إلى منازلهم من دون أن يستأذنوا رسول الله صلّى الله عليه وآله.

أما المؤمنون الصادقون فكانوا يعملون باستمرار، واذا ما احتاجوا إلى الذهاب إلى منازلهم أحياناً، أو جدَّ لهم عذرٌ استأذنوا رسول الله صلّى الله عليه وآله فأذن لهم ثم عادوا الى الخندق فور أن يرتفع عذرهم، وقد ذكر القرآن الكريم هذه القضية في سورة النور في الآيات ٦٢ و ٦٣ اذ يقول تعالى:

---

(١) المغازي: ج٢ ص٤٤٦، الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٢٢.

٢٥٤ ـــــــ

آلاف، وقد استقروا جميعاً في مكان آخر.

وأمّا عدد المسلمين فكان لايتجاوز ثلاثة آلاف، وقد نزلوا في سفح جبل سلع وهو موضع مرتفع، مشرف على الخندق وخارجه، إشرافاً كاملاً بحيث يمكن معه مراقبة جميع تحركات العدوّ ونشاطاته منه.

وقد وكل النبي صلّى الله عليه وآله جماعة من أصحابه بحفظ الممرّات ونقاط العبور على الخندق ومراقبة تحركات العدوّ، ورصد عناصره. وبذلك كان المسلمون يملكون متراساً قوياً طبيعياً، وغير طبيعي، اذ أن سائر المدينة كان مشبكا بالبنيان، والنخيل كما أسلفنا.

لقد حاصر الكفار «المدينة» مايقرب من شهر واحد، ومكثوا خلف الخندق متحيّرين، ولم يستطع أن يعبر منهم الخندق الاّ أفراد معدودون، فمن كان يفكر في العبور رماه المسلمون بالحجارة، فولّى هارباً!!

وللمسلمين في هذه الفترة قصص جميلة ومواقف رائعة مع عناصر الجيش العربي المعتدي ذكرتها صحائف التاريخ الاسلامي في مواضعها[1].

خطر البرد، و تناقص الغذاء والعلف:

صادفت غزوة الخندق فصل الشتاء وكانت المدينة قد أُصيبت في تلك السنة بقلة الغيث، ولذلك كانت تعاني من نقص في الطعام.

كما أن طعام المشركين لم يكن هو الآخر يكفي لمدة طويلة، ولم يكن أحد منهم يتصور أن عليه أن يمكث خلف الخندق مدة شهر واحد، بل كان المشركون -جميعاً- يرون -بادئ الأمر- أنهم سيقضون بهجوم واحد واسع، على جنود الاسلام، ويجتاحون المدينة، ويستأصلون المسلمين!!

ولقد أدرك مثيرو هذه الحرب العدوانية (اليهود) هذه المشكلة بعد أيام،

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٢٥ - ٢٢٨.

٢٥٦ ـــــــ

فأجابه كعب قائلاً: لقد جئتني -والله- بذلّ الدهر، وبسحاب يبرق ويرعد وليس فيه شيء، وأنا في بحر لجي لاأقدر على أن أريم داري ومالي معي، والصبيان والنساء، اني لم أرَ من محمَّد إلّا صدقاً ووفاء فارجع عنّي، فانه لاحاجة لي فيما جئتني به.

ولكن حييّ بن أخطب لم يزل يراوض كعباً ويخاتله ويلحّ عليه كما يفعل صاحب الإبل الجامع الذي يستصعب عليه، حتى اقنعه بنقض عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وهيّا لذلك، فقال: أنا أخشى أن لايقتل محمَّد وتنصرفَ قريشٌ إلى بلادها، فماذا نفعلُ حينذاك ؟ فوعده حيي أن يدخل معه حصنهُ ليصيبه ماأصابه ان لم يُقتل محمَّد صلّى الله عليه وآله.

فقال كعب: دَعني أُشاور رؤساء اليهود فدعا رؤساء اليهود وشيوخهم، وخبرهم الخبر، وحيى حاضرٌ، وقال لهم كعبٌ: ماترون؟ فقالوا: أنت سيدنا، والمطاع فينا، وصاحب عهدنا وعقدنا فان نقضت نقضنا معك وإن أقمت أقمنا معك، وإن خرجت خرجنا معك.

فقال «الزبير بن باطا» وكان شيخاً كبيراً مجرّباً قد ذهب بصره: قد قرأت في التوراة التي أنزلها الله في سفرنا يبعث نبيّاً في آخرالزمان، يكون مخرجُه بمكة، ومهاجرُه في هذه البحيرة... يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر فان كان هذا (أي محمَّد) هو فلا يهولنّه هؤلاء ولاجمعهم، ولوناوى على هذه الجبال الرواسي لغلبها.

فقال أخطب من فوره: ليس هذا ذاك، ذلك النبيُ من بني إسرائيل، وهذا من العرب من ولد اسماعيل، ولايكونوا بنواسرائيل أتباعاً لولد اسماعيل أبداً، لأنَّ الله فضّلهم على الناس جميعاً وجعل فيهم النبوة والملك، وليس مع محمَّد آية، وإنّما جمعهم جمعاً وسحرهم!!

ولم يزل يقنّع بهم، ويقلّبهم عن رأيهم، ويلحُّ عليهم حتى أجابوه، ورضوا بأن ينقضوا العهد الذي بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فقال: أخرجوا الكتاب الذي بينكم وبين محمَّد، فأخرجوه، فأخذه ومزقه،

٢٥٨ ـــــــ

وعمق سياسته، فقد قالها لكي لا تضعف معنوية المسلمين، ولايتملكهم الخوف إذا سمعوا بنقض بني قريظة للعهد، وهم في تلك الظروف الحرجة الشديدة أحوج مايكونون إلى المعنويات العالية، والاحساس بروح النصر.

تجاوزات بني قريظة الاولية:

كانت الخطة المبدأية لبني قريظة تقضي بأن يبدأوا عملهم الخياني بالاغارة على المدينة، وإرعاب النساء والاطفال الموجودين في البيوت والمنازل، وقد نفذت مراحل من هذه الخطة تدريجاً!!

فقد أخذ بعض صناديد بني قريظة يحومون حول بيوت المسلمين التي فيها اطفالهم ونساؤوهم بصورة مشبوهة!!

تقول «صفية بنت عبدالمطلب» عمة النبيّ صلّى الله عليه وآله: كنت في فارع، حصن حسان بن ثابت وكان حسان بن ثابت معنا فيه، مع النساء والصبيان، فمرّبنا رجل من يهود. فجعل يطيف بالحصن، وقد حاربت بنوقريظة، وقطعت مابينها وبين رسول صلّى الله عليه وآله، وليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنا، ورسول الله صلّى الله عليه وآله والمسلمون في نحور عدوّهم، لايستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتاناآت، فقلت لحسان: إن هذا اليهوديّ كماترى يُطيف بالحصن، وإنّي والله ما آمنه أن يدل علينا مَن وراءه مِن يهود، وقد شُغل عنا رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأصحابه، فانزل إليه فاقتله، قال: يغفرالله لك ياأبنة عبدالمطلب والله لقد عرفت ماأنا بصاحب هذا، فلما قال لي ذلك احتجزت[1] (أي شددت وسطي) ثم أخذت عموداً، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت: ياحسان انزل إليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه، إلّا أنه رجلٌ فقال حسان: مالي بسلبه

---

(١) و في رواية: اعتجرت.

٢٦٠ ـــــــ

بطل من أبطالهم ورأسوه عليهم، وهو عمرو بن عبدود العامري ليشدُّوا به أزرهم، ويحققوا بسببه ما كانوا يأملونه من الظفر.

و على هذا الاساس كانت معركةُ الأحزاب مواجهة كاملة بين كل الكفر وكلِّ الايمان، وخاصة عندما تبارز بطل الاسلام وبطل الكفر وتواجها في ساحة القتال.

ولقد كان الخندق الذي احتفره المسلمون سلفاً من عوامل إخفاق المشركين، وكان العدوُّ يحاول أن يعبر هذا الخندق فتطيف فرسانهم به ليل نهار ولكن دون جدوى، لانهم كانوا يواجهون في كل مرة سهام الحرس الذي وكلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بحراسة الخندق، ورصد محاولات العدو لاجتيازه وافشالها فوراً، وأيضاً بفضل تدابير النبي القائد نفسه.

كان الشتاء وبرده القارص في تلك السنة وتناقص الطعام، والعلف يهدد جيش المشركين، وأنعامهم، وخيولهم فاستقرض حيي بن أخطب من بني قريظة عشرين بعيراً محملة شعيراً وتمراً وتبناً تقوية لقريش، ولكن دورية من المسلمين صادفتها في أثناء الطريق فصادرتها وأتوا بها الى النبي صلّى الله عليه وآله فتوسع بها أهل الخندق[1].

و ذات يوم من أيام الانتظار وراء الخندق كتب أبوسفيان الى رسول الله صلّى الله عليه وآله كتاباً يقول فيه: إني احلف باللات والعزى لقد سرت اليك في جمعنا وإنّا نريد ألّا نعود إليك أبداً حتى نستأصلكم فرأيتك قد كرهت لقاءنا، وجعلت مضايق وخنادق، فليت شعري من علمك هذا؟ فان نرجع عنكم فلكم مِنّا يومٌ كيوم أُحد تُبقَر فيه النساء[2].

فكتب اليه رسول الله صلّى الله عليه وآله: «من محمَّد رسول الله إلى أبي سفيان بن حرب... أمّا بعد فقديماً غَرّك بالله الغرور، أما ماذكرت أنك سرت

---

(١) السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٢٣.

(٢) المغازي: ج٢ ص٤٩٢.

٢٦٢ ـــــــ

بن أبي جهل»، «هبيرة بن وهب»، «نوفل بن عبدالله»، و«ضرار بن الخطاب» لامة الحرب، ووقفوا أمام بني كنانة في غرور عجيب، وقالوا: تهيّأوا يا بني كنانة للحرب، فستعلمون مَن الفرسان اليوم؟

ثم ضربوا خيولهم فعبرت بهم الخندق من مكان ضيق قد أغفله المسلمون، ولكنهم بادروا إلى محاصرة تلك الثغرة ومنع غيرهم من العبور.

و كان الموضع الذي وقف فيه أُولئك الشجعان الخمسه الذي عبروا الخندق للمبارزة يقع بين الخندق وجبل سلع حيث تمركز جنود الاسلام[١].

ثم أخذوا يدعون المسلمين إلى البراز، في كبرياء وغرور كبيرين، وهم يقطعون ذلك الموضع جيئة وذهاباً بخيولهم!!

بيد أنّ أشجع أُولئك الخمسة وأجرأهم وأعرفهم بفنون القتال وهو: «عمرو بن عبدود العامري» تقدم، وأخذ يرتجز داعياً المسلمين الى النزال والبراز قائلاً:

وَ لَقَدْ بُحِحْتُ من النداء ... بجمعكم هَلْ مِنْ مُبارزْ
وَ وَقفْتُ إذ جَبنَ المُشَجَّعُ ... مَوقفَ البَطَل المناجِزْ
إنّي كذلك لم أزلْ ... متسرّعاً نحو الهزاهز
إن السماحة والشجا ... عة في الفتى خيْرُ الغرائز

فأحدثت نداءات عمرو الرهيبة حالة من الرعب، والوجل الشديدين في معسكر المسلمين، وسكت الجميع، ولم ينبسوا ببنت شفة رهبة وخوفاً منه.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«أيكمْ يبرز إلى عمرو أضمنُ له الجنة»؟

و قد قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاث مرات، وفي كلّ مرة يقوم عليّ عليه السَّلام ويقول: انا له يا رسول الله، والقوم ناكسوا رؤوسهم[٢] او كأنَّ المسلمين يومئذ على رؤوسهم الطير لمكان عمرو وشجاعته، كما يقول الواقدي[٣].

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٣٩، الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٨.

(٢) تاريخ الخميس: ج١ ص٤٨٦.

(٣) المغازي: ج٢ ص٤٧٠.

و لابدّ أن تحلّ هذه المشكلة بيد علي عليه السَّلام فارس ميادين الحرب المقدام، وكان كذلك، فلما أبدى عليٌّ عليه السَّلام استعداده الكامل لمقاتلة عمرو أعطاه رسول الله صلّى الله عليه وآله سيفه وعممه بيده، ووجّهه صوب عمرو وقد دعاله قائلاً: اللَّهم أعِنهُ عَليه. وقال أيضاً:

«اللَّهمَ إنَّكَ أخذتَ مِنّي عُبيدة بنَ الحارث يَومَ بَدر، وَ حَمزة بن عبدالمطلب يومَ أُحُد، وهذا أخي عليُ بن أبي طالب ربِّ لا تَذَرني فرداً وأنت خيرُ الوارثين»[1].

فبرز عليٌّ عليه السَّلام إلى عمرو يهرول في مشيته، مبادراً اليه دون ابطاء، وهنا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله كلمته الخالدة في تلك المواجهة:

«بَرزَ الإيمان كلُه إلى الشرك كلِّه»[2] وارتجز عليه السَّلام قائلاً:

لا تعجلنَّ فقد أتاك ... مجيبُ صوتكَ غير عاجزْ
ذُونيّة وَ بصيرة ... والصدقُ مُنجي كلِ فائز
إني لأرجو أن أُقيمَ ... عليكَ نائحة الجنائزْ
مِنْ ضَرْبَة نَجلاء يَبقى ... ذكرُها عِندَ الهَزاهِزْ

و قد كان عليٌّ عليه السَّلام مسربلاً بالحديد لايرى منه إلّا عيناه من تحت المغفر، فأراد عمرو أن يعرف مَن برز اليه فقال: من انت؟

قال: أنا عليُّ بن أبي طالب.

فقال عمرو: إنّي أكره أن أُريق دمك، والله إن أباك كان لي صديقاً ونديماً، ماأمِنَ ابن عمك حين بعثك إليَّ أن اختِطفَكَ برمحي هذا فأتركك شائلاً بين السماء والأرض لاحيٌّ ولاميت.

فقال عليٌّ عليه السَّلام: لكنني ما أكرهُ والله أن أهريق دمَك، وقد علم ابنُ

---

(١) كنز الفوائد: ص١٣٧.

(٢) تاريخ الخميس: ج١ ص٤٨٦ و ٤٨٧، بحارالأنوار، ج٢٠ ص٢١٥

عـمي أنّك إن قتلتني دخلـتُ الجنة، وأنت في النّار، وإن قتلتك فانتَ في النّار وأنا في الجنة.

فضحك عمرو وقـال مستهزئاً: كلتـاهما لك ياعليّ، تلك إذاً قسمةٌ ضِيزى. (أيْ ناقصةٌ جائرة).

يقول ابن أبي الحـديـد: كان شيخنـا أبوالخير يقول اذا مررنـا في القراءة علـيه بهذا الموضع: والله ماأمر عمـرو بن عبدودّ علياً (عليه السَّلام) بالرجوع إبقاءً عليه، بل خوفاً منه، فقدعرف قتلاه ببدر وأُحُد، وعلم أنه إن ناهصهُ قتله، فاستحيا أن يُظهرَ الفشل فأظهر الإبقاء، وإنه لكاذب فيه[1].

ثم إن علياً عليه السَّلام ذكّر عمراً بعهد قطعه على نفسه فقال له:

يا عمرو إنّك كنت تـقول في الجاهلية: لايدعـوني أحدٌ الى واحدة من ثلاث خصال إلا أجبتُه إلى واحدة منهـا وأنـا أعرض عليك ثلاث خصـال فـأجبني إلى واحدة.

قال عمرو: أجل، فهاتها يا عليّ.

قال: تشهد أن لا اله الاّ الله، وانَّ محمَّداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين.

فقال عمرو: نحِّ عني هذا.

قال علي عليه السَّلام: فالـثانيـة أن ترجع إلى بلادك ،فان يك محمَّدٌ صادقاًفأنتم أعلى به عينا وان يك غير ذلك كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فـقال عمـرو في غـرور عجيـب: اذاً تتحـدّث نسـاء قريش بـذلـك، وينشد الشعراء فيَّ أشـعارها اني جـبنت، ورجعت على عقبي في الحرب، وخـذلتُ قوماً رأسوني عليه.

فـقال له علي عليه السَّـلام: فـالثالثة أن تنـزل اليّ فانك راكبٌ وأنا راجلٌ، حتى أُنابذَك .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٩ ص ٢٠.

فقال عمرو: هذه خصلة ما ظننت أن أحداً من العرب يسومني عليها، ثم وثب عن فرسه، ولكي يرعب علياً عليه السَّلام عرقب قوائم فرسه على عادة العرب في الجاهلية[١].

تصاول البطلين:

وهنا بدأ تصاولٌ شديدٌ بين البطلين، وارتفعت بينهما عجاجة حجبت الرؤية، وانما كان الناس يسمعون فقط صوت إصطكاك السيوف والدروع الحديدية وغيرها، وبعد فترة من التصاول بين ذينك البطلين العملاقين ضرب «عمرو» «أميرالمؤمنين علياً» عليه السَّلام بالسيف على رأسه، فاتقاه علي عليه السَّلام بالدرقة فقطعها، وشجّت الضربة رأسه ففاجأه عليٌّ عليه السَّلام بضربة قوية على ساقيه فقطعهما جميعاً، ثم انكشفت العجاجة فنظر المسلمون فاذا عليٌّ عليه السَّلام على صدر عدوّ الله يريد أن يذبحه. وارتفع صوت علي بالتكبير من بين العجاجة يعلن عن انتصاره، ومقتل عمرو.

فألقى هلاك فارس العرب الاكبر «عمرو بن عبدود» رعباً عجيباً في نفوس بقيه الابطال والشجعان الذين عبروا معه الخندق، فهربوا راجعين الى معسكرهم، إلّا «نوفل» الذي سقط فرسه في الخندق، وهوى هو إلى الارض بشدة، فرماه حرس الخندق بالحجارة فقال: قتلةً أجمل من هذا، ينزلُ اليّ بعضكم فأقاتله، فنزل إليه عليٌّ عليه السَّلام فضربه حتى قتله في الخندق[٢].

فهيمن الخوفُ والرعب على كل أرجاء المعسكر العربي المشرك، وبهت أبوسفيان أكثر من غيره.

ثم إنه كان يتصور أن المسلمين سيمثّلون بجسد «نوفل» انتقاماً لحمزة الذي

---

(١) المغازي: ج٢ ص٤٧٠ و ٤٧١.

(٢) بحارالأنوار، ج٢٠ ص٢٥٦، تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٤٠.

مُثِل به في أُحد، فبعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من يشتري جثته بعشرة آلاف فقال النبيّ صلّى الله عليه وآله.

«هو لكم، لا ناكلُ ثمن الموتى»[١].

قيمة هذه الضربة:

لقد قتل عليٌّ عليه السَّلام -حسب الظاهر- رجلاً شجاعاً لاأكثر، بيد أنه بضربته لعمرو وبقتله إياه أحيا -في الحقيقة- كل من أرعبته نداءات عمرو المهدّدة، من المسلمين، والقى رعباً كبيراً في نفوس جيش قوامه (١٠/٠٠٠) رجل تعاهدوا وتعاقدوا على محو الاسلام واستئصال الحكومة الاسلامية الفتية. ولو أن الانتصار كان يحالف عمراً لعرفنا حينئذ قيمة هذه التضحية الكبرى التي قام بها عليٌّ عليه السَّلام.

و عندما عاد عليٌّ عليه السَّلام ظافراً منتصراً قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«ضربةُ علي يومَ الخندق أفضلُ مِن عبادة الثقلين».

و قيل إنه قال:

«لو وُزنَ اليومَ عملُك بعمل جميع أُمة محمَّد لرجح عملك على عملهم وذاك أنه لم يبق بيت مِن المشركين إلا وقد دخله ذلٌ بقتل عمرو، ولم يبق بيتٌ من المسلمين إلّا وقد دخله عز بقتل عمرو»[٢].

و بذلك كشف عن أهمية الضربة التي أوقعها علي عليه السَّلام بعمرو في تلك الواقعة.

لماذا التنكر لهذا الموقف؟

و يحق لنا هنا أن نستغرب تنكر بعض المؤرخين أو تجاهلهم لهذا الموقف

---

(١) بحارالأنوار، ج٢٠ ص٢٠٥ (٢) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٢١٦، مستدرك الحاكم: ج٣ ص٣٢.

٢٦٨ ـــــــ

لقتله أهمية.

و لكن صاحب السيرة الحلبية الذي ينقل كل هذه العبارات عن ابن تيمية يرد عليه قائلاً: ويرد قوله: «ان عمرو بن ود هذا لم يعرف له ذكرٌ إلّا في هذه الغزوة» قول الأصل: وكان عمرو بن عبدود قد قاتل يوم بدر حتى اثبتته الجراحة فلم يشهد يوم أُحُد فلما كان يوم الخندق خرج مُعلِماً (أي جعل له علامة) ليعرف مكانه ويُرى.

و يرده أيضاً ماتقدم من أنه نذر أن لايُمسَّ رأسه دهناً حتى يقتل محمَّداً صلّى الله عليه وآله .

و استدلاله: و كيف يكون إلى آخره، فيه نظر لان قتل هذا كان فيه نصرة للدين وخذلان الكافرين[1].

و ما قاله صاحب السيرة الحلبية عن مشاركة عمرو في معركة بدر يوافق ماجاء في الكامل لابن الاثير الجزء٢ الصفحة ١٢٤ ويوافق أيضاً ماجاء في السيرة النبوّية الجزء٢ الصفحة٢٢٥.

مروءة عليّ عليه السَّلام وشهامته:

و لقد أحجم عليّ عليه السَّلام عن سلب «عمرو بن عبدود» درعه، وكان درعاً غالية الثمن ليس للعرب، درعٌ خيرٌ منها، وقد فعل ذلك مروءة، وترفعاً، فاعترض عليه بعضٌ، حتى أن عمر بن الخطاب قال له: هلا استلبته درعه فانه ليس في العرب درع مثلها؟[2].

و لما عرفت أُختُ عمرو بمقتله سألت عمن قتله، فاخبروها بأن علياً عليه السَّلام هو الذي قتله فقالت لم يَعْدُ موته إلّا على يد كفؤ كريم، لارقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتلَ الابطال، وبارز الاقران، وكانت منيتُه على يد كفؤ

---

(١) السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٢٠.

(٢) السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٢٠.

٢٧٠ ـــــــ

نفوسهم كللا ومللا، من جهة، وعرّضت أنعامهم لخطر الهلاك **والفناءمن** ناحية أُخرى.

من هنا كلّف رسول الله صلّى الله عليه وآله جماعة بأن يتصلوا بهذه القبائل (الأخيرة) ويذكروا لهم بأنَّ المسلمين مستعدّون لإعطائهم ثلث تمر المدينة إن هم تركوا قريشاً وعادوا إلى ديارهم، فأعدّوا عهداً وجاؤوا به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ليمضيه، ولكنه شاور فيه سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة قبل أن **يمضيه**، فقالا: يا رسول الله إن كان أمراً من السماء فامض له، وان كان أمراً لم تؤمر فيه فان الرأي عندنا هو السيف، فإنهم ماطمعوا بهذا منّا قطّ في الجاهلية أن يأخذوا تمرة، الابشرىً أو قرىً، **فحين** أتانا الله تعالى بك، وأكرمنا بك، وهدانا بك نعطي الدنيّة؟ لانعطيهم أبداً إلّا السيف؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله مبيّناً علة إقدامه **على مثل هذا** الصلح: «اني رأيت العربَ-**رمتكم** عن قوس واحدة، فقلت أُرضيهم ولا أُقاتلهم، الآن قد عرفت ماعندكم فكونوا على ماأنتم عليه، فان الله تعالى لن يخذل نبيّه، ولن يسلمه حتى ينجز له ماوعده»[1].

فمحى سعد بن معاذ ما في الصحيفة باذن رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: ليجهدوا علينا[2].

و بهذا كشف رسول الله صلّى الله عليه وآله عن صفحة أُخرى من سياسته **الحكيمة**، فقد كان إقدامه على ثني القبائل المتحالفة مع قريش في جيش الاحزاب باعطاء بعض التنازلات المادية (لاالمعنوية) وتحييدها خطوة سياسية وعسكرية صحيحة، ورائعة، وكان مشورته مع أصحابه من الانصار (خاصة) عملاً حكيماً أيضاً لانه استشار بذلك همهم، وشدّ من عزائمهم، فوعدوا

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٢٣، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٢٥٢.

(٢) امتاع الاسماع: ج١ ص٢٣٦ وجاء فيه انه (ص) استشار سعد بن معاذ وسعد بن عبادة خفية.

٢٧٢ ـــــــ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله «إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخذّل عنّا ما استطعت (أي أُدخُل بين القوم حتى يخذّل بعضهم بعضاً). فان الحرب خدعة».

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهليّة، فقال: يابني قريظة قد عرفتم وُدّي، وخاصّة مابيني وبينكم.

قالوا: صدقتَ، لست عندنا بمتّهم.

فقال: إنّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البَلَدُ بلدُكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وان قريشاً وغطفان قدجاؤوا لحرب **محمّد** وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدُهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فان رأوا نُهزَة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلُّوا بينكم وبين محمّد، ولاطاقة لكم به. إن خلابكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافِهم يكونون بأيديكم ثقة لكم، على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتى تناجزوه.

فقالوا: لقد أشرت بالرأي.

ثم خرج حتى أتى قريشاً، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش: قد عرفتم ودّي لكم، وفراقي لمحمّد، وانه قد بلغني أمرٌ قد رأيت عليَّ حقاً أن أبلغكموه، نصحاً لكم **فاكتموا عني. فقالوا: نفعل.**

قال: إعلموا أنَّ **معشراليهودقد** ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمّد، وقد أرسلوا إليه إنا قد ندمنا على مافعلنا، فهل يرضيك أن نأخذ من القبيلتين، من قريش وغطفان **رجالاً** من اشرافهم فنعطيكم فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من يبقى منهم حتى نستأصلَهم؟ فأرسلَ إليهم: أن نعم،فإن بعثت إليكم يهودُ يلتمسون منكم رهناً من رجالكم، فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً.

ثم خرج حتى أتى غطفان فقال: يامعشر غطفان، إنكم أصلي و عشيرتي، وأحبُ الناس اليّ، ولا أراكم تتهموني، قالوا: صدقت ماأنت عندنا بمتهم، قال

٢٧٤ ـــــــ

غير ذلك أسرعوا إلى بلادهم وخلّوا بيننا وبين محمَّد. في بلدنا[١].

و هكذا انسحبت بنو قريظة من الأحزاب **وأوقع** الله التخاذل بينهم، وتفرّقوا، وتمزق شملهم، وكان ذلك من عوامل فشل الاحزاب، وتقهقرهم ورجوعهم خائبين.

آخر العوامل لهزيمة الكفار:

لقد انضمت العوامل المذكورة إلى عامل آخر يمكن **تسميته** ـ في الحقيقة ـ بالامداد الغيبيّ ففرقت جماعة الاحزاب، وشتّتت جماعتهم وذلك العامل هو أن الله تعالى بعث **عليهم فجأة** الريح والعاصفة، واشتدّ البرد، وكان اشتداد الريح كبيراً بحيث أكفأ قدورَهُم، واقتلع خيامهم ومضاربهم، وأطفأ أضواءهم، وأوجد حريقاً في الصحراء.

وهنا أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله حذيفة أن يعبر الخندق، ويأتيه بخبر عن **أحوال المشركين ومن** مالأهم من الاحزاب.

يقول حذيفة: فذهبتُ فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل ماتفعل بهم لا تقرُّ لهم قدراً، ولا ناراً ولابناءً، فسمعتُ أباسفيان يقول، وقد قام في جماعة من قريش: يامعشر قريش إنكم والله ماأصبَحتم بدار مقام، لقد هلك الكُراعُ والخفُّ، وأخلفَتنا بنوقريظة ولقينا من شدّة الريح ماترون ماتطمئنُّ لناقدر، ولا تقوم لنانارٌ، ولايستمسك لنا بناء، **فارتحلوا إني مرتحل.**

ثم قام إلى جمله ـ وهو معقول ـ فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فوالله ماأطلق مقاله إلّا وهو قائم من شدّة الدهش والخوف!!

ولم يسفر الصبح إلّا وأسرعت قريشٌ وغطفانٌ عائدين إلى بلادهم يجرّون أذيال الخيبة، ولم يبق منهم أحدٌ هناك.

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٣٩ ـ ٢٣١، تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٤٢ و٢٤٣.

٢٧٦ ـــــــ

الْأَحْزابَ لَمْ يَذهَبُوا وَ إن يَأْتِ الْأَحْزابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ في الأعْراب يَسْئَلُونَ عَنْ أَنبائكُمْ وَ لَوْ كانُوا فيكُمْ مّا قَتَلُوا إلّا قَليلاً. لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رَسُولِ الله أُسوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرجُوا الله والْيَوْمَ الأَخِرَ وَ ذَكَرَ الله كَثِيراً. وَ لَمّارَءا الْمُؤمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هَذا ماوَعَدَنا الله وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ الله ُوَ رَسُولُهُ وَ مازادهُمْ إلّا إيمَاناً وَ تَسْليماً مِنْ الْمُؤمنينَ رجالٌ صَدَقُوا مَا عَهَدُوا الله عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبديلاً. لِيَجْزىَ الله الصَّادقينَ بِصِدْقِهِمْ وَ يُعَذِّبَ الْمُنَافِقينَ إن شاء أَو يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إن الله كانَ غَفُوراً رَحيماً وَرَدَّ الله الَّذينَ كَفَرُوا بِغَيظِهِمْ لَمْ يَنالُواْ خَيْرا وَ كَفَى اللهُ الْمُؤمنينَ الْقِتالَ وَ كانَ الله قَوِيّاً عَزيزاً».[1].

و يمكن تقسيم هذه الآيات الى ثلاثة أقسام:

القسم الاول وهي الآيات التي ترسم الوضع العام للمسلمين عندما أتتهم عساكر الاحزاب.

القسم الثاني وهي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المنافقين وضعاف الايمان.

القسم الثالث وهي الآيات التي تتعرض لذكر موقف المؤمنين الصادقين.

و اليك بياناً لمفاد هذه الآيات على وجه الاختصار.

١ ـ تبدأ هذه المجموعة من الآيات بتذكير المؤمنين ـ في الآية الاولى ـ بنعمة الله عليهم أن ردّ عنهم الجيش الذي قصد استئصالهم لولا عناية الله ومدده العظيم، وفي هذا إشعار قوي بأن الله هو الذي يحمي القائمين على دعوته ومنهجه من عدوان الكافرين والمتآمرين.

٢ ـ ثم تشرح الآية الثانية الحالة العسكرية الخطيرة التي كان يواجهها المسلمون، فهم محاصرون من قبل الاعداء والمتواطئين معهم من كل جهة محاصرة

---

(١) الأحزاب: ٩ ـ ٢٥.

٢٧٨ ـــــــ

حتى بعد الانتصار.

و هنا يبدو ويبرز دور المنافقين، وتظهر حالاتهم **العجيبة** في الحرب والسلم.

فهم يخافون خوفاً شديداً، وهم يظنون بالله ظن السوء وهم يشيعون الخوف وروح الهزيمة في الناس وهم ينسحبون ويدعون إلى الانسحاب من الصفوف وهم مستعدون **في كل وقت** للارتداد والرجوع عن الاسلام الى الكفر، وهم بالتالي اشحة بخلاء، في نفوسهم كزازة على المسلمين كزازة بالجهد وكزازة بالمال وكزازة بالعواطف والمشاعر على السواء.

٨ ـ إنهم لكونهم لم تخالط قلوبهم بشاشةُ الايمان ولم يهتدوا بنوره يفقدون الشجاعة والقوة حتى بعد ذهاب عوامل الخوف والهول.

فهم مايزالون يرتعشون، ويتخاذلون، ويأبون أن يصدقوا أن الاحزاب قد ذهبت وولّت مهزومة. ويودون لو أن الاحزاب دخلت المدينة أن لايكونوا فيها مبالغة في النجاة من الأهوال!!

٩ ـ ولكن في مقابلة هذا الفريق المتخاذل الجبان يرسم القرآن الكريم في الآيات ٢١ إلى ٢٥ صورة المؤمنين الصادقين وفي مقدمتهم رسول الله صلّى الله عليه وآله القدوة الحسنة لجميع المسلمين في جميع الحالات والظروف.

فان هذه الجماعة المؤمنة الصادقة لما رأت الاحزاب قالت: هذا ماوعدنا الله ورسوله، هذا الهول لابد **أن يجيء** فيه النصر فهو وعدالله الصادق المحقق.

فصمدوا وصدقوا ماعاهدوا الله عليه، فجزاهم الله بصدقهم إذ ردّ الذين كفروا بغيظهم، لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً خلافاً لماظنه المنافقون، وتوهموه.

وقد كانت هذه الواقعة في منظور القرآن الكريم امتحاناً عظيماً، واختباراً دقيقاً للنفوس والقلوب وهو امتحان لابد منه حتى يتميز الصادق عن المنافق، والموفون بعهدهم والناقضون له.

كما أن هذه الواقعة وماجاء حولها من الآيات كشفت عن **أن وعود** الله

صادقة ومحققة اذا توفرت شرائطها، ومقدماتها، ومنها استخدام الوسائل الطبيعية المناسبة، والاتكال على الله واستمداد العون منه.

و في هذه الآيات إشارة إلى دور مايسمى الآن بالطابور الخامس وإلى خطورة الشائعات السيئة في المجتمع، وبخاصة في ظروف الحرب.

كما أن فيها اشارة إلى كيفية مواجهة هذه الشائعات والتعامل مع فعاليات هذا الفريق الخطر.

و لقد لاحظنا خلال مامضى من السيرة كيف أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يبطل بتكتيكاته العسكرية مفعول تلك النشاطات التخريبية والمضرة.

فقد كان يعتمد اسلوب الدعاء، والذكر، والتشجيع، والتكبير، وارسال الدوريات العسكرية والعمل **المباشروالمشاركة** الفعلية في عمليات الدفاع والحراسة وماشاكل ذلك ممّا ذكرناه وممّا لم تسع هده الدراسة لذكره.

٣٨

سقوط آخر أوكار الفساد والمؤامرة

أقدم رسُولُ الله صلّى الله عليه وآله في السنة الأُولى من هجرته الى المدينة، على تنظيم وعقد ميثاق **تعايش بين سكان المدينة وماحولها، بغية** إنهاء جميع أشكال الإختلاف، والتنازع، والصراع الداخليّ.

و قد تعهَّد **الأوسيّون** والخزرجيُّون، عامة واليهود من تينك القبيلتين أن يدافعوا عن المدينة وماحولها، وقد مرّ النصُ الكامل لهذا الميثاق على القارئ الكريم فيما سبق[1].

هذا من ناحية.

و من ناحية أُخرى عقد رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بينه وبين يهود المدينة ميثاقاً آخر ينصُّ على أنّ مختلف الطوائف اليهودية تتعهد بأن لا تلحق أيَّ ضرر وأذى برسول الله وأصحابه، ولا تمدَّ أعداءهم بالخيل والسلاح، وأنها لو فعلت شيئاً من ذلك يكون لرسول الله صلّى الله عليه وآله الحقُ في أن يقتلهم، ويسبي نساءهم وأبناءهم.

إلّا أنَّ جميع الطوائف اليهودية الثلاث نقضت الميثاق المذكور بشتى العناوين والصور، وتجاهلت بنوده، ومواده!

فقد قتل «بنو قينقاع» مُسلماً، وخطّطت «بنو النضير» لاغتيال رسول الله

---

(١) راجع صفحة ٢١ من هذا الجزء.

٢٨٢ ـــــــ

من هؤلاء الأخابث.

فلما عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بسبب ذلك قال: لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دنا رسول الله صلّى الله عليه وآله من حصونهم قال لهم:

«هل أخزاكم الله و أنزل عليكم نقمته»؟

و قد كانت ردةُ فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله الشديدة غير متوقعة لليهود، ومن هنا قالوا: يا أباالقاسم ماكنتَ جهولاً.. وهم يريدون بذلك إطفاء **مشاعره الملتهبة ضدّهم**[1].

فأثارت كلمتهم هذه عاطفة رسول الله صلّى الله عليه وآله بحيث رجع من غير اختيار، وسقط رداؤه من كتفه.

اليهودُ يتشاورون حول الموقف:

تشاور يهود بنوقريظة وهم معتصمون بحصونهم في الموقف، وقدشارك فيه«حُيي بن أخطب» مثير معركة الأحزاب ،فانه لم يذهب إلى خيبر بعد أن وضعت الحرب -في معركة الاحزاب- أوزارها وولى العرب المشركون بل دخل في حصون بني قريظة.

هذا وقد طرح زعيمُ بني قريظة ثلاثة اقتراحات وطلب من الجميع أن يتفقوا على واحدة منها لمعالجة الموقف:

١ - أن يؤمنوا برسول الله، ويصدّقونه **لأنه** قد تبيّن لهم أنه نبي مرسل، وأنه **الّذي** يجدونه في كتابهم، وبذلك يأمنون على دمائهم وأموالهم ونسائهم وأبنائهم.

٢ - أن يقتلوا أبناءهم ونساءهم ثم يخرجوا إلى محمّد وأصحابه **يقاتلونهم**، فإذا هلكوا، هلكوا ولم يتركوا وراءهم نسلا يُخشى عليه، وإن انتصروا تزوجوا

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٣٤، تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٤٥ و٢٤٦.

٢٨٤ ـــــــ

من غير جرم ولا جناية؟

و أما الاقتراح الثالث فيكشف عن أنهم لم يكونوا يعرفون جيداً مدى علم رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله بفنون القتال، والدفاع وكانوا يتصورون أن القائد الأعلى للاسلام لايراعي قواعد الحذر والاحتياط ليلة السبت ويومه، وخاصة في مواجهة أعداء خونة، أخوان غدر ومكر، أمثال اليهود الناقضين للعهود، الناكثين للمواثيق.

ان دراسة وتقييم معركة «الاحزاب» تثبت ندرة وجود الاذكياء والفطنين بين هذه الجماعة، والّا لكانوا يتمكنون من حفظ كيانهم حتى من الناحية السياسية في تلك الظروف من دون أن **ينحازوا إلى أيّ** واحد من طرفي الصراع (الاسلام والشرك).

أي أنه كان من الممكن أن يتخذوا جانب الحياد الكامل، ويبقوا متفرجين لمايدور بين محمّد، وجيش المشركين، وبهذا يبقوا محافظين **على كيانهم** ووجودهم، انتصر من انتصر وغلب من غلب.

و لكنهم خُدعوا بتسويلات «حيي بن أخطب» ووسوساته **وانحازوا** الى جيش العرب المشركين فتورطوا في مثل تلك الورطة، وهي أن يتخلوا ـ في النهاية ـ عن مساعدة قريش بعد شهر كامل من التعاون معهم، والرضوخ لخطة «نعيم بن مسعود»، وإخبار قريش بأنهم لن يتعاونوا معهم ضدّ رسول الاسلام مالم تسلم قريش بعض شخصياتها إليهم، لغرض الاحتفاظ بهم في حصونهم كوثيقة!!

لقد غاب عن تلك الزمرة المعاندة اللجوجة أنهم قد تعاونوا ضدّ رسول الاسلام في بداية الأمر، فاذا قطعوا علاقاتهم مع قريش، وترك جيش المشركين ساحة المعركة إذا أحسّ بالعجز عن تحقيق أي انتصار، وعاد الى بلاده، فان بني قريظة بأجمعهم سيكونون حينئذٍ في قبضة المسلمين.

فلو كانوا يملكون شيئاً من الرؤية السياسية الصحيحة لكان عليهم أن يعلنوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله ـ فور قطع العلاقات مع قريش ـ عن ندامتهم على

٢٨٦ ـــــــ

يرتجف ويقول: إنّي خنت الله ورسوله صلّى الله عليه وآله، وانطلق على وجهه، ولم يأت رسول الله صلّى الله عليه وآله والمسلمين وهم ينتظرون رجوعه اليهم- وربط نفسه في المسجد بعمود من أعمدته، وقال لاأبرح مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ ماصنعت!!

و يقول المفسرون: فنزل في خيانة أبي لبابة **قول الله تعالى:**

«يا أيُّها الَّذينَ امَنوا لا تَخُونوا الله والرسول وتخونُوا **أماناتكم** وأنتم تعلمون»[1].

فلما بلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله خبر أبي لبابة، وكان قد استبطأه قال: أما أنه لوجاءني لاستغفرت له، فأما إذ قد فعلَ مافعلَ فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه.

و بقي أبولبابة مرتبطاً بالاسطوانة، وكانت ابنتُه أو زوجته تأتيه في مواعيد الصلاة، وتحلّ رباطه، فيصلّي ثم تعيد الرباط.

فلما كان السحرُ من اليوم السابع نزلت توبة أبي لبابة بواسطة **ملك** الوحي -على رسول الله وهوفي بيت أُم سلمة، والآية التي نزلت في توبته هي قوله تعالى:

«وَ آخرونَ اعترفوا بذُنُوبهم خَلطوا عَملاً صالحاً وآخر سيّئاً عسى الله أن يتوب عليْهِمْ انَّ الله غَفُورٌ رحيم»[2].

فلما نظرت أُم سلمة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو مستبشرٌ يضحك قال صلّى الله عليه وآله لها:

«لقد تيب على أبي لبابة إن شئت فبشريه».

فقامت إليه وهو مرتبط بالجذع في المسجد وقالت له: يا أبالبابة أبشر فقد تاب الله عليك.

فلما عرف الناس بذلك أرادوا أن يطلقوه فقال: لاوالله حتى يكون رسول الله

---

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) التوبة: ١٠٢.

صلّى الله عليه وآله هو الذي يطلقني.

فلما مر عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله خارجاً إلى صلاة الصبح أطلقه[١].

و لا شك إن زلّة أبي لبابة كانت بسبب عواطفه تجاه يهود بني قريظة، فقد سلبه بكاء رجالهم ونسائهم، وصبيانهم واستغاثتهم العاطفية القدرة على ضبط النفس، فكشف سرّاً من أسرار المسلمين كان عليه أن يكتمه، ولكنّ قوة الايمان بالله والخشية من عذابه أكبر وأعلى من كل شيء الى درجة أنها دفعت بابى لبابة إلى أن يندم على فعله ذلك الندم العجيب، ويعمد ـ لجبران تلك الخيانة ـ الى مافعل من الانابة، والاستغفار، الأمر الذي تكون نتيجته أن لا تراود مثل هذه الفكرة نفسه مرة أُخرى قط.

إلى أيّ مدى ذهب الطابورُ الخامس في مشاغبته؟

خَرَج «شأسُ بن قيس» اليهودي من الحصن ليتحادث مع رسول الله صلّى الله عليه وآله نيابة عن بني قريظة، فطلب من رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يسمح ليهود بني قريظة بأن يحملوا معهم أموالهم ويخرجوا من المدينة كما فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله مع بني النضير، فأبى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: «**لا، إلّا أن تنزلوا على حكمي**».

فقال شأس: لك الاموالُ والسلاح وتحقن دماءنا، فابى النبي صلّى الله عليه وآله ورفض هذا الاقتراح أيضاً.

و هنا يطرح السؤال التالي نفسه وهو: لماذا رفض رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله مقترحات مندوب بني قريظة؟!

إن السبب واضح، فانه لم يكن من المستبعد أن تقدم هذه الزمرة ـ بعد

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٣٧ و ٢٣٨.

خروجها من قبضة المسلمين- على تحريك العرب المشركين الوثنيين ضدّ الاسلام والمسلمين على نحو مافعلت بنوالنضير، وتعرّض المجتمع الاسلامي والدولة الاسلامية الفتية لأخطار كبرى جداً، وتسبب في سفك دماء كثيرة.

ولهذا لم يوافق رسول الله صلّى الله عليه وآله على اقتراحات مندوب بني قريظة، وعاد شأس إلى الحصن، واخبر قومه بمقالة رسول الله عليه وآله، ورفضه لمقترحاته.

فقرر بنو قريظة التسليم للمسلمين من دون أي قيد أو شرط.

أو الرضا بما يحكم به سعد بن معاذ الأوسي -وكان حليفاً لهم- في حقهم.

ولهذا عمدوا الى فتح باب الحصن، ودخل علي عليه السّلام على رأس كتيبة خاصة من المسلمين الحصن وجرّدوا بني قريظة من السلاح، وحبسوهم في منازل «بني النجار» ليتقرر مصيرهم فيمابعد.

وحيث إن يهود بني قينقاع قد أُسروا على أيدي جنود الاسلام، ثم عفي عنهم بوساطة من الخزرج وبخاصة «عبدالله بن أُبي» ، وانصرف النبي صلّى الله عليه وآله عن إهراق دمهم فيما مضى، لذا ضغط الاوسيون المتحالفون مع بني قريظة على رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصرّوا عليه اصراراً شديداً بأن يعفو عن بني قريظة **الذين كانوا** متحالفين مع الأوس من قبل أن يقدم رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة، وذلك منافسة للخزرج، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله قاوم هذا الطلب، وقال لهم:

«ألا ترضَون يامعشرَ الأوس أن يحكم فيهم رجلٌ منكم»؟

قالوا: بلى.

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله فذاك إلى «سعد بن معاذ» فهو يحكم فيهم.

والطريف أن اليهود قد قبلوا هم أيضاً بما يحكم به سعد بن معاذ فقد بعث بنوقريظة الى رسول الله صلّى الله عليه وآله -كما يروى ابن هشام[1] والشيخ

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٤٠.

٢٩٠ ـــــــ

وانهيار كل شيء، لارتباط كل شيء بالعدالة وارتباط العدالة بالقضاء والمؤسسة القضائية.

إن العواطف تشبه الى حد بعيد الشهية الكاذبة التي تزيّن في نظر صاحبها كل مضر مهلك في حين إذا غلبت هذه العواطف والمشاعر العقل سحقت مصالح الفرد والمجتمع، أو أضرت به أشدَّ وأبلغ إضرار.

إنّ عواطف سعد وأحاسيسه ومشاعره، ومنظر صبيان ونساء بني قريظة المحزن، وأوضاع رجالهم التي كانت تثير الاشفاق وهم في الحبس، وملاحظة الرأي العام في قبيلة الأوسيين الذين كانوا يلحّون على سعد أن يُحسن الحكم والرأي في بني قريظة، كل هذه الاعتبارات كان من شأنها أن تجعل القاضي فريسة العاطفة، فيصدر حكمه على أساس من تقديم مصالح أقلية خائنة مشاغبة على مصالح الاكثرية (أي عامة المسلمين) ويبرّئ بني قريظة الجناة الخونة، أو يخفف عن عقوبتهم أكبر قدر ممكن، على الأقلّ، أويسلّم لإحدى المقترحات السابقة.

إلّا أن منطق العقل، وحرية القاضي واستقلاله في الحكم والقضاء ومراعاة المصالح العامة كل ذلك قاد سعداً إلى ناحية أُخرى، فحكم بأن يقتل رجال تلك الزمرة المتآمرة الخائنة، وتصادر أموالهم، وتسبى نساؤهم و أطفالهم.

وقد استند هذا الحاكم في حكمه هذا إلى الامور التالية:

١ ـ أن يهود بني قريظة قد تعهّدوا للنبي صلّى الله عليه وآله قبل مدّة بأنهم لو تآمروا ضدّ الإسلام، والمسلمين، وناصروا أعداء التوحيد، واثاروا الفتن والقلاقل، وألبوا على المسلمين كان للمسلمين الحق في قتلهم ومصادرة أموالهم وسبي نسائهم[1].

وقد رأى بأنه لوحكم بمعاقبة اليهودحسب هذاالميثاق لم يصدر حكما مخالفاً

---

(١) ولقد مرّعليك نص هذاالميثاق الذي وقع عليه كعب بن الاسدرئيس بني قريظة.

٢٩٢ ـــــــ

عنها ولكن تلك الزمرة التي شملها عفو **النبيّ لم تكن** تغادر أراضي الاسلام حتى بدأت بالمشاغبة والمؤامرة **الدنيئة** ضدّ الاسلام، فذهب كعب بن الأشرف الى مكة، وأخذ يتباكى ـ دجلاً وخداعاً ـ على قتلى بدر، ويذرف عليهم دموع التماسيح، ولم يفتأ عن تأليب قريش ضد رسول الاسلام وأصحابه حتى عزمت قريش على تسيير جيشها نحو المدينة، وكانت واقعة «أُحُد» التي استشهد فيها اثنان وسبعون من خيرة أبناء الاسلام، ورجاله.

و هكذا فعلت بنو النضير المتآمرون الخونة، الذين عفا عنهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله واكتفى من عقابهم بمجرّد اجلائهم عن المدينة، ولكنهم قابلوا هذا الموقف الانساني، بتأليب القبائل العربية المشركة ضدّ الاسلام، والمسلمين، وكوّنوا اتحاداً نظامياً بينها، وألفوا منها جيشاً قوياً ساروا به الى عاصمة الاسلام (المدينة)، فكانت وقعة (الاحزاب) التي لولا حنكة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وخطة حفر الخندق لقضي على الاسلام بسببها منذ الايام الأُولى، ولما بقي من ذلك الدين خبر ولا أثر ولقتل آلاف الناس.

لقد لا **حظ** سعد بن معاذ كل هذه الاعتبارات، فلم تسمح له **التجارة** الماضية بأن يستسلم لعواطفه، ويضحّي بمصالح الآلاف في سبيل الحفاظ على مصالح أقلية لأنه كان من المسلّم به أن هذا **الفريق سيقوم** في المستقبل بايجاد تحالف عسكري أوسع، وسيثير ويؤلب قوى العرب ضد الاسلام، ويعرّض مركز **الاسلام، ومحوره الاساسي للخطر** من خلال تدبير مؤامرات أُخرى.

و على هذه الأساس رأى بأن وجود هذه الزمرة يضرّ المجتمع الاسلامي مائة بالمائة وأيقن بأن هذه الزمرة لواتيح لها أن تخرج من قبضة المسلمين لما فتأت لحظة عن المؤامرة ولواجه المسلمون بسببها أخطاراً كبرى.

و من المحقق أنه اذا لم تكن في المقام هذه الجهات والاعتبارات لكان إرضاء الرغبة العامة في الابقاء على بني قريظة أو التخفيف في عقابهم أمراً في غاية الأهمية بالنسبة إلى سعد بن معاذ، فان رئيس أي قوم، أو جماعة أحوج ما يكون

٢٩٤ ـــــــ

و هكذا انتهت مشكلة بني قريظة في التاسع عشر من شهر ذي الحجة من السنة الخامسة للهجرة، وقد نزلت في شأن هذه الواقعة الآيات ٢٦ ـ ٢٧ من سورة الاحزاب اذ يقول سبحانه:

«وَ أَنْزَلَ الَّذين ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الكتٰب مِنْ صَياصِيهِمْ وَ قَذفَ في قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَريقاً تقْتُلُونَ وَ تأسرونَ فَريقاً.وأَوْرثَكُمْ أَرْضهُمْ وديٰرهُمْ وَ أَموالَهُمْ وأَرْضاً لم تطؤُها وَ كانَ الله عَلىٰ كُلِّ شيء قديراً».

و قد **استشهد «سعد** بن معاذ» **الذي سبق أن جرح في معركة** الخندق بعد حادثة بني قريظة هذه (١)

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٥٠ ـ ٢٥٤

٣٩
أعداء الاسلام تحت المراقبة المشدّدة[١]

لم تنقض السنة الهجرية الخامسة إلّا وقد انتهت فتنة «الاحزاب» و «بني قريظة»، وقضي عليهما بالكامل، وأصبحت المدينة وضواحيها برمتها في قبضة المسلمين وتحت سيطرتهم، وازدادت قواعد الحكومة الاسلامية الفتية رسوخاً وثباتاً، وساد هدوء نسبي في المنطقة التي تخضع للحكومة الاسلاميّة، غير أن هذا الهدوء كان هدوءً موقتاً، وكان على قائد المسلمين الأعلى أن يراقب أحوال العدو وأوضاعه، وتحركاته ليقضي في المهد على كل مؤامرة ضدّ الاسلام بما أُوتي من قوى وامكانيات.

و لقد سَمَح الهدوء الذي ساد المنطقة للنبيّ صلّى الله عليه وآله بأن يقمع بعض مشعلي فتنة «الاحزاب» الذين هربوا من قبضة المسلمين بعد رحيل «الاحزاب».

فلقد قُتِل «حيي بن أخطب» الذي كان من مشعلي معركة الأحزاب، في غزوة بني قريظة، ولكن رفيقه «سلّام بن أبي الحقيق» كان لايزال يعيش في خيبر، ولاشكّ في أن هذا العنصر الخطر لم يكن ليفتأ لحظة واحدة عن إثارة وتأليب «الأحزاب» مرّة أُخرى ضدّ الاسلام، وخاصة أن العرب الوثنيين كانوا

---

(١) يستفاد من السيرة النبوية: ج٣ ص٢٩١ ط ١٣٥٥ أن خطة اغتيال «سلّام» كانت قبل نهاية السنة الهجرية الخامسة، ولكن بالنظر إلى أن قضية بني قريظة حدثت في التاسع عشر من شهر ذي الحجة يستبعد هذا الرأى.

أعداء الاسلام تحت المراقبة المشدّدة ـــــــ

٢٩٨ ـــــــ

الملك اني قد رأيت رجلاً خرج من عندك (ويقصد مبعوث رسول الله) وهو رسولُ عدوّ لنا، فاعطنيه لاقتله، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا.

فغضب النجاشيّ لمقالة ابن العاص غضباً شديداً فصفعه صفعة كادت أن تكسرَ أنفه، ثم قال: أتسألني أن أُعطيك رسول رجلٍ يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله. ويحك ياعمرو أطعني واتبعه فانه والله لعلى الحق، وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده، ثم قال: أفتبايعني له على الاسلام؟

يقول عمرو بن العاص: فقلتُ نعم، فبسط يده فبايعته على الاسلام، ثم خرجتُ إلى أصحابي،وقد حال رأيي عما كان عليه،وكتمت أصحابي إسلامي[1].

الوقاية من تكرار التجارب المرة:

تركت حادثة «الرجيع» المرّة التي قتل فيها جماعة من قبائل «عضل» و «القارة» من بني لحيان ثلة من دعاة الاسلام غدراً ومن دون رحمة، بل وسلّمت رجلين منهم بقوا على قيد الحياة إلى قريش فصلبَتهما قريشٌ صبراً إنتقاماً من رسول الله والمسلمين.

لقد تركت هذه الفاجعة المأساوية المؤلمة ألماً شديداً في نفوس المسلمين، وأحدثت جرحاً عميقاً في ضمائرهم وأدت إلى توقف حركة الارشاد والتبليغ والدعوة.

و لكن في الظروف المستجدة التي استطاع الاسلامُ أن يزيل -بعد الأحزاب و بني قريظة - كل العراقيل والعقبات عن سبيل المسلمين رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن من الضروري تأديب بني لحيان لتعتبر بقية القبائل، فلا يؤذوا بعد ذلك فرق الدعوة و بعثات التبليغ الاسلامي.

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٧٦ و ٢٧٧.

فاستخلف مكانه لإدارة شؤون المدينة «ابن أُمّ مكتوم» في الشهر الخامس من السنة الهجرية السادسة ولم يُظهر لأحد مايقصده، بل خرج يظهر أنه يريد الشام ليصيب «بني لحيان» على غفلة منهم. فلما وصل الى طريق مكة عرّج حتى نزل بمنطقة تدعى غراب وهي منازل بني لحيان، وقد كان بنولحيان قد عرفوا بمسير النبي إليهم فحذروه، وتمنعوا في رؤوس الجبال.

و كان غزو المسلمين هذا، وجبن العدو قد تركا أثراً نفسياً قوياً، فأحدث رعباً في قلوب أعداء الإسلام.

و استكمالاً لهذا الهَدف العسكريّ الهامّ عَمدَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى القيام بسلسلة من المناورات العسكرية، واستعراض القوة القتالية في جنوده ليرهب أعداء الله القريب منهم والبعيد ولتسمَع بهم قريش خاصة فيذعرهم، فنزل في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عسفان على مقربة من مكة وقد قال من قبل:

«لوهبطنا عسفان لرأى أهلُ مكة أنا قد جئنا مكة».

ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كراع الغميم (وهو موضعٌ بناحية الحجاز بين مكة والمدينة وهو واد أمام عسفان بثمانية أميال). ثم عاد مع أصحابه إلى المدينة[1].

هذا و كان جابر بن عبدالله الأنصاري يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول حين رجوعه من هذه الغزوة:

«...أعوذبالله مِن وَعثاء السَفروكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال»[2].

غزوةُ ذي قَرد:

لَم يقُم رسول الله صلّى الله عليه وآله في المدينة بعد عودته من الغزوة

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٥٤، المغازي: ج٢ ص٥٣٥، إمتاع الاسماع: ج١ ص٢٥٩ و٢٦٠.

السابقة إلّا ليالي قلائل حتى أغار «عيينة من حصن الفزاري» بمساعدة بني غطفان، على إبل لرسول الله صلّى الله عليه وآله كانت ترعى في منطقة تدعى الغابة (وهي موضعٌ قرب المدينة من ناحية الشام) كانت مرعى أهل المدينة، وكان فيها آنذاك رجلٌ من بني غفار، وامرأة مسلمة له، فقتلوا الرجل، وأخذوا معهم المرأة والإبل.

و كان أول من أخبر الناس بذلك رجلٌ يدعى سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي وكان قد غدا يريد الغابة متوشحاً سيفه وقوسه ونبله، يريد الصيد، حتى إذا علا «ثنية الوداع» نظر إلى بعض خيول المغيرين، فصعد على تلّة سلع وصرخ مستغيثاً ومستنجداً: واصباحاه،

ثم خرج يشتد في آثار القوم (المغيرين) فجعل يردّهم بالنبل، ولكن المعتدين لاذوا بالفرار.

و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أول من سمع صراخ ابن الاكوع واستغاثاته، فصرخ صلّى الله عليه وآله هو مستغيثاً: الفزع، الفزع. فأسرع جماعة من الفرسان برسول الله صلّى الله عليه وآله، فلما اجتمعوا عنده أمّر عليهم «سعد بن زيد الاشهليّ» وقال له:

«أُخرج في طلب القوم، حتى الحقكَ في الناس».

فخرج الفرسان المسلمون في طلب القوم، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وآله من ورائهم، حتى أدركوا القوم في ذي قرد، فوقع بين المسلمين، وبين المغيرين قتال قليلٌ قتلَ فيه من المسلمين رجلان، ومن المعتدين ثلاثة، واستنقذت المرأة، وبعض الابل المسروقة، ولكن العدوّ لجأ إلى غطفان، فأقام رسول الله صلّى الله عليه وآله في تلك المنطقة يوماً وليلة، تخويفاً للعدوّ، ولم يَرَ من الصالح ملاحقة العدوّ رغم إصرار بعض المسلمين على ملاحقتهم، واستنقاذ بقية السرح (الابل).

٣٠٢ ـــــــ

٤٠

تمرّد بني المُصطَلِق

لقد بلغَت قوةُ المسلمين العسكرية في السنة الهجرية السادسة حداً ملفتاً للنظر، بحيث تمكن جماعة خاصة منهم أن يترددوا على المناطق القريبة من مكة بمنتهى الحرية، ومن دون خوف، بيد أن هذه القوة العسكرية لم تكن كافية للسيطرة على المناطق التي كان يتواجد فيها القبائل المشركة، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم.

و اذا كان المشركون لاينتزعون المسلمين حريتهم، وكانوا يسمحون لأن تجري النشاطات التبليغية من دون منع أو معارضة لما كان رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله يقدم على شراء الاسلحة، وبعث السرايا، والمجموعات العسكرية، ولكن حيث ان نشاطات المسلمين التبليغية، ومجموعات الارشاد والدعوة كانت تتعرض باستمرار للمضايقة، والاذى، بل والاغتيال من قِبَل العدو، لذلك كان رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله مضطراً بحكم العقل والفطرة أن يقوي من قدرات الاسلام الدفاعية.

لقد كانت العلل والأسباب الواقعيّة لأكثر الحروب التي وقعت إلى السنة الهجرية السادسة بل حتى آخر لحظة من حياة رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله تتلخص في إحدى الأُمور التالية:

١ ـ الردّ على اعتداءات المشركين الغادرة، مثل معركة «بدر» و «أُحد» و

٣٠٤ ـــــــ

لايطول القتال بين المسلمين وبين «بني المصطلق» فتفرق جيش العدو بأن قتل منهم عشرة رجال، كماوقتل رجل مسلم خطأ، فأصاب المسلمون غنائم كثيرة وسبوا جماعة كبيرة من نساء بني المصطلق[١].

هذا وان النقاط والدروس المفيدة في هذه الواقعة تتمثل في السياسة الحكيمة التي مارسها رسول الله صلّى الله عليه وآله في حوادث هذه الغزوة، ممّا سنذكر بعضها عما قريب.

و قد شبّ في هذه المنطقة ولأوّل مرّة خلافٌ بين المهاجرين والأَنصار، كاد أن يأتي بنتائج مروّعة أبسطها أن توجّه ضربة قوية إلى الإتحاد الحاصل بين المسلمين نتيجة هوى البعض وهو سهم لولا تدبير النبي صلّى الله عليه وآله وحكمته، الرشيدة التي أنهت كل شيء، وابقت على روح التآخي بين المسلمين.

و تعودُ جذور هذه الحادثة إلى تزاحم رجلين من المسلمين على البئر بعد ان وضعت الحرب أوزارها.

فقد ازدحم «جهجاه بن مسعود» وهو من المهاجرين و«سنان بن وبر الجهني» وهو من الأنصار على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني ـ مستغيثاً بقبيلته على عادة الجاهليين ـ: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، وكاد أن يتقاتل المسلمون من الفريقين فيما بينهم في هذه الحادثة، وفي هذا المكان البعيد عن عاصمة الاسلام ومركزه، ويتعرض بذلك كيانهم للسقوط والانهيار، لأنهم تواعدوا على القتال كل فريق انتصاراً الصريحة.

فلما عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك قال:

«دَعُوها فإنها منتنة»[٢].

أي أن هذا النوع من الاستغاثة ولمثل هذا الدافع ماهو إلّا من دعوى

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٦٠. امتاع الاسماع: ج١ ص١٩٥ و١٩٦.

(٢) السيرة النبوية: ج١ ص٢٩٠ (الهامش).

٣٠٦ ـــــــ

لماسمع بهذه الكلمات المثيرة للشغب والفتنة رد على «ابن أُبي» بكلمات قوية شجاعة اذ قال: أنت والله الذليلُ القليلُ المبغَضُ في قومك، ومحمَّد في عزّ من الرحمان، ومودّة من المسلمين، والله لاأُحبُّك بعد هذا أبداً.

ثم نهض و مشى إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره الخبر، **فرده** رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ثلاث مرات حفظاً للظاهر، قائلاً: لعلّك وهمت ياغلام، لعلّك غضبت عليه، لعلّه سفّه عليك.

ولكن زيداً كان يؤكّد على صحة ما أخبربه رسول الله صلّى الله عليه وآله من مقالة المنافق الخبيث «عبدالله بن أُبي»، وتحريكه للناس ضد رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و هنا طلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يُقتَلَ «ابن أُبي» قائلاً: مر به عبّادَ بن بشر فليقتله[1].

و لكن رسول الله صلّى الله عليه وآله أجاب عمر بقوله:

«فكيف يا عُمَر إذا تحدّثَ الناسُ أن محمَّداً يقتُل أصحابه، لا»[2].

و لقد مشى «عبدالله بن أُبي» إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله حين بلغه أنّ «زيد بن الارقم» قد بلّغ رسول الله صلّى الله عليه وآله ماسمع منه، فحلف

---

(١) تثبت دراسة حياة الخليفة الثاني أنه لم يبد في أية معركة من معارك الاسلام قوة وبسالة، بل كان في صف المتقاعدين دائماً. ولكن كلما أمّر المسلمون أحداً كان هو اول من يقترح على رسول الله صلّى الله عليه وآله بقتله ونذكر للمثال مايلي:

أ ـ هذا المورد الذي طلب فيه من رسول الله أن يُقتَل ابن أُبي.

ب ـ طلبه من النبي بأن يُقتَل حاطب بن أبي‌بلتعة الذي تجسس لصالح المشركين من أهل مكة في فتح مكة.

جـ ـ طلبه‌من رسول الله صلّى الله عليه وآله بقتل أبي سفيان الذي جاء به العباس عم النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى خيمة رسول الله صلّى الله عليه وآله قبيل فتح مكة، وغير ذلك من الموارد التي سبقت أو التي تأتي.

(٢) امتاع الاسماع: ج١ ص٢٠٢.

٣٠٨ ـــــــ

«عبدالله بن أُبي» المنافق المفتّن[١]

صراع بين الايمان والعاطفة:

كان عبدالله ابن «عبدالله بن أُبي» من فتيان الإسلام الشجعان، ومن فرسانه البواسل، وكان ـ كما تقتضيه تعاليم الإسلام ـ يبر بأبيه المنافق أكثر من غيره، ولكنه عندما عرف بماتفوّه به أبوه في شأن رسول الله صلّى الله عليه وآله وظن أن رسول الله صلّى الله عليه وآله سيقتل أباه جاء الى النبي صلّى الله عليه وآله وقال: يارسول الله انه قد بلغني أنك تريد قتل «عبدالله بن أُبي»، فيما بلغك عنه فإن كنت لابدّ فاعلاً فمرني به فانا أحمل اليك رأسه، فوالله لقد علمت الخزرج ماكان لها من رجل أبرّ بوالده مني، وإني أخشى أن تامر به غيري، فيقتله فلا تدعني نفسي انظرُ إلى قاتل عبدالله بن أبي يمشي في الناس فاقتله، فأقتل (رجلاً) مؤمناً بكافر فأدخلَ النار!!

إن حديث هذا الفتى يعكس ـ في الحقيقه ـ أعظم تجليات الإيمان وآثاره في النفس، والروح الانسانية.

لماذا لم يطلب من النبي صلّى الله عليه وآله أن يعفو عن أبيه؟! لأنّه كان يعلم أن مايفعله رسول الله صلّى الله عليه وآله إنما هو بأمرالله تعالى، ولكن ابنَ عبدالله كان يرى نفسه في صراع روحيّ حادّ.

فمن جانب كانت تدعوه عواطف البنوة والأُبوّة والأخلاق العربيّة أن ينتقم ممّن يقتل أباه، ويسفك بالتالي دم مسلم.

و من جانب آخر توجب عوامل أُخرى مثل ضرورة استتباب الأمن والطمائنينة في البيئة الاسلامية أن يُقتَلَ رأسُ المنافقين «ابن أُبي»، انه صورة من صورالصراع بين مقتضى الايمان، ومقتضى العاطفة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٦١ و ٢٦٢، مجمع البيان: ج١٠ ص٢٩٢ ـ ٢٩٥.

٣١٠ ـــــــ

من أمري[١].

الزَواجُ المبارك:

كانت «جويرية» بنت الحارث بن أبي ضرار رئيس بني المصطلق من جملة السبايا التي وقعت في أيدي المسلمين في غزوة بني المصطلق، فأقبل أبوها الحارث بفداء ابنته إلى المدينة فلما كان في وادي العقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها لفداء ابنته فرغبَ في بعيرين منها فغيَّبها في شعب من شعاب العقيق، ثم أتى إلى النبي صلّى الله عليه وآله وقال: يامحمَّد أصبتم إبنتي وهذا فداؤها، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله.

«فأينَ البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق في شعب كذا وكذا»؟!

فلما سمع الحارث بهذا الخبر الغيبي على لسان رسول الله صلّى الله عليه وآله آمنَ هو ووالده به، وأسلم أُناس آخرون من قومه كانوا معه، وأرسل إلى البعيرين فجاء بهما، فدفع الإبل إلى رسول الله ودُفعَت إليه ابنته «جويرية» فأسلمت هي أيضاً.

ثم خطبها رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أبيها، فزوّجه اياها، وأصدقها أربعمائة درهم.

فلما بلغ الناس أن رسول الله صلّى الله عليه وآله تزوَّجَ جويرية بنت الحارث وكان بأيديهم بعض الاسرى من بني المصطلق قالوا: أصهارُ رسول الله صلّى الله عليه وآله فأطلقوا ماكان بأيديهم من اولئك الاسرى وكانوا مائة عائلة، فما عُلِمَ إمرأة اعظم بركة على قومها منها، فقد اعتق بتزويجه اياها مائة أهل بيت من بني

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٩٢ و ٢٩٣ و في السيرة الحلبية: ج٢ ص٢٩١: لأرعدت له أنوف. وتعني هذه القولة النبوية الشريفة: ان النبي لوكان يأخذ باقتراح عمر بقتل عبدالله بن أبي لدافع عنه أُناس حمية وعصبية. ولكنه اليوم وبعد أن خذله الناس أنفسهم لو أمر النبي أولئك المدافعين بقتله. لقتلوه دون إبطاء.

٣١٢ ـــــــ

٤١

قصة الافك

بقي رئيس حزب النفاق عبدالله بن أُبي يواصل تجارته بالجواري، والإماء ويضعهن تحت تصرف الرجال للزنابهن، ليجني من هذا الطريق أرباحاً طائلة. حتى بعد دخول الاسلام في المدينة.

فعندما نزلت آيات تحريم الزنا كان ذلك الفاسق يمارس حرفته القذرة، حتى أن إماءه ضقن بهذا العمل الفاجر ذرعاً، فشكينَ إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقالت إحداهن: إن سيّدي يكرهني على البغاء.

فنزلَ قوله تعالى في شجب هذا العمل الدنيءُ: «وَ لاَ تُكرهُوا فتياتِكُمْ عَلى البغاء إن أردنَ تحصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرضَ الحياة الدُنيا»[١][٢].

و لقد أراد رجل يعبث بعفاف النساء كهذا، أن يسيء إلى أمرأة ذات مكانة وشخصية في المجتمع الاسلامي[٣]، ويتهمها بالزنا نكاية بالمؤمنين، والمؤمنات، وبغياً وحسداً.

---

(١) النور: ٣٣.

(٢) مجمع البيان: ج٤ ص ١٤١، الدر المنثور: ج٥ ص٤٦.

(٣) اخترنا هذا التعبير لورود نوعين من شأن النزول في المقام بحيث لم يتأكد للمؤلف من هي المقصودة هنا، وستقرأ في الصفحات القادمة أدلة عدم ثبوت من عيّنه البعض.

إن مايستفاد من الآيات والروايات المرتبطة بهذه القصة تفيد إجمالاً أن إمرأة ذات مكانة في المجتمع الاسلامي آنذاك تعرضت لاتهام المنافقين لها، وأما من هي تلك المرأة على وجه التعيين فذلك مالايمكن البت فيه، على وجه القطع واليقين.

٣١٤ ـــــــ

بريئاً كان يتمتع في المجتمع الاسلامي آنذاك بتهمة الزنا، تحقيقاً لمآربهم الدنيئة، واضراراً بالمجتمع الاسلاميّ، وقد ردّهم القرآن وشجب عملهم بشدّة قل نظيرها، وأبطل خطتهم.

فمن هو ـ ترى ـ ذلك البريء؟ ان في ذلك خلافاً بين المفسرين، فالاكثرون على أنها «عائشة» زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله، ويرى الآخرون أنها **«مارية» القبطية أُم إبراهيم و زوجة رسول الله أيضاً لقد ذكروا أسباباً مختلفة لنزول هذه الآيات لاتخلو من عن إشكال. وها نحن ندرس القول الذي يذهب إلى أن المراد في هذه الآيات هو: «عائشة» وتوضيح مايصح وما لايصح في هذا المجال:**

دراسة القول الأوّل:

يرى المحدّثون والمفسرون من أهل السنة أن نزول آيات «الإفك» يرتبط بعائشة، ويذكرون في هذا المجال رواية مفصّلة لايتلاءم بعضها مع عصمة رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن هنا لايمكن القبول بهذا القول على اطلاقه.

وها نحن نذكر مايتلاءم من هذه القصة مع عصمة النبي صلّى الله عليه وآله ثم نستعرض آيات الافك، ثم نشير إلى القسم الذي يخالف عصمته صلّى الله عليه وآله في هذا القول.

إن اسناد هذه الرواية تنتهي برمتها إلى «عائشة»[1] نفسها، فهي تقول: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيُّهن خرج سهمها خرج بها معه، فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه كما كان يصنع عادة فخرج سهمي عليهن معه فخرج بي رسول الله صلّى الله عليه وآله فلما فرغ رسول الله صلّى الله عليه وآله من سفره ذلك وجه قافلاً حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً، فبات به بعض الليل، ثم أذن في الناس بالرحيل، فارتحل

---

(١) راجع الدر المنثور: ج٥ ص ٢٤ ـ ٣٤.

الناسُ وخرجتُ لبعض حاجتي، وفي عنقي عقد لي، فيه جزع ظفار، (أي خرز يمني) فلما فرغت انسلّ من عنقي ولا أدري فلما رجعت إلى الرَحل ذهبت التمسُه في عنقي فلم أجده، وقد أخذ الناس في الرحيل، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبتُ إليه، فالتمستُه حتى وجدته، وجاء القوم خلافي الذين كانوا يرحّلون لي البعير، وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه، فشدّوه على البعير ولم يشكُّوا أني فيه، ثم اخذوا رأس البعير، فانطلقوا به، فرجعت إلى العسكر ومافيه من داع ولامجيب، قد انطلق الناس.

فتلففت بجلبابي، ثم اضطجعت في مكاني، وعرفت أن لو قد افتقدتُ لرجع إليّ. فوالله إني لمضطجعة اذ مرّبي صفوان السلمي (وهو من فرسان الاسلام) وقد كان تخلّف عن العسكر لبعض حاجته، فلم يبت مع الناس، فرأى سوادي، فأقبل حتى وقف وقد كان يراني قبل أن يُضرب علينا الحجاب، فلما رآني قال: إنا لله وإنا اليه راجعون ظعينة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأنا متلففة في ثيابي. قال: ماخلّفكِ يرحمك الله. فما كلّمتُه، ثم قرّب البعير فقال: إركبي، واستأخرَ عنّي فركبتُ، وأخذ براس البعير، فانطلق سريعاً يطلبُ الناس، فوالله ماأدركنا الناس، وما افتقدت حتى أصبحت، ونزل الناسُ فلما اطمأنوا طلَع الرجلُ يقود بي، فقال أهل الإفك ماقالوا؛ وارتعج العسكر (أي شكوا فيّ) ووالله ماعلم بشيء من ذلك. حتى نزلت آيات «الافك» تبرئني ممّا اتهمني به المنافقون.

هذا القسم من شأن النزول الذي لخصناه لك من قصّة مفصّلة يمكن تطبيقها مع آيات «الافك»، وليس فيه ماينافي عصمة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و اليك الآيات التي نَزلَتْ في هذا المجال:

إنَّ الَّذيْنَ جَآءُو بِالإفْك عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاتحسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أمرئ مِنْهُمْ ما اكتَسَبَ من الإثْم والَّذيْ تَولّىٰ كِبْرهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ

عَظيمٌ لَوْلا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُومنُونَ وَ الْمُؤْمناتَ بأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَ قالُوا هذا إفْكٌ مُبينٌ * لَوْلا جاءُو عَلَيْهِ بأَرْبعَة شُهَداء فَإذ لَمْ يَأْتُوا بالشُهَداء فَأُوْلئكَ عِنْدَ الله هُمُ الْكاذبُونَ وَ لَولا فَضلُ الله عليكُمْ وَ رَحمتُه في الدُّنيا وَ الآخرة لمسكَمْ فيْ ما أفضتم فيهِ عَذابٌ عَظيمٌ. إذْ تلقونهُ بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ماليسَ لَكُمْ به عِلم وتحسبونهُ هيّناً وهوَ عِندالله عَظيمٌ. ولَوْلا إذ سمعتموه قلتُمْ ما يَكون لنا أن نتكلَّمَ بهذا سُبحانَكَ هذا بُهْتانٌ عَظيمٌ[1].

أبرز النقاط في آيات «الإفك»:

يستفاد من القرائن أن هذه التهمة كانت نابعة أساساً من المنافقين أي أنه من كيدهم، واليك هذه القرائن:

١ ـ يقال: إن المراد من قوله سبحانه: «وَ الَّذي تَوَلّٰى كِبْرهُ» هو «عبدالله بن أُبي» رئيس المنافقين، وكبيرهم.

٢ ـ لقد عبّر تعالى في الآية الحادية عشرة عن الذين اتهموا المرأة بلفظ: «عصبة» وهذه العبارة تستعمل في الجماعة المنظّمة، التي يربطها هدفٌ واحدٌ وتحدوها غايةٌ واحدةٌ وتفيد أنهم كانوا متعاونين ومتعاضدين في المؤامرة ولم يكن مثل هذه الجماعة بين المسلمين إلّا المنافقون.

٣ ـ ان «عبدالله بن أُبي» بسبب منعه من الدخول إلى المدينة، بقي عند مدخل المدينة، فلمّا شاهَد عائشة وهي راكبة بعير صفوان استغل الفرصة للايقاع برسول الله صلّى الله عليه وآله اشفاءً لغيظه، فبادر إلى استعمال سلاح التهمة والبهتان، وقال إن زوجة النبيّ صلّى الله عليه وآله باتت مع اجنبي في تلك الليلة ووالله مانجا منهما مِن الإثم أحدٌ.

---

(١) النور: ١١ ـ ١٦.

٣١٨ ـــــــ

عليك الشأن فوالله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل لها ضرائر إلّا كثّرن، وكثر الناس عليها.(١)

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله شاور «أُسامة بن زيد» في الامر، فأثنى عليَّ خيراً وقاله، ثم قال: يارسول الله أهلَك ولانعلم منهم إلّاخيراً، وهذا الكذبُ والباطلُ!!

وشاور عليّاً فقال: يارسول الله إن النساء لكثير، وانّك لقادرٌ على أن تستخلف، وسل الجارية، فانّها ستُصَدّقك (إي جارية عائشة) فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله بريرة ليسألها، فقالت: والله ماأعلمُ إلّا خيراً، وماكنتُ اعيب على عائشة شيئاً.

إن هذا القسم من الرواية يتنافى بقوة مع عصمة النبي صلّى الله عليه وآله لانه يكشف عن أن النبي وقع فريسة بأيدي الشائعات الكاذبة إلى درجة أنه غير سلوكه مع عائشة، وشاور أصحابه فيها!!

إن مثل هذا الموقف مع شخص بريء لايوجدُ على تهمته أي دليل ليس فقط يتنافى مع مقام العصمة النبوية، بل يتنافى حتى مع مقام مؤمن عادي لأنه من المؤمنين ليس من الجائز أبداً أن تغيّر الشائعات سلوك مسلم عاديٍّ تجاه شخص منهم، وحتى لوتركت تلك الشائعات تأثيراً في نفس المسلم، فليس من الجائز أن تُحدث مثل ذلك التغيير والانقلاب في نظرته وسلوكه.

إن القرآن الكريم يوبّخ في الآية ١٢ و١٤ من سورة النور اولئك الذين وقعوا فريسة الشائعات وظنّوا الظن السوء إذ يقول تعالى:

«لولا إذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤمناتُ بأَنْفُسِهِمْ خَيراً وَ قالوا هذا إفْكٌ مبين»؟!

---

(١) صحيح البخاري: ج٦ تفسير سورة النور ص١٠٢ و ١٠٣ وكذا الجزء ٥ ص١١٨ السيرة النبوية: ج٢ ص٢٩٩

٣٢٠ ـــــــ

فقام اسيد بن حضير -وهو ابن عم سعد بن معاذ- وقال: كذبت والله لنقتلنّه وأنفك راغم. فانك منافقٌ تجادلُ عن المنافقين، والله لو نعلم ما يهوى رسولُ الله من ذلك في رهطي الأدنَيْن مارام **رسولُ الله صلّى الله عليه وآله** مكانه حتى آتيك برأسه، ولكني لاأدري مايهوى رسولُ الله.

ثم تغالظوا، و قام آل الخزرج من جانب، وآل الأوس من جانب آخر، وكادوا أن يشتبكوا ورسول الله صلّى الله عليه وآله على المنبر، فأشار رسول الله إلى الحيّين جميعاً أن اسكتوا، ونزل عن المنبر **فهدّأهم وخفضهم حتى انصرفوا...**

هذا القسم من القصة المذكورة في رواية البخاري غير صحيح، ولايتلاءم مع التاريخ الثابت الصحيح لأن «سعد بن معاذ» كان قد مات بعد إصدار حكمه في بني قريظة متأثراً بجرح أصابه في معركة «الاحزاب»، وقد وقعت حادثة «الإفك» بعد واقعة بني قريظة، وقد صرّح البخاري نفسه بهذا في صحيحه (ج٥ ص١١٣) في باب «معركة الاحزاب و بني قريظة»، فكيف يمكن والحال هذه أن يحضر مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله ويجادل سعد بن عبادة في قصة الإفك التي وقعت بعد واقعة بني قريظة بعدة شهور؟![1]

لقد ذهب المؤرخون الى أن معركة الخندق ثم واقعة بني قريظة وقعتا في شهر شوال من السنة الخامسة للهجرة، فتكون النتيجة ان قضية بني قريظة انتهت في التاسع عشر من شهر ذي الحجة، وقد توفي سعد بن معاذ في أعقاب هذه الحادثة مباشرة لمّا انفجر به جرحه[2] في حين وقعت غزوة بني المصطلق في شهر شوال

القبيلتين منافسة قديمة، وكان «عبدالله بن أبي» خزرجياً، فاعتبر «سعد بن عبادة» كلام «سعد بن معاذ» تعريضاً بالخزرج وحطاً من شأنهم.

(١) نفس المصدر السابق، والجدير بالذكر أن ابن هشام لم يذكر في سيرته «سعد بن معاذ»، ولكنه روى جدال أسيد مع سعد بن عبادة راجع السيرة النبوية: ج٢ ص٣٠٠، وهكذا فعل ابن الاثير في الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٣٤، ولكن المغازي ذكرالقصة كاملة، وانى باسم سعد بن معاذ راجع: ج٢ ص٤٣١.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص٢٥٠.

٣٢٢ ـــــــ

فقال له: يارسول الله إذا بعثتني في الأمر أكونُ كالمسمار المحمى في الوبر أم أتثبّت؟

قال: لا بل تثبت.

قال: والذي بعثك بالحق ماله ما للرجال و ماله ما للنساء.

فقال: الحمدلله الذي صرَف عنا السُوء أهل البيت.

و هذه الرواية التي نقلها «المحدث البحراني» في «تفسير البرهان» ج٢ ص١٢٦ - ١٢٧ و «الحويزي» في تفسير «نورالثقلين» ج٣ ص٥٨١ - ٥٨٢ ضعيفة وغيرمستقيمة من حيث المفاد، و هو ضعف ظاهر لايحتاج الى البيان ولذلك.

و من هنا لايمكن القبول بها في شأن نزول هذه الآيات.

فالمهم هو وقوع أصل هذه الحادثة، كان من كان المتَّهم في هذه الحادثة.

٤٢
رحلةٌ سياسيّةٌ دينيّةٌ

كانت السنة الهجرية السادسة بكل حوادثها المرة والحلوة تقترب من نهايتها عندما رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله في المنام أنه دخل البيت (الكعبة) وحلق رأسه، وأخذ مفتاح البيت، وعرّف مع المعرفين، فقصّ صلّى الله عليه وآله هذه الرؤيا على أصحابه و تفاءل به خيراً[١].

و لم يلبث أن أمر أصحابه بالتهيّؤ للعمرة، ودعا القبائل المجاورة التي كانت لا تزال على شركها وكفرها الى مرافقة المسلمين في هذه السفرة، ولهذا شاع في جميع أنحاء الجزيرة العربية أن المسلمين سيتجهون في شهر ذي القعدة صوب مكة يريدون العمرة.

و لقد كانت هذه السفرة الروحانية تنطوي -مضافاً إلى العطاء الروحاني والمعنوي -على مصالح إجتماعية و أهداف سياسية، فقد عززت مكانة المسلمين في شبه الجزيرة العربية، وتسببت في انتشار دين التوحيد في أوساط المجتمع العربي آنذاك ، وذلك :

أولاً: لأنّ القبائل العربية المشركة كانت تتصوّر أن النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله يخالف كل عقائد العرب، وتقاليدهم الشعبية، والدينية حتى فريضة الحج، والعمرة التي كانت تعد من ذكريات الاسلاف ومواريثهم.

---

(١) مجمع البيان: ج٩ ص١٢٦.

من هنا كانوا يخافون رسول الله صلّى الله عليه وآله ويتوجسون خيفة من دينه، وعقيدته، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله استطاع في هذه المناسبة ـ باشتراكه، واشتراك أصحابه في مراسيم العمرة أن يخفف هذا الخوف لدى القبائل المشركة إلى حدٍّ كبير، وأن يوضح بعَمله أنَّ رسولَ الإسلام لا يعارضُ زيارة بيت الله الحرام، والفريضة المذكورة التي تعد من طقوسهم الدينية، وتقاليدهم المذهبية، بل يعتبرها فريضة مقدسة، فهو مثل والد العرب الاكبر «اسماعيل بن إبراهيم الخليل» عليهما السَّلام يعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية، وبهذا استطاع رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يستقطب قلوب من كان يتوهم أن رسالة «محمَّد» ودعوته، ودينه يعارض جميع شؤونهم وتقاليدهم وأعرافهم الدينية، والشعبية، ويخالفها مخالفة مطلقة، ويقلّل من خوفهم، واستيحاشهم.

ثانياً: إذا استطاع المسلمون أن يحرزوا في هذا السبيل نجاحاً، ويؤدوا مناسك العمرة في المسجد الحرام بحرية، أمام أعين الآلاف من المشركين، فان عملهم هذا بنفسه سيكون تبليغاً ناجحاً للإسلام، لأن أخبار المسلمين ستنتشر بواسطة المشركين الذين قدموا مكة من جميع المناطق لاداء مناسك العمرة، فسيحملون أنباء مارأوه وشاهدوه من أفعال المسلمين الرشيدة، وأخلاقهم الفاضلة، إلى أوطانهم لدىٰ عودتهم من مكة إلى بلادهم، وبهذا ينتشر نداء الإسلام في تلكم المناطق التي لم يستطع رسول الله صلّى الله عليه وآله ان يبعث إليها الدعاة والمبلغين حتى ذلك الحين، ويترك هذا الأمر أثره المطلوب.

ثالثاً: إن رسولَ الله صلّى الله عليه وآله ذكّر الناس في المدينة بحرمة الأشهر الحرم وقال صلّى الله عليه وآله: وأمر المسلمين بأن لا يحملوا معهم من الاسلحة شيئاً إلّا السيف الذي يحمله كل مسافر معه.

و لقد جلب هذا الامر عواطف كثير من الغرباء عن الإسلام نحو هذا الدين، وغيّر من نظرتهم السلبية تجاه دعوة الإسلام، لأنهم شاهدوا بأُم أعينهم أن رسول الله صلّى الله عليه وآله يحرّم القتال في هذه الأشهر، ويدافع بنفسه عن

٣٢٦ ـــــــ

و لقد أرسل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عيناً له ليخبره عن قريش إذا وجدهم في أثناء الطريق.

و لما كان رسول الله بعُسفان (وهي منطقة بين الجحفة ومكة) أتاه رجلٌ خزاعيّ كان يتقصى الاخبار لرسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: يارسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، فعاهدوا الله أن لا تدخلها أبداً وهذا «خالد بن الوليد» في خيلهم (وكانوا مائتين) قد قدّموها الى كراع الغميم. (وهي موضع بين مكة والمدينة أمام عُسفان بثمانية أميال).

فلما سمع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بعزم قريش على منعه ومنع اصحابه من العمرة قال:

«ياويحَ قريش، لقد أكَلتهُم الحربُ ماذا عليهم لوخلّوا بيني وبين سائر العرب، فان هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظُنُّ قريش، فوالله لا أزال اجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله به، أو تنفردُ هذه السالفة[1] (أي أُقتل أو أموت).

ثم طلب رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من يَدُلّهُ على طريقٍ آخر غير الطريق الذي هم بها لكي يتجنب مواجهة طليعة قريش بقيادة «خالد بن الوليد».

فتعهَّد رجل من بني أسلم بذلك فسلك برسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه طريقاً وعراً كثيرة الحجارة بين شعاب حتى انتهوا إلى منطقة سهلة تدعى بالحديبية، فبركت هناك ناقة رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال صلّى الله عليه وآله: «ماهذا لها عادة، ولكن حبسها حابسُ الفيل بمكة»[2].

ثم أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس أن ينزلوا في ذلك المكان فنزلوا.

---

(١) السالفة: صفحة العنق، وكنى بهذه الجملة عن الموت لانّها لا تنفرد عمّا يليها الّا بالموت.

(٢) بحارالانوار: ج٢٠ص٣٢٩ وغيره. وقد أشار بهذا الكلام إلى واقعة الفيل.

٣٢٨ ـــــــ

رسول الله صلّى الله عليه وآله في رجال من خزاعة فكلّموه نيابة عن قريش وسألوه: ماالذي جاء به؟ فقال لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«إنّا لَمْ نجئ لِقتال أحدٍ، ولكنّا جئنا معتمرين».

فرجعوا إلى قريش وأخبروهم بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يات لِقتال وإنما جاء معتمراً زائراً لبيت الله، ولكن قريشاً لم يصدقوهم وقالوا: وإن كان جاء ولايريد قتالاً فوالله لايدخلُها علينا عنوة أبداً، ولاتحدّثُ بذلك عنّاالعربُ.

ثم بعثوا «مكرز بن حفص» فسمع من النبي صلّى الله عليه وآله ماسمعه سابقه، فعاد وصدّق ماأخبر بديل قريشاً به، ولكن قريشاً لم تصدق مكرزاً أيضاً كما لم تصدّق سابقه.

فبعثت في المرة الثالثة الحليس بن علقمة[1] وكبيررماة العرب، لحسم الموقف، فلما رآه رسول الله صلّى الله عليه وآله مقبلاً قال:

«إنَ هذا من قوم يتألَّهُون (أي يعظمون أمرالله) فابعثوا الهديَ في وجهه حتى يراهُ».

فلما رأى الحليس، الهديَ يسيل عليه من عُرض الوادي في قلائده، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محلّه، رجعَ إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله إعظاماً لمارأى، فقال لهم: يامعشر قريش والله ماعلىٰ هذا حالفْناكُمْ، ولا على هذا الَّذي عاقَدْناكم، أيُصدّ عن بيت الله من جاء معظما له وقد ساق الهدي معكوفاً إلى محلِّه؟!، والذي نفسُ الحليس بيده لتُخلّنَّ بين محمَّد وماجاء له، أو لأنفِرنَّ بالأحابيش نفرة رجلٍ واحد، وهكذا امتنع الحليس من مواجهة رسول الله بالقوة واستخدام العنف معه لصده، وقد لاحظ بأُم عينيه ان النبي صلّى الله عليه وآله والمسلمين لايريدون إلّا العمرة والزيارة لاالقتال

---

(١) لقد جاء الحليس إلى النبي بعد عروة الثقفي حسب رواية الطبري في تاريخه: ج٢ ص٢٧٦.

٣٣٠ ـــــــ

فغضب عروة وقال: «أي غُدَر، وهل غَسلْتُ سوءتك إلّا بالأمس» وكان المغيرة قد قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من بني مالك من ثقيف فودىٰ عروة المقتولين وأصلح الأمر.

فقطع رسول الله صلّى الله عليه وآله الكلام على عروة وقال له مثل ماقال لبُديل ورفيقيه، وأنه لم يات يريدُ حرباً، بل جاء يريد العمرة، ولاجل أن يرى عروة مكانته بين أصحابه وأتباعه، قام صلّى الله عليه وآله وتوضأ أمامه، فرأى عروة بأُم عينيه كيف أنه لايتوضّأ إلّا وتسابق أصحابُه على التقاط القطرات المتناثرة من وَضوئه، فرجع إلى قريش وقال لهم: يامعشر قريش إنّي قد جئت كسرى في مُلكه، وقيصر في ملكه، والنجاشيَّ في ملكه، وإنّي والله مَا رأيتُ مَلِكاً في قوم قطّ مَثلَ محمَّد في أصحابه، ولقد رأيتُ قوماً لايُسْلِمُونَهُ لشيء قط فَروا رأيَكُمْ[1].

رسول الله يبعث مندوباً الى قريش:

لم تثمر الاتصالات التي جرت بين مَبعوثي قريش، وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله، فكان من الطبيعي أن يتصور رسول الله صلّى الله عليه وآله أنَّ مبعوثي قريش لم يستطيعوا نقل هدفه إلى قريش، وإسماعهم الحقيقة، وأن أتهامهم لهم بالجبن والكذب منعهم من قبول ماقد أخبروا به، ولهذا قرّر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يبعث هو مندوباً عنه إلى رؤوس الشرك ليوضّح لهم هدف رسول الاسلام من هذا السفر، وأنه ليس إلّا زيارة بيت الله وأداء مناسك العمرة لاغير.

فاختار رجلاً لبيباً حازماً من بني خزاعة يدعى «خراش بن أُميّة» فبعثه إلى قريش بمكّة وحمله على بعير يقال له «الثعلب». ليبلّغ أشرافهم عنه ماجاء له من

---

(١) المغازي: ج ٢ ص٥٩٨، امتاع الاسماع: ج١ ص٢٨٧.

٣٣٢ ـــــــ

فقد كان يريد ـ واقعاً ـ أن يعالج المشكلة من طريق المفاوضات، ومن طريق تغيير التصورات التي كان يحملها اشراف قريش وسادتها المتعنتين المتصلبين عن رسول الله ودعوته.

و من هنا كان يجب هذه المرّة أن يختار صلّى الله عليه وآله رجلاً لم تحْض يده في دماء قريش، ولهذا لم يصلح «علي بن أبي طالب» ولا «الزبير» ولاغير هم من فرسان الاسلام وشجعانه الذين جالدوا صناديد قريش في ميادين القتال وأردوا فريقاً منهم صرعى، لمثل هذه السفارة، وهذه المهمة.

و لهذا تقرر ـ بعد التأمل. انتداب «عمر بن الخطاب» لهذه المهمة، أي الذهاب الى مكة، والتحدث الى سادة قريش، ورؤسائها، لأنه لم يكن قد أراق من المشركين حتى ذلك اليوم ولا قطرة دم، ولكن «عمر» اعتذر عن تحمل هذه المسؤولية، والقيام بهذه المهمة المحفوفة بالمخاطر قائلاً: يارسول الله صلّى الله عليه وآله؛ إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديّ (وهم عشيرته) من يمنعني، ولكني ادُلّك على رجل أعزّها مني، «عثمان بن عفان». (لكونه أمويا بينه وبين أبي سفيان زعيم قريش قرابة)[1].

فدعا رسول الله صلّى الله عليه وآله «عثمان بن عفان» فبعثه إلى «أبي سفيان» وأشراف قريش، ليخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه انما جاء زائراً لهذا البيت ومعظِماً لحرمته.

فخرج عثمان الى مكة، فلقيه «أبان بن سعيد بن العاص» حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلّغ رسالة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فانطلق «عثمان» حتى أتى أباسفيان وأشراف قريش فبلغهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ماأرسله به، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلّى الله عليه وآله إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف،

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣١٥.

٣٣٤ ـــــــ

القتال والحرب[١].

و بينما كان رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذه الحال اذ طلع عليهم «عثمان بن عفان»، وكان ذلك بنفسه طليعة سلام كان يريده رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فأخبر عثمان رسول الله صلّى الله عليه وآله أن الذي يمنع قريشاً من السماح لرسول الله صلّى الله عليه وآله بدخول مكة هو اليمين التي الزموا بها انفسهم أن لايدعوه يدخل مكة هذا العام وانهم سيبعثون اليه من يتفاوض معه بهذا الشأن.

سهيلُ بن عمرو يفاوضُ رسولُ الله:

بعثت قريش ـ في المرة الخامسة ـ «سهيلَ بن عمرو» الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد كلّفته بانهاء المشكلة ضمنَ شروط خاصّة سنقرؤها في مايأتي.

فأقبل «سهيل بن عمرو» على رسول الله صلّى الله عليه وآله ولمارآه النبي صلّى الله عليه وآله قال: قد أراد القومُ الصلح حين بعثوا هذا الرجل.

فلما انتهى «سهيل» إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله تكلّم في المسألة كما يتكلّم أي دبلوماسيّ بارع، فقال وهو يحاول إثارة عواطف النبي صلّى الله عليه وآله وأحاسيسه:

يا أباالقاسم إن مكة حرمُنا وعِزُّنا، وقد تسامعت العربُ بك إنك قد غزوتنا ومتى ماتدخلُ علينا مكة عنوة تطمعُ فينا فنُتَخَطّف، وإنا لنذكّرك الحرم، فان مكة بيضتك التي تفلّقت عَن رأسك.

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله: «فَما تريد»؟

---

(١) ولقد كان لهذه البيعة في نفسها أثراً سياسياً مهماً في نفس العدو، يقول الواقدي: فلما رأت عيون قريش سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب اشتدّ رعبُهم وخوفهم وأسرعوا إلى القضية (ج٢ ص٦٠٤). وراجع امتاع الاسماع: ج١ ص٢٩١ أيضاً.

٣٣٦ ـــــــ

ولكن أكتب اسمَك واسم ابيك).

ولم يرض بعض من حضر من المسلمين في هذه النقطة بأن يرضخ رسول الله صلّى الله عليه وآله لمطالب «سهيل» الى هذه الدرجة، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله الذي كان يلاحظ مصالح عليا غفل عنها ذلك البعض كما سنذكرها فيما بعد رضي بمطلب «سهيل»، وقال لعليّ (عليه السَّلام): أُمحها ياعليّ.

فقال عليٌّ (عليه السَّلام) بأدب بالغ: يارسول الله إن يَديَّ لا تنطلِقُ لمحو إسمك من النبوة.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: فضع يدِي عليها، فمحى رسول الله صلّى الله عليه وآله بيده كلمة: رسول الله نزولا عند رغبة «سهيل» مفاوض قريش(١).

ان التسامح الذي أبداه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في تنظيم وثيقة الصلح هذه لايعرف له نظير في تاريخ العالم كله، لأنه اظهر بجلاء أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يقع فريسة بيد الاهواء والاغراض الشخصية والعواطف والاحاسيس العابرة، وكان يعلم أن الحقائق لا تتبدَّل ولا تتغيّر بالكتابة والمحو، من هنا تسامحَ مع مفاوض قريش «سهيل» الذي تصلَّب في مطاليبه غير المشروعة كثيراً، حفاظاً على أصل الصلح. وحرصاً على السلام.

التاريخ يعيد نفسه:

ولقد ابتليَ علي (عليه السَّلام) تلميذ النبي الأول بمثل هذه التجربة المرّة بعد

---

(١) الارشاد: ص٦٠، اعلام الورى: ١٠٦، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٣٦٨ وقد اخطأ الطبري في هذا المقام اذ قال: في احدى رواياته لهذه الحادثة: قال لعلي عليه السَّلام: أُمحُ «رسولَ الله»، قال: لاوالله لاأمحاك أبداً فأخذه رسول الله صلّى الله عليه وآله وليس يحسن يكتب فكتب مكان «رسول الله»: محمّد.

و هكذا نسب الكتابة إلى شخص رسول الله صلّى الله عليه وآله ونحن نعلم انه أُمي لايحسن الكتابة، وقد حققنا هذه المسألة في المجلد الثالث من موسوعة مفاهيم القرآن ٣١٩-٣٧٤.

٣٣٨ ـــــــ

نَصُّ صُلح الحديبية:

و أخيراً عُقِدَت إتفاقية صُلح وهُدنة بين رسول الله صلّى الله عليه وآله وقريش تضمنت المواد والشروط التالية:

١ ـ تعهّد المسلمون، و قريش بترك الحرب عشر سنين يأمنُ فيهن الناسُ، ويكف بعضهم عن بعض.

٢ ـ من أتى محمَّداً من قريش بغير إذن وليّه رَدّهُ عليهم، ومن جاء قريشاً ممّن مع محمَّد لم يردّوه عليه.

٣ ـ من أحبّ أن يدخل في عقد محمَّد وعهده (أي يتحالف معه) دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

٤ ـ انّ محمَّداً يرجع بأصحابه إلى المدينة عامَهُ هذا ولا يدخل مكة، وانما يدخل مكة في العام القابل في أصحابه فيقيم فيها ثلاثة أيام، لايدخل فيها بسلاح إلّا سلاح المسافر، السيوف في القُرب[١].

٥ ـ أن لايستكرَه أحدٌ على ترك دينه ويعبُد المسلمون الله بمكة علانية وبحرية، وان يكون الاسلام ظاهراً بمكة وان لايؤذي أحد ولايعيَّر[٢].

٦ ـ لا إسلال (سِرقَة) ولا إغلال (خيانة) بل يحترم الطرفان أموالَ الطرف الآخر، فلايخونه ولايسرق منه[٣].

٧ ـ أن لا تعين قريش على محمَّد وأصحابه أحداً بنفس ولاسلاح[٤].

هذا هو نصُ وثيقة «صلح الحديبية»، وقد جمعنا بنوده من المصادر المتنوعة

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢١.

(٢) بحار الأنوار: ج٢٠ ص٣٥٢.

(٣) مجمع البيان: ج٩ ص١١٧ أو: «من قدم مكة من أصحاب محمَّد حاجّاً أو معتمراً أو يبتغي من فضل الله فهو آمن على دمه وماله، ومن قدم المدينة من قريش مجتازاً إلى مصر أو الشام فهو آمن على دمه وماله».

(٤) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٣٥٢.

٣٤٠ ـــــــ

لااكراه في الدين وأما من هرب من المشركين الى المسلمين فلوعلمَ الله منه الصدق لنجاه حتماً.

و لقد كانت نظرية النبي صلّى الله عليه وآله ورأيه متطابقاً كل التطابق مع موازين العقل والمنطق السليم، وقد تجلت صوابيته وحقانيته مع مضيّ الزمن في مابعد، لانه لم يمض زمن طويل إلّا وقريش -وبعد سلسلة من الحوادث المؤسفة- طلبت بنفسها إلغاء هذه المادّة كما سيأتي بيانه في مابعد.

إن هذه المادة تعد رداً قاطعاً على تقوّلات وتخرّصات المستشرقين المغرضين الذين يصرّون على القول بانّ الاسلام انتشر بالسيف.

إنهم حيث لايتحملون رؤية هذا الامتياز العظيم الذي كسبه الاسلام الحنيف، حيث انتشر في مدة قصيرة جداً في شتى نقاط العالم وبقاعه، حتى كاد أن يَعمَّ المعمورة كلّها، ولهذا اضطروا إلى إعزاء انتشار الاسلام الى عامل استخدام القوة، وقالوا: ان الاسلام انتشر بالقوة، ليشوهوا بذلك ملامح الاسلام، ويخفوا الحقيقة خلف غطاء من الاراجيف، في حين أن هذا الميثاق الذي عقد في الجزيرة العربية أمام اعين المئات من المسلمين وغير المسلمين يعكس بجلاء روح الاسلام وحقيقة تعاليمه السامية، ومع هذا يكون من مجانبة الواقع القول بأن الاسلام انتشر بقوة السيف. لابالدعوة الحرة، والتبيلغ والارشاد.

هذا ولقد تحالفت قبيلة خزاعة -مع المسلمين في ضوء المادة الثالثة من الميثاق، بينما تحالفت قبيلة بني كنانة- وكانوا أعداء تقليديّين لخزاعة مع قريش.

آخر الجهود للحفاظ على عملية الصلح:

كانت مقدماتُ الميثاق المذكور، وبنودُه توحي بصورة جليّة وكاملة بأن أكثرها قد فرضت فرضاً على المسلمين، فلو أن رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله قبل بامحاء كلمة «رسول الله» من اسمه، وبدأ الميثاق بعبارة «باسمك اللّهم» على عادة الجاهليين بدل البسملة الكاملة فان غايته من ذلك كانت هي الحفاظ على

٣٤٢ ـــــــ

و كان أبو جندل قد بلغه أمرُ المفاوضات هذه، فهرب من محبسه وانفلت الى رسول الله صلّى الله عليه وآله سالكاً إليه طرقاً وعرة في الشعاب،والوديان.

فلما رأى «سهيل» ابنه أباجندل وقد هرب من سجنه، ولجأ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله قام إليه فضرب وجهه، واخذ بتلابيبه ثم قال: يامحمَّد لقد تمت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا، وهذا يا محمَّد أول من أقاضيك عليه أن تردّه.

و لا شك أن كلام «سهيل» كان باطلاً، ولامبررلطلبه، لأن الميثاق لم تتم كتابته على الورق، ولم يوقع عليه الطرفان، ولم ينته -بالتالي- من مراحله النهائية والأخيرة بعد، فكيف يمكن الاستناد إليه، ولهذا أجابه رسول الله صلّى الله عليه وآله قائلاً:

«إنا لم نرضَ (نقض) بالكتاب بعد»[1]

فقال سهيل: إذاً والله لا أُصالحك على شيء أبداً، حتى ترده اليّ، ولم يزل يصرّ على كلامه ورفضه هذا حتى أنزعج اثنان ممّن رافقه من شخصيات قريش هما مكرز وحويطب من تصلب سهيل وتشدده.

ثم قاما وأخذا أبا جندل من أبيه وأدخلاه خيمة وقالا: نحن نجيره.

و لقد فعلا ذلك حتى يُنهيا ذلك التنازع، والجدال، ولكن إصرار سهيل على موقفه، أبطل تدبيرهما اذ قال: يامحمَّد لقد لجّت القضية بيني وبينك قبل ان ياتيك هذا[2].

فاضطُرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أن يقوم بآخر سعي في طريق الحفاظ على الهدنة والصلح الذي كان له أثر عظيم في انتشار الاسلام، ولهذا رضى بردّ أبي جندل إلى والده، لإعادته الى مكة، ثم قال لذلك المسلم الاسير تطييباً لخاطره:

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٠ ص٣٣٤.

(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢١ لجّت: وجبت وتمت.

٣٤٤ ـــــــ

لاشك فيه، واليك أدلة هذا الرأي:

١٠ ـ إن حملات قريش المتتابعة على المسلمين، والتحريكات الداخلية والخارجية التي أشرنا إليها في حوادث «أُحد» و «الاحزاب» على نحو الاختصار، لم تترك للنبي صلّى الله عليه وآله فرصة لنشر الاسلام بين القبائل، وفي المناطق المختلفة خارج شبه الجزيرة العربية.

من هنا كان صلى الله عليه وآله يصرف اكثر اوقاته الثمينة في الدفاع والعمل على إفشال المؤامرات الخطرة التي كان العدوّ الداخلي والخارجيّ يحيكها باستمرار.

و لكن النبي صلّى الله عليه وآله فرغ باله بعد عقد صلح الحديبية مع قريش من ناحية الجنوب، فتهيّأت الأرضية لانتشار الاسلام في المناطق الاخرى.

و قد ظهر أثر هذا الهدوء والاستقرار بعد سنتين من عقد تلك المعاهدة، فقد كان مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في الحديبية ألف وأربعمائة ولكنه عند ماتوجّه إلى مكة لفتحها بعد عامين خرج معه عشرة آلاف، وكان هذا التفاوت من نتائج صلح الحديبية مباشرة، لأن بعض الناس كانوا يخشون قريشاً فلا يلتحقون بالمسلمين لذلك السبب، ولكن بعد أن اعترفت قريش بالكيان الاسلاميّ بصورة رسمية، وأعطيت للقبائل الحرية الكاملة للانضمام إلى المسلمين زال الخوف المذكور عن كثير من القبائل، فاستطاع المسلمون أن يستغلوا تلك الفرصة ويقوموا بنشاط تبليغي ودعوة واسعة إلى الاسلام.

٢ ـ إن النتيجة الثانية التي حصَل عليها المسلمون من هذه المعاهدة هي زوال الستارالحديدي الذي كان قد ضربه المشركون بين الناس وبين الاسلام، فقد سمح ذلك الصلح بالسفر الى المدينة فكان الناس في سفرهم الى المدينة يحتكون بالمسلمين ويلتقون بهم، فيتعرفون على تعاليم الاسلام السامية.

و لقد أثار نَظمُ المسلمين، واخلاصُهم، وطاعة المؤمنين الكاملة لرسول الله صلّى الله عليه وآله إعجاب المشركين كما أثارت نظافة المسلمين، في أوقات الصلاة خاصة، وصفوفهم المتلاحمة أثناء هذه العبادة المباركة، وخُطبُ رسول الله

٣٤٦ ـــــــ

لقد رأت قريش بام عينيها كيف أنه صلّى الله عليه وآله خالف في عقد ميثاق الصلح آراء جماعة من أصحابه، المعارضة لبعض بنود الاتفاقية رغبة منه في تحقيق السلام، وكيف آثر الحفاظ على حرمة المسجد الحرام على هواه، ورغبته الشخصية.

إن هذا النوع من السلوك أبطل مفعول جميع الدعايات السيئة التي كانت تُرَوّجُ ضد رسول الله صلّى الله عليه وآله ومواقفه وخُلقه، وأفكاره واثبتت للجميع أنه حقاً رجلُ سلام، وداعية خير للبشرية، وأنه حتى لوسيطر على مقاليد الجزيرة العربية، لما عامَل أعداءهُ الّا بالحسنى واللطف، لأنه لم يكن مشكوكاً فيه بأنه لو كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يخوض حرباً ضد قريش في ذلك اليوم لغلبها وهزمها شر هزيمة كما يصرح بذلك القرآن الكريم أيضاً اذ يقول:

«وَ لَو قاتلكُم الَّذينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدبارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَليّاً وَ لانصيراً»[1].

و مع ذلك أبدى رسول الله صلّى الله عليه وآله تسامحاً كبيراً، وأعلن عن عطفه، وحنانه للمجتمع العربيّ، وبذلك أبطل كل الدعايات التي كانت تُروّجُ ضدّه، وضدّ دعوته العظيمة المباركة.

من هنا نهتدي إلى مغزى ما قاله الامام الصادق جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن أهمية هذا الصلح حيث قال:

«و ما كان قضية أعظم بركة منها»[2].

إن الحوادث اللاحقة أثبتت أن اعتراض عدد ضئيل من صحابة النبي صلّى الله عليه وآله وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب على هذا الصلح كان باطلاً ولا مبرر له.

و قد أدرج أرباب السير و التاريخ جميع هذه الاعتراضات، كما تنقل ردّ النبيّ صلّى الله عليه وآله عليها، ويمكن للوقوف عليها مراجعة السيرة النبوية

---

(١) الفتح: ٢٢.

(٢) الكافي: ج٨ ص٣٢٦.

لابن هشام، وامتاع الاسماع وغيرهما ان قيمة هذه المعاهدة تتجلى من ان النبي صلّى الله عليه وآله لم يصل الى المدينة حتى نزلت سورة الفتح التي وعدت المسلمين وبشّرتهم بالانتصار ويمكن اعتبار هذا العمل مقدمة لفتح مكة كما يقول تعالى: «إنافتحنا لك فتحاً مبيناً»[1].

قريش تصرُّ على إلغاء أحد بنود المعاهدة:

لم يمض زمان طويل حتى أجبرت الحوادثُ المُرّة قريشاً على أن تبعث إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله من يطلب منه إلغاء المادة الثانية من معاهدة صلح الحديبية، وهي المادة التي أغضبت بعض صحابة النبي صلّى الله عليه وآله وأثارت سخطهم، وقبل بها رسول الله تحت إصرار من «سهيل» ممثل قريش في مفاوضات الحديبية.

تلك المادة التي تقول: على الحكومة الاسلامية أن تعيد كل مسلم هارب من مكة إلى حكومة مكة، ولكن لايجب على قريش أن تعيد كلَ هارب من المسلمين إلى مكة، إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و قد أثارت هذه المادة ـ المجحفة في الظاهر ـ سخط البعض وإعتراضهم، ولكن النبي صلّى الله عليه وآله قال لابي جندل في وقته:

«إنَّ الله جاعلٌ لك وَ لِمَن معَك مِنَ المستضعفين فَرجاً وَ مَخرجاً».

ثم إن مسلماً آخر يدعى «أبوبصير» كان قد حبسه المشركون ردحاً طويلاً من الزمن استطاع أن يفرّ من محبسه ويصل الى المدينة، وقد وصلها سعياً على قدميه، فكتب شخصيتان من شخصيات قريش هما: «أزهر» و «الأخنس» كتاباً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله يطلبان منه إعادة أبي بصير إلى قريش

---

(١) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٢٦٣ نقلاً عن اعلام الورى، وزاد المعاد في هدى خيرالعباد: ج٢ ص١٢٦.

ويذكّرانه بالمعاهدة وأرسلاه مع رجل من بني عامر يرافقه غلامُه، فدفع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله «أبابصير» إلى الرجلين عملاً بالمعاهدة قائلاً:

« يَاأبابصير إنّا قَد أعطينا هؤلاء القوم ماقد علمتَ (أي مِن العهد) ولا تَصلح لنا في ديننا الغدرُ وإن الله جاعلٌ لكَ وَ لِمَن معَكَ مِنَ المسلمين فَرَجاً وَمخرجاً»[1].

فقال أبوبصير: يا رسول الله تردَّني إلى المشركين؟!

فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله ثانية:

«إنطلِق يا أبابصير، فانَ الله سيَجعَل لَكَ مخرجاً».

ثم دفعه إلى العامريّ وصاحبه فخرج معهما باتجاه مكة.

فلما كانوا بذي الحليفة (وهي قرية تبعد عن المدينة بستة أميال يحج منها بعض أهل المدينة) صلى أبوبصير ركعتين صلاة المسافر ثم مالَ إلى أصل جدار فأتكأ عليه، ووضع زاده الذي كان يحمله وجعل يتغدّى وقال لصاحبيه في لهجة الصّديق: أُدنُوا فكُلا؟ فأكَلا معه ثم آنسَهُم ثم قالَ للعامري: ناولني سيفكَ انظُر إليه إن شئت أصارمٌ هو أم لا؟ فناولهُ العامري سيفهُ وكان أقرب إلى السيف مِن أبي بصير، فجرّدَ أبُوبصير السيفَ وقتلَ به العامريّ في اللحظة، فهربَ الغلامُ يعدُ ونحوَ المدينة خوفاً، وسبق أبابصير الى المدينة، وأخبر رسول الله صلّى الله عليه وآله بماجرى لسيّده العامريّ، فبينا رسولُ الله صلّى الله عليه وآله جالسٌ في أصحابه والغلام عنده يقصّ عليه ماجرى إذ طلع أبوبصير، فدخل على رسول الله صلّى الله عليه وآله في المسجد وقال: وَفَت ذِمّتُك، وأدّى الله عنكَ، وقد أسلَمتني بيد العدوّ، وقد امتنعتُ بديني من أن أُفتَن.

ثم إن أبايصير بعد أن قال هذا الكلام خرج من عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وغادرَ المدينة، ونزل ناحية على ساحل البحر، على طريق قافلة قريش

---

(١) المغازي: ج٢ ص٦٢٥.

٣٥٠ ـــــــ

و قد نزل قولهُ تعالى يوضح حكم هذا الامر:

«يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إذا جَاءكُمْ الْمؤْمناتُ مُهاجرات فامْتَحِنُوهُنَّ الله أَعلَمُ بإيمانِهنَّ فَإنْ عَلِمْتُموهُنَّ مُؤمنات فَلا تَرْجعُوهُنَّ إلى الكُفّار لاهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَ لاهُمْ يَحلُّونَ لَهُنَّ وَ آتُوهُمْ ما أَنفَقُوا»[1].

كانت هذه قصّةُ «الحديبية»، وقد استطاع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في ظلّ الهُدُوء والأمن اللذين تحققا بسبب معاهدة الحديبية أن يراسل قادة العالم وزعماءه، وأن يبلّغ نبأ دعوته إلى مسامع شعوبهم، وستقف على مفصل هذا القسم من تاريخ الاسلام المشرق في الفصل القادم.

---

(١) الممتحنة: ١٠.

٤٣
النبيّ يعلن عن رسالته العالمية

لقد أراحت معاهدةُ الحديبية بالَ رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله من ناحية الجنوب (أي مكة)، وقد آمن برسول الله صلّى الله عليه وآله ولبّى دعوته في ظل الهدوء والأمن والاستقرارالحاصل بسبب هذا الصلح جماعة من زعماء العرب. ورجالها البارزين.

و اغتنم رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الفرصة ففتح على ملوك العالم و زعماء القبائل، ورجال الدين المسيحي يومذاك باب المراسلة، فكاتبهم ووجّه اليهم رسائل كثيرة عبر رسله وسفرائه، وقد عرض فيها عليهم رسالته ودعوته التي كانت يومذاك لاتخرج عن صورة العقيدة البسيطة وكان في مقدورها أن تضم تحت لواء التوحيد، وفي اطار التعاليم الاخلاقية والانسانية كل البشرية.

وقد كانت هذه هي الخطوة الأُولى التي خطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد ١٩ عاماً من الصراع مع قريش العاتية.

ولو أن الاعداء الداخليين لم يشغلوه بالصراعات والحروب لاستطاع رسول الاسلام ان يقوم بتوجيه دعوته الى شعوب العالم آنذاك قبل هذا الوقت، ولكن الحملات الظالمة والمضايقات الشديدة التي قام بها العربُ الوثنيون الجهلة طوال مايقرب من عقدين من عمر الرسالة أجبرت رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله على أن يصرف قسماً عظيماً من أوقاته الغالية في ترتيب شؤون الدفاع عن حياض الاسلام وكيان المسلمين.

إن الرسائل التي وجّهها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله الى الامراء والسلاطين، وإلى رؤساء القبائل، والشخصيات الدينية والسياسية البارزة داخل الجزيرة العربية وخارجها لدعوتهم إلى الاسلام تكشف عن طريقته في الدعوة والتبليغ، والارشاد والهداية.

وبين أيدينا الآن نصوص ١٨٥[١] رسالة وكتاب من مكاتيب رسول الله صلّى الله عليه وآله ورسائله التي دعا فيها من أرسلها إليهم، إلى الإسلام، أو كتبه التي تشكّل معاهداته ومواثيقه صلّى الله عليه وآله التي أعطاها أو عقدها مع الاطراف المختلفة وقد جمعها، وضبطها أرباب السير وكتّاب التاريخ وهي تكشف برمتها عن أن اسلوب الاسلام في الدعوة والتبليغ يعتمد على المنطق والبرهان، لاعلى السيف والقهر وعلى الاقناع لا الاكراه.

فيوم اطمأن بالُ رسول الله صلّى الله عليه وآله وأمن جانب قريش وحلفائها، وجّه نداءه الالهي إلى مسامع البشرية في العالم وذلك عن طريق ارسال الرسائل، أو بعث المبلغين والدعاة إلى شتى أنحاء العالم.

إن نُصوص هذه الرسائل، والاشارات الموجودة في خلالها، ونصائحه التي كان يوجّهها صلّى الله عليه وآله إلى الناس، والتسامح الذي كان يبديه من نفسه خلال عقد الاتفاقيات وإبرام المعاهدات مع الاجانب، تشكّلُ برمتها شواهد قاطعة، ودامغة ضدّ نظرية المستشرقين الذين أرادُوا مسخَ وجه الاسلام

---

(١) لقد اجتهد علماء الاسلام في جمع واحصاء رسائل النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله وكتبه قدرَ المستطاع، وإن أكملَ المصادر الحاضرةمن حيث الاستقصاء وسعة التتبع كتابان يتسمان بأهمية كبرى في هذا المجال وهما:

أ ـ الوثائق السياسية تأليف البرفيسور محمّد حميد الله حيدرآبادي، الاستاذ بجامعة باريس.

ب ـ مكاتيب الرسول تأليف العلّامة المحقق المحترم الشيخ علي الاحمدى.

والكتاب الأخير يمتاز بتحقيقات وتحليلات أدبية، وتاريخيه وسياسية إسلامية في غاية الأهمية.

٣٥٤ ـــــــ

آيات تدل على عالمية الرسالة المحمّدية:

١ ـ «وَ ما أَرْسَلْناكَ إلّا كافّة لِلنّاس بَشيراً وَ نَذيراً»[١].

٢ ـ «وَ مَا هُوَ إلّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمينَ»[٢].

٣ ـ «لِيُنْذِرَ مَنْ كانَ حَيّاً»[٣].

٤ ـ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَىٰ وَ دِين الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّيْنِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»[٤].

و الآن نسأل هذا الكاتب الإنجليزي: كيفَ تقول ـ مع هذه الدعوة العالمية ـ أن موضوع عالمية الرسالة الاسلامية قد ظهر وتبلور في مابعد.

فهَل مع وجود هذه الآيات ونظائرها ومع وجود سفراء رسول الله ومبعوثيه الى المناطق النائية، والبلاد البعيدة، وإلى نصوص الرسائل التي بقيت مسجلة في صفحات التاريخ عن رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله وخاصة مابقي منها محفوظاً بعينه الى الآن في المتاحف العالمية الكبرى يبقى مجال لأن يشك أحدٌ في عالمية رسالته.

والعجيب أن الكاتب المذكور يكتب بكل وقاحة قائلاً: ان محمّداً لم يكن

ب ـ خاتمية الرسالة المحمّدية.

و في الأولى تعالج مسألة عالميّة رسالة النبيّ محمّد، وعدم عالميتها وانه صلّى الله عليه وآله هل كان مبعوثاً لخصوص سكان الجزيرة العربية أم لعموم البشر، وللنّاس كافة، في حين أن المحور في المسألة الثانية هو أنه صلّى الله عليه وآله هل هو آخر نبي أو لا على انه يمكن ان يقول البعض ان دينه كان عالمياً إلّا أن نبوته لم تكن خاتمة النبوات بل سيأتي بعده نبي آخر وشريعة أُخرى.

من هنا لابد من البحث ـ في النبوة الخاصة ـ حول كلتي المسألتين بصورة مستقلة، وقد بحثنا المسألتين في الجزء الثالث من مفاهيم القرآن بصورة موسعة.

(١) سبأ: ٢٨.

(٢) القلم: ٥٢.

(٣) يس: ٧٠.

(٤) التوبة: ٣٣.

٣٥٦ ـــــــ

مفصل ما احتوته رسائله صلّى الله عليه وآله[١].

و عندما فرغ من كتابة الرسائل المذكورة قال بعض ذوي الاطلاع والعلم بأحوال بلاطات الملوك آنذاك قالوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله يا رسول الله: إن الملوك لايقرأون كتاباً إلّا مختوماً، فاتخذ رسول الله صلّى الله عليه وآله يومئذ خاتماً من فضة، فصّه منه، نقشه ثلاثة أسطر: محمّد رسول الله، في الاعلى لفظة الجلالة وتليه كلمة رسول ثم يليه اسمه الشريف، وختم به الكتب.

و لم يكتف بهذا بل ختم تلك الرسائل بالشمع أو الطين إمعاناً في السرية، والحفاظ عليها من التزوير[٢].

أوضاع العالم أيام إبلاغ الرسالة العالمية:

كانت الامبراطوريتان (الرومية والفارسية) تقتسمان آنذاك قيادة العالم، وكانت الحروب قائمة بين ذينك المعسكرين على قدم وساق، ومند زمن بعيد.

فلقد بدأ الصراع على النفوذ بين إيران والروم منذ عهد الهخامنشيين، واستمرّ حتى عصر الساسانيين ملوك ايران.

فكان الشرق تحت النفوذ الايراني، كما كانت العراق واليمن وشيء من آسيا الصغرى تعدّ من توابع الامبراطورية الإيرانية ومستعمراتها.

و أمّا الامبراطورية الرومية فقد كانت منقسمة يومذاك إلى معسكرين شرقي وغربي لأن «تئودوز الكبير» امبراطور الروم قسم بلاده في سنة (٣٩٥) ميلادية بين ولديه، ومن هنا ظهرت الروم الشرقية والروم الغربية.

و قد انقرضت الروم الغربية على أيدي متوحشي وبرابرة شمال أُوربا، ولكن

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٦٠٦، الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٦٤، السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤١-٢٤٢، بحار الأنوار: ج٢٠ ص٣٨٢.

(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٠ و ٢٤١.

الروم الشرقية التي كان مركزها يومذاك «القسطنطنية» وكانت تسيطر على الشام ومصر، فكانت تسيطر أبان ظهور الاسلام على قدر كبير من مقاليد السياسة العالمية إلى أن فتحت القسطنطنية عام (١٤٥٣) على يد السلطان محمَّد الثاني «محمَّد الفاتح»، وبذلك غربت شمس دولة الروم الشرقية، واضمحلّت نهائياً.

و قد كانت أرضُ الحجاز محاصرة بين هذين القطبين ومحاطة بهاتين القوتين العظيمتين، ولكن حيث أن أراضي الحجاز لم تكن أراض خصبة، وكان أهلها في الأغلب من الرحّل المتفرقين في البراري والقفار، لذلك لم تُبد كلتا الامبراطوريتين رغبتهما في الاستيلاء على تلك الأراضى، فقد كانت النخوة والظلم، والحروب التي اتسمت بها طبيعة وحياة تينك الدولتين تمنعهما من الاطلاع على أي تغيير اجتماعي أو تحول سياسي يقع في هذه المنطقة من العالم.

فهم لم يكونوا يتصوّرون قط أن يتمكن شعبٌ ـ كان بعيداً عن روح الحضارة والمدنية ـ من وضع نهاية لإمبراطوريّتهم، بفضل ما أُوتوا من ايمان، وإنارة النقاط التي كانت ترزح في ظلام جور السلطات الرومية وظلمها بنور الإسلام المشرق، ولو كانوا يعرفون شيئاً عن هذه النهضة المشرقة وهذا الانفجار المعنوي العظيم في بدء حدوثه لقضوا عليه في أوّل الأمر، ولم يتركوه يمتد إلى ملكهم، ويقلبُ كل شيء رأساً على عقب.

رسولُ النبي صلّى الله عليه وآله في أرض الروم:

كان قيصر الرُّوم قد عاهَدَ الله إذا غلب الفرس أن يسير الى بيت المقدس من عاصمته: «القسطنطنية» مشياً على القدم للزيارة، شكراً لله، وقد وفى بنذره هذا بعد انتصاره على إيران، وسار مشياً على القدم إلى بيت المقدس.

فكلِّفَ «دحية الكلبي» بإيصال كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله الى قيصر، وكان دحية قد سافر مراراً الى الشام، وكان عارفاً بمناطقها وعاداتها معرفة كاملة، وكان إلى ذلك جميل الصورة حسن السيرة، ولهذا كان جديراً بتحمل هذه

المسؤولية الخطيرة لائقاً لها.

و قد توجّه إلى «القسطنطنية» رأساً بعد أن كلّفه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بايصال كتابه إلى قيصر، ولكنه ماأن وصل إلى بصرى (من مدن الشام) إلّا و بلغه أن قيصراً قد فارقها قاصداً بيت المقدس ولهذا بادر الى الا تصال بحاكم بصرى[1]: «الحارث بن أبي شمر» واخبره بالمهمة الخطيرة التي جاء من اجلها.

يقول مؤلفُ الطبقات الكبرى: بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله دحية بن خليفة الكلبي الى قيصر يدعوه إلى الاسلام، وكتب معه كتاباً، وأمره أن يدفعه إلى عظيم بُصرى ليدفعه إلى قيصر، (ولعل النبي صلّى الله عليه وآله كان يعرف بمغادرة قيصر لعاصمة ملكه أو لعل ذلك الأمر كان مراعاة لامكانيات دحية المحدودة، وكون السفر الى قسطنطنية كان يتطلب جهداً كبيراً أو لا يخلومن محاذير).

فدفعه عظيم بصرى إليه وهو يومئذٍ بحمص، وذلك بان استدعىٰ عدي بن حاتم ووجهه مع سفير النبيّ صلّى الله عليه وآله ليوصل كتابه إلى قيصر، فذهب به اليه، ولما أراد الدخول على قيصر قال قومه لدحية: اذا رأيت الملك فاسجد له، ثم لا ترفع رأسك حتى يأذن لك.

فقال دحية: لاافعل هذا أبداً، ولا أسجد لغيرالله! (أي انني قد جئت لتحطيم هذه السنن الجاهلية المقيتة فكيف أخضع لها، انما جئتكم من قبل نبي لابلّغ ملككم بأن عهد عبادة البشر قد انقضى وانتهى وأنه لايحق السجود إلّا لله وحده، **فكيف يمكنني ذلك وأنا أحمل هذه الرسالة التوحيدية اليكم ؟!**)[2].

و لقد أعجب قوم قيصر بمنطق دحية القوي، وموقفه الصلب، فقال له رجل منهم: أنا أدلك على أمر يؤخذ فيه كتابك، ولا تسجد له، ضع صحيفتك تجاه

---

(١) كانت بصرى مركز محافظة حوران التي كانت تعدُّ من مستعمرات قيصر. وكان الحارث بن أبي شمر -وبصورة عامة- جميع ملوك بني غسان، من ولاة قيصر على تلك المناطق.

(٢) الطبقات الكبرى، ج١ ص٢٥٩.

٣٦٠ ـــــــ

صاحب شرطة «قيصر» إلى بيت المقدس، فادخلهم على «قيصر» في مجلسه وحوله عظماء الروم.

فقال قيصر: أيّكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟.

فقال أبو سفيان: أنا أقربهم نسباً.

فقال قيصر: أدنوه منّي، وقرّبوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائلٌ هذا عن هذا الرجل، فان كذّبني فكذّبوه.

ثم طرح قيصر على أبي سفيان الاسئلة التالية:

١ ـ كيف نسبُ محمَّد فيكم؟

هو فينا ذونسب.

٢ ـ فهل قال هذا القول منكم أحد قبله؟

لا.

٣ ـ فهل كان في آبائه من مَلِك؟

لا.

٤ ـ فأشرافُ الناس اتّبعوه أم ضعفاؤهم؟

بل ضعفاؤهم.

٥ ـ أيزيدون أم ينقصون؟

بل يزيدون.

٦ ـ فهل يرتدّ منهم أحد سُخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟

لا.

٧ ـ فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ماقال؟

لا.

٨ ـ فهل يغدر؟

لا.

٩ ـ فهل قاتلتموه؟

٣٦٢ ـــــــ

أثر رسالة النبي إلى قيصر:

لم يكتف قيصر بالمعلومات التي حصلها من أبي سفيان حول رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله بل كتب إلى أحد علماء الروم وأساقفتهم يسألهم عن هذا الأمر.

فأجابه ذلك الاسقف: هذا النبيُ الذي كنا ننتظره، بشرنا به عيسى بن مريم.

فعمد قيصر إلى خطة ليجسّ بها نبض قومه، ويختبرهم ويعرف ماإذا كانوا يرضون باسلامه أولا، فجمع عظماءهم في صومعة له بحمص فقال: يامعشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد، وان يثبت لكم ملككم وتتبعون ماقال عيسى بن مريم.

فقالت الروم: وماذاك أيها الملك؟

قال: تتبعون هذا النبي العربي.

فثاروا في وجهه، ورفعوا الصليب، فلما رأى منهم ذلك يئس من اسلامهم وخافهم على نفسه وملكه، فسكنهم ثم قال: إنما قلتُ لكم ماقلتُ اختبركم لأنظر كيف صلابتكم في دينكم، فقد رأيتُ منكم الذي أُحبّ. فسكنوا ورضوا عنه.

ثم أمر باكرام دحية، وكتب جواباً على رسالة النبي صلّى الله عليه وآله وأرسله مع دحية وارسل بهدية الى النبي صلّى الله عليه وآله.[1]

سَفير النبيّ في البلاط الإيراني:

يوم توجّه سفير رسول الله صلّى الله عليه وآله بكتابه إلى البلاط الإيراني

---

(١) الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٥٩ - ٢٦٠، السيرة الحلبية: ج٣ص ٢٤٥-٢٤٦، الكامل في التاريخ ج٢ ص١٤٤، بحار الأنوار: ج ٢٠ ص٣٧٩.

٣٦٤ ـــــــ

الى البلاط الايراني، بل كان لنفسيّة ذلك الحاكم المغرور، المنحرفة، وأنانيته الطاغية، التي لم تسمح له بالتفكير بعض اللحظات في كتاب رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله كما فعل «قيصر»، أو غيره. بل لم يمهل المترجم حتى ينتهي من قراءة كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، إنما صاح به في تلك الاثناء، وأخذ منه رسالة النبي صلّى الله عليه وآله ومزّقها بوقاحة بالغة، واسلوب بالغ في الجفاف، وسوء الادب.

و اليك تفصيل الحادث:

في مطلع السنة الهجرية السابعة بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله احد فرسانه الشجعان وهو«عبدالله بن حذافة السهمي»، الى ايران وكتب معه كتاب إلى «خسروا پرويز» ملك ايران يومذاك يدعوه فيه الى الاسلام وامره أن يدفع الكتاب الى كسرى نفسه واليك نص هذه الرسالة:

«بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم من محمَّد رسول الله إلى كسرىٰ عظيم فارس. سلامٌ على من اتبع الهُدىٰ وآمن بالله ورسوله، واشهدُ أن لا اله الّا الله وحده لاشريك له، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله. أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله كافة لأُنذرَ مَن كانَ حيّاً، ويحقَّ القولُ على الكافرين أسلِمْ تسلَمْ، فان أبيتَ فعليك اثمُ المجوس».

فلما دخل سفيرُ النبي صلّى الله عليه وآله على «خسروابرويز» أمر بأن يؤخذ منه كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ولكن عبدالله بن حذافة قال: لاحتى أدفعه اليك كما امرني رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثم دنا وسلّم الكتاب فدعى كسرى بمترجمه ليقرأ الكتاب، فلما قرأه، فاذا فيه: من محمَّد رسول الله الى كسرى عظيم فارس أغضبه حين بدأ رسولُ الله بنفسه، وصاح، وأخذ الكتاب، فمزّقه قبل أن يعلم مافيه وقال: يكتب إليّ بهذا.

ثم أمر باخراج حامل الكتاب من قصره، فأُخرجَ عبدالله بن حذافة السلمي، ولما رأى ذلك قعد على راحلته وسار حتى وصل إلى النبي صلّى الله

٣٦٦ ـــــــ

ينصرف معهما إلى كسرىٰ أو أن يجبراه على الرجوع الى دين آبائه وان أبى قتلوه وأرسلوا برأسه الى الملك حسب رواية ابن حجر في الاصابة.

إن رسالة كسرى إلى «باذان» يكشف عن جهل هذا الحاكم، وعدم معرفته بما كان يجري في بلاده ومستعمراته، فقد بلغ من جهله أنه لم يكن يعلم أن هذا الرجل الذي يدّعي النبوة[1] قد مضى على ادعائه النبوة أكثر من ١٩ عاماً.

ثم إن الذي ادعى النبوة في منطقة نائية، وانتشر دينه، وأصبح من القوة والشوكة بحيث يجرأ على مراسلة الامبراطور، ودعوته إلى دينه لايمكن أخذه واحضاره إلى اليمن بواسطة رجلين. وأن الأمر -بالتالي- لن يتم بمثل هذه السهولة، والبساطة، التي تصورها.

و على كل حال لما قدم مبعوثا «باذان» المدينة ودخلا على رسول الله صلّى الله عليه وآله قدّما رسالة «باذان» اليه صلّى الله عليه وآله وقالا: لقد بعثنا «باذان» إليك لتنطلق معنا، فان فعلت كتبَ فيك إلى مَلِك الملوك بكتاب ينفعك، ويكف عنك به، وإن أبيت فهو من قد علمت، فهو مهلكك ومهلك قومك ومخرب بلادك.

وكانا قد دخلا على رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد حلقا لحاهما وأطلقا شواربهما، فاستمع رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى كلامهما، وقبل أن يجيب على مطلبهما دعاهما إلى الاسلام، وقد كره النظر إليهما لما كانا عليه من الهيئة فقال لهما: من أمركما بهذا؟! قالا: أمرنا بهذا ربُّنا (يعنيان كسرى) فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«لكِنّ رَبّي أمرَني بإعفاء لِحيَتي وقصّ شاربي»[2].

فأرعبتهما هيبة رسول الله صلّى الله عليه وآله وجلال محضره، بحيث أخذا

---

(١) حسب تعبير كسرى.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٤٦.

٣٦٨ ـــــــ

فقال باذان: والله ما هذا بكلام ملك و إني لأرىٰ الرجل نبياً كما يقول، ولننظر ماقد قال، فلئن كان ماقد قال حقاً فانه لاريب نبيٌ مرسلٌ، وإن لم يكن فسنرى فيه رأينا.

فلم يلبث أن قدم عليه كتابُ شيرويه: أما بعد فاني قد قتلتُ كسرى ولم أقتله الّا غضباً لفارس، لما كان استحل من قتل أشرافهم، فاذا جاءك كتابي هذا فخذ لي الطاعة ممن قبلك، وانظر الرجل الذي كان كسرى كتب اليك فيه فلا تهجهُ حتى يأتيك أمري فيه.

و قد تسبّب كتاب «شيرويه» هذا في أن يعتنق «باذان» الاسلام هو وجميع رجال دولته وكانوا من الفرس، وكتب إلى رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله يخبره بإسلامه واسلام أعضاء حكومته[1].

سفيرُ النبيّ في أرض مصر:

تُعتبر «مصر» مهد الحضارات والمدنيات العريقة، ومركز سلطان الفراعنة، وموضع سيادة الاقباط.

و يوم أشرقت شمس الاسلام على أرض الحجاز كانت «مصر» قد فقدت استقلالها، وقوتها، وكان المقوقس قد فوض إليه حكم «مصر» من قِبَل قيصر الروم لقاء ١٩ مليون دينار يدفعها الى قيصر.

وكان «حاطب بن أبي بلتعة» ـ وكان فارساً بارعاً وله قصة في تاريخ الاسلام سيأتي ذكرها في حوادث السنة الثامنة ـ احدالستة الذين كلّفوا بابلاغ كتب رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى الملوك والرؤساء يومذاك وقد أمره رسول الله صلّى الله عليه وآله بايصال كتابه إلى المقوقس حاكم «مصر».

و إليك نصّ كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى المقوقس:

---

(١) بحارالأنوار: ج٢٠ ص٣٩١.

«بسم الله الرحمن الرحيم مِن محمَّد بن عَبدالله إلى المقوقس عظيم القبط، سلامٌ على من اتبَعَ الهُدىٰ.

أما بعد فإني أدعوك بدعاية الاسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرّتين، فإن تولّيتَ فإنّما عليكَ إثمُ القِبط «ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كَلِمَة سواء بيننا و بينكم أن لانعبد الّا الله ولانشرك به شيئاًولايتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنّا مُسلِمُون»[1].

فخرج «حاطب» بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى قدمَ «مصر»، وأراد الدخول على حاكمها، «المقوقس» علم بأنه يسكن في أحد قصوره الشامخة على ضفاف النهر، في الأسكندرية، فركب زورقاً، نقله إلى قصر «المقوقس».

فلما وصل «حاطب» إلى قصر «المقوقس» أكرمه وأخذ كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وقرأه، وفكّر في مضمونه بعض الوقت، ثم قال لسفير النبي صلّى الله عليه وآله: مامنعه إن كان نبيّاً أن يدعو على من خالفه (أي من قومه) وأخرجوه من بلده إلى غيرها أن يسلّط عليهم.

فقال حاطب وكان حكيماًفهيماً: ألست تشهدُ أن عيسى بن مريم رسول الله؟ فماله حيث أخذه قومه فأرادوا أن يقتلوه أن لايكون دعا عليهم أن يهلكهم الله تعالى حتى رفعه الله إليه؟

فأعجب المقوقس ـ الذي لم يكن يتوقع أن يجابه بهذا المنطق القوى المفحم ـ برد حاطب وقال له: أحسنت، انت حكيم جاء من عند حكيم[2].

فتجرأ حاطب لما رأى هذا الموقف الخاضع من ملك مصر وقال: إنه كان قبلك رجل يزعم أنه الربُ الأعلى (يعني فرعون) فأخذه الله نكال الآخرة

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٩، الدرالمنثور: ج١ ص٤٠، أعيان الشيعة: ج١ ص٢٤٤.

(٢) اسدالغابة: ج١ ص٣٦٢.

والاونى، فانتقم به، ثمّ انتقم منه فاعتبر بغيرك ، ولا يعتبر غيرُك بك ، ان هذا النبيّ صلّى الله عليه وآله دعا الناس فكان أشدّهم عليه قريش، وأعداهم له اليهود،وأقربهم منه النصارى ولعمري مابشارة موسى بعيسى عليهما الصلاة والسلام إلّا كبشارة عيسى بمحمّد صلّى الله عليه وآله ومادعاؤنا إياك إلى القرآن إلّا كدعائك أهلَ التوراة إلى الانجيل، وكلُ نبي أدرك قوماً فهم أُمّتُه، فالحقُ عليهم أن يطيعوهُ، فانت ممّن أدرك هذا النبيّ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح عليه السّلام ولكنا نأمرك به.

و هو يقصد بكلامه الأخير أن الاسلام هو الصورة الاكمل لدين المسيح.

انتهى الحوار بين حاطب سفير النبي صلّى الله عليه وآله والمقوقس حاكم مصر إلّا أن المقوقس لم يعطه جواباً قاطعاً في ذلك المجلس، فكان على حاطب أن يلبث في مصر مدة حتى يتلقى جواب كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله[1].

ثم طلب المقوقس حاطباً ذات يوم وانفرد به في قصره، وسأله عن ماجاء به رسول الله وإلى مَ يدعو؟ فقال له حاطب: إلى أن نعبد الله وحده، ويأمر بالصلاة، خمس صلوات في اليوم والليلة ويأمر بصيام رمضان، وحج البيت، والوفاء بالعهد، وينهى عن أكل الميتة والدمّ.. و... و...

فقال له المقوقس: صفه لي.

قال حاطب: فوصفتُ فَأَوجزتُ.

فقال المقوقس: مصدّقاً ماذكره حاطب من أوصاف رسول الله صلّى الله عليه وآله: هذه صفته، وكنتُ أعلمُ أن نبيّاً قد بقي، وكنتُ أُظنُ أن مخرجَهُ بالشام وهناك كانت تخرجُ الانبياء من قبله، فأراه قدخرج في أرض العرب،في أرض جهد وبؤس، والقبط لا تطاوعني في اتّباعه، وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه، حتى يظهروا على ماهاهنا.

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٥٠.

٣٧٢ ـــــــ

الله عليه وآله سلّم إليه كتاب المقوقس وهداياه قال رسول الله صلّى الله عليه وآله.

«ضَنَّ بملكه، ولا بقاء لملكه»[١].

المغيرة بن شعبة في البلاط المصري:

توجه المغيرة بن شعبة الذي كان معروفاً بحكمه وعقله ودهائه، والذي اصبح في مابعد من رجال السياسة العرب ودهاتها المعروفين.

توجّه في جمع من قبيلة ثقيف إلى البلاط المصري، فسألهم كبير المصريين (المقوقس):

كيف خلصتم إليَّ، وبيني وبينكم محمَّد وأصحابه.

فقال: لصقنا بالبحر.

قال: فكيف صنعتم فيما دعاكم اليه؟

قالو: ماتبعه منّا رجلٌ واحد.

قال: فكيف صنع قومُه؟

قالوا: تبعه أحداثُهم، وقد لاقاه من خالفه في مواطن كثيرة.

قال: فالى ماذا يدعو؟

قالوا: إلى أن نعبدالله وحده، ونخلع ماكان يعبد آباؤنا، ويدعو إلى الصلاة، والزكاة، ويأمر بصلة الرحم، ووفاء العهد، وتحريم الزنا، والربا، والخمر.

فقاطعهم المقوقس قائلاً: هذا نبي مرسَلٌ إلى الناس كافة، ولو أصاب القبط، والروم لا تبعوه، وقد أمرهم بذلك عيسى، وهذا الذي تصفون منه نعت، الانبياء من قبله، وستكون له العاقبة حتى لاينازعه أحد، ويظهر دينه إلى منتهى الخف والحافر.

---

(١) الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٦٠ وغيره.

٣٧٤ ـــــــ

سفير النبيّ صلّى الله عليه وآله في أرض الذكريات «الحبشة»:

تقع «الحبشة» في آخر أفريقيا الشرقية وتبلغ مساحتها ١٨٠٠ كيلومتراً مربعاً، وعاصمتها اليوم: أديس أبابا.

و لقد تعرّف الشرقيون على هذه الأرض قبل ظهور الاسلام بقرن، وذلك على أثر هجوم الجيش الايراني الذي تمّ في عهد حكومة الملك الفارسي «انوشيروان»، وبلغ هذا التعرف والتردد ذروته في هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة (الهجرة الأُولى والهجرة الثانية).

و يوم قرر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يبعث ستة من خيرة رجاله الشجعان إلى نقاط مختلفة، ونائية من العالم لإبلاغ نداء رسالته العالميّة كلّف: «عمرو بن أُمية الضميري» بأن يأخذ كتابه إلى الحبشة، ويسلّمهُ إلى النجاشيّ ملكِها العادل الطيب.

على أن الكتاب الذي ستقرأ نصّه قريباً ليس هو الكتاب الوحيد الذي بعثه رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله إلى النجاشي، بل سبق أن كتب صلّى الله عليه وآله إليه قبل هذا يوصيه بالمهاجرين المسلمين، ويطلب منه فيه أن يلطف بهم، ويرعاهم، ولايزال نصّ هذين الكتابين موجوداً في المصادر التاريخية الاسلامية[1].

و ربما حصل اشتباه بين هذين الكتابين (الرسالة التي بعثها النبي لابلاغ دعوته العالمية، والرسالة التي أوصى فيها النجاشي بالمهاجرين) فخلط بعض المؤرخين بين عبارتيهما.

و يوم قدم سفيرُ النبي بكتاب الدعوة إلى الاسلام، الحبشة على النجاشي كان بعض المهاجرين المسلمين لايزالون في أرض الحبشة، يعيشون في كنف

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٩٤.

٣٧٦ ـــــــ

ومصر، بل بدأ كتبه إليهم بالسلام العام حيث قال: «السلامُ على من اتبع الهدى».

و لكنه صلّى الله عليه وآله سلّم في كتابه هذا، على النجاشي نفسه، وقال: «السلام عليك»، وبهذاخصّه دون غيره من الزعماء والملوك باحترام وتكريم خاصّين.

ولقد أشار صلّى الله عليه وآله في هذا الكتاب الى جملة من صفات الله البارزة التي تدلّ جميعُها على تنزهه سبحانه، وعظمته وجلاله.

ثم أشار إلى مسألة ألوهية المسيح (التي هي من ولائد التفكير الكنسي المنحطّ) وردّ على ذلك باستدلال قويٍّ خاصّ مستلهَم من القرآن الكريم. حيث قايس ولادة المسيح عليه السّلام بخلقة آدم، وأثبت ان ولادة شخص من دون أب لوكان دليلاً على ألوهيّته، أوكونه إبناً لله، لصحّ ذلك في حق آدم، الذي خلق من غير أب ولاأمّ، ولكن لايرى أحدٌ فيه مثلَ هذا الرأي.

ثم ختم صلّى الله عليه وآله كتابه هذا باخراج دعوته في لباس النصح والموعظة، تجنباً من إظهار نفسه بمظهر الآمر.

محاورة سفير النبيّ وحاكم الحبشة:

لما مثل سفير النبي صلّى الله عليه وآله أمام النجاشيّ قال للنجاشي:

ياأصحمة إنَّ عليَّ القولُ، وعليك الاستماعُ، إنَّك كأنّك في الرقّة علينا منا، وكأنّا في الثقة بك منك لأنا لم نظن بك خيراً قط إلّا نِلناهُ، ولم نحفظك على شرّ قطّ إلّا أمنّاه، وقد أخذنا الحجة عليك من قبل آدم، والانجيلُ بيننا وبينك شاهدٌ لايُرَدّ، وقاض لايجور، وفي ذلك موقع الخير، واصابة الفضل، وإلّا فأنت في هذا النبي الأُمّي كاليهود في عيسى بن مريم، وقد فرّق رُسُلَه إلى الناس فرجاك لما لم يرجهم له، وأمنّك على ماخافهم عليه لخيرٌ سالف، وأجرٌ ينتظر.

فقال النجاشي: أشهد بالله أنه للنبيُ الذي ينتظره أهل الكتاب، وإنّ

بشارة موسى براكب الحمار، كبشارة عيسى براكب الجمل، وانه ليس الخبر كالعيان، ولكنَّ أعواني من الحبشة قليل، فانظرني حتى أكثر الأعوان، والين القلوب ولو استطيع أن آتيه لأتيتُه[١].

رسالة النجاشي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله:

ثم كتب كتاباً إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله هذا نصه:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم؛ إلى محمَّد رسول الله مِنَ النجاشي، سلامٌ عليك يانبي الله ورحمة الله وبركاته، الذي لااله إلّاهو، الذي هداني إلى الإسلام.

أما بعد، فقد بَلغني كتابُك يارسول الله فيما ذكرت مِن أمر عيسى، فوربّ السماء والأرض إن عيسى مايزيد على ماذكرت ثفروقاً[٢] إنه كما قلت وقد عرفنا مابُعثتَ به إلينا، وقد قرَّبنا ابنَ عمك وأصحابك، وأشهد أنّك رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وقد بايعتُك وبايعتُ ابن عمك وأسلمتُ على يدَيْه لله ربِّ العالمين، وقد بعثتُ إليك يانبيّ الله فان شئت أن آتيك لفعلتُ يارسول الله صلّى الله عليه وآله فإنّي أشهدُ أنّ ماتقولُ حقٌ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته»[٣]

ثم إنَ النجاشي بعث بهدايا خاصّة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وكتب إليه رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد ذلك كتابين آخرين أيضاً، وكان في كلّ مرة يحترم كتابَ رسول الله صلّى الله عليه وآله ويقبّله ويضعُه على عينيه.

تقييم سريع لمراسلة النبي صلّى الله عليه وآله قادة العالم:

ربما تصوّر بعض العارفين بأحوال الساسة في ذلك اليوم أن دعوة رسول الله صلّى الله عليه وآله لحكّام وشعوب العالم يومذاك كان أمراً خارج المألوف وعملاً

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٨، الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٥٩.

(٢) الثفروق: الاقماع التي تلزق بالبسر.

(٣) تاريخ الطبري: ج٢ ص٢٩٤، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٣٩٢.

غير متعارف، ولكنّ مضيّ الزمان أثبت أنّ ذلك العمل كان من وظائف النبيّ ومهامّه الاساسية.

أولاً: ان إرسال ستة سفراء في يوم واحد إلى أنحاء العالم، محمّلين برسائل قوية مبرهنة أغلق كل باب للشكّ في وجه المخالفين في المستقبل، فلا مجال لأن يشك أحدٌ هذا اليوم وهو يرى هذا العمل العظيم في عالميّة الرساله المحمّدية، فضافاً إلى الآيات الواردة في هذا الصعيد يعدّ إرسال السفراء بنفسه دليلاً قاطعاً وكبيراً على عالمية الرسالة الاسلامية.

ثانياً: لقد تأثّر جميع الزعماء والمُلوك والقادة الذين راسلهم النبيُّ صلّى الله عليه وآله ماعدا «خسروابرويز» ملك إيران الذي كان طاغية مستبداً متكبراً، برسائل النبي صلّى الله عليه وآله ودعوته، وأكرموا سفراءه.

كما أن قضية ظهور النبيّ العربي قد أصبح حديث الاوساط والمحافل الدينية بسبب هذا العمل.

لقد أيقظت هذه الرسائل والكتب بمحتوياتها ومضامينها القوية المبرهنة العقول الغافية، وهزّت الغافلين بشدّة، وأثارت مشاعر الشعوب العالميّة المتحضرة، ودفعتهم إلى البحث والتحقيق حول من بشّر به التوراة والانجيل، كما تسبب في أن يجري العلماء والاساقفة والقساوسة غير المغرضين باتصالات بمن ينتسب إلى هذا الدين، ويقيموا إرتباطاً مع هذه العقيدة بشكل وآخر.

و من هنا ولأجل هذا تسابقت أفواج وفرق كبيرة من رجال الدين من الشرائع الدينية المختلفة التي كانت سائدة آنذاك في الايام الاخيرة لحياة رسول الإسلام صلّى الله عليه وآله وبعدها إلى القدوم على المدينة لدراسة أوضاع الدين الجديد، والتعرف على ماهيته ومنطقه.

و لقد شرحنا في الفصول الماضية وبشكل مفصّل نوعَ ومدى التأثير الذي تركته رسائل النبي وسفراؤه في نفوس حكّام الرّوم ومصر والحبشة، وهانحن نواصل بيان بقية التأثيرات التي تركتها مراسلة النبي صلّى الله عليه وآله لحاكم

٣٨٠ ـــــــ

إليك بابني أرمى بن الاصحم» فخرج ابن النجاشي في ستين نفساً من الحبشة (قاصدين المدينة) في سفينة في البحر، فلما توسطوا البحر غرقوا كلهم.

و لكن وصول الرسالة التي اشار اليها ابن الاثير إلى الرسول الاكرم صلّى الله عليه وآله شاهد على أنه لم تحدث مثل هذه الحادثة لمبعوثي النجاشي[١].

كتاب رسول الله الى أميرالغساسنة (بالشام):

الغساسنة فرع من قبيلة «الازد» القحطانيين الذين سكنوا «اليمن» مدة طويلة، وكانت أراضيهم تسقىٰ من سدّ مأرب، فلما انهدم ذلك السدّ اضطروا إلى الرحيل عن «اليمن» ونزلوا بالشام. فسيطروا على جزء من أراضيها وحكموا فيها، وانتهى بهم الامر الى تشكيل دولة الغساسنة. التي كانت تحكم تلك الديار تحت نفوذ قياصرة الروم وسيادتهم، فلما جاء الإسلام أزال نظامهم، وانتهت حكومتهم، بعد أن حكم منهم، اثنان وثلاثون ملكاً في مناطق «الجولان»، و«اليرموك »، و«دمشق»[٢].

و قد بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله «شجاع بن وهب» وهو أحد السفراء الستة الذين بعثهم صلّى الله عليه وآله لابلاغ الرسالة الاسلامية إلى العالم -إلى أرض الغساسنة، وقد حمّله كتاباً إلى ملكها يومذاك «الحارث بن أبي شمر الغساني»، فخرج شجاع بكتاب النبي إلى الشام لتسليمه الى ملك الغساسنة فانتهى إليه وهو بغوطة دمشق وهو مشغول باعداد المقدمات لاستقبال «قيصر» الذي كان في طريقه إلى زيارة بيت المقدس وفاء للنذر الذي نذره للانتصار على ايران كمامر.

و لهذا لم يستطع «شجاع» من الوصول إلى الأمير الغساني إلّا بعد انتظار دام

---

(١) اسدالغابة: ج١ ص٦٢، الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٤٥.

(٢) راجع معجم البلدان، ومروج الذهب وغيرهما.

٣٨٢ ـــــــ

فغيّر موقف «قيصر» الايجابي هذا موقف عميله: الحاكم الغساني السلبي تبعاً للمثل القائل «الناسُ على دين ملوكهم» فبادر من فوره إلى إكرام سفير النبيّ صلّى الله عليه وآله ومنحه هدايا ثمينة، ووجّهه نحو المدينة معززاً مكرّماً وقال له: «إقرأ على رسول الله صلّى الله عليه وآله منّي السلام».

و لكن النبي صلّى الله عليه وآله لم يرض بهذا الموقف الدبلوماسي الذي لم يكن ينمُّ عن واقع صادق فقال: بادَ ملكُهُ. أي سيزول ملكه عماقريب. فمات «الحارث» في السنة الهجرية الثامنة أي بعد عام واحد من هذه القضية[1].

سادس السفراء في أرض اليمن:

سادس سفراء النبي هو المبعوث الى أرض اليمامة (وهي من نجد)، وهو سليط بن عمرو.

فقد خرج سليط هذا بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله الى «هوذة بن علي» الحنفي ملك اليمامة يدعوه الى الإسلام ولما قدم عليه سلّم الكتاب إليه وفيه.

«بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم. مِن محمَّد رسول الله إلى هَوذَة بن عَلي. سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدىٰ وَ اعلَم أَن ديني سيظهَر إلى منتهىٰ الخفَّ والحافِر (أي يعمُّ الشرق والغربَ) فأسلِم تَسلم وَ اجعَلُ لكَ ما تحتَ يَديك».

و حيث أن ملك اليمامة (هوذة) كان نصرانياً لذلك بعث إليه رسولُ الله صلى الله عليه وآله سليطاً وكان ممن عاش مدة من الزمن في أرض الحبشة عندما هاجر إليها فريقٌ من المسلمين فراراً من اضطهاد وفتنة قريش لهم، وعرف بتقاليد النصارىٰ ومنطقهم، وكانت تعاليم الاسلام، وكذا اختلاطه بمختلف الفئات في رحلاته وأسفاره قد صنعت منه رجلاً شجاعاً قوياً وذكياً وقد استطاع بما أُوتي

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٥٥ و٢٥٦، الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٦١

٣٨٤ ـــــــ

عليه وآله كتاباً هذا نصه: «ماأحسن ماتدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب مكاني فاجعل إليّ بعض الأمر اتبعكَ (أي أنه كان يطلب أن يجعله النبيُ خليفة له من بعده).

ولم يكتف «هوذة» بهذا بل بعث وفداً إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله بزعامة «مجاعة بن مرارة» ليبلّغ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله رسالته ويقول له صلّى الله عليه وآله: ان جعَلَ الأمر له من بعده أسلمَ وسار إليه ونصَره، وإلّا قصدَ حربَه.

فلما قدم الرسول على رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره بماجرى وقرأ الكتاب على النبيّ صلّى الله عليه وآله قال: «لا ولا كرامة، لوسألني سيابة من الارض مافعلتُ اللهم اكفنيه»[1].

رسائل أُخرى لرسول الله صلّى الله عليه وآله:

هذا وان الرسائل والكتب التي بعثها رسول الله لغير من ذكرناه من القادة والزعماء والشخصيات الدينية والسياسية اكثرمن ما أدرجناه هنا، وقد استطاع العلماء المحققون أن يجمعوا ويثبتوا في كتب خاصة صورة ٢٩ رسالة من رسائل الدعوة الى الاسلام التي بعثها رسول الله صلّى الله عليه وآله تركنا إدراجها هنا رعاية للاختصار[2].

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ص٢٥٤، الكامل في التاريخ: ج٢ص١٤٦، الطبقات الكبرى: ج١ ص٢٦٢ وسيابة من الارض أي قطعة من الأرض.

(٢) راجع مكاتيب الرسول للعلامة الاحمدي، وغيره من المؤلفات في هذا المجال.

٤٤

قلعةُ خيبر

أو بُؤرة الخطر

يوم طلع نجمُ الاسلام في أرض المدينة حقدت اليهودعلى رسول الله، والمسلمين اكثر من قريش، وعملت بمختلف الطرق والحيل من اجل القضاء على الاسلام والإيقاع برسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه.

و لقد ابتلي يهود المدينة وماحولها بمصير سيّء نتيجة أعمالهم وتصرّفاتهم السيئة، فقُتِلَ فريق منهم، وأُجلي آخرون مثل قبيلة بني قينقاع وبني النضير من أرض المدينة فسكنوا «خيبر» و «وادي القرى» أو نزلوا باذرعات الشام.

و كانت خيبر منطقة واسعة وخصبة تقع على بُعد اثنين وثلاثين فرسخاً من المدينة كان قد سكنها اليهود قبل بعثة النبيّ صلّى الله عليه وآله وبنوا فيهاسبع قلاع وحصون قوية لتحصنهم وتحفظهم.

وحيث إن التربة والمناخ في تلك المنطقة كانت قد جعلت من تلك المنطقة مكاناً جيداً وصالحاً للزراعة جداً، لذلك كان سكانها اليهود قد حصلوا على مهارة كبرى في أُمور الزراعة وجمع الثروات، وتهيئة وسائل الدفاع والقتال، وإعداد السلاح والقوة.

و كان عدد نفوسها يقارب عشرين الف نسمة بينهم عدد كبير من المقاتلين الشجعان[1].

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٦، تاريخ الطبري: ج٢ ص٤٦.

إن أكبر ذنب اقترفه يهود «خيبر» هو أنهم شجّعوا جميع القبائل العربية على محاربة الحكومة الاسلامية والقضاء عليها، واستطاع جيش الاحزاب المشرك بمساعدة يهود «خيبر» أن يتحركوا في يوم واحد من مختلف مناطق الجزيرة العربية لاجتياح المدينة واستئصال المسلمين في أكبر تحالف عسكرى واتّحاد نظاميّ من نوعه في ذلك العصر كما سبق وأن عرفت في قصة «معركة الأحزاب» ولكن هذا الجيش المعتدي الظالم تفرّق بفعل تدابير رسول الاسلام الحكيمة وأصحابه بعد شهر من الانتظار خلف الخندق، وتقهقر وعادت أحزابه ومن جملتهم يهود خيبر متشتتة متفرقة إلى أوطانها تجرّ أذيال الخيبة والخسران، واستعادت عاصمة الإسلام استقرارها وأمنها.

إن خيانة، وخباثة ولؤم يهود خيبر حملت رسول الله صلّى الله عليه واله على أن يقضي على بؤرة المؤامرة ومركز الفساد والخطرهذا، وأن يجرّد سكانها جميعاً من السلاح، لأنه كان يخشى أن يعود هذا الشعب المعاند الخبيث ـ ببذل الأموال الطائلة ـ إلى تأليب العرب الوثنيين مرة أُخرى ضد المسلمين ويعيدوا قصة الأحزاب مرة أُخرى. وخاصة أن تعصّب اليهود لدينهم ومعتقدهم كان أشدّ من تعصّب قريش للوثنية، ولهذا التعصب كان يسلم ألفُ مشرك وثنيّ ولايدع يهوديٌّ واحدٌ دينهُ، ومعتقده!!

ثم إنّ عاملاً آخر حمل رسول الله صلّى الله عليه وآله على تحطيم قدرة الخيبريين وشوكتهم، وانتزاع السلاح منهم ورصد تحركاتهم بواسطة فرسانه ورجاله، أنه راسل الملوك والسلاطين، ودعاهم جميعاً وبشكل قوي الى الاسلام، فلم يكن من المستبعد أن يستغل «كسرى» و «قيصر» يهود خيبر فيتعاونوا جميعاً للقضاء على الاسلام والنهضة الاسلامية في مهدها، أو تحرك اليهود ذينك الملكين ضدّ الاسلام كما حرّكت من قبل المشركين ضدّ هذا الدين، وتسبّبت في وقوع مشاكل.

خاصة أن الشعب اليهودي كان ضليعاً في الحروب التي دارت بين الروم

والفرس في تلك العصور، وكان اليهود يتعاونون مع أحد الطرفين.

من هنا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله ان من الحكمة بل ومن الضرورة بمكان أن يطفئ شرارة الخطر هذه إلى الأبد.

و كانت هذه الفرصة أفضل الفرص لهذا العمل، لأنّ بال النبيّ كان قد فرغ من ناحية الجنوب (أي قريش) بعد صلح الحديبية، وكان يعلم أنه لو أقدم على عمل ضد اليهود لم تمتد يد من جانب قريش لمساعدتهم، ولكي يمنع من وصول أيّة مساعدات وامدادات لهم من ناحية قبائل الشمال مثل «غطفان» الذين كانوا أصدقاء ليهود خيبر والمتعاونين معهم في معركة «الاحزاب» نفذ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطة سيأتي تفصيلها مستقبلاً.

لهذه الاسباب والعوامل والاعتبارات أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله المسلمين بالتهيّؤ لغزو خيبر آخر مركز من مراكز اليهود في الجزيرة العربية. وقال:

«لاتخرجوا معي إلّا راغبين في الجهاد أما الغنيمة فلا».

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله استخلف على المدينة «نميلة بن عبدالله الليثي»، ودفع راية بيضاء الى «عليّ بن أبي طالب» عليه السَّلام وأمر بالتوجه إلى خيبر، ولكي تسرع الابل في سيرها اذن لعامر بن الاكوع أن يحدو بالابل لان الابل تُستَحثُّ بالحداء، فأخذ يرتجز قائلاً:

و الله لو لا الله ما اهتَدَينا ... و لا تصَدّقنا و لا صَلَّينا

إنّا إذاً قومٌ بَغُوا علينا ... و إن أرادوا فتنة أبينا

فَأَنزلن سكينة علينا ... و ثبت الأقدام إن لاقينا

و قد عكست هذه الأبيات الجميلة جانباً من هدف هذه الغزوة، فهي تفيد أن اليهود ظلمونا، وأشعلوا نيران الفتنة وقد خرجنا لاطفائها، وتحملنافي سبيل ذلك عناء هذا السفر.

و لقد سُرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بمضامين هذه الابيات فدعا لابن الاكوع، وقال: «يرحمك الله» وقد استشهد ابن الاكوع هذا في هذه الغزوة.

هذا وقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يراعي مبدأ الاستتار في جميع تحركاته العسكرية، فقد كان يحب أن لايعرف العدوُّ بمسيره ومقصده حتى يفاجئ العدو ويباغته، ويحاصره قبل أن يستطيع فعل شيء، هذا مُضافاً إلى ناحية أُخرى وهي أن يظن حلفاء العدوّ الذي يقصده بأنه يقصدهم ويسير اليهم، فيغلقوا على أنفسهم أبواب منازلهم ولا ينضم بعضهم الى بعض.

و ربما تصوّر البعض في هذه الغزوة أن رسول الله صلّى الله عليه وآله يقصد منطقة الشمال (شمال المدينة) لتأديب قبائل غطفان وفزارة الذين تعاونوا مع اليهود في معركة الاحزاب، لما وجدوه متوجهاً نحو الشمال.

و لكنه عندما وصل إلى منطقة «الرجيع» عرج بجيشه صوب «خيبر» وبهذا قطع الطريق على أية إمدادات عسكرية من ناحية الشمال إلى خيبر، بقطع خطّ الارتباط بين قبائل غطفان وفزارة ويهود خيبر، فمع ان حصار خيبر طال مدة شهر واحد تقريباً لم تستطع القبائل المذكورة ان تمدّ حلفاءها اليهود بأي شيء[1].

و لقد خرج مع رسول الله صلّى الله عليه وآله الى خيبر مايقرب من ألف وستمائة مقاتل، بينهم مائتا فارس[2].

و عندما أشرف رسول الله صلّى الله عليه وآله على خيبر قرأ الدعاء التالي الذي يكشف عن نيته الحسنة:

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٣٣٠.

(٢) الامالى للطوسي: ص ١٦٤، يذهب ابن هشام في سيرته: ج٢ ص٣٢٨ إلى ان خروج النبي صلّى الله عليه وآله إلى خيبر كان في المحرّم، وبينما ذهب ابن سعد في الطبقات الكبرى: ج٢ ص٧٧ إلى انه كان في جمادى الثانية من السنة السابعة، وحيث ان ارسال الرسل الى الملوك والامراء تم في شهر محرم من هذه السنة ذاتها لذلك يكون الرأي الثاني أقرب إلى الصحة، وخاصة أن مهاجري حبشة التحقوا برسول الله صلّى الله عليه وآله في خيبر بعد وصول رسالة النبي صلّى الله عليه وآله إلى النجاشي بوساطة «عمرو بن أُمية» لان ذهاب رسول النبي صلّى الله عليه وآله إلى الحبشة وعودته مع المهاجرين الى المدينة ثم خيبر بحاجة إلى زمان، وحيث ان توجه الرسل والسفراء كان في شهر محرم لذلك يجب ان يكون قتال الخيبريين في الاشهر التالية.

٣٩٠ ـــــــ

و قد كانت تلك البروج والحصون قد شيِّدت بحيث يسيطرُ سكانُها على خارج الحصن سيطرة كاملة وكانوا يستطيعون ـ عن طريق المجانيق[١] وغيرها من آلات الرمي ـ إبعاد أي عدو، وافشال أيّة محاولة للاقتراب الى الحصن، وذلك برميه بالاحجار وماشابهها.

و قد كان بين سكان هذه الحصون البالغ عددهم عشرين ألفاً، ألفان من الفرسان الشجعان والصناديد الابطال الذين توفرت لهم كل مايحتاجون إليه من الطعام والشراب، والذين أُعدت لهم في المخازن كل مايحتاجون إليه من الاسلحة والعتاد.

و كانت هذه الحصون من الإحكام والقوة بحيث كان من المستحيل إحداث أيّة ثغرة في حيطانها أيضاً، ومن أراد الاقتراب إليها رمي بالاحجار فجرح بها أو قتل، فكانت تعدُّ هذه الحصون ـ في الحقيقة ـ متاريس قوية لمقاتلي اليهود.

لقد واجه المسلمون في هذه الغزوة مثل هذا العدوّ المسلح، المتمنع بمثل هذه المتاريس القوية، فكان لابدّ لفتح هذه القلاع من استخدام تكتيك عسكري دقيق.

و لهذا فانَ أوّل عمل قام به رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه في هذا السبيل هو احتلال كل النقاط والطرق الحساسة ليلاً.

و قد تم هذا العمل بسرية وسرعة بالغة جداً بحيث لم يعرف به حتى مراقبو الابراج اليقظون أيضاً.

و لما كان صبيحة تلك الليلة خرج عُمّال خيبر غادين إلى مزارعهم وبساتينهم وهم يحملون مساحيهم ومكاتيلهم واذا بهم يفاجَاون بجنود الاسلام الابطال وقد احتلوا بقوة الايمان جميع النقاط الحساسة وسدّوا جميع الطرق عليهم بحيث لو قدّموا شبراً لقبضَ عليهم، فأفزعهم ذلك وخافوا خوفاً شديداً، فأدبروا

---

(١) وهي أجهزة حديدية بدائية تقذف الحجر او الحديد.

٣٩٢ ـــــــ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يراعي واحداً من مبادئ الاسلام العظيمة (الشورى) واحترام الآخرين: «بل هو الرأيُ، أُنظر لنا منزلاً بعيداً من حصونهم، بريئاً من الوباء نأمن فيه بياتهم»، فطاف محمَّد حتى انتهى إلى الرجيع (وهو واد بقرب خيبر) ثم رجع الى النبي صلّى الله عليه وآله ليلا فقال: وجدت لك منزلاً، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله فحولت خيمة القيادة عند المساء إلى ذلك المكان الاكثر أماناً من بيات اليهود وعدرهم فكان النبي يغدو كل يوم فيقاتل أهل النطاة يومه إلى الليل ثم إذا أمسى رجع الى الرجيع حيث غرفة القيادة، وكان يناوب بين أصحابه في حراسة الليل في مقامه بالرجيع سبعة أيام[1].

على أنه لايمكن البتّ في تفاصيل ولقعة خيبر ولكن المستفاد من المصادر التاريخية هوأن جنود الاسلام حاصروا القلاع والحصون حصناً تلو حصن، وحاولوا قطع ارتباط الحصن المحاصر ببقية الحصون تم فتحه، ثم محاصرة حصن آخر.

ولقد تم فتح هذه الحصون ببطء لأنها كانت مرتبطة ببعضها بارتباط سرّي، أو كان المقاتلون يدافعون عنها دفاعاً مستميتاً، ولكن الحصون التي كان الرعب والخوف يسيطر على مقاتليها وحرّاسها، أو التي ينقطع ارتباطها بالخارج بصورة كاملة كان يتم السيطرة عليها بسهولة، وتسفكُ فيها دماء أقلّ، ويتقدم العمل فيها بسرعة اكبر.

و ان أول حصن فُتح على أيدي المسلمين بعد شيء كبير من الجهد ـ كما يذهب إليه جمع من المؤرخين ـ هوحصن «ناعم». ولقد استشهد في فتح هذا الحصن أحد المقاتلين المسلمين البارزين، يدعى «محمود بن مسلمة» الانصارى، وجرح خمسون رجلاً من مقاتلي الإسلام، فقد استشهد الفارسُ المذكور بعد أن رماه اليهود بصخرة كبيرة من فوق الحصن فقُتل من فوره، وقيل إنه توفي بعد ثلاثة أيام ـ حسب رواية ابن الاثير في أُسدالغابة[2] ونقل الجرحى الخمسون إلى

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٩.

(٢) اسدالغابة: ج٤ ص ٣٣٤.

٣٩٤ ـــــــ

صلّى الله عليه وآله أمام عيون المئات من جنوده الجياع:

«أخرجها مِنَ العسكر ثم صِح بها وارمها بحصيات فإنّ الله عزّوجلّ سيؤدّي عنك أمانتَك».

ففعل الراعي ماأمره به رسول الله صلّى الله عليه وآله و خرجت الغنم إلى صاحبها حتى دخلت الحصنَ كأنّ سائقاً يسوقها، وقدقاتل ذلك اليهودي إلى جانب المسلمين حتى استشهد[١].

أجل لم يكتسب رسول الله صلّى الله عليه وآله لقب «الامين» من قومه في فترة شبابه فقط بل كان أميناً في جميع الحالات والظروف وهو القائل:

«ما من شيء كان في الجاهلية إلّا هو تحت قدمي إلا الامانة فانها مؤداة إلى البر والفاجر»[٢]، وقد بقي تردد القطعان حراً طوال مدة الحصار ولم يفكر ولا واحدٌ من المسلمين بأخذ غنم منها لأنهم تعلّموا الأمانة والتقوى والصدق والورع من معلّمهم الاكبر «محمّد» الصادق الأمين صلّى الله عليه وآله.

نعم غلب الجوع الشديد على العسكر ذات يوم حتى كادوا أن يهلكوا فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله بأن تؤخذ شاتان من غنم اليهود اضطراراً، واطلق البقية لتدخل الحصن بامان[٣]، ولولا ذلك الاضطرار الذي يباح معه المحذور بقدره لما سمح رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك، ولما رأى جوع أصحابه وتضوّرهم من شدة السغب دعا قائلاً:

«اللّهم إنّك قد عرفت حالَهم وان ليست بهم قوة، وان ليس بيدي شيء أُعطيهم إياه فافتح عليهم أعظم حُصونها عنهم غناء، وأكثرها طعاماً»[٤].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٤٤ و٣٤٥. امتاع الاسماع: ج١ ص٣١٢-٣١٣.

(٢) مجمع البيان: عند تفسير قول الله تعالى: «ومن اهل الكتاب من إن تامنه...».

(٣) السيرة النبوية: ج١ ص٣٣٥ - ٣٣٦.

(٤) السيرة النبوية: ج٢ ص ٣٢٢.

و لم يكن يأذن لاحد من المسلمين بأن يأخذ شيئاً من اموال الناس ابداً.

في ضوء كل هذا تتضح دسائس جماعة من المستشرقين في تاريخنا المعاصر فهم يصرُّون على القول بأن غزوات الاسلام ومعاركه كانت للإغارة وجمع الغنائم ومصادرة الأموال والسيطرة عليها وان جنود، لم يكونوا يتقيّدون خلال تلك المعارك بمبادئ العدالة والامانة، وذلك كبد منهم للاسلام، ومحاولة بغيضة للحط من قيمة الاهداف الاسلامية العليا، وتشويهها.

و لكن النموذج المذكور هنا، وأمثاله ممّا يعدُّ بالعشرات في صفحات التاريخ الاسلامي تشهد بكذبهم، فإن النبي صلّى الله عليه وآله لم يأذن وهو في أشدّ الظروف وأصعبها وجنوده الاوفياء قد غلبهم الجوع ودنوا من الهلاك ، بأن يخون راع في أغنام كان يرعاها ليهودي، بل أمره بردّها إلى صاحبه وهو في قتال مع اليهود على حين كان يمكنه مصادرتها جملة واحدة.

فتح الحصون الواحد تلو الآخر:

بعد فتح القلاع المذكورة حمل جنود الإسلام على حصن الوطيح، وسلالم، ولكنهم واجهوا مقاومة عنيفة من اليهود الذين كانوا يدافعون عنها خارجها، من هنا لم يستطع جنود الاسلام الأبطال رغم كل التضحيات التي ذكرها كاتب السيرة المعروف ابن هشام في موضع خاص من سيرته ـ ان يحرزوا انتصاراً بل ظلوا يجالدون مقاتلي اليهود أكثر من عشرة أيام، ولكنهم كانوا يعودون في كل يوم إلى مقرّهم من دون نتيجة.

و ذات يوم بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله أبابكر و اعطاه رايته البيضاء على رأس جماعة من المقاتلين المسلمين لفتح بعض حصون خيبر، ولكنه رجع ولم يكن فتح وكل من الامير والجنود يلقي باللوم على الآخر، ويتهمه بالجبن والفرار.

فبعث رسول الله صلّى الله عليه وآله في يوم آخر «عمر بن الخطاب» على

رأس جماعة أُخرى فكان كرفيقه إذ رجع ولم يحقق فتحاً، بل عاد ـ حسب مايروي الطبري ـ[١] فزعاً مرعوباً وهو يصف شجاعة مرحب وقوّته البالغة، فأغضب هذا العمل رسول الله صلّى الله عليه وآله وفرسان الاسلام الابطال وقادة الجيش الاسلامي، فجمع رسول الله صناديد جيشه وقال:

«لأُعطِينَّ الرايةَ غداً رَجلاً يُحبُّ الله وَ رَسُولَه ويحبُّه الله ورسولُه يفتحُ عَلىٰ يَدَيه لَيس بفرّار» أو: «كرار غير فرار» حسب نقل الطبري والحلبي[٢].

و قد أثارت هذه الجملة الخالدة الحاكية عن فضيلة وشجاعة وتفوّق ذلك الفارس الذي قدر أن يكون الفتح على يديه وتميّزه المعنوي على غيره موجة من الفرح الممزوج بالاضطراب بين أفراد الجيش وقادته الشجعان.

فقد بات كل واحد منهم يتمنى أن يكون هو صاحب هذا النوط الخالد والعظيم، وان تصيب القرعة اسمه.

و لما بلغ علياً عليه السَّلام مقالة النبي صلّى الله عليه وآله هذه وهو في خيمته قال:

«اللهم لامعطي لما منعت ولا مانع لما أعطيت»[٣].

غطّى ظلامُ الليل كل مكان، وذهب جنود الاسلام إلى أماكن نومهم، وبينما بقي الحراس يتحارسون طوال الليل، ويرصدون أوضاع العدوّ الغادر

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٣٠٠.

(٢) مجمع البيان: ج٩ ص ١٢٠، السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٧، السيرة النبوية: ج٣ ص٣٣٤ أمتاع الاسماع: ج١ص٣١٤ولقدانزعج المؤرخ الاسلامي المعروف ابن أبي الحديد من فرار هاتين الشخصيتين فقال في ضمن قصيدة له:

وماأنسَ لا أنسَ اللّذين تَقدَّما ... وَفرَّهُماوالفرُّ قَد عِلِما حُوبُ

وللراية العظمى وقدذهبابها ... ملابس ذلّ فوقها وجلا بيب

يشلُّها من آل موسى شمردَلٌ ... طويلٌ نجاد السيف أجيد يعبوبُ

(الغدير: ج٧ ص٢٠١ اقتباساً من القصائد العلويات).

(٣) السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٥.

وتحركاته.

و عند الصباح ومع طلوع الشمس التي شقت بأشعتها رداء الظلام، وأضاءت السهل والجبل، تجمّع قادة الجيش الاسلامي وصناديده وأبطاله وغيرهم من الرجال وفيهم الاميران المنهزمان بالأمس حول رسول الله صلّى الله عليه وآله وهم يريدون بشوق بالغ أن يعرفوا من سيعطيه الراية اليوم، وقد تطاول لها أبوبكر وعمر[١].

و لم يطل هذا الانتظار، فقد كسر رسول الله صلّى الله عليه وآله جدار الصمت هذا عندما قال: «اين علي»؟!

فقيل يا رسول الله به رمد، وهو راقد بناحية.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«إئتوني بعليّ»[٢]

إنّ هذه العبارة تكشف عن أن ما أصاب علياً عليه السَّلام من الرمد كان من الشدة بحيث سلبه القدرة على المشي، وعاقه عن الحركة.

فأمرّ رسول الله صلّى الله عليه وآله يده الشريفة على عيني علي عليه السَّلام ودعا له بخير، فعوفي من ساعته، واستعادت عيناه عليه السَّلام سلامتها افضل ممّا كانت بحيث لم يرمد عليه السَّلام حتى آخر حياته بفضل تلك المسحة النبوية المباركة.

ثم دفع رسول الله صلّى الله عليه وآله اللواء إلى عليّ عليه السَّلام ودعاله بالنصر كما أنه أمره بأن يبعث إلى اليهود قبل قتالهم من يدعو رؤساء الحصون الى الاسلام، فإن أبوا اعتناق الاسلام أخبرهم بوظائفهم في ظل الحكومة الاسلامية وأن عليهم أن يسلّموا أسلحتهم إلى الحكومة الاسلامية، ويعيشوا بحرية وأمان

---

(١) هذه هي عبارة الطبري: ج٢ ص٣٠٠ ،كنز العمال: ج٦.

(٢) بحار الأنوار: ج٢١ ص ٢٨ و ٢٩، تاريخ الخميس: ج٢ ص٤٩.

تحت ظل هذه الحكومة شريطة أن يدفعوا الجزية[١].

و اذا رفضوا ذاك و هذا قاتلهم، ثم قال لعلي الذي أوكل إليه قيادة تلك المجموعة:

«لَئن يَهدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً واحِداً خَيرٌ مِنَ أن يَكُونَ لكَ حُمرُ النَعَمَ»[٢].

أجل إن النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله يفكّر في هداية الناس حتى في أشد لحظات الحرب، وهذا يفيد بأن جميع حروب رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت لهداية الناس لاغير.

الانتصار الكبير في خيبر:

عندما كُلِّفَ عليٌّ (عليه السَّلام) من جانب النبي صلّى الله عليه وآله بفتح قلعتي سلالم والوطيح (وهما الحصنان اللذان عجز عن فتحهما الأميران السابقان ووجها بفرارهما ضربة لاتجبر إلى شرف الجيش الاسلامي)، ارتدى درعاً قوياً وحمل معه سيفه الخاص ذاالفقار وراح يهرول بشجاعة منقطعة النظير نحو القلعتين المذكورتين، والجندُ خلفَه، حتى ركز الراية التي أعطاها له رسول الله صلّى الله عليه وآله على الأرض تحت الحصن.

ولمارأى اليهودانه دنامن الحصن خرج اليه كبارصناديدهم.

و كان أول من خرج اليه أخو مرحب ويدعى «الحارث» فتقدم إلى عليّ وصوته يدوي في ساحة القتال بحيث تأخرمن كان خلف عليّ من شدة الفزع[٣].

ولكن لم يمض زمان حتى سقط الحارث على الارض جثة هامدة بضربة قاضية من علي عليه السَّلام.

---

(١) صحيح مسلم: ج٥ ص١٩٥، صحيح البخاري: ج ٥ ص١٨.

(٢) السيرة الحلبية: ج٢ ص٣٧.

(٣) امتاع الاسماع: ج١ ص٣١٤ قال: فانكشف المسلمون وثبت علي.

فغضب مرحب بطل خيبر المعروف لمقتل أخيه الحارث و خرج من الحصن وهو غارق في السلاح، فقد لبس درعا يمانياً، ووضع على رأسه خوذة منحوتة من حجارة خاصة، وتقدم الى عليّ عليه السَّلام كالفحل **الصؤول يرتجز ويقول:**

قَد عَلِمَت خيبرُ أني مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجربُ
إن غلب الدهرُ فاني أغلبُ والقرنُ عندي بالدما مُخضّبُ[1]

فأجابه عليٌ عليه السَّلام مرتجزاً وقد أظهر **للعدو شخصيته العسكرية** في رجزه:

أناالَّذي سَمَّتنِي أُمّي حَيدرَة ضرغامُ آجام وليَثٌ قَسورَة
عَبل الذِراعين غَليظُ القيصرة كليث غاباتٍ كريهُ المنظرة

و بعد أن انتهى الطرفان من إنشاد رجزهما تبادلا الضربات بالسيوف والرماح، فألقت **قعقعة** السيوف وصوت الرماح رعباً عجيباً في قلوب المشاهدين، وفجأة هبط سيف بطل الاسلام القاطع على المفرق من رأس «مرحب» بطل اليهود قدّت خوذته نصفين ونزلت على رأسه وشقته نصفين الى أسنانه!!

و لقد كانت هذه الضربة من القوة بحيث افرعت أكثر من خرج مع «مرحب» من أبطال اليهود وصناديدهم ففروا من فورهم، ولجأوا إلى الحصن، وبقي جماعة فقاتلوا علياً منازلة فقاتلهم حتى قتلهم جميعاً، ثم لاحق الفارين منهم حتى باب الحصن، فضربه عند الحصن رجل من اليهود فطاح ترسُه من يده فتناول عليه السَّلام باباً كان على الحصن وانتزعه من مكانه، فترس به عن نفسه فلم يزل ذلك البابُ في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم القاه من يده حين فرغ، وقد حاول ثمانية من أبطال الاسلام ومنهم أبورافع مولى رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يقلبوا ذلك الباب أو يحركوه من مكانه فلم يقدروا على ذلك[2].

---

(١) يروى ابن هشام في سيرته أشعار مرحب بصورة أُخرى: ج٢ ص٣٣٢.

(٢) تاريخ الطبري: ج٢ ص٩٤، سيرة ابن هشام: ج٢ ص٣٤٩، تاريخ الخميس: ج٢ ص٤٧ - ٥٠.

و هكذا فتحت القلعة التي عجز عن فتحها المسلمون عشرة أيام، في مدة قصيرة على يد بطل الاسلام الأول «علي بن أبي طالب» عليه السَّلام.

و يقول اليعقوبي في تاريخه: ان الباب الذي قلعه علي عليه السَّلام كان من الصخر وكان طوله أربعة أُذرع وعرضه ذراعين[١].

و يقول الشيخ المفيد في ارشاده بسند خاص عن اميرالمؤمنين قصة قلعه ذلك الباب:

«لما عالجتُ باب خيبر جعلته مجنّاً لي فقاتلتُهم به، فلما أخزاهمُ الله وضعتُ الباب على حصنهم طريقاً ثم رميتُ به في خندقهم، ولما قال له رجل: لقد حملت منه ثقلاً قال عليه السَّلام:

«ما كان إلّا مثل جُنّتي التي في يدي في غير ذلك المقام»[٢].

و قد نقل المؤرخون قضايا عجيبة حول قلع باب خيبر هذا وخصوصياته ومواصفاته، وعن بطولات علي عليه السَّلام في فتح هذا الحصن، وجميعها لا تتمشى ولا تتيسر مع القدرة البشرية المتعارفة، ولايمكن أن تصدرمنها.

و يقول علي عليه السَّلام نفسه في هذا الصدد ما يرفع كل شك وإبهام قد يعترض المرء في هذا المجال:

«ما قَلَعْتُها بِقوّة بَشريّة و لكنْ قَلعتها بقوة الهية ونفس بلقاء ربِّها مطمئنة رضية»[٣].

تحريف الحقائق:

لو أننا أردنا أن نلتزم بحدود الحق والانصاف لوجب أن نقول انّ «ابن هشام» في سيرته و«الطبري» في تاريخه ذكرا **قصة مبارزة علي عليه السَّلام في** يوم

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢ ص٤٦.

(٢) الارشاد: ص٦٢ - ٦٥.

(٣) بحار الأنوار: ج٢١ ص٤٠.

٤٠٢ ـــــــ

الفارّين، ونازل الذين بقوا ولم يفرّوا.

واليك أسماء من بقوا في ساحة القتال وقاتلوا علياً عليه السَّلام بعد قتله مرحباً:

١ ـ داود بن قابوس.

٢ ـ ربيع ابن أبي الحقيق.

٣ ـ أبو البائت.

٤ ـ مرة بن مروان.

٥ ـ ياسر الخيبري.

٦ ـ ضحيج الخيبري.

و كل هؤلاء كانوا من صناديد اليهود وابطالهم، وكانوا يقاتلون خارج حصن خيبر ويمنعون من أية محاولة لفتح قلاع اليهود في هذه الوقعة.

إن هؤلاء الستة قتلوا على يد علي بن أبي طالب عليه السَّلام وهم يرتجزون في ساحة القتال ويطلبون المبارز والمناجز[1].

فمن يكون والحال هذه فاتح «خيبر» وقاتل مرحب؟

إذا كان «محمَّد بن مسلمة» فانه لايمكن أن يعود بعد قتل مرحب إلى معسكر المسلمين ويتجاهل أُولئك الأبطال خلف مرحب بل لابد أن يقاتلهم، في حين اتّفقت كل السيرو التواريخ على أن هؤلاء قتلوا جميعاً على يد علي بن أبي طالب عليه السَّلام.

٣ ـ ان هذه الاسطورة التاريخية تتنافى مع الحديث المنقول عن رسول الله صلّى الله عليه وآله فانه صلّى الله عليه وآله قال في حق علي عليه السَّلام: «يفتح الله على يديه» مع العلم بأن المانع الاكبر من فتح خيبر كان هو مرحب الذي أجبرت شجاعته الأميرين السابقين على الفرار، فاذا كان قاتل مرحب هو

---

(١) ناسخ التواريخ ج٢ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٦.

«محمَّد بن مسَلمة» لزم أن يقول رسول الله صلّى الله عليه وآله جملته هذه في حق «محمَّد بن مسلمة» لافي حق «علي» عليه السَّلام الذي أعطاه الراية بعد أن قال تلك الجملة: «يفتح الله على يديه».

يقول الحلبي كاتب السيرة المعروف: قيل: القاتل له (اي لمرحب) علي كرم الله **وجهه وبه** جزم مسلم رحمه الله في صحيحه. قال بعضهم: والاخبار متواترة به وقال ابن الاثير: الصحيح الذي **عليه أهل السير والحديث أن علياً** قاتله كرم الله وجهه[١].

و لقد وقع الطبري في تاريخه، وابن هشام في سيرته في شيء من الإضطراب والفوضى وكتبا قصة هزيمة ورجوع الرجلين اللذين كلّفا قبل علي عليه السَّلام بفتح قلاع اليهود بصورة لا تتفق مع مفهوم الجملة التي قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله في حق علي عليه السَّلام.

فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في حقه: «وليس بفرّار»[٢] يعني أن الذي سوف يعطيه الراية لايفر أبداً، ومفهوم هذه الجملة هو أن علياً عليه السَّلام لايفرّ ولا يجبن أمام العدوّ كما فر القائدان السابقان، و هذا يعني أن القائدين السابقين فرّا أمام العدوّ، واخليا الساحة، في حين أن الكاتبين المذكورين لا يذكران مسألة فرار القائدين المذكورين، وإنما يكتبان رجوعهما كما لو أنهما قد أدّيا وظيفتهما القتالية والعسكرية على الوجه الكامل، ولكنّهما لم يوفقا للفتح[٣].

ثلاث نقاط مشرقة في حياة علي عليه السَّلام:

و نختم هذا البحث بذكر ثلاث فضائل لفاتح خيبر ذكرها أحد خصومه لها ارتباط بموقفه عليه السَّلام في خيبر:

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٨،وراجع زاد المعاد: ج٢ ص١٣٤ و١٣٥.

(٢) المغازي: ج٢ ص٦٥٣.

(٣) السيرة النبوية: ج٣ ص٣٤٩.

أمر معاوية سعد بن أبي وقاص يوماً فقال: مامنعك ان تسبَّ أباالتراب؟

فقال: أمّا ماذكرتُ ثلاثاً قالهنَّ له رسولُ الله صلّى الله عليه وآله فلن أسبَّه لأن تكون لي واحدة منهنَّ أحبُّ إليَّ من حُمر النعم.

ثم أخذ سعد في عدّ تلك المناقب فقال:

١ ـ سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول له خلّفه في بعض مغازيه فقال له عليٌّ: يارسول الله خلّفتني مع النساء والصبيان؟

فقال له رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم.

«أما ترضىٰ أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنه لانبوة بعدي»[١].

٢ ـ وسمعته يقول يوم خيبر:

لأُعطين الراية رجلاً يحبُّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فتطاولنا لها فقال: اُدعوا لي علياً. فاتي به أرمدفبصق في عينه، ودفع الراية اليه، ففتح الله عليه[٢].

٣ ـ و لما نزلت هذه الآية «فقل تعالوا ندعُ ابناءنا وابناءكم و نساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل...» دعارسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال:

«اللهم هؤلاء أهلُ بيتي»[٣][٤].

عوامل الانتصار:

فتحت حصون «خيبر»، واستسلم اليهودُ للمسلمين بشروط خاصة، ولكن يجب أن نرى ماهي العوامل التي ادت إلى هذا الانتصار، فهذا هو في الحقيقة

---

(١) وهي اشارة إلى واقعة تبوك.

(٢) وهي اشارة إلى واقعة خيبر.

(٣) وهي اشارة إلى قصة مباهلة النبي نصارى نجران.

(٤) صحيح مسلم: ج٧ ص١٢٠.

٤٠٦ ـــــــ

المناسبة.

فخططوا لهذه الموقعة بمهارة كبيرة وكانوا في ذلك ناجحين جداً الى درجة أنّه تسبب في أن تعدل إمدادات غطفان العسكرية لليهود من مواصلة مسيرها إلى «خيبر»، والعودة إلى أهليهم وترك اليهود وشأنهم.

و قد سبق لهذا نظيرٌ في معركة «الاحزاب» يوم امتنعت قبائل غطفان عن نصرة اليهود بسبب شائعة بثها بينهم رجلٌ من المسلمين من بني غطفان يدعى «نعيم بن مسعود»، وتفرّق على أثره جماعة الاحزاب، وانفرط عقدهم.

٢ ـ تحصيلُ المعلومات حول العدوّ:

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله كما أسلفنا مراراً يُولي تحصيل المعلومات ومعرفة أسرار العدو، أهمية كبيرة.

و لهذا بعث قبل محاصرة «خيبر» طليعة من المسلمين وأمّر عليهم «عبّاد بن بشر» ووجّههم إلى «خيبر»، فالتقوا بيهودي قرب حصون «خيبر»، و بعد التحقيق معه تبين أنه عينٌ لليهود يتجسّس لهمُ الاخبار فأخذوه إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فسأله عن أوضاع اليهود في حصون «خيبر».

فقال: أفتؤمنني يا أبا القاسم على أن أُصدقَك؟ فأمّنه عباد.

فقال اليهوديُ: القومُ مرعوبون منكم خائفون وجلون لماقد صنعتم بمن كان بيثرب.

ثم قال: خرجتُ من حصن «النطاة» من عند قوم ليس لهم نظامٌ تركتهم يتسلّلون من الحصن في هذه الليلة الى «الشق» وقد رُعبوا منك حتى أنَّ أفئدتهم لتخفق، فاذا دخلت الحصن غداً وأنت تدخله، قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إن شاء الله، **قال اليهودي** إن شاء الله أوقفُك على حصن اليهود الذي فيه منجنيق مفلكة ودبابتان وسلاحٌ من دروع وبيضٌ وسيوف، فانصب المنجنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدّبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من

يومك[١].

إن النبي صلّى الله عليه وآله و إن لم يستخدم هذه الادوات التخريبية إلّا أن المعلومات التي وقف عليها من ذلك اليهودي الأسير كانت مهمة لأنّها أوضحت نقطة الحملة غداً، وعرف النبيُ صلّى الله عليه وآله أن التغلّب على حصن «النطاة» لايحتاج الى قوة كبيرة، وأنه لابدّ من رعاية المزيد من الحيطة والحذر عند فتح حصن «الشق».

نموذجٌ آخر: عند فتح إحدى القلاع أتىٰ يهوديٌ إلى النبي صلّى الله عليه وآله بعد ثلاثة أيام مضت على محاصرتها وقال ـ ولعلّه لتخليص نفسه ـ: إنك لو اقمت شهراً ما بالوا، لهم جدولٌ تحت الأرض يخرجون بالليل فيشربونَ بها ثم يرجعون إلى قلعتهم فيمنعون منك، فان قطعت مشربهم عليهم ضجهم.

وفي رواية أن النبي صلّى الله عليه وآله لم يوافق على قطع الماء عن العدو[٢].

و في اخرى؛ قطع عليهم مشاربهم موقتاً فلم يطيقوا المقام على العطش[٣].

٣ ـ تفاني اميرالمؤمنين:

و لقد ذكرنا تفاني علي بن أبي طالب، وبطولته في هذه الموقعة بصورة مجملة، وها نحن ننقل عبارة قالها هو عليه السّلام عن هذه المسألة:

وَرَدنا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله خيبر على رجال من اليهود وفرسانها من قريش وغيرها، فتلقونا بأمثال الجبال من الخيل والرجال والسلاح، وهم في أمنع دار وأكثر عدد، كلٌ ينادي ويدعو ويبادر إلى القتال، فلم يبرز اليهم من أصحابي أحدٌ إلاقتلوه حتى احمرّت الحدق، ودعيت إلى النزال، وأهمّت كل امرئ نفسه، والتفت بعض أصحابي إلى بعض وكلٌ يقول: يا أباالحسن انهض.

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٥.

(٢) ناسخ التواريخ: ج٢ ص٢٩٩ ـ المصدر السابق ص٤٠.

(٣) الخصال: ص ٣٦٩.

فأنهضني رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى دارهم فلم يبرز إليَّ أحدٌ منهم الاقتلتُه، ولايثبتُ لي فارس إلّا طحنتُه، ثم شددتُ عليهم شدّة الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدَّداً عليهم فاقتلعت باب حصنهم بيدي حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدي أقتلُ من يظهر فيها من رجالها، وأسبي من أجدُ من نسائها حتى افتتحتهاوحدي ولم يكن لي فيها معاونٌ إلّا الله وحده[١].

الرحمة في ساحة القتال:

عندما افتتح حصن «القموص» سُبيت «صفيّة بنت حيي بن أخطب» وامرأة أُخرى، فمر بهما «بلال» على القتلى فصاحت صفية صياحاً شديداً جزعة ممّا رأت، فكره رسول الله صلّى الله عليه وآله ماصنع بلال وقال صلّى الله عليه وآله:

«أذَهَبَت مِنكَ الرحمة؟ تمر بجارية حديثة السنّ على القتلى؟».

فقال بلال: يا رسول الله ماظننتُ أنك تكره ذلك، وأحببت أن ترى مصارع أهلها[٢].

ولم يكتف رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذا القدر من تطييب خاطر «صفيّة» بل احترمها، وعيّن لها مكاناً خاصاً للاستراحة في المعسكر، واختارها زوجة لنفسه، وبهذا الطريق أزال آثار ذلك الصنيع السيء الذي قام به بلال.

لقد تركت أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعامله الانساني الرفيع مع «صفية» أثراً حسناً في نفسها، فقد صارت في مابعدمن أزواج النبي صلّى الله عليه وآله الوفيّات المخلصات، وقد حزنت عند وفاته، وبكت له أكثر من بقية ازواجه[٣].

---

(١) الخصال: ص٣٦٩ باب السبعة.

(٢) المغازي: ج٢ ص٦٧٣، تاريخ الطبري: ج٣ ص٣٠٢.

(٣) تاريخ الطبري: ج٢ ص٣٠٢

٤١٠ ـــــــ

رسول الله صلّى الله عليه وآله بأن تجمع الغنائم كلها في مكان واحد، ثم أمر صلّى الله عليه وآله رجلاً بأن ينادي في الناس:

«أدُّوا الخيط والمخيط، فانّ الغُلولَ عارٌ وشنارٌ ونارٌ يومَ القيامة»[١].

ولقد شدّد قادة الاسلام وائمته الحقيقيون على أهميّة الامانة تشديداً بالغاً حتى أنهم اعتبروا ردَّ الامانة -مهما صغرت ودقت- من علائم الايمان، والخيانة وعدم ردّها من علائم النفاق.

من هنا عندما عثر رسول الله صلّى الله عليه وآله في رحل مُسلم من المقاتلين شيئاً من أموال الغنيمة لم يردَّها إلى بيت المال لم يصلّ على جنازة ذلك الرجل عندما استشهد، وإليك تفصيل هذه الحادثة.

لما انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وآله و أصحابه من خيبر ومع رسول الله صلّى الله عليه وآله غلام له، يقوم له بشؤونه، وفيما كان ذلك يضع رَحلَ النبي صلّى الله عليه وآله إذ أتاه سهمٌ لايُعلمُ راميه فأصابه فقتله، فقال المسلمون: هنيئاً له الجنة.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«والّذي نَفسُ محمّد بيده إنَّ شملتهُ[٢] الآن لتحترق عليه في النار، كان قد غلَّها من فيء المسلمين يوم خيبر»!!

فسمع رجل من أصحاب النبي صلّى الله عليه وآله هذا الكلام فأتاه وقال: يارسول الله، أصبت شراكين لنعلين لي فقال صلّى الله عليه وآله «يُقدُّلك مثلهما في النار»[٣].

و هذه القصة تفضح أيضاً دسائس بعض المستشرقين، لأنهم كانوا يصفون حروب الاسلام ومعاركه العادلة بأنها كانت من أجل الاغارة على أموال الناس

---

(١) وسائل الشيعة: ج باب جهاد النفس الحديث٤، المغازي: ج٢ ص٦٨١.

(٢) الشملة كساء غليظ يُلتَحفُ به.

(٣) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٣٩، امتاع الاسماع: ج١ ص٣٢٣ و٣٢٤.

ومصادرتها كما يفعل قطاع الطرق، متجاهلين عمداً وكيداً الأهداف الإنسانية والالهية العليا لهذه المعارك والغزوات، والحال أن مثل هذه الانضباطية والنظم والورع ممّا لايمكن تصوره في قوم همهم الاغارة والنهب والسلب.

إن قائد شعب أو قوم هذا هو همهم وهذه هي همتهم لايمكن أبداًأن يعتبر ردّ الامانة من واجبات الدين ومن علائم الايمان، كما لايمكنه أن يربي أتباعه وأصحابه بمثل هذا التربية الرفيعة، بحيث يجعله يجتنب عن سرقة صغيرة جداً مثل غلّ شراكي نعلين لاقيمة لهما تذكر.

قافلة من أرض الذكريات:

قبل أن يتوجّه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بالمسلمين الى «خيبر» بعث «عمرو بن أُمية» إلى البلاط الحبشي لغرض إيصال رسالته إلى ملك الحبشة النجاشيّ، وليطلب منه أن يهيء المقدمات اللازمة لترحيل المسلمين المهاجرين من الحبشة الى المدينة.

فهيّأ النجاشي سفينتين لأُولئك المهاجرين بعد أن جهزهم بجهاز حسن وامر لهم بكسوة، فسارت بهم حتى وصلت إلى السواحل القريبة من المدينة.

و لما علم المسلمون بمسير رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى «خيبر» توجّهوا من فورهم الى «خيبر» فقدموا مع «جعفر بن أبي طالب» على رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم «خيبر» بعد أن افتتحت جميع حصون اليهود وقلاعهم.

فلما رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله جعفر مشى في استقباله (١٢) خطوة ثم قبّل مابين عينيه والتزمهُ وقال:

«ما أدري بأيّهما أنا اسرُّ بفتح خيبر أم بقدوم جعفر؟».

وفي رواية أُخرى قال صلّى الله عليه وآله:

«لا أدري بأيّهما أناأشدُّفرحاً بقدومك ياجعفر أم بفتح الله على أخيك خيبر».

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لجعفر:

«يا جعفر ألّا امنحك؟ ألا أُعطيك ألا أحبوك ؟».

فظن الناس أنه يعطيه ذهباً أو فضة، فتشوّف الناس لذلك. فقال له:

أني أُعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا ومافيها».

ثم علمه صلّى الله عليه وآله الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطيار[١].

حجم الخسائر وعدد القتلى:

لم يتجاوز عدد قتلى المسلمين في هذه الغزوة ٢٠ شخصاً ولكن قتل من اليهود أكثر من هذا بكثير، وقد سجل التاريخ أسماء ٩٣ رجلاً منهم[٢].

العفو بعد الانتصار:

المؤمنون بالله واصحاب المروءات من البشر يعاملون العدو المنهزم المقهور عند الغلبة عليه والظفر به باللطف والحب، ويعفون عنه ويتناسون روح الانتقام، أجل إنهم يشملون العدو منذ استسلامه بعطفهم وحنانهم وتلك هي حقيقة اثبتتها وقائع التاريخ الحية.

و كذلك فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله عندما تغلب على يهود خيبر فقد عاملهم بعد الانتصار معاملة حسنة، وشملهم بعفوه، ولطفه رغم كل ماارتكبوه في حق رسول الله صلّى الله عليه وآله من ظلم وجناية وتأليب للعرب الوثنيين ضدّ الاسلام، واشعال حروب كادت أن تودي بالحكومة الاسلامية وتستأصل المسلمين، وتقضي على جهود رسول الإسلام.

فقد قبل بطلب اليهود بأن يسكّنهم في خيبر كما كانوا، وأن يترك أراضيهم

---

(١) فروع الكافي: ج١ ص١٢٩ و ١٣٠، الخصال: ج٢ ص٨٢ و ٨٣، امتاع الاسماع: ج١ ص٣٢٥.

(٢) بحارالأنوار: ج٢١ ص٣٢.

وبساتينهم بأيديهم، على أن يكون له نصف محاصيلها سنوياً.

بل إن النبيّ صلّى الله عليه وآله ـ كما يروي ابن هشام ـ هو الذي إقترح هذا الأمر على اليهود، وترك لهم حرية التصرف في مزارعهم وأراضيهم ليغرسوا أو يزرعوا مايريدون من الشجر(١).

لقد كان في مقدور النبي صلّى الله عليه وآله، كأيّ فاتح آخر، أن يريق دمهم جميعاً، أو أن يجليهم برمتهم من أراضيهم، أو يجبرهم على اعتناق الاسلام، ولكنّه ـ خلافاً لتصور زمرة مغرضة من المستشرقين، وطلائع الاستعمار الثقافي الذين يتصوّرون ويزعمون بأن الاسلام دين القهر والقوة، وان المسلمين أجبروا الأُمم والأقوام المغلوبة على ترك عقائدها، واعتناق الاسلام لم يفعل مثل هذا العمل قط، بل تركهم أحراراً في ممارسة شعائرهم، والبقاء على ما كانوا يعتقدونه من أُصول دينهم وفروعه.

ولم يحارب رسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه يهود «خيبر» إلّا لأنّ «خيبر» قد تحوّلت إلى بؤرة خطرة للمؤامرة، والكيد بالاسلام والمسلمين، فقد كانوا يمدّون المشركين بكل مايريدون للقضاء على الحكومة الاسلامية الحديثة التأسيس، ولهذا اضطر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى مقاتلتهم، وتجريدهم من أسلحتهم، حتى يعيشوا تحت ظل الحكومة الاسلامية بمنتهى الحرية، ويشتغلوا بمشاغلهم في الزراعة، ويقيموا شعائرهم الدينية من دون أن يجدوا فرصة للمشاغبة والتآمر ضدّ رسالة التوحيد الكبرى، اذ كانوا يسببون مشاكل كبيرة للمسلمين ـ في غير هذه الصورة ـ ويمنعون من تقدّم الاسلام وانتشاره.

و أما الجزية(٢) فقد كان لقاء دفاع الحكومة الاسلامية عنهم، وحمايتهم من الأعداء، وتوفير الأمن لهم، إذ كان حماية أموالهم وأنفسهم من وظائف المسلمين.

ثم ان المحاسبة الدقيقة تقودنا إلى أن ما كان يدفعه المسلمون إلى الحكومة

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٣٧.

(٢) الجزية مايؤخذ من أهل الذمّة.

الإسلاميّة من الضرائب الاسلامية كان أكثر بكثير ممّا كان يدفعه اليهود. والنصارى إلى الحكومة الاسلامية بعنوان الجزية.

فقد كان يتوجب على كلّ مسلم أن يدفع الى الحكومة الاسلامية الخمس والزكاة وربما توجّب عليه ان يدفع شيئاً من أصل ماله لسدّ نفقات واحتياجات الحكومة الاسلامية بينما كان اليهود والنصارى الذين كانوا يعيشون في ظلّ الحكومة الاسلامية في أمن وأمان ويتمتعون بجميع الامتيازات والحقوق الاجتماعية الفردية يدفعون إلى الحكومة الاسلامية الجزية بدل ماكان يدفعه المسلمون، فالجزية شيء والأتاوة شيء آخر، على خلاف مايروّجه بعض الكتاب المغرضين.

ولقد كان عامل الجباية الذي كان يزور خيبر بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله لتقدير حجم المحاصيل فيها، ثم تنصيفها رجلاً عادلاً ورعاً إلى درجة أن اليهود أنفسهم أعجبوا بعدله، واعترفوا بانصافه، وهو «عبدالله بن رواحة» الذي استشهد فيما بعد، في موقعة «مؤتة».

فقد كان «ابن رواحة» يخمّن نصيب المسلمين من محاصيل خيبر، وربما تصوّر اليهود أنه أخطأ في التخمين والخرص، وخمّن أكثر ممّا هو الحق فقالوا له: تعديت علينا!

فكان عبدُالله يقول: إن شئتم فلكم وإن شئتم فلنا.

فتقول اليهود ـ معجبة بهذا الانصاف العظيم والعدل الكبير الذي كان يتحلى به مخرّص الحكومة الاسلامية ـ: بهذا قامت السماوات والارض[1].

ولقد حصل المسلمون أثناء جمع غنائم «خيبر» على قطعة من التوراة، فطلبت اليهودمن النبي صلّى الله عليه وآله أن يعيدها اليهم، فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله مسؤول بيت المال باعادتهااليهم[2].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٥٤.

(٢) المغازي: ج٢ ص٦٨٠، امتاع الاسماع: ج١ ص٣٢٣.

٤١٦ ـــــــ

لاشك لو أن مثل هذه الحادثة حدثت لغير رسول الله صلّى الله عليه وآله من القادة والزعماء لصبغوا الارض بدماء من ظنوا أنه قصد قتلهم، أو ملأوا السجون بهم وحبسوهم، أعواماً مديدة اواخضعوهم لاشد انواع التعذيب الجسدي والنفسي كما يحدّثنا بذلك التاريخ القديم والحديث.

إن هذه المؤامرة الدنيئة التي قامت بها إمرأة من اليهود جعلت الكثير من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله يسيئون الظن بصفية اليهودية التي أصبحت في عداد ازواج النبي صلّى الله عليه وآله.

فقد باتوا يتصوّرون أنها ربما أقدمت في ليلة من الليالي على اغتيال رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و لهذا عندما أعرس رسول الله صلّى الله عليه وآله بها بخيبر أو في أثناء الطريق بات «أبو أيّوب الانصاري» يحرس قبّة رسول الله صلّى الله عليه وآله التي دخل بها بصفية ليلة عرسه بها، وبقي يطوف بالقبة حتى أصبح رسولُ الله صلّى الله عليه وآله فلما رأى أباأيوب قال: مالكَ ياأبا أيوب؟

قال: يا رسول الله خِفتُ عليك من هذه المرأة، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها وكانت حديثة عهد بكفر، فخفتُها عليك. فشكرهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله، ودعاله بخير[1].

٢ ـ والنموذج الثاني من جفاء اليهود، وكيدهم حتى بعد عفو النبي عنهم، ولطفه بهم أنّ «عبدالله بن سهيل» الذي كُلِّف من جانب النبي صلّى الله عليه وآله في إحدى السنين بخرص محاصيل خيبر وتقديرها وحمل نصيب المسلمين منها إلى المدينة قتله جماعة مجهولة من اليهود أثناء قيامه بواجبه في خيبر وقد كسروا

المضغة إلّا ان بقايا السمّ اختلط ببزاقه الشريف، وأثر في جسمه المبارك حتى أُودي بحياته المقدسة بعد حين.

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٣٩ و٣٤٠، بحار الأنوار: ج٢١ ص٣٣.

٤١٨ ـــــــ

و هكذا اثبت النبي صلّى الله عليه وآله لليهود مرة أُخرى بأنه ليس داعية حرب ولاطالب قتال وسفك دماء، ولو كان كغيره من الزعماءو السياسيين لاتخذ من قصة مقتل عبدالله ذريعة للقضاء على حياة تلك الزمرة المعتدية، المشاغبة المخلّة بالأمن(١)

إن النبي صلّى الله عليه وآله كما يصرّح بذلك القرآن الكريم ويصفه: نبيُ الرحمة، فهو لايحتكم الى السيف مالم يبلغ الامر مداه.

حيلة مُجازة:

كان في خيبر تاجر يدعىٰ الحجّاج بن علاط السلمي له تجارة مع أهل مكة، وكان ممّن حضر يوم خيبر. وشاهد لطف النبي ورحمته فأسلم طائعاً راغباً.

ولما فرغ المسلمون من أمر «خيبر» أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقال: يارسول الله إن لي بمكة مالاً متفرقاً في تجار مكة فاذن لي يارسول الله صلّى الله عليه وآله أن احتال لأخذها، فأذن له رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بذلك ليستنقذ أمواله من المشركين وغيرهم في مكة.

فقدم مكة، فرآه رجالُ قريش اجتمعوا حوله وأخذوا يسألونه عن أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم يكونوا علموا بإسلامه فأجابهم قائلاً: لقد هُزم محمّد بخيبر هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط، وقُتِلَ أصحابُه قتلاً لم تسمعوا بمثله قط، وأُسر محمّد اسراً، وقالت اليهود: لانقتله حتى نبعث إلى أهل مكة فيقتلوه بين

---

(١) لم تنحصر تعديات اليهود وتجاوزاتهم على ماذكرناه فلطالما خططوا ودبّروا الحيل لالحاق الأذى والضرر بالمسلمين، ومن جملة ذلك حادث عبدالله بن عمر الذي ذهب إلى خيبر في عهد الخليفة الثاني لعقد اتفاقية مع أهلها فاعتدوا عليه بالضرب فلما عرف بذلك عمر رأى أن يجليهم من خيبر لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: «لايجتمعنّ بجزيرة العرب دينان» فقال لصحابة النبي صلّى الله عليه وآله من كان له حق عند اليهود فليأخذه ثم أجلاهم من خيبر جزاء كيدهم وتآمرهم المستمر. (المصدر).

٤٢٠ ـــــــ

٤٥
قِصّة فَدَك

كانت «فَدك» منطقة خصبة، كثيرة الخير، قرب خيبر، وهي تبعد عن المدينة بمايقرب من (١٤٠) كيلومتراً، وكانت تعتبر بعد حصون خيبر النقطة الهامة التي يعتمد عليها يهود الحجاز[١].

و قد ملأت القيادة الاسلامية ـ بعد أن هُزم اليهود في خيبر و وادي القرى وتيماء الفراغ الذي حصل في شمال المدينة ـ بالقوة العسكرية الاسلامية.

و لأجل أن تنهي الوجود السياسي اليهودي في هذه المنطقة التي كانت بمثابة منبع خطر، و بؤرة شغب ضدَّ الاسلام، بعثت القيادة الاسلامية سفيراً الى سادة فدك وزعمائها، لمعرفة موقفهم فآثر «يوشع بن نون» الذي كان يرأس سكان تلك المنطقة، الصلح والسلام على الحرب والقتال، وتعهّد بأن يسلّم كل سنة نصف محاصيل فدك الى رسول الله صلّى الله عليه وآله[٢].

و أن يعيش هو وقومه من الآن تحت راية الحكومة الاسلامية، ولايشاغب ولايتآمر ضدّ المسلمين، على أن تتعهد الحكومة الاسلامية ـ في مقابل هذا المبلغ ـ بتوفير الأمن في المنطقة.

---

(١) راجع كتاب «مراصدالاطلاع» ج٣ ص١٠٢٠ مادة فدك.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٥٣، امتاع الاسماع: ج١ ص٣٣١، فتوح البلدان: ص٤٢.

٤٢٢ ـــــــ

وابنيها الحسن والحسين عليهما السَّلام بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بصورة تليق بمقام رسول الله صلّى الله عليه وآله وشرفه، ومكانته السامية. ولهذا الهدف وهب رسول الله صلّى الله عليه وآله فدكاً لابنته فاطمة الزهراء عليها السَّلام.

يقول المفسرون والمحدّثون الشيعة وبعض علماء السنة انه لمانزل قوله تعالى:

«وَ آت ذا القُربىٰ حَقَّهُ والمِسْكينَ وابن السبيل»[١].

دعا رسول الله صلّى الله عليه وآله ابنته فاطمة وفوّض إليها فدكاً[٢]،وقد روى هذا الأمر ابوسعيد الخدري وهو من كبار صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ويعترف جميع المفسرين، سنة وشيعة، بان هذه الآية نزلت في حق أقرباء رسول الله صلّى الله عليه وآله، وابنته الزهراء اظهر وأقوى مصاديق «ذي القربى»، حتى انه كان على بن الحسين السجاد في الشام بعد واقعة كربلاء، وسأله بعض الشاميين عن نسبه، فتلا عليه السلام الآية المذكورة للتعريف بنفسه، وحيث إن مفاد الآية والمراد بها كان معلوماً عند المسلمين كافة قال الشامي متعجباً: وانكم للقرابة الذي أمر الله أن يؤتى حقه[٣].

و خلاصة القول ان ثمة اتفاقاً بين علماء السنة والشيعة في أن هذه الآية قد نزلت في شأن الزهراء وابنيها، نعم هناك خلاف في ان رسول الله صلّى الله عليه وآله وهب ساعة نزول هذه الآية فدكاً لابنته فاطمة، ام لا، ولقد اتفق علماء الشيعة على الشق الأول، وذهبوا إلى ان النبي صلّى الله عليه وآله وهب فدكاً عنذ نزول الآية لفاطمة ووافقهم على ذلك جمعٌ من علماء السنة.

و قد أراد المأمون العباسى (لسبب ما) اعادة فدك إلى بني الزهراء فكتب

---

(١) الاسراء: ٢٦.

(٢) مجمع البيان: ج٣ ص٤١١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ص٢٦٨، الدرالمنثور: ج٤ص١٧٧.

(٣) الدر المنثور: ج٤ ص١٧٦.

٤٢٤ ـــــــ

قصة فدك بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله:

لقد حُرمت ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله العزيزة فاطمة من ملكها الخالص (فدك) بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله لأغراض سياسية خاصة، وأخرجوا عمالها من تلك الارض، فعمدت إلى إثبات حقّها واسترداد ملكها من جهاز الخلافة عن طريق القانون.

ففي الدرجة الأُولى كانت قرية فدك في يدها، واليدُ دليل الملك، ولكن جهاز الخلافة طلب منها مع ذلك دليلاً على كون فدك ملكها، خلافاً لكلّ الموازين القضائية الاسلامية.

إذ لا يُطلبُ من أيّ واحد له يد على شيء (أي يكون ذلك الشيء تحت تصرفه) أن يقيم دليلاً على ملكيته لذلك الشيء، ولكن الخلافة لم تعر ليد الزهراء على «فدك» أهمية، بل طالبتها بان تأتي بشاهد على ملكيته.

و لهذا اضطرت فاطمة الزهراء عليها السَّلام إلى ان تأتي للشهادة على ذلك بشخصيّة ذات مكانة هامة كعليّ عليه السَّلام وامرأة تدعى أُمّ أيمن التي شهد لها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بأنها من نساء الجنة[1].

وبعتيق رسول الله صلّى الله عليه وآله «رباح» حسب رواية البلاذري[2]، ولكن جهاز الخلافة لم يعر اهتماماً لشهادة هؤلاء الشهود، وحرم ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله من ملكها الذي وهبه اياها والدها رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و لقد كانت «الزهراء» و «علي» و ابناهما الحسن والحسين عليهم السَّلام مطهرين من كل رجس كما صرح بذلك قوله تعالى:

«إنّما يُريد الله لِيُذهبَ عنكُمُ الرجْسَ أهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً»[3].

---

(١) الاصابة: ج٤ ص٤٣٢.

(٢) فتوح البلدان: ص٤٤.

(٣) الاحزاب: ٣٣، راجع كتاب: آية التطهير في احاديث الفريقين: ج١ و٢.

ولو أن هذه الآية شملت نساء النبي صلّى الله عليه وآله لكانت فاطمة الزهراء من أوضح مصاديقها قطعاً ويقيناً، ولكن الخلافة تجاهلت ـ مع الأسف ـ حتى هذا الدليل، واعتبر الخليفة ادعاءها ادعاءً غير مشروع.

و في المقابل يرى علماء الشيعة أن الخليفة الاول أذعن في نهاية الأمر لصحة رأى الزهراء وصحة إدعائها وشرعيّته، وكتب كتاباً يصرّح بأن فدكاً ملك خالصٌ للزهراء وأعطاها ذلك الكتاب، ولكن رفيق الخليفة وصاحبه لما صادف الزهراء في اثناء الطريق وعرف بأنها حصلت على اعتراف صريح من الخليفة بملكيتها لفدك أخذ منها ذلك الكتاب واتى به الى الخليفة الاول وقال معترضاً على شهادة علي عليه السَّلام وام أيمن لها: ان علياً يجرُّ إلى نفسه وأُم أيمن امرأة.

ثم عمد إلى الكتاب فمحاه وخرقه[١].

هذا و يروي الحلبي في سيرته هذه الحادثة بصورة أُخرى اذ يكتب قائلاً: ان ابابكر كتب لفاطمة بفدك ودخل عليه عمر فقال: ماهذا؟ فقال: كتاب كتبته لفاطمة بميراثها من أبيها، فقال: ممّاذا تنفق على المسلمين وقد حاربتك العرب كما ترى، ثم اخذ عمر الكتاب فشقه[٢].

ماقاله أحد متكلمي الشيعة، وهو ان أبي الحديد يقول: قلتُ لمتكلم من متكلمي الامامية يُعرف بعلي بن تقي من بلدة النيل: وهل كانت فدك إلّا نخلاً يسيراً وعقاراً ليس بذلك الخطير! فقال لي: ليس الأمر كذلك، بل كانت جليلة جداً، وكان فيها من النخل نحو مابالكوفة الآن من النخل، وماقصد ابوبكر وعمر بمنع فاطمة عنها إلا ألّا يتقوّى عليٌ بحاصلها وغلّتها على المنازعة في الخلافة، ولهذا اتبعا ذلك بمنع فاطمة وعلي وسائر بني هاشم وبني المطّلب حقّهم في الخمس، فإنّ الفقير الذي لامال له تضعف همته، ويتصاغر عند نفسه، ويكون مشغولا بالاحتراف والاكتساب عن طلب المُلك والرئاسة[٣].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج١٦ ص٣٧٤. (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج١٦ص٢٣٦.
(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص٣٩١.

و يكتب هذا الكاتب في موضع آخر من كتابه أيضاً: سألت علي بن الفارقيّ مدرّس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فِلمَ لمْ يدفعْ إليها أبوبكر فدك وهي عنده صادقة؟ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحُرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرد دعواها لجأت إليه غداً، وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء، لانه يكون قد اسجل على نفسه على أنها صادقة فيما تدعي كائناً ماكان من غير حاجة إلى بيّنة ولاشهود. وهذا كلام صحيح، وان كان أخرجه مخرج الدُعابة والهزل[١].

لقد بدأ منع بني الزهراء من فدك في عهد الخليفة الأول، وبعد ان قضى علي عليه السَّلام وتسلّم معاوية زمام الامر، وزع فدكاً بين ثلاثة هم: (مروان بن الحكم وعمرو بن عثمان، وابنه يزيد).

و لماولي الأمر «مروان» سيطر على فدك بصورة كاملة، ووهبها لابنه عبدالعزيز، واعطاها عبدالعزيز لولده «عمر بن عبدالعزيز»[٢].

و حيث انه كان حاكماً معتدل السيرة بين خلفاء بني أُمية لهذا فان أول بدعة أزاحها كان هو اعادة فدك إلى بني فاطمة، ثم انتزعها الخلفاء الذين توالوا بعده من ايدي بني هاشم، وكانت بأيديهم حتى يوم انقرضت فيه حكومة الامويين.

وقد اضطرب أمر فدك اضطراباً عجيباً ايام الخلافة العباسية، فلما ولي أبوالعباس السفاح ردّها على عبدالله بن الحسن بن الحسن، ثم قبضها ابوجعفر من بني حسن، ثم ردّها محمَّد المهدي ابنه، على وُلد فاطمة عليها السَّلام، ثم قبضها موسى الهادي بن المهدي وهارون أخوه، لاسباب سياسية خاصة، حتى وصل الدور إلى المأمون فردها على الفاطميين اصحابها الشرعيين ضمن تشريفات

---

(١) شرح ابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢٨٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد: ج١٦ ص٢٧٨.

خاصة و بصورة رسمية.

ثم اضطرب امر فدك من بعده أيضاً فربما سُلِبَت من أصحابها وربما رُدَّت إليهم. وهكذا تراوحت بين السلب والرد.

ولقد استغِلّت فدك في عهد الامويين والعباسيين في أغراض سياسية بحتة قبل أن تُستغَلّ في أغراض اقتصادية.

فلقد كان الخلفاء في صدر الاسلام يحتاجون إلى عائدات فدك المالية، مضافا إلى انهم انتزعوها من يد عليّ لغرض سياسي ولكن في العصور المتأخرة عن ذلك كثرت ثروة الخلفاء وزادت زيادة هائلة بحيث لم يكونوا بحاجة إلى عائدات فدك ، ولهذا فان عمر بن عبدالعزيز لما أعاد فدكاً إلى بني فاطمة احتج عليه بنو أُمية واعترضوا قائلين: هجَّنت فعل الشيخين، وإن أبيت إلّا هذا فامسك الأصل وأقسم الغلَّة[١].

فدك في محكمة التاريخ:

إن دراسة وتقييم ملَفّ «فدك» تثبت بوضوح أن منع ابنة رسول الله صلّى الله عليه وآله من حقها المشروع كان عملاً سياسياً بحتاً، أي إنه ما كان يستند إلى أي مبرر شرعي مطلقاً، وان المسألة كانت أوضح من أن تخفى على خليفة العصر.

وقد أوضحت الصديقة الطاهرة **فاطمة** الزهراء عليها السَّلام هذه الحقيقة في خطابها الساخن البليغ اذ قالت:

هذا كتابُ الله حكماً عَدلا وناطقاً فصلاً يقوُل: وَ يرثُني وَ يَرثُ مِن آل يَعْقُوبَ[٢] وَ وَرثَ سليمانُ داوُد[٣] وبيّن عزّوجلّ في ماوزّع من الأقساط وشرع من الفرائض والميراث»[٤].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد: ج١٦ ص٢٧٨.

(٢) مريم: ٦.

(٣) النمل: ١٦.

(٤) الاحتجاج للطبرسي: ج١ ص١٤٥.

إن البحث حول دلالة الآيتين على وراثة أبناء النبيّ صلّى الله عليه وآله عنه، والحديث الذي رواه الخليفة وحده يوجب اطالة الكلام، وفي امكان من يحبّ التوسع ان يراجع كتب التفسير المفصلة.

السيطرة على وادي القُرى:

ان النبي صلّى الله عليه وآله لم يضع نهاية لنشاط القوى المضادة للاسلام في هذه المنطقه (خيبر) فقط بل رأى ان يتوجه الى وادي القرى التي كان يشكل مركزاً آخر من مراكز اليهود. فحاصر بنفسه حصونهم عدة أيام، حتى فتحها، ثم عقد بعد الفتح معاهدة مع أهلها على غرار معاهدة «خيبر».

و بهذا طهرت أرضُ الحجاز من فتنة اليهود الاوغاد، وقد جُرِّدوا من اسلحتهم ووضعوا تحت حماية المسلمين ومراقبتهم الدقيقة[1].

---

(١) الكامل في التاريخ: ج٢ ص١٥٠.

٤٦

عمرة القضاء[١]

كان يحق للمسلمين بعد التوقيع على معاهدة صلح الحديبية أن يدخلوا بعد عام واحد من تاريخ يوم التوقيع مكة، ثم يغادروها بعد ثلاثة ايام يقيمون فيها شعائر العمرة وكان عليهم بموجب الاتفاق أن لا يحملوا معهم إلّا سلاح الراكب: السيف في القرب، ليس غير.

و الآن مضى عام واحد على يوم التوقيع على المعاهدة المذكورة، وآن الاوان ليستفيد المسلمون من هذه المادة في تلك الاتفاقية، وان يتوجه المسلمون المهاجرون الذين مضى عليهم سبعة أعوام ابتعدوا فيها عن بيوتهم ووطنهم ومسقط رؤوسهم، ورجّحوا الحياة في الغربة، وتحمل متاعبها على العيش في الوطن للمحافظة على عقيدة التوحيد.

يتوجه مثل هؤلاء مرة أُخرى إلى زيارة بيت الله الحرام ولقاء الاحباب والأقرباء وتفقّد المنازل والبيوت التي ولدوا فيها وترعرعوا في رحابها.

---

(١) العمرة أعمال خاصة ومناسك معينة يمكن للمرء الاتيان بها طوال اشهر السنة على العكس من أعمال الحج التي يجب أداؤها فقط في شهر ذي الحجة وقد توجه رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى مكة في يوم الاثنين السادس من شهر ذي القعدة من السنة الهجرية السابعة. وسميت هذه العمرة عمرة القضاء لانها كانت بدلاً عن العمرة التي منع النبيّ والمسلمون عنها في عام الحديبية.

ولهذا عندما أعلن رسول الله صلّى الله عليه وآله بان يستعد من حُرِمَ من العمرة في العام الماضي للعمرة، دب شوق عجيب في نفوس المسلمين، واغرورقت دموع الفرح في عيونهم، فخرج مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ألفا شخص بدل ألف وثلاثمائة وهم عدد الذين خرجوا معه في السنة الماضية.

و كان بين الخارجين مع رسول الله صلّى الله عليه وآله جمع كبير من شخصيات المهاجرين والانصار البارزة الذين كانوا يلازمون رسول الله صلّى الله عليه وآله طول سيره ملازمة الظل لصاحب الظل.

وساق رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في هذه العمرة ستين بدنة وقد قلّدها[1]، وأحرم من مسجد المدينة واتبعه الآخرون، وخرج ألفان وهم يلبّون مرتدين أثواب الاحرام يقصدون مكة.

ولقد كان هذا الموكب العظيم من الجلال والمغزى المعنوي بحيث لفت نظر الكثير من المشركين إلى حقيقة الاسلام ومعنويته الرائعة.

ولو قلنا: ان هذا السفر كان ـ في حقيقته ـ سفراً تبليغياً، وان المشتركين فيه كانوا ـ في حقيقة الامر ـ طلائع التبليغ والدعوة لماقلنا جزافاً، فان آثار هذا السفر المعنوى ظهرت للتو فقد انبهر بمنظر سلوكهم وعبادتهم ونظامهم الدُ أعداء الاسلام أمثال «خالد بن الوليد» بطل معركة أُحد وعمرو بن العاص داهية العرب فرغبوا في الاسلام، وأسلموا بعد قليل.

و حيث ان رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يكن آمناً من غدر قريش فقد كان يحتمل أن يباغتوه ويباغتوا أصحابه في أرض مكة، ويسفكوا دماء جماعة

---

(١) البَدنة الناقة تنحر بمكة والجمع بُدْن وتقليد البدنة أن يجعل في عنقها نعلاً فيُعلَم أنها هديٌ.

٤٣٢ ـــــــ

ففتحت أبواب مكة في وجه المسلمين، وخرج رؤوس المشركين وأهلوهم ومن تبعهم الى رؤوس الجبال، وخلّوا مكة، وقالوا: لاننظر إلى محمَّد ولا إلى اصحابه، ولكنهم كانوا يراقبون المشهد من بعيد!![1]

النبي يدخل مكة:

دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو على راحلته القصواء وأصحابه متوشحوا السيوف محدقون به يلبّون وهم ألفان، فدوّى صوتهم الموحَّد بالتلبية في أرجاء مكة، وكانت نغمة هذه التلبية الكبرى من الجلال والجمال بحيث بهرت كل سكان مكة، وسحرت قلوبهم وعطفها نحو المسلمين، وفي نفس الوقت أرعب إتحاد المسلمين، ونظامهم، والتفافهم حول النبي قلوب المشركين، ولم يقطع رسول الله صلّى الله عليه وآله تلبيته حتى استلم الركن.

فلما انتهى رسول الله صلّى الله عليه وآله الى البيت وهو على راحلته وابن رواحة آخذ بزمامها وقد صف له المسلمون حين دنا من الركن حتى انتهى اليه، استلم الركن بمحجنه مضطبعاً بثوبه على راحلته انشد عبدالله بن رواحة يقول:

خَلُّوا بَني الكفّار عَنْ سبِيله ... إني شهدتُ أنه رسولُه
حقاً وكلُ الخير في سبيله ... نحن قتلناكم على تأويله
كما ضَربناكم على تنزيله ... ضرباً يُزيل الهام عن مقيله
ويذهلُ الخليل عن خليله[2]

و طاف رسول الله صلّى الله عليه وآله بالبيت المعظم على راحلته، وهنا أمر

---

(١) امتاع الاسماع: ج١ ص٣٣٧ و ٣٣٨.

(٢) زاد المعاد: ج٢ ص١٥٢.

٤٣٤ ـــــــ

ذلك من عذاب روحي شديد.

ثم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله حين أراد السعي بين الصفا والمروة سمع بأن قريشاً تحدثت بينها أن محمّداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة، وان الذين هاجروا معه الى المدينة مرضى، وأنهم صفّوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه، فهرول رسول الله صلّى الله عليه وآله هرولة في المكان المعلّم الآن في المسعى، وتبعه المسلمين وقد قال لهم قبل ذلك.

«رحم الله امرء أراهم اليوم من نفسه قوة»[1].

و ذلك ليبطل ما اشاعته قريش حول المسلمين المهاجرين من الضعف والهزال بسبب ظروف المهجر. وهذا إن دل على شيء فانما يدل على امرين:

أولاً: جواز القيام بالأعمال السياسية في موسم الحج.

ثانياً: ان النبي صلّى الله عليه وآله كان حذراً جداً فكان يبطل كل خطط العدو أولاً بأول.

يقول صاحب زاد المعاد: أمر النبي بذلك ليرى المشركون جلدهم وقوتهم، وكان يكايدهم (أي يبطل كيدهم) بكل مااستطاع[2].

ثم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد أن فرغ من السعي نحر البدن، ثم قصّر من شعره، ثم خرج من إحرامه، وتبعه المسلمون في كلّ مافعل.

ثم أمر صلّى الله عليه وآله مائتين من أصحابه بعد أن طافوا بالبيت وانتهوا من مناسك العمرة ان يذهبوا إلى أصحابه بمرّ الظهران فيقيموا على السلاح فيأتي الآخرون فيقضوا مناسكهم، ففعلوا.

إنتهت أعمال العمرة ونسكها، وذهب المهاجرون إلى منازلهم التي هجروها قبل سبعة أعوام، ليجدّدوا اللقاء بذويهم وأقربائهم بعد طول فراق، واستضافوا

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٣٠٩ وراجع نظيره في زاد المعاد: ج٢ ص١٥٢.

(٢) زاد المعاد: ج٢ ص١٥٢. ولنا مقال مفصل في هذا المجال تحت عنوان الحج عبادة وسياسة نشر في مجلة الشهيد فراجع.

٤٣٦ ـــــــ

صلّى الله عليه وآله لما طلب من مبعوث قريش بأن يمهلوه بعض الوقت ليعرس بين أظهرهم، ويصنع لهم طعاماً يحضروه، أبوا امهاله خوفاً من تعاظم تأثيره في النفوس، وقالوا له: لاحاجة لنا في طعامك فاخرج عنا[١].

فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يخرج المسلمون من مكة في منتصف النهار ولم يبق بمكة إلى وقت الظهر، وخلّف ابارافع ليحمل إليه زوجته «ميمونة» حين يمسي، فأقام أبو رافع حتى أمسى، فخرج بميمونة ومن معها فلقوا عناء من سفهاء المشركين، ولاموا «ميمونة» على فعلها، ولكن كلامهم لم يؤثر قط في نفسها، فقد رغبت في الزواج برسول الله صلّى الله عليه وآله بدافع الرغبة في خلقِه وسموّ أخلاقه.

و هكذا تحققت رؤيا رسول الله صلّى الله عليه وآله الصادقة التي رآها قبل سنة واحدة بأنه دخل البيت، وحلق راسه، ونزلت بعد هذه الوقائع الآية ٢٧ من سورة الفتح تتحدث عن تحقق هذا الوعد حيث أخبرت ضمناً عن فتح قريب، ـهو فتح مكةـ الذي تحقق في السنة الثامنة من الهجرة اذ يقول سبحانه:

«لقدصدق الله رسولَه الرؤيا بالحق لَتدخُلُنّ المَسجدَ الحَرامَ إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسَكُمْ وَ مُقصّرين لاتخافُونَ فَعَلمَ مالَمْ تَعْلَمُوا فَجعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتحاً قريباً»[٢].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٧٢ ، تاريخ الخميس: ج٢ ص٦٢ ـ ٦٥.

(٢) الفتح: ٢٧.

٤٧
معركة مؤتة

انقضت السنة الهجرية السابعة، واستطاع المسلمون بفضل معاهدة صلح الحديبية ان يزوروا معاً بيت‌الله المعظم ويعتمروا في أمان، ويردّدوا في مركز حكومة الوثنيين شعارات قوية لصالح عقيدتهم التوحيدية إلى درجة انهم استطاعوا ان يستميلوا نحو الاسلام قلوب جماعة من سراة قريش وزعماء المشركين امثال «خالد بن الوليد»، «وعمرو بن العاص»[1] و «عثمان بن طلحة»، فلم يلبثوا أن جاؤوا طائعين راغبين الى المدينة، واعتنقوا الاسلام وقطعوا علاقاتهم بحكومة مكة الوثنية المشركة التي لم يبق منها إلّا جسم من دون روح، وهيكل من دون حياة[2].

و ذكر بعض المؤرخين اسلام خالد او ابن العاص في السنة الخامسة من الهجرة.

و لكن هذا غير صحيح قطعاً لأن «خالداً» كان يقود في الحديبية مائتين من فرسان قريش، ونحن نعلم أن اسلام هذين الرجلين تمّ في وقت واحد.

كان ثمت أمنٌ نسبيٌّ يسود اكثر مناطق الحجاز في أوائل السنة الثامنة، وكان نداء الاسلام قد وصل إلى اكثر النقاط ولم يبق من نفوذ اليهود شيء، ولم

---

(١) لقد ذكر الواقدي في مغازيه: ج٢ ص٧٤٣ و٧٤٥ علة اسلام عمرو بصورة أُخرى.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج٤ ص٢٥٢ - ٢٦١.

تعد قريشٌ تهدّد المسلمين من ناحية الجنوب، ولهذا فكر رسول الله صلّى الله عليه وآله في أن يركز دعوته على سُكان المناطق الحدودية للشام، ويستميل الى الاسلام قلوب أُولئك الاقوام التي كانت في تلك الايام تعاني من ظلم السلطات الروميّة.

ولهذا الغرض وجّه «حارث بن عمير الازدي» مع كتاب إلى «الحارث بن أبي شمر الغساني» ملك «بصرى» الذي كان حاكم الشامات المطلق يومذاك، وكان يحكم من جانب قيصر.

فلما نزل مبعوث النبي «مؤتة» عرف به شرحبيل وكان حاكم المناطق الحدودية، فقبض عليه، وحقق معه، فاعترف له بانه يحمل كتاباً من جانب رسول الاسلام إلى حاكم الشامات المطلق (الحارث الغساني)، فأمر بان يُوثق وقدمه وضرب عنقه صبراً مخالفاً بذلك كل الأعراف العالمية القاضية باحترام السفراء وحصانتهم.

فعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك و غضب لمقتل رسوله بشدّة وندب الناس فأخبرهم بمقتل سفيره و من قتله، ودعا المقاتلين المسلمين الى الخروج للاقتصاص من قاتل «الحارث».

حادثة أفجع من السابقة:

واتفق أن وقعت في نفس الايام حادثة أُخرى افجع من الأولى، أكّدت عزم رسول الله صلّى الله عليه وآله على تأديب سكان المناطق الحدودية الشامية الذين سلبوا دعاة الاسلام حرية العمل والدعوة، وقتلوا دون رحمة، وعذراً سفير النبي، وجماعة الدعوة والتبليغ واليك مفصل الحادثة الثانية:

بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في شهر ربيع الاول سنة ثمان من الهجرة على رأس خمسة عشر رجلاً إلى منطقة «ذات أطلاح» من ارض الشام، خلف وادي القرى لدعوة الناس الى الاسلام، فخرجوا حتى انتهوا إلى تلك

٤٤٠ ـــــــ

ولكن ابن رواحة أجابهم قائلاً:

لكنّني أسأل الرحمان مغفرة وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدي حرّان مجهزة بحربة تنفذُ الاحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مرّوا على جدثي يا أرْشَد الله من غاز وقدرشدا[1].

وانت أيها القارئ الكريم يمكنك أن تعرف من خلال هذه الابيات عمق ايمان هذا الفارس القائد وحبه للشهادة في سبيل الله.

ثم ان الناس رأوا عبدالله بن رواحة لما ودع من ودع بكى، فقالوا ما يبكيك يا ابن رواحة؟ فقال: أما والله مابي حبُ الدنيا، ولا صبابةٌ بكم ولكني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقرأ آية من كتاب الله عزّوجلّ يذكر فيها النار:

«وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلّا وَارِدُها كانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً»[2].

فلست أدري كيف لي بالصدور بعد الوُرود[3].

خلافٌ حول من هو الامير الاول؟

لقد كتب بعض المؤرخين: أن الامير الاول كان هو زيد بن حارثة ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله بالتبني، ثم جعفر بن أبي طالب، ثم عبدالله بن رواحة، ولكن محققي الشيعة يرون عكس هذا فهم يعتبرون جعفر بن أبي طالب قائد الجيش وزيداً وعبدالله معاونين أو خليفتين له على الترتيب فيجب ان نرى أي الرأي يوافق الحقيقة.

لتحصيل الحقيقة في هذا المجال هناك طريقان:

١ ـ ان زيد بن حارثة لم يكن يعادل من ناحية التقوى والعلم والمكانة

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص٦٠، الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٢٨.

(٢) مريم: ٧١.

(٣) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٧٤.

الاجتماعية جعفر بن أبي طالب (جعفر الطيار).

يقول ابن الاثير عنه: جعفر بن أبي طالب كان اشبه الناس برسول الله صلّى الله عليه وآله خَلقاً وخُلقاً، أسلم بعد إسلام أخيه عليّ بقليل. روي أن أباطالب رأى النبي صلّى الله عليه وسلّم وعلياً رضي الله عنه يصليان وعليٌّ عن يمينه، فقال لجعفر: صِلْ جناح ابن عمك وصلٌ عن يساره[1].

وجعفر رأس المهاجرين إلى الحبشة الذين هاجروا اليها حفاظاً على دينهم وعقيدتهم من الفتنة وهو الذي استمال قلب النجاشي بماتكلم به عنده من الحجة وقرأ عليه آيات من القرآن عن المسيح عليه السَّلام وأُمه مريم، واثبت كذب مبعوثي قريش لاستعادتهم إلى ارض الحجاز، وهو الذي وُفقَ لأن يخطب ودَّ النجاشي ويكسب حمايته للمهاجرين الملاحقين إلى درجة أنه طرد مندوبي قريش[2].

ان جعفراً هو الشخصية البارزة التي لما رآه رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم خيبر وقد عاد من الحبشة مشى إليه (١٢) خطوة وعانقه وضمه وقبّل مابين عينيه وبكى من فرط الشوق اليه وقال في حقه:

«بايهما اسرّ بقدوم جعفر ام بفتح خيبر».

إنه هو ذلك الرجل العظيم الذي كان يذكر عليٌّ عليه السَّلام، بعد استشهاده شجاعته وبسالته، فعندما سمع عليّ عليه السَّلام بمبايعة عمرو بن العاص لمعاوية، وتقرّر أن يوكل معاوية حكومة مصر إلى عمرو إذا غلبا علياً، غضب عليّ عليه السَّلام من هذا الامر وتذكر شجاعة عمّه حمزة وأخيه جعفر وقال:

لو أنّ عندي يابن حرب جعفرا او حمزة القرم الهمام الازهرا

---

(١) اسدالغابة: ج١ ص٢٨٧.

(٢) اسدالغابة: ترجمة جعفر بن أبي طالب، وغيره من المصادر في هذا المجال.

رأت قريشٌ نجمَ ليل ظُهُرا[١].

فهل مع هذه المواصفات والجهات التي نقلنا قسماً منها هنا فقط يجيز العقل أن يفوّض رسولُ الله صلّى الله عليه وآله قيادة القوات إلى زيد ويجعل جعفر معاونه او خليفته الاول.

٢ ـ ان الأشعار التي انشدها شعراء الاسلام الافذاذ في رثاء هؤلاء القادة بعد استشهادهم حاكية عن ان القائد الاعلىٰ في هذه المعركة الكبرى (مؤتة) كان «جعفر» وكان أمر المعاونة والخلافة يرتبط بالرجلين الآخرين، فهذا «حسان» شاعر عصر الرسالة انشد شعراً بعد أن بلغهُ استشهاد أُولئك القادة بصورته المفجعة قال فيه:

فلايبعدنَ الله قتلى تتابعوا بمؤتة منهم ذوالجناحين جعفر
وزيدٌ وعبدالله حين تتابعوا جميعاً وأسباب المنية تخطر[٢]

فكلمة تتابعوا تشهد بجلاء على أن مقتل هؤلاء القادة الذين ذكرهم تمَّ على النحو الذي جاء ذكرهم، يعنى أن جعفراً كان اول الشهداء ثم تلاه في قيادة الجيش الاسلامي ثم الشهادة زيدٌ، ثم ابن رواحة.

وان اوضح الادلة على ذلك قصيدة «كعب بن مالك» في رثاء شهداء مؤتة، التى يصرح فيهابان جعفر كان هو القائد الأول، وقد كان صاحب هذه الأبيات ممن شاهد تفويض أمر القيادة العليا للجيش من جانب رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى جعفر.

يقول كعب في قصيدته:

إذ يهتدون بجعفر ولوائه قُدّام أوّلهم فنعم الأولُ[٣]

إن هذه القصائد الرثائية التي أُنشدت في أعقاب استشهاد أُولئك القادة، وسلمت من يد التحريف اقوى شاهد على ان ماكتبه مؤرّخو السنّة حول هذا

---

(١) وقعة صفين: ص٤٩. (٢) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٨٤. (٣) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٨٦.

المطلب يخالف الحقيقة، وأن الرواة اختلقوا هذا الترتيب لدوافع وأغراض سياسية لامجال لذكرها، وبيانها هنا، وقد تبعهم في ذلك كُتّاب السيرة وادرجوه في كتبهم من دون تمحيص وتحقيق.

والعجب أن ابن هشام الذي نقل كل هذه الابيات والقصائد قال: ان جعفر كان المعاون الأول لزيد بن حارثة، وليس القائد الأعلى للجيش، وهو كماترى تناقض مكشوف[١].

جيشا الروم والاسلام يتواجهان:

كانت «الروم» قد أُصيبت يومذاك ـ نتيجة الحروب العديدة والطويلة مع منافستها ايران ـ بالفوضى، والهرج والمرج الشديدين.

فمع ان قادة الروم كانوا سكارى من نشوة الانتصار على ايران إلّا أنهم قد بلغهم شيء كثير عن شجاعة المسلمين وبسالتهم النابعة من إيمانهم والتي كسبوا عن طريقها أمجاداً عظيمة، وكانوا يراقبون على الدوام تحرك جنود الاسلام ونشاطاتهم العسكرية.

و لهذا لما بلغ هرقل قيصر الروم بموعد توجه جنود الاسلام الى ناحيةالشام لتاديب عميله شرحبيل الغساني، أرسل جيشاً عظيماً وقوياً لمواجهة جنود الاسلام البالغ عددُهم ثلاثة آلاف.

و قد اعدّ «شرحبيل» حاكم ارض الشام وحده مائة ألف فارس من مختلف القبائل القاطنة في الاراضي الشامية ووجهه الى حدود الشام لايقاف تقدم الجيش الاسلامي، وقد أعدّ قيصر قبل ذلك مائة ألف جندي رومي فنزل في منطقة تدعى «مآب» من مدن البلقاء، وأستقرّ هناك كقوة احتياطيّة تتدخل عند اللزوم[٢].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٨٠.

(٢) المغازي: ج٢ ص٧٦٠، السيرة النبوية: ج٢ ص٣٧٥.

و لقد كان تجميع هذا القدر الهائل من الجنود والمقاتلين لمواجهة جيش يقلّ عدداً بكثير عن هذا القدر نابعاً من الانباء التي بلغت قادة الروم والشام عن فتوحات المسلمين وانتصاراتهم الساحقة، وعن الوقوف على شجاعتهم وبسالتهم التي ذاع صيتُها، وإلّا فان عشر هذا العدد، (أي عشرون ألف) يكفي لمواجهة ثلاثة آلاف مقاتل مهما كانت شجاعة هؤلاء.

كما أنه لدى المقارنة بين العسكرين كان الجيش الاسلامي أضعف من جيش الروم بكثير، سواء من ناحية العتاد، أو من ناحية المعرفة بفنون القتال وتكتيكاته العسكرية، لان القادة العسكريين الروم كانوا قد كسبوا خبرة حربية واسعة نتيجة المشاركة في الحروب العديدة والطويلة التي دارت بين الروم وبين ايران، وعرفوا بالتالي مفاتيح الانتصار، بينما كانت معلومات الجيش الاسلامي الناشئ معلومات بدائية وبسيطة في هذا المجال.

هذا مضافاً إلى عدم وجود التكافؤ بين الجيش الاسلامي والجيش الروماني في نوعية المعدّات الحربية والاجهزة القتالية ووسائل النقل وماشابه ذلك.

وفوق هذا و ذلك فان القوّة الاسلامية كانت تحارب في أرض غريبة عليها، وتقوم بدور المهاجم، بينما كان الرومان يقاتلون في بلادهم دفاعاً وهم يتمتعون بجميع مستلزمات القتال ومتطلبات الحرب.

و في مثل هذه الحالة يجب ان تكون القوة المهاجمة قوية جداً، بحيث يمكنها ملافاة سلبيات الظروف غير المساعدة.

و مع هذا فأننا سنرى عما قريب كيف أن قادة الجيش الاسلامي قاوموا وآثروا الصمود والقتال على الهروب والفرار مع انهم كانوا يرون الموت على بعد أقدام معدودة منهم، وبهذا أضافوا إلى أمجادهم أمجاداً أُخرى، وسطروا اسطراً أُخرى في سجلّ بطولاتهم.

منذ أن ورد المسلمون المناطق الحدودية للشام عرفوا باستعدادات العدوّ العريضة، وحجم قدراته العسكرية الواسع فشكّلوا من فورهم شورىٰ عسكرية

فقال البعض: نكتب الى رسول الله صلّى الله عليه وآله فنخبره الخبر، فإما يردنا وإما يزيدنا رجالاً. وكاد هذا الرأى ان يلقى قبولاً من المشاورين الاخرين لولا أن «عبدالله بن رواحة» الذي طلب ساعة خروجه من المدينة من الله ان يرزقه الشهادة كما اسلفنا، شجعهم على الصمود وقال: «والله ماكنا نقاتل الناس بكثرة عدد، ولابكثرة سلاح، ولابكثرة خيول، إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، انطلقوا، والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلّا فرَسانُ، ويوم أُحد فرسٌ واحد، وإنما هي إحدى الحسنيين، إما ظهورٌ عليهم، فذلك ماوعدنا الله ووعدنا نبينا، وليس لوعده خُلف، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم في الجنان».

فقوّت هذه الخطبة الحماسية الصادقة معنويات المقاتلين المسلمين وبثت فيهم روح البسالة والمقاومة.

ثم تواجه الجيشان في منطقة تدعىٰ «مشارف» ولكن جنود الاسلام تأخروا وانسحبوا قليلاً لبعض العلل، ونزلوا في مؤتة. فقسم جعفر بن أبي طالب قائد الجيش، جنود الاسلام إلى اقسام: مختلفة، وأمَّر على كل قسم اميراً، ثم بدأت المبارزة الفردية على نحو ماكان متعارفاً في حروب العرب، فكان على جعفر ان ياخذ اللواء بيده ويوجّه صفوف المقاتلين المسلمين، ويقاتل في نفس الوقت.

ثم اننا نكتشف مدى الشجاعة الروحية وثبات الارادة لتحقيق الهدف من خلال الرجز الذي أنشده «جعفر» خلال القتال فقد أخذ يرتجز ويقول:

يا حبّذا الجنة واقترابُها ... طيبة وبارداً شرابُها

والروم رومٌ قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابُها

عليَّ إذ لا قيتُها ضِرابُها[1]

ولقد قاتل قائد الجيش الاعلى (جعفر) قتالاً عظيماً، فلما حاصره الأعداء في ساحة القتال وأيقن بالشهادة وثب الى الارض ثمّ عقر فرسه في الحال لكي

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٧٨.

لاينتفع به العدوُّ واخذ يقاتل، وهو آخذ باللواء بيمينه، فقطعت يمينهُ فاخذه بشماله فقطعت فاحتضنه بعضُديه حتى لايسقط لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله على الأرض حتى قتل وقد وُجِدَ به ثمانون جراحة او تزيد!![1].

فلما قتِل «جعفر» أخذ الراية «زيدُ بن حارثة» معاونه الاول فقاتل ببسالة عظيمة حتى قتل برماح القوم.

فاخذ الراية «عبدالله بن رواحة» معاونه الثاني، ثم تقدّم بها و هو على فرسه، فجعل يقاتل ويرتجز، فاحسّ بالجوع أثناء القتال، والحّ عليه، فاتاه رجل بعرق من لحم ليزيل به جوعه ويشدُّ به صُلبَه، فلم يأكل منه شيئاً حتى سمع صوت هجوم العدوّ، فالقى الطعام من يده، ثم أخذ سيفه فتقدم فقاتل حتى قُتِل.

حيرة المقاتلين المسلمين بعد مقتل القادة:

و هنا بدأت حيرة المقاتلين المسلمين، فقد قُتِلَ القائد الأعلى للجيش ومعاوناه وعلى الترتيب الذي ذكر.

و لكن النبي صلّى الله عليه وآله كان قد تحسّب لهذه الحالة، وترك أمر اختيار القائد في مثل هذا الوضع إلى الجنود انفسهم، فأخذ الراية «ثابت بن أقرم» وقال: يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم. فقالوا: انت، قال: ما أنا بفاعل، فاصطلِحَ على «خالد بن الوليد» الذي كان حديث عهد بالاسلام آنذاك .

و لقد كانت الساعة التي انيط فيها القيادة الى خالد ساعة خطيرة وحساسة جداً، حيث قد تغلّب الخوف والرعب على المسلمين كافة.

فعمد القائد الجديد إلى استخدام تكتيك عسكري لم يعرف له مثيل، فقد

---

(١) المغازي: ج٢ ص٧٦١. وقد اثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما في الجنة وسمى في مابعد بجعفر الطيار، راجع السيرة النبوية: ج٢ ص٣٧٨.

امر بالعسكر إذا جنّ الليل أن يحدث بعض التغييرات في صفوفه من دون ضجيج فتنتقل الميسرة الى الميمنة، والميمنة الى الميسرة، وتتأخر المقدمة الى مكان القلب، ويتقدم القلب الى موضع المقدمة. ففعل المسلمون ذلك ،واستمرّت هذه التغييرات حتى طلوع الفجر.

كما أنه امر جماعة من المسلمين المقاتلين أن يخرجوا من الجيش ليلاً، ويذهبوا إلى مكان بعيد فاذا اسفر الصبح التحقوا بالمسلمين سريعاً وهم يكبّرون **حتى يظن العدوّ وصول امدادات عسكرية** بشرية جديدة الى المقاتلين المسلمين. وقد تسبب هذا التكتيك بنفسه في أن يحجم الجيش الكافر عن مهاجمة المسلمين واستئصالهم، بعد ان قتل خيرة قادتهم.

فلما كان الصبح ورأى العدو وجوها جديدة، كما رأوا إمداد المسلمين بمجموعة عسكرية جديدة قالوا: قَدجاءهم مدد. فرعبوا وانهزموا فقاتلهم المسلمون، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقُتِل في هذا الا ثناء أحدُ الجنود المسلمين.

ثم ساد الموقف صمتٌ رهيبٌ، فاستفاد من هذا الصمت والأمن الذي كان يخيم على الجيش فرجعوا من حيث أتوا.

إن اكبر انتصار للمسلمين هو ان قوة قليلة محدودة واجهت جيشاً عظيماً منظماً ثلا ثة أيام، وبالتالي نجوا بأنفسهم، وكان تدبير الامر الجديد تدبيراً حكيماً خلّص المسلمين من موت محتم، فعادوا سالمين إلى المدينة، وكان هذا ممّا يشكَرون عليه، ويستحقون الثناء والثناء[1].

الجنود يعودون الى المدينة:

و قبل ان يقدم جنود الاسلام من «مؤتة» المدينة كانت قد وصلت إلى المسلمين أنباء انسحابهم وانباء سيئة عن وضع الجيش، من هنا ذهب المسلمون الى

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٨١ و٣٨٨ و٣٨٩.

منطقة الجرف لاستقبالهم.

و مع ان عمل القائد الجديد كان تكتيكاً حكيماً الّا ان مثل هذا الصنيع حيث انه كان يتنافى مع ماحققه المسلمون من أمجاد مشرقة وتنافي مشاعرهم وبسالتهم الذاتية والاصيلة لذلك استقبلوهم بشعارات نابية وانتقادات جارحة والقوا بالتراب والحجارة في وجوه المقاتلين العائدين، وقالوا: يافُرّار، فررتم في سبيل الله؟

و قد كانت ردة فعل بعض المسلمين قويّة جداً الى درجة انه اضطر بعض الشخصيات التي شاركت في تلك المعركة إلى ان يقعد في بيته، ولايظهر في الملأ، فكان الناس -إذا خرجوا- **يشيرون** اليهم بالاصابع ويقولون: ألا تقدمت مع أصحابك ؟[1].

و لقد كانت ردة فعل المسلمين تجاه عملية انسحاب جنود الاسلام الزكية، كاشفة عن روح الشهامة والجهاد التي أوجدها الايمان بالله والايمان بيوم القيامة في نفوسهم بحيث **صاروا** يعدّون القتل والشهادة في سبيل الله، أفضل من الانسحاب والتأخر.

أسطورة بدل التاريخ الصحيح:

حيث إن الامام علي بن أبي طالب عليه السَّلام قد اشتهر بين المسلمين بأسدالله، لذلك أراد البعض أن ينحتوا اتجاه هذا القائد قائداً آخر، ويمنحونه لقب سيف الله، ولم يكن ذلك إلّا خالد بن الوليد من هنا قالوا ان رسول الله صلّى الله عليه وآله لقب خالد بن الوليد بعد رجوعه من معركة «مؤتة» بسيف الله[2]

ولو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله منح مثل هذا اللقب لخالد في مناسبة

---

(١) المغازي: ج٢ ص٧٦٥.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٨٢، السيرة الحلبية: ج٢ ص٧٩.

٤٥٠ ـــــــ

ولكي تعرف زوجته اسماء بنت عميس بمصرع زوجها دخل عليها، فقال لاسماء: ايتيني ببني جعفر.

فجاءت بهم إليه فضمّهم وشمهم، ثم ذرفت عيناه ثم بكى، فعرفت أسماء بمصرع زوجها فصاحت وبكتْ ثم خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى اهله وقال:

«لا تغفلُوا آلَ جَعْفَر مِنْ أن تَصْنَعوا لَهُمْ طَعاماً،فإنَّهُمْ قَد شغِلوابأمرصاحبهم».

و كان **كلما** تذكر جعفراً وزيد بن حارثة بكىٰ[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص٥٤، المغازي: ج٢ ص٧٦٦ والسيرة الحلبية: ج٣ ص٦٨، وامتاع الاسماع: ج١ ص٣٥١.

٤٨

غَزوَةُ ذات السَلاسِل

منذُ أن هاجرَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى المدينة، وأصبحت «المدينة» مركز الإسلام وقاعدته، وموضع تمركز المسلمين وعاصمتهم، ظلَّ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يراقب أوضاع أعداء الاسلام، ويرصد تحركاتهم، **ومؤامراتهم**، وكان يولي مسألة تحصيل المعلومات المفصَّلة عن المتآمرين من المشركين وغيرهم إهتماماً كبيراً، ويعمد دائماً إلى إختيار أفضل العناصر لإرسالهم -بمختلف الحجج- إلى نواحي مكة، وبثّهم في القبائل المشركة المختلفة لتجسس أخبارهم، والتعرف على نواياهم، وتدابيرهم.

ولقد استطاع النبيُ صلّى الله عليه وآله بفضل الاطّلاع المبكّر والدقيق على المؤامرات التي كانت تحاك ضدَّه أن يُفشِّلَ الكثير من خططهم.

فقد كان صلّى الله عليه وآله يباغت العدوّ، ويحاصره قبل أن يتحرك من مكانه، عن طريق المجموعات العسكرية التي كان يقودها بنفسه، أو التي كان يؤمِّر عليها أحد أركان جيشه ويوجّهها صوب مكان تجمع العدو، فيفرّقون جمعهم، ويشتتون شملهم، ويقضون على المؤامرة في مهدها، وبهذا كان الكيان الاسلامي في أمن من خطر الأعداء، وكان هذا العمل وهذا التدبير يجنّبُ الطرفين المزيد من إراقة الدماء، وإزهاق الإرواح.

إنَّ الاطّلاع المبكّر على أسرار العدوّ العسكرية، ومعرفة حجم طاقاته، ومبلغ إستعداداته، واكتشاف خططه، وتكتيكاته يُعدّ من العوامل الجوهرية، والمؤثرة في

الظفر والانتصار.

فللدّول الكبرىٰ اليوم أجهزةٌ طويلةٌ وعريضةٌ، وتشكيلاتٌ واسعةٌ، ومعقّدةٌ لإعداد وتخريج الجواسيس البارعين، وإرسالهم إلى النقاط والمراكز المطلوب اكتشاف أسرارها، والتعرف على أوضاعها وخصوصياتها، وترصد هذه الدول ميزانيات ضخمة لهذا الغرض[1].

و كان رسول الله صلّى الله عليه وآله أوّل من ابتكر في تاريخ الاسلام هذا العمل في صورته المنظّمة، وتبعه في ذلك الخلفاء الذين جاؤوا من بعده، وبخاصّة الامام أميرالمؤمنين علّي بن أبي‌طالب الذي كان يستعين بجواسيس وعيون كثيرين في مجالات مختلفة، عسكرية، وإدارية.

فكان عليه السّلام إذا نصبَ والياً على بلد، جعل عليه عيناً يراقب **أعماله** وتصرّفاته، ويخبر الإمام بها أوّلاً بأوّل، فكان الإمامُ يكتب إلى ذلك الوالي، ويوبّخه على تصرفاته وانحرافاته إن بلغَهُ شيءٌ من ذلك[2].

و لقد كلّفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في السنة الثانية ثمانية رجال من المهاجرين، بالتوجّه تحت إمرة «عبدالله بن جحش» إلى موضع معين، والنزول فيه، للتعرف على نشاطات قريش، ومؤامراتهم.

و قد كان عدم مفاجأة قريش للنبيّ صلّى الله عليه وآله في معركة «أُحُد» وخروجه المبكّر من المدينة بقواه، وجنوده، والنزول في منطقة مناسبة عسكرياً خارجها، وحفره المبكّر أيضاً للخندق المعروف في شمال المدينة، والذي منع العدو (جيش الأحزاب) من اقتحام المدينة المنوّرة، كل ذلك كان نابعاً من معرفة رسول الله صلّى الله عليه وآله المسبقة والدقيقة بأسرار العدوّ، ونواياه،

---

(١) راجع: كتاب: المخابرات والعالم وغيره.

(٢) راجع: نهج البلاغة قسم الرسائل والكتب، رقم ٣٣ و ٤٥ وكتاب الغارات.

هذا و قد بحثنا موضوع الاستخبارات والتجسس في النظام الاسلامي بصورة مسهبة في كتابنا: معالم الحكومة الاسلامية، فراجع.

٤٥٤ ـــــــ

«علي بن أبي طالب»!!

و يقول علي بن إبراهيم في تفسيره: «نزل جبرئيل على محمّد صلّى الله عليه وآله وأخبره بقصتهم، وماتعاقدوا عليه وتواثقوا»[١].

غير أنَّ شيخَ الشيعة ومحققهم الكبيرالمرحوم «الشيخ المفيد» (المتوفى عام ٤١٣هـ) يقول: بأنّ أعرابياً جاء إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله،وأخبره باجتماع قوم من العرب بوادي الرمل[٢] للتآمر عليه، وعلى الاسلام، (واضاف) بأنهم يعملون على أن يبيّتوه بالمدينة[٣].

فرأى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أن يُطلِعَ المسلمين على هذا الأمر، فأمر مؤذنه بان ينادي: الصلاة جامعة وهي جملة كان يراد منها اجتماع الناس للصلاة واستماع أمر مهمّ وذي بال.

فعلا مؤذن النبي صلّى الله عليه وآله مكاناً مرتفعاً ونادى: الصلاة جامعة، فسارع المسلمون إلى الاجتماع في مسجد النبي صلّى الله عليه وآله ثم رقىٰ النبيّ صلّى الله عليه وآله المنبر وقال في ماقال:

«أيُّها الناس، إنَّ هذا عَدوَّ الله وعدوّكم قد عمل على أن يبيّتكم فمَنْ لهمْ؟».

فانتدب جماعة أنفسهم لهذا الأمر، وأمّر عليهم النبيّ صلّى الله عليه وآله أبابكر، فتوجه أبوبكر بتلك المجموعة إلى قبيلة «بني سليم»، ولما سار بهم مسافة واجه أرضاً خشنة وكانت قبيلة «بني سليم» تسكن في شعب واسع، فلمّا أراد المقاتلون المسلمون ان ينحدروا إلى الشعب عارضهم بنوسليم وقاوموهم، فلم ير قائدالمجموعة بُدّاً من الانسحاب بمجموعته والرجوع بهم من حيث أتى!!

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم: ج٢ ص٣٣٤ سورة العاديات

(٢) يحتمل أنْ يكون وادى الرمل هو وادى اليابس نفسه. وذلك للمناسبة بين الوصفين.

(٣) الارشاد: ص٨٦.

٤٥٦ ـــــــ

الامامُ عليٌّ ينتدب لقيادة العملية:

هذه الهزائم المتلاحقة أزعجت المسلمين وأحزنتهم بشدة فعمد رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى تنظيم مجموعة جديدة واختار لقيادتها «عليَّ بن أبي طالب»، وأعطاه راية.

و طلب عليٌّ عليه السلام من زوجته «فاطمة» بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله أن تأتي له بالعصابة التي كان يشدّها على جبينه في اللحظات الصعبة، فتعصَّب بها، فحزنت «فاطمة» لمنظر زوجها وهو يتوجه بمثل هذه الصورة إلى «وادى اليابس» للقيام بأمر خطير، وبكت إشفاقاً عليه، فسلاّها رسول الله صلّى الله عليه وآله وهدّأها، ومسح الدموع عن عينيها[1].

ثم انّه صلّى الله عليه وآله شيّع علياً حتى بلغ معه مسجد الأحزاب، وعليّ راكب على فرسٍ أبلقٍ، وقد لبس بردين يمانيّين، وحمل رمحاً هندياً بيده.

ثم توجّه علي عليه السلام بأفراده نحو الهدف، إلاّ أنه سلك طريقاً غير الطريق المعروفة ليعمّي على العدو، حتى أن الذين خرجوا معه تصوّروا أنه يقصد العراق، وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في علي عليه السلام حينما وجّهه لهذه المهمة:

«أرسلتُه كراراً غير فرّار».

إن تخصيص «عليّ» عليه السَّلام بهذه الجملة يكشف عن أن القادة الذين سبقوه في هذه الحادثة لم ينسحبوا فقط، بل كان انسحابهم مقروناً بالهزيمة القبيحة.

* * *

عوامل انتصار الامام عليّ في هذه الموقعة:

هذا و يمكن أن نلخّص عوامل انتصار الامام عليّ عليه السَّلام في هذه الموقعة

---

(١) بحارالأنوار: ج٢١ ص٨١، الارشاد: ص٨٧.

٤٥٨ ـــــــ

و ما أن وقعت عينا القائد الفاتح على رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى ترجّل من فرسه فوراً، فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو يربت على كتفه:

«إركبْ فانَّ الله و رسوله عنك راضيان».

و في هذه اللحظة بالذات اغرورقت عينا «عليّ» عليه السَّلام بالدموع استبشاراً فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله في شأن «عليّ» عليه السَّلام قولته المعروفة:

«يا عليّ لَولا أَنّي أُشفقُ أن تقولَ فيك طوائف مِنْ أُمتي ماقالت النصارىٰ في المسيح لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملأ من الناس إلّا أخذوا التراب من تحت قدميك»[1].

و لقد بلغت تضحية «عليّ» عليه السَّلام وبسالته، وشجاعته في هذه الواقعة من الأهمية بحيث نزلت فيها سورة كاملة هي سورة العاديات التي يقول سبحانه فيها:

بِسْم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضَبْحاً فالمُوريات قَدْحاً فالمُغيراتِ صُبْحاً فأثرَنَ بهِ نقعاً فوسطن به جمعاً».

إن القسَم بخيول الغزاة المغيرين صبحاً، والمشعلين بحوافرها شرارات الفتح والانتصار.

إنَّ هذا القسم الحماسيّ الجميل لهو تكريمٌ رائعٌ لبطولات جنود الاسلام في هذه العملية الظافرة، واكبارٌ بروحهم القتالية العالية.

إعتراضٌ و جواب

هذا ولقد اعترض بعض الملحدين ذات مرّة على هذا النوع من الأيمان

---

(١) الارشاد: ص ٨٤ - ٨٦.

والأقسام في القرآن الكريم وقال ساخراً: وماذايعني القَسم بالخيول الضابحة، العادية، والشرارات المنقدحة من حوافرها؟!

و لقد غاب عن هذا الملحد أن القَسَم بخيول الغزاة المجاهدين أو القسم بالشرارات المنقدحة من حوافرها بسبب احتكاكها بالصخور في أرض المعركة إنما إشعارٌ بأهمية الجهاد ضدّ الظالمين أعداء البشرية.

إنّ مثل هؤلاء الجنود البواسل ليسوا وحدهم الذين يحظون -في نظر الاسلام- بمنزلة رفيعة ومكانة عالية، بل خيولُهم التي تحملهم في هذا الجهاد المقدّس، وكذا الشرارات التي تنقدح من حوافرها تحظىٰ بالقداسة والأهمية أيضاً.

و أية قيمة -ترى- أعلى من محاربة الظالمين الجائرين، وانقاذ البشرية من براثن ظلمهم وجورهم، ومن حيفهم وعسفهم؟؟

إنّ مثل هؤلاء وما يمكّنهم من أهدافهم من الأدوات، والوسائل مقدّسون جميعاً، لأنهم يحررون -بجهادهم- الانسانَ من قيود الطغاة، الظالمين، ويمهّدون لحاكمية الله في الأرض، واى هدف أعلى واعظم قدسية من هذا الهدف؟

و لقد دعا القرآن الكريمُ المؤمنين -من خلال تقديس خيول المجاهدين وضبحهم وعدوهم وشرارات حوافرهم - إلى العناية بالجهاد دائماً، وإلى تجميع قواهم، والاستعداد لكسر القيود التي ترزح على أيدي البشرية وأرجلها وعقولها، والى تحطيم القلاع التي ضربها الطغاة على الشعوب المغلوب على أمرها.

أجل؛ إن فِرَقَ التحرير والجهاد الاسلامية لا تستحق وحدها التقديس والاكبار بل تستحق خيولها ومراكبها، وشرارات حوافرها التقديس كذلك.

ولقد استبدلت تلك الخيول هذا اليوم بالدبّابات والطائرات فهي مقدسة أيضاً، كما كانت خيول الغزاة والمجاهدين في عصر الرسالة، كما وأن أزير محركاتها، هو الآخر يحظى بالتقديس كما كانت أنفاسُ الخيول تحظى بالتقديس في عصر الرسالة لأنها تحقق ذات الهدف، ونفس الغاية المقدسة وهي: تحرير الانسان من براثن الظلم والطغيان.

هذا هو ملخص غزوة «ذات السلاسل» التي سَجَّلها وضبَطها مفسّرو الشيعة، ومؤرِّخوهم، ورَوَوها بأسناد صحيحة.

غير أن مؤرخّي أهل السنة كالطبري[1] روىٰ هذه الواقعة بنحو آخر يختلف عما ذكرناه هنا، اختلافاً شاسعاً.

ولايبعد أن يكون «ذات السلاسل» إسماً لغزوتين نَقلَ كل واحد من الفريقين: «السنّة والشيعة» واحدة منها، وأعرض عن ذكر الأُخرى لأسباب خاصة.

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص٣١٥، السيرة الحلبية: ج٣ ص١٩٠ و ١٩١، والمغازي: ج٢ ص٧٦٩ ـ ٧٧٤.

٤٩
فَتحُ مَكَّة

قصة «فتح مكّة» من قضايا التاريخ الاسلامي الجديرة بالمطالعة والتأمل، لما تنطوي عليه هذه الحادثة من دروس وعبر، ولكونها تعكس -بصدق وجلاء- أهداف رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله المقدّسة، كما تكشفُ عن أخلاقه العالية، وسيرته الحسنة،وأُسلوبه الانساني مع الصديق، والعدوّ.

ففي هذا الفصل من التاريخ يتجلّى ماكان يتحلى به خاتم الانبياء صلّى الله عليه وآله من صدق ووفاء، كما يتبيّن صدقُ أصحابه، ووفاؤُهم، واحترامُهم لكلّ ماتعهدوا، والتزموا به للخصم في معاهدة «صلح الحديبية»، بينما يتضح من جانب آخر نفاقُ المشركين من قريش، وخيانتهم في تنفيذ بنود اتفاقية الصلح، وبالتالي نقضهُم للعهد وبالتالي عدم احترامهم لأيّ شيء من الالتزامات!!

إنّ دراسة هذا الفصل تثبتُ لناحنكة النبي، وحُسن تدبيره، وسياسته الحكيمة في فتح أصعب وآخر قلعة من قلاع العدوّ الكافر، المتصلب في شركه، وكفره، والمتمادي في عناده وتعسّفه، وكأنّ هذا الرجل الالهيّ قد أمضى شطراً من حياته في إحدىٰ المعاهد العسكريةالعليا، فهو يخطط افضل من أي قائد محنّك قدير، للفتح، ويكون تخطيطه من الدقة والمتانة، والعمق والحكمة، بحيث يصيب المسلمين فتحاً عظيماً بأقلّ قدرمن المتاعب والمشاكل.

و بالتالي يتجلى في هذا القسم من التاريخ الاسلامي الوجهُ الانسانيّ الرحيم الذي كان يتسمُ به رسولُ الله صلّى الله عليه وآله الذي كان يحرصُ على دماء

أعداء الرسالة الالداء، وأموالهم، ويسعىٰ إلى حفظها وصيانتها، كما لو كانوا أصدقاءً لا أعداءً.

فهو يعفو بمروءة كبيرة، وبُعد مدى واسع، ورؤية مستقبليّة عميقة عن قريش، ويغفرلهم جرائمهم وأذاهم ويُصدرُ عفواً عامّاً لم يعرف له تاريخ الفاتحين نظيراً في أسبابه، وعلله، وفي ظروفه وملابساته.

و إليك تفاصيل هذه الحادثة الكبرى من بدايتها إلى نهايتها.

تفاصيلُ فتح مكّة:

لقد قرأنا في ما مضىٰ أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عقدَ في السنة السادسة معاهدة صُلح مع قريش، نصّت المادةُ الثالثة منها على: أنَّ لِكل من قريش والمسلمين أن يتحالفوا مع من شاؤوا من القبائل، فتحالفتْ «خُزاعة» مع المسلمين، وتعهّد رسول الله صلّى الله عليه وآله لخزاعة في هذا التحالف بان يدافع عن أرضهم وأموالهم وأنفسهم كلما تعرّضوا لخطر، وطلبوا ذلك.

و تحالفت قبيلة «بني كنانة» -وكانوا من أعداء خزاعة التقليديين- مع قريش.

و لقد تم كلُ هذا في ضوء عقد معاهدة صلح مدتُها عشرُ سنوات تعهّد فيها الطرفان بالحفاظ على الأمن الاجتماعي، والسلام الشامل في كافة أرجاء الجزيرة العربية.

ولقد تعهّد الطرفان -في هذه المعاهدة- بأن لايقوم أيُ واحد منهما بعمليات عسكرية وتحركات عدائية، لاضدّ الآخر، ولاضدّ حليف الطرف الآخر، كما لايحرّك حليفه ضد حليف الطرف الآخر.

و لقد انقضَتْ سنتان من تاريخ التوقيع على هذه المعاهدة، وعاش الجانبان في هذه الفترة في سلام ورفاه، وأمن وإستقرار إلى درجة أنَّ المسلمين استطاعوا -بعد مضيّ سنة واحدة من التوقيع على تلك المعاهدة، أن يزوروا- بكامل

٤٦٤ ـــــــ

أجل، لقد حملت «بنوبكر» و من ساعدهم من رجال قريش بتحريك من زعامة مكة على «خزاعة» ليلاً، وكان بعضهم نياماً، والبعض الآخر يتهجد ويعبد الله ليلاً، فقتلوا من خزاعة جماعة، وأسروا آخرين، وغادر -منهم- فريقٌ منازلهم تحت جنح الظلام، ولجأوا إلى مكة التي كانت للعرب يومئذ منطقة أمن لايجيزون الاعتداء فيها على لاجئ اليها، ودخل الذين لجأوا إلى الحرم دار «بُديل بن ورقاء»[1] وشكوا اليه ماحلَّ بهم على ايدي رجال قريش، وحلفائهم من بني كنانة ليلاً، من قتل وأسر وتشريد!!

كما وَعَدَ المظلومون من خزاعة إبلاغ مظلمتهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فارسلوا رئيسهم: «عمرو بن سالم» فقدم المدينة على رسول الله صلّى الله عليه وآله فوقف عليه و هوَ صلّى الله عليه وآله جالسٌ في المسجد بين ظهرانيي الناس، وأخبره بمالحق بحلفائه من خزاعة على أيدي بني بكر من كنانة بتحريك وتحريض من قريش، وأنشد أبياتاً يستغيث فيها برسول الله صلّى الله عليه وآله اذ قال:

يـاربّ إني نـاشـدٌ محـمَّـداً ... حِلف أبـيـنا وأبيه الا تـلـدا
فـأنْصر هَداكَ الله نصراً أعتدا ... وأدْعُ عـبـادَ الله يـأتـوا مَـددا
فيهـم رسـولُ الله قـد تجـردا ... إنْ سيم خَسفـاً وجـهُـهُ تـربّدا
في فيلق كـالبحر يجري مزبدا ... إنّ قريشاً اخـلـفـوك الموعدا
وَ نَـقَضُـوا ميـثـاقَك المـؤكّدا ... وجـعـلـوا لي في كـداء رصـدا
هم بـيـتـونـا بـالـوتير هُـجّدا ... وقـتـلـونـا ركّـعـاً وسُـجّـدا

وقد كان «ابن سالم» يعيد البيت الأخير ويكرّرُه إثارة لمشاعر المسلمين، ويكرّر عبارة: قُتِلْنا وقد أسلْمنا.

---

(١) كان بُديل من شخصيات «خزاعة» من ذوي السن والشرف فيهم، وكان يعيش في مكة، وكان له من العمر آنذاك ٩٧ عاماً (أمالي الطوسي: ص٢٣٩).

فانزعج رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من قريش لغدرها ونقضها للعهد، ووعد «خزاعة» **بالنصرة، وقال:**

«نُصِرْتَ يا عمرو بن سالم».

و قد أفاض هذا الوعد القاطع والقويُ حالة من الطمأنينة على قلب مبعوث خزاعة: «عمرو بن سالم» اذ قد تيقّن أن رسول الله صلّى الله عليه وآله سينتقم لخزاعة ممن غَدَروا بها وبيتوها، وفتكوا بأبنائها، وبخاصة من قريش التي حرّضت بني بكر على خزاعة، واشعلت شرارة هذه الفتنة، وبالتالي كانت السبب الحقيقي وراء هذه الجريمة النكراء، ولكن ابن سالم ماكان يظن أن هذه المسألة ستنتهي بفتح مكة، وتقويض دعائم الحكومة الوثنية الجاهلية، والقضاء عليها إلى الأبد!!

و لم يلبث أن قدم المدينة على رسول الله صلّى الله عليه وآله «بُديل بن ورقاء» في جماعة من «خزاعة»، وأخبروه بمافعلته قريش وبنوبكر من قتل فتيان خزاعة، ثم عادوا قافلين إلى مكة.

قريشُ تتوجس خيفة من ردّ النبيّ:

ندمت قريش بشدّة على ماصنعتْ من تأليب بني بكر على خزاعة ومساعدتهم العملية في العدوان على الأخيرة، وأدركت للتوّ، بأنَّ هذا الذي صنعتهُ هو نقضٌ للمُدّة والعهد الذي بينهم وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لن يدعَ هذه الجريمة النكراء تمرُّدون ردّ قاطع وحاسم، ولهذا بادرت إلى إيفاد زعيمها «أبي سفيان بن حرب بن أُمية» إلى المدينة المنورة لتطييب خاطر النبي صلّى الله عليه وآله، وتسكين غضبه وتاكيد إحترام قريش لمعاهدة الصلح.

فتوجّه أبوسفيان إلى المدينة، والتقى في «عسفان» بديل بن ورقاء الخزاعيّ وهو عائدٌ من المدينة، فسأله: هل كان في المدينة؟ وهل أخبر محمّداً بما أصاب

خزاعة؟

فقال بُدَيْل: لا، ولكني سرتُ في بلاد كعب وخزاعة في قتيل كان بينهم، فأصلحتُ بينهم.

قال هذا، و واصل سيره باتجاه مكة.

و لكن أباسفيان عمد ـ لمعرفة ماإذا كان بُدَيْل عائداً من المدينة أولا ـ إلى أبعاد لإبل «بُديل» وجماعته، ففتَّها فوجد فيها نوى من تمر المدينة فايقن بأن القوم كانوا في المدينة وأنهم جاؤوا محمَّداً، وأخبروه بماجرى.

قدم أبوسفيان المدينة فدخل على ابنته «ام حبيبة» زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله، **فلما أراد أن يجلس** على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله طوته أُم حبيبة عنه، فقال: يابنيّة ما أدري أرغبت بي عن هذا الفراش، أم رغبت به عنّي؟!

قالت: بل هو فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنت رجلٌ مشركٌ نجسٌ، ولم أُحبُّ أن تجلس على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و في امتاع الاسماع أن اباسفيان لمادخل على ابنته أُم حبيبة ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلّى الله عليه وآله فطوتهُ دونه وقالت: أنت امرُؤٌ نجس مشركٌ!

فقال: يا بنيّة! لقد أصابك بعدي شرٌّ.

قالت: هداني الله للاسلام، وانت يا أبتي سيد قريش وكبيرُها، كيف يسقطُ عنك دخولُك في الاسلام وانت تعبد حجراً لايسمُع ولايبصرُ!!

قال: ياعجباه! وهذا منك أيضاً! أأتركُ ماكان يعبد آبائي، واتّبعُ دين محمَّد!؟

أجل هذا هو منطق ابنة رجل حاك مؤامرات عديدة وقاد جيوشاً ضد الاسلام طيلة عشرين عاماً تقريباً، وكانت تربطه بأُم حبيبة رابطة الأُبوة والبنوة الوثيقة، ولكن حيث إن تلك المرأة ترعرعت في مهد الاسلام، ونشأت في مدرسة

التوحيد حصل لها مشاعر دينية قوية جداً حتى أنها رجحّت المشاعر الدينية على المشاعر العاطفية الشخصية مقاومة في هذاالسبيل رغباتها الذاتية، وميولها الشخصية.

لقد أنزعج أبوسفيان من سلوك ابنته التي كان يتصور أنها ملجأوها وملاذُها الوحيد في المدينة، فخرج من منزلها فوراً، حتى أتى رسول الله صلّى الله عليه وآله فكلّمه حول تجديد العهد، واستمراره، فلم يرد عليه رسول الله صلّى الله عليه وآله كناية عن عدم اعتنائه به.

فذهب إلى بعض أصحابه صلّى الله عليه وآله يطلب منهم ان يشفعوا له عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وأن يُقنعوه بتجديد ميثاق الصلح، ولكن دون جدوىٰ.

و أخيراً دخل على «علي بن أبي طالب» وعنده فاطمة الزهراء عليهاالسَّلام والحسنُ والحسينُ وهما آنذاك غلامان يدبّان بين أيديهما فقال: ياعلي، أنك أمسُّ القوم فيَّ رَحماً، وإني جئتُ في حاجة فلا أرجعَنَّ كما جئتُ خائباً فاشفعْ لي إلى رسول الله.

فقال علّي عليه السَّلام: ويحكَ يا أباسفيان، والله لقد عزم رسول الله صلّى الله عليه وآله على أمر مانستطيع أن نكلّمَه فيه.

فالتفت إلى فاطمة -وهو يحاول إثارتها عاطفيّاً- فقال: ياابنة محمَّد هل لك أن تأمري بُنَيّك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟

و لما كانت فاطمة (عليهاالسَّلام) تعرف بنوايا أبي سفيان الشريرة لذلك قالت: ذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله إنّهما صبيان وليس مثلهما يجير[1].

فقال أبوسفيان: يا أباالحسن إني أرىٰ الأُمور قد اشتدت عليَّ، فانصحني.

فقال عليٌّ عليه السَّلام: ما أجد لك شيئاً أمثل من أن تقوم فتجير بين

---

(١) امتاع الأسماع: ج١ ص٣٥٩.

الناس (أي تعطي الأمان للمسلمين) ثم إلحق بأرضك.

فقال أبوسفيان: أوَترى ذلك مُغنياً عنّي شيئاً؟ قال: لاوالله، ماأظنُّه، ولكني لاأجد لك غير هذا.

فقام أبوسفيان في المسجد، وكان يثق بصدق عليّ في نصيحته، فقال: أيها الناس؛ إني قد أجرتُ بين الناس.

ثم ركب بعيره، وأنطلق راجعاً إلى مكّة، وأخبر سادة قريش بما صنع، وذكر نصيحة «عليّ» إياه، فقال: إنّ علياً نصحني أن أُجير الناس، فناديت بالجوار.

فقالوا: فهل أجاز ذلك محمّد؟

قال: لا.

قالوا: ويلكَ والله مازاد الرجلُ (ويقصدون عليّاً) على أن لعبَ بك، فما يغني عنك ماقلت، لأن النبي لم يجز أمانه، و مالايجيزه الطرفان لاقيمة له في ميزان العهود.

ثم إنّ سادة قريش عقدوا مجلساً من فورهم للتشاور في مايطفئ غضب المسلمين، ويثني رسول الله صلّى الله عليه وآله عن عزمه[1].

جاسوسٌ يُكتَشف!

إنّ تاريخ رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله يكشف عن انه صلّى الله عليه وآله كان يسعى دائماً الى أن يُقنِع العدوّ بالحق، ويجعله يستسلم لمنطق الدين، ولم يكن يهدف قط الانتقام من العدوّ وأبادته.

ففي الكثير من الغزوات والمعارك التي شارك فيها صلّى الله عليه وآله بنفسه أو السرايا التي بعثها كان الهدف الأساسي هو القضاء على مؤامرة العدو، وإفشالها، وتشتيت شمله، وتفريق اجتماعه قبل ان يقوم بعمل يضر بالاسلام

---

(١) الغازي: ج٢ ص ٧٨٠ - ٧٩٤، السيرة النبوية: ج٢ ص٣٨٩ - ٣٩٧، بحارالأنوار: ج٢١، ص١٠٢.

والمسلمين، فقد كان النبي صلّى الله عليه وآله يعرف جيداً أنه لو أُزيلت الموانع ورُفعت عن طريق الدعوة الاسلامية لترك منطقُ الدين الحنيف أثره في المجتمع الحرّ، وكان يعلم بأن الذين يعقدون الاجتماعات، ويقيمون التحالفات النظامية ليحولوا دون تقدم الاسلام، وانتشاره، لوجُرِّدوا من أسلحتهم، وأُنهيت حالة الحرب بينهم وبين الاسلام، وتركوا فكرة التغلب على الاسلام عن طريق القوة العسكرية، وسمعوا منطق الاسلام في جوّ بعيد عن صخب القتال، لانجذبوا إلى عقيدة التوحيد بدافع الفطرة وهدايتها، ولاستجابوا لنداء الضمير، وصاروا من أنصار الاسلام، ومؤيديه المخلصين الأوفياء.

ولهذا السبب كانت **الجماعات** والاقوام التي يتغلب عليهم جنود الاسلام، ثم يتسنى لهم مناخ التفكير الحرّ في العقيدة والتعاليم الاسلامية السامية في جوّ بعيد عن الضوضاء والصخب، تنجذب إلى الاسلام، وترغب فيه، وتعتنق بل تشمّر عن ساعد الجدّ لنشر العقيدة الاسلامية التوحيدية.

و قد تجلّت هذه الحقيقة في موضوعنا الراهن وهو فتح مكة بصورة أكمل وأقوى، فقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يدرك جيّداً لو أنّه فُتِحَت مكة، وجُرّد العدوُّ من السلاح ووفرت أجواءٌ حرة آمنة بعيدة عن الكبت والاضطهاد فانه لم يلبث أن يصبح هذا الفريق المعادي والمناهض للاسلام بشدة، من أنصار هذا الدين، و مِنَ المجاهدين الصادقين، الساعين في نشره.

و لهذا يجبُ التغلب على هذا العدوّ، وكسر شوكته، ولكن يجب عدم إفنائه وإبادته، بل ينبغي تجنب إراقة الدماء، **وازهاق** الارواح ماأمكن.

ولأجل الوصول إلى هذه الغاية المقدسة (الغلبة على العدوّ من دون إراقة الدماء) استخدم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أُسلوب مباغتة العدوّ.

فقَبْل أن يفكّر العدوّ في الدفاع عن نفسه، ويجمع قواه، ويستعدَّ للمواجهة، كان النبي صلّى الله عليه وآله يحاصر العدوّ في أرضه، ويجرّده من سلاحه، ويجهض محاولته، ومؤامرته.

على أنَّ مبدأ «مباغتة العدو» إنما يمكن الاستفادة منه إذا بقيت جميع الاسرار العسكرية للجانب المباغت طى الكتمان، وتمت الترتيبات اللازمة في سرية كاملة، بحيث لم يعرف بها العدوُّ، بل لايعرف العدو أساساً هل ينوي النبي صلّى الله عليه وآله الهجوم عليه، أو لا، وعلى فرض أنه ينوي ذلك لايخبر أحداً شيئاً عن موعد تحرك الجيش الاسلامي، ووجهته، إذ في غير هذه الصورة لايمكن الاستفادة من مبدأ «مباغتة العدو».

و لقد أعلن رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عن التعبئة العامة لفتح مكة، وتحطيم أقوى قلعة من قلاع الوثنية وازالة حكومة قريش الظالمة التي كانت تمثِّلُ أقوى مانع في طريق تقدم الدعوة الاسلامية، وانتشارها وتوسعها، وقد طلب من الله سبحانه في دعائه أن يعمّي على عيون قريش وجواسيسهم فلا يعرفوا بشيء عن حركة المسلمين ومقصدهم اذ قال:

«اللَّهم خُذ العيون والأخبار من قريش حتى نباغتها في بلادها»[1].

أو قال:

«اللَّهم خُذْ عَلىٰ قريش أبصارهم، فلا يَروني إلّا بغتة، ولايسمَعون بي إلّا فجأة»[2].

فاجتمع في مطلع شهر رمضان ناسٌ كثيرون من مختلف المناطق خارج المدينة، وداخلها.

و يذكر المؤرخون جدولاً تفصيلياً بالطوائف والقبائل التي شاركت في هذا الفتح العظيم، واليك ماذكروه:

المهاجرون: سبعمائة مع ثلاثمائة من الخيل وثلاثة ألوية.

الأنصار: أربعة آلاف مع سبعمائة من الخيل، وألوية كثيرة.

قبيلة مزينة: ألف مع مائة فرس، ومائة درع، ولواءان.

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٣٩٧. المغازي: ج٢ ص٧٩٦.

قبيلة جهينة: ثمانمائة مع خمسين فرساً، وأربعة ألوية.

قبيلة بني كعب: خمسمائة مع ثلاثة ألوية.

وكان بقية الجيش من قبائل غفار، واشجع، وبني سليم[١].

و يقول ابن هشام: كان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف من بني سليم سبع مائة، ويقول بعضهم: ألف، ومن بني غفار أربع مائة، ومن أسلم أربع مائة، ومن مزينة ألف و ثلاثة مائة نفر، وسائرهم من قريش، والأنصار وحلفاءهم وطوائف العرب من تميم، وقيس وأسد[٢].

ولتحقيق مبدأ المباغتة والكتمان وضِعَت جميع الطرق المؤدية إلى مكة تحت المراقبة الشديدة من قِبَل عناصر الحكومة الاسلامية، كما روقب بشدة تردّد المارة والمسافرين بواسطة الحرس[٣].

و بينما كان جيش الاسلام يتهيأ للتحرك باتجاه مكة، نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره بأنَّ أحدَ البسطاء من المسلمين أقدم على إرسال كتاب إلى قريش، يخبرهم فيه بتوجّه النبي وأصحابه إلى مكة، وأنّه أعطى ذلك الكتاب إلى أمرأة تدعىٰ «سارة» -وكانت مغنية من مغنيات مكة- لتوصله إلى مكة لقاء مال تقبضه.

و لقد كانت «سارة» -كما أسلفنا- مغنية بمكة، تغنّي لأهل مكة، وربما شاركت في مجالس العزاء في قريش أيضاً، وقد تعطّل عملُها بعد معركة «بدر»، ومقتل جماعة من رجال قريش، ودخول الحزن في كل بيوت مكة، فلم تعدْ تستطيع أن تغنّي وتطرب، من ناحية، ومن ناحية أُخرى كان أبوسفيان قد أمر الناس بأن لايبكوا، ولايقيموا المآتم والمناحات على قتلى بدر حتى لايذهب

---

(١) المغازي: ج٢ ص٨٠٠، امتاع الاسماع: ج١ ص٣٦٤.

(٢) السيرة النبوية: ج٤ ص٦٣.

(٣) بحارالأنوار: ج٢١ ص١٣٠. وامتاع الاسماع: ج١ ص٣٦١.

غيضهم على «محمّد» صلّى الله عليه وآله وأصحابه الذين قَتلوا رجالاً من قريش في بدر.

من هنا تركت «سارة» مكة بعد عامين وقدمت المدينة، وعندما عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بمجيئها إلى المدينة سألها: هل أسلمت؟ فقالت: لا، فقال لها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله: ولما أتيت إلى المدينة؟ فقالت: إنّي مولا تكم، وقد أصابني جهدٌ، وأتيتكم أتعرّضُ لمعروفكم(١).

فأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله فكُسيَت وَ حُمِلَت وَ جُهّزَت.

و مع أن هذه المرأة قد شملها الاسلام بلطفه ورحمته ولكنها خانت النبي والمسلمين عند ماتطوّعت للقيام بعملية جاسوسية ضد الاسلام والمسلمين بأخذ كتاب «حاطب بن بلتعة» واخفائه في شعر رأسها لتبلغه الى قريش لقاء عشرة دراهم، مفشية بذلك سِرّاً للمسلمين، تضيع -على أثره- جهود النبي صلّى الله عليه وآله وتفشل خطته!!

ولما عرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذا الأمر إثر خبر من السماء بعث ثلاث رجال من فرسانه الاشاوس هم علي والمقداد والزبير، ليدركوا المرأة الخائنة، على طريق مكة و يأخذوا منها ذلك الكتاب الذي يحذّر قريشاً ممّا أجمع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عليه.

فخرج الرجال الثلاثة في طلبها مجدّين حتى أدركوها في منطقة تدعى «روضة الخاخ»(٢) فاستنزلوها، وفتشوا عن الكتاب في رحلها فلم يجدوا شيئاً، فسألوها عنه فانكرت فقال لها عليٌ عليه السَّلام.

«إني أحْلِفُ بالله ماكذِبَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ولا كُذِبنا، ولتُخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنّك»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص ١٣٦، امتاع الاسماع: ج١ ص٣٦٢ و ٣٦٣.

(٢) وقال ابن هشام: فادركوها بالخليقة (ج٢ ص٣٩٩).

(٣) السيرة النبوية: ج٤ ص٤١، وذكر مؤلف الامتاع شخصين فقط هما الامام علي والزبير (ج١ ص٣٦٢).

و لما رأت تلك المرأة هذا الجِدّ من علي عليه السَّلام و كانت تعرف أن علياً لايتركها حتى ينفّذ أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله قالت: إعرضْ، فأعرضَ عليٌّ، فحلّتْ ضفائر شعرها فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه، فأتى به رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فانزعج رسول الله صلّى الله عليه وآله لفعل «حاطب» وكان من المسلمين السابقين، فدعاه من فوره وقال له عاتباً ومستفهماً: ياحاطب ما حملك على هذا؟

فحلف حاطب بالله و برسوله أنه لم يقصد شراً، وقال: يارسول الله، أما والله إني لمؤمنٌ بالله ورسوله، ماغيَّرتُ ولابَدّلتُ، ولكنّي كنت امرءاً ليس لي في القوم من أصل ولاعشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولدٌ وأهلٌ فصانعتهم عليه!!

و يستفاد من **اعتذارحاطب** هذا أن أسياد قريش كانوا يضغطون على من تخلّف في مكة من أقارب المهاجرين وعوائلهم، ويؤذونهم، ولايتركون أذاهم إلّا إذا حصلوا منهم على أسرار المسلمين بالمدينة.

وهذا الاعتذار وان كان غير وجيه، لأن ذلك لايبرر إفشاء أسرار المسلمين لأعدائهم الحاقدين، غير أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أصفح عنه، وخلى سبيله لمصالح معينة منها: سابقة «حاطب» في الإسلام.

إلّا أنّ «عمر بن الخطاب» طلب من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يضرب عنقه، فقال له النبي صلّى الله عليه وآله:

«وما يُدريك يا عُمرَ لعلَّ الله اطّلعَ يومَ بَدر على أصحاب بَدر فقالَ: أعملوا ماشئتُمْ فَقدْ غَفرْتُ لكم»[1].

ولكي لايتكرر مثل هذا العمل الخطر والاثيم أنزل الله سبحانه قرآنا بهذا الشأن في عدة أيات اذ يقول:

---

(١) امتاع الاسماع: ج١ ص٣٦٣ وغيره.

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ايّها الذين ءامَنُوا لا تتَخِذُواْ عَدِوّى وَعدُوَّكُمْ أولياء تُلقُونَ إِلَيْهِمْ بالْمودَة وَقَدْ كَفرُوا بِمَاجَاءكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخرجُونَ الرَّسُولَ وَإِيّاكُمْ أَن تُؤمنُوا بِالله رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرجْتُمْ جَهاداً فِي سَبيلى وابْتِغاء مَرضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالمَودَّة وَأَنَا أَعلَمُ بِمَا أَخفَيْتُمْ وَمَا أَعلنتُمْ وَمَن يَفعَلهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَواء السَّبيلِ * إِن يَثقفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعداء وَيَبْسُطوَا إِليْكُمْ أَيدِيَهُمْ وَأَلسِنَتَهُمْ بِالسُّوء وَودُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرحامُكُمْ وَلا أَوْلدُكُمْ يَومَ الْقِيَمةِ يَفْصِلُ بَينَكُمْ وَالله بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ * قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسوَةٌ حَسنَةٌ فِي إِبراهِيمَ وَالَّذينَ مَعهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمهِمْ إِنَّا بُرءاؤُامِنْكُمْ وَمِمَّا تَعبدُونَ مِنْ دُون الله كَفَرنَا بِكُمْ وَبَدا بَينَنَا وَبينكُم الْعَدَوةُ وَالبَغضاء أَبدَاً حَتَّى تُومنُوا بِالله وَحدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْراهيمَ لأَبيهِ لأَستَغْفِرنَّ لَكَ وَمَا أَملِكُ لَكَ مِنَ الله مِنْ شَيء رَّبَّنَا عَليْكَ تَوكَّلنَا وَإِليْكَ أَنبْنَا وَإِليْكَ الْمصِيرُ * ربَّنا لاَ تجعلنا فِتْنَة لِلَّذينَ كَفَرُواْ وَاغْفِرْ لَنا ربَّنا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا الله وَالْيَومَ الآخِرَ وَمَن يَتَولّ فَإِنَّ الله هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * عَسى الله أَن يَجعَلَ بَينَكُمْ وَبَيْنَ الَّذينَ عادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَودَّة وَالله قَديرٌ وَالله غَفُورٌ رَحيمٌ * لايَنْهَكُمُ الله عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتلوكُمْ في الدين وَلَمْ يُخْرجُوكُمْ مِنْ دياركُمْ أَن تَبرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِليهِمْ إِنَّ الله يُحِبُّ المُقسِطينَ * إِنَّما يَنْهكُمُ الله عَن الذين قاتلوكُمْ في الدِّين وَأَخرجوكُمْ مِنْ دياركُمْ وظهرُواعلى إِخراجكُمْ أَن تَولَّوهُمْ وَمَنْ يَتولهُمْ فأُولئك هُمُ الظالمُون[1].

النبي يتحرك باتجاه مكة:

أخذاً بمبدأ «المباغتة» كتم رسول الله صلّى الله عليه وآله موعد الحركة، و وجهتها، فلم يكن أحدٌ يعرف أين يريد رسول الله صلّى الله عليه وآله على وجه التحديد[2].

---

(١) الممتحنة: ١ - ٦، راجع السيرة النبوية: ج٢ ص٣٩٩، مجمع البيان: ج٩ ص٢٦٩ و ٢٧٠.

(٢) المغازي: ج٢ ص٨٠٢، الامتاع: ج١ ص٣٦٢ قال: وأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله الناس بالجهاز وطوى عنهم الوجه الذي يريد، فظانّ يظنُّ أنه يريد الشام وظان يظنُّ ثقيفاً وظان يظن هوازن.

٤٧٦ ـــــــ

هـذا وقد كان «العباسُ بـن عـبدالمطلب» من المسلـمين الذين بقَوا في مكة بـأمـر رسـول الله صلّى الله عليـه وآلـه ليتجسس له الأخـبـار، ويطـلعَه على نوايا قريش، وخططهم أوّلاً بأوّل.

و قد تظاهر العـباسُ ـ بعد فتح خيبر ـ بإسلامه، ولكنه بقي محافظاً على علاقاته بسادة قريش وزعمائها، فقرّر أخيراً أن يكون آخر من يهاجر من بيوت المسلمين. فـغادر مكة متوجـهاً إلى المدينة، وصادف خروجُـه مسير رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى مكة، فالتقى ببعض الطريق رسولُ الله صلّى الله عليه وآله.

و لقد كان بقـاء العباس بن عـبدالمطلب في مكـة بعد هجرة رسول الله صلّى الله عليه وآله مفيداً للجانبين: (قريش والمسلمين) فلو لم يكن العباس، ونشاطاته السياسيـة، الـذكيّة، لماتيسّر فتح مكة مـن دون مقاومة قريش، ومـن دون إراقة دماء وإزهاق نفوس.

مـن هـنـا لايبعد أن يـكـون خـروج الـعباس من مـكـة في تـلـك اللحظات والظروف الخطيـرة قد كان هو الآخـر بأمر رسـول الله صلّى الله عليـه وآله لـكي يستطيع القيام بدوره الإصلاحي، الذي سنأتي على ذكره قريباً.

العفو عند المقدرة:

لـقد كانت سوابق رسـول الله صـلّى الله عليه وآله المشـرفـة، واخلاقه الحميدة، وصدقه وأمـانته، طوال حـياته مـن الأُمور الواضحـة المعلـومة عند أقـربائه، وأبناء عشيرته.

فقـد كان الجمـيع يعلم بـأن رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يرتكـب طيلة حياته الشـريـفة إثماً، ولم يـفـكر في ذنب، **ولـم** يـنو الاعتداء على أحد، ولم يـقُلْ بلسانه سوءاً ولاقبيحاً، ولاخان في امانة، ولاافشى سراً ولاتخلف عن فضيلة.

و لهذا اسـتـجـاب لـدعـوتـه ـ في الايام الاولى مـن دعـوتـه الـعـامـة ـ الاكثرية السـاحقة مـن قبيـلـته (بني هاشـم)، والتفُّوا حـولَه، وتحمّـلوا الدفـاع عنه، ودعم

٤٧٨ ـــــــ

والنبي قاصد مكة، فاستأذنا رسول الله صلّى الله عليه وآله ليدخلا عليه، وأصرّا على ذلك، فابىٰ النبيُ صلّى الله عليه وآله أن يأذن لهما.

و قد وسّطا أُم سلمة، وطلبا منها بلهجة عاطفية أن تشفع **لهما** عند رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى يرضىٰ عنهما، **فكلّمته** فيهما، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله أبىٰ وقال:

«لاحاجَة لي بهما، أما ابنُ عميّ فهتَك عِرضي وأما ابنُ عمّتي وصهري فهُو الذي قال بمكة ماقال»[1].

و لما كان «عليّ» عليه السَّلام أعرف الناس بنفسيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخلاقه، وبطريقة استعطافه، فقد كلّمه أبوسفيان في الأمر، فعلّمه علي بن **أبي طالب عليه السَّلام** أن يأتي رسول الله صلّى الله عليه وآله من قِبَل وجهه فيقول:

«قالوا تالله لقد آثرَك الله علينا و إنْ كُنّا لخاطئين»[2].

فان رسول الله صلّى الله عليه وآله سيجيبه بما قاله يوسف لاخوته اذ قال لهم:

«قالَ لا تَثْريب عَليْكُم اليومَ يَغفرالله لكم وهوأرحم الراحمين»[3].

لأنه صلّى الله عليه وآله لايرضىٰ بأن يتفوق عليه أحدٌ في حسن القول.

ففعل أبوسفيان هذا ما أشار عليه الامام علي عليه السَّلام و دخل من الطريق الذي بيّنه له، فعفا عنه رسولُ الله كما فعل يوسف باخوته، فانشد أبوسفيان قصيدة أراد بها أن يُكفِّر عما سبق منه، قال فيها:

---

(١) **فهومن** اقترح على رسول الله صلّى الله عليه وآله بمكة أُموراً غير معقولة، وقد جاء ذكر هذه المقترحات في الآيات: ٩٠ - ٩٣ من سورة الاسراء راجع مجمع البيان: ج٦ ص٤٣٩ وأُسدالغابة: ج٥ ص٢١٣ و٢١٤.

(٢) يوسف: ٩١.

(٣) يوسف: ٩٢.

لـعـمـركَ إني يـومَ أحمـل رايـة لِتَغْلِبَ خيـلُ الـلات خيلَ محـمَّد
فكـالـمُدلج الحـيـران أظلـم لـيـلُه فهذا أواني حين أُهدىٰ فأَهتدي[1]

و يكتب «ابن هشـام» في سيرته قائلاً: قال أبوسفيان ومعه ابنه، لما أعرض رسول الله صلّـى الله عليه وآلـه عنه وأبىٰ أن يأذن له: والله لَيقـبلُنّي، أو لأخذتُ بيد إبني هذا فلأذهـبنَّ في الارض حتى أهـلك عطَشاً وجوعاً وأنت أحلـمُ الناس مع رحمي بك»[2].

و قد سبق أن قالـت أُمُّ سلمة لرسـول الله صلّى الله عليـه وآله قد كلّمته في أبي سفيان: بأبي أنـت وَ أُمّـي يـارسول الله ألَمْ تقلْ: أنَّ الاسـلام يجبُّ مـا كان قبـلـه؟ فـرقَّ رسـول الله صلّـى الله عـلـيـه وآلـه لهما، وأذن لهما، فـدخـلا، وقـبل اسلامهما[3].

تكتيكٌ رائع لجيش الاسلام:

تقع «مُرّ الظـهـران» على بُعد عدة كـيـلو مترات من مـكة المكرمة، وقـد قاد رسـولُ الله صلّى الله عـلـيه وآله جيشه الـعظيم (وقوامه عشرة آلاف) حتى مشارف مكة بمهارة بالغة.

و مع أنَّ عيون قـريش و جواسيسـها كانت تتجسَّسُ الأخبـار و كان هناك من يعمل لصـالح قريش، ولكنَّـهم مع ذلك لم يستطيعوا أن يعرفوا شيئاً عن نوايا رسول الله صلّى الله عليه وآله وهدفه.

و لما وَصل رسول الله صلّى الله عـلـيه وآله إلى مشارف مكّة عمـد ـ لإرعاب أهل مكة حتى يـتركوا مـقاومة المسلمين عند دخـول مكة و فتحها، ويـتسنّىٰ لهم تحطيمُ صرح الوثنية من دون إراقـة الدماء ـ إلى إصدار أمر لجـنوده باشعال الـنيران

---

(١) الاصابة: ج٤ ص٩٠، واسد الغابة: ج٥ ص٢١٣ و ٢١٤.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص٤٠٢.

(٣) بحار الأنوار: ج ٢١ ص ١١٤ و ١١٥.

فوق الجبال والتلال، وللمزيد من تخويف سكان مكة والإظهار بمظهر القوة أمرٌ بأن يُشعِلَ كلُ واحدٍ من الجنود النار وحده، في شريط طويل على الأَرض.

كانت قريش و حلفاؤها يغطّون في نوم عميق آنذاك من جهة، بينما كانت النيران من جهة أُخرى قد غطّت كلّ المرتفعات المشرفة على مكة فلم تستيقظ إلا على منظر أرعب قلوبهم، ولفت أنظارهم.

و في هذا الاثناء كان بعض سادة قريش كـ: «أبي سفيان بن حرب» و «حكيم بن حزام» وغيرهما قد خرجاَ من مكة يتجسَّسون الأخبار.

ففكَّر «العباس بن عبدالمطلب» الذي لازم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من منطقة الجحفة، فكر في نفسه بأنه إذا ما اتفق أن واجه جنودُ الاسلام مقاومة من قريش عند دخول مكة لادّىٰ ذلك إلى ان يُقتَل جمعٌ كبيرٌ من قريش، ولهذا فان من الأفضل أن يقوم بدور عمليٍّ لصالح الطرفين، ويقنع قريشاً بالتسليم، وعدم المقاومة.

فركب بغلة رسول الله صلّى الله عليه وآله البيضاء وتوَجه صوب مكة ليخبر قريشاً بمحاصرة مكة من قِبَل جنود الاسلام، ويخبرهم بكثرة عددهم، وبمبلغ شجاعتهم وإصرارهم على تحقيق أهداف النبي صلّى الله عليه وآله ويقنعهم بأنه لامناص من التسليم للأمر الواقع.

فبينما هو كذلك إذ سمع صوت أبي سفيان و بُديل بن ورقاء يتحادثان في جوف الليل فيقول أبوسفيان: مارأيتُ كالليلة نيراناً قط ولاعسكراً، فيقول بديل: هذه والله خزاعة حمشتها الحرب.

فيقول أبوسفيان: خزاعة أذلُّ و أقلُّ من ان تكون هذه نيرانها وعسكرها.

فصاح العباسُ بأبي سفيان و قال: يا أباحنظلة.

فقال أبوسفيان: يالبيك، أبوالفضل مالك ؟

فقال العباس: هذا رسولُ الله في عشرة آلاف من المسلمين.

فارتعد أبوسفيان لماسمعه من العباس حول عظمة القوة الاسلامية، فقال وهو

٤٨٢ ـــــــ

يدى رسول الله صلّى الله عليه وآله حول أبي سفيان وكان عمر يقول: أبوسفيان عدوُّ الله فلابد أن يُقتَل، ولكن العباس كان يقول: يارسول الله إنّي قد أجرته، فقطع رسول الله صلّى الله عليه وآله دابر هذه المناقشة عندما قال:

«إذهبْ ياعَبّاس إلى رَحلك، فاذا أصبحتَ فَأْتِني به».

فذهب العباسُ بأبي سفيان إلى رحله، فبات عنده ليلتَه كما أمر، فلما أصبح غدىٰ به إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

أبوسفيان بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله:

لما مثل أبوسفيان عند الصباح بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله في خيمته قال له النبي صلّى الله عليه وآله:

«ويحَك يا أباسفيان؛ ألم يأن لكَ أن تعلم أنه لا اله إلّا الله؟».

فقال أبوسفيان: بأبي أنت و أُمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلَك والله لقد ظننتُ أن لو كان مع الله آله غيره، لقد أغني عنّي شيئاً بعد.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«و يحك يا أباسفيان ألم يأن لك أنْ تعلمَ أنّي رسول الله»؟

قال: بأبي أنت و أُمي ما أحلمك، وأكرمك، وأوصلك، أما والله فإنَّ في النفس منها حتى الآن شيئاً!!

فغضب العباس من شك أبي سفيان، ولجاجته وعناده فقال له: ويحك، أسلِمْ واشهَد أن لااله الّاالله، وأن محمَّداً رسولُ الله قَبلَ أنْ يُضرَبَ عنقُك.

فشهد أبوسفيان شهادة الحق، فاسلَم ودخل في عداد المسلمين.

أن إسلام أبي سفيان الذي حصل في جوٍّ من الرعب والتهديد وإن لم يكن بالاسلام الذي كان يريده رسولُ الاسلام صلّى الله عليه وآله ويطلبُه دينُه الحنيفُ، ولكنَّ مصالح معيَّنة كانت توجب أن يدخل أبوسفيان في عداد المسلمين كيفما كان ليرتفع بذلك اكبر سدّ، وينزاح اكبر مانع من طريق الدعوة

الاسلامية، لأنَّ رجالاً مثل «أبي سفيان» و «أبي جهل» و «عكرمة» و «صفوان بن أُمية» وغيرهم، كانوا قد أوجدوا جوّاً من الرعب والخوف في مكة استمرَّ أعواماً عديدة، فلم يكن يجرؤ أحدٌ من المكيّين في مثل هذا الجوّ المشحون بالخوف أن يفكّر في الاسلام، أو يظهر رغبته في إعتناقه، والانضواء تحت لوائه.

فإذا لم يكن إسلام أبي سفيان الظاهريّ والسطحيّ مفيداً من حيث الواقع، ولكنه كان مفيداً جداً لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وللذين كانوا تحت سيطرة أبي سفيان ونفوذ زعامته من جماهير مكة، وبالتالي لِمن كانت له علاقات قُربىٰ معه.

و مع ذلك لم يسمحْ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بإخلاء سبيل أبي سفيان لأنه لم يكن آمناً -وحتى مع **إظهاره الاسلام** - من جانبه قبل أن يتمَّ فتح مكّة، ولهذا أمر صلّى الله عليه وآله عمَّه العباس بأن يحبسه بمضيق الوادي عند ممرّ الجنود ليُبصر عظمة القوات الاسلامية، وكثافتها قائلاً:

«يا عبّاس احبسْه بمضيق الوادي عند خَطم الجبَل **(أي انفه)** حتى تمرَّ به جنودُ الله فَيراها».

ثم إن العباس قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله: يارسول الله إنَّ أباسفيان هذا رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئاً.

و استجاب رسول الله صلّى الله عليه وآله لهذا الطلب، ومع أن أباسفيان كان قد عادىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله والّب ضدَّه طيلة عشرين عاماً، وأثار في وجه دعوته الحروب والفتن الكثيرة، ووجّه بذلك ضربات كثيرة إلى الاسلام والمسلمين، **فمنحه** -رغم ذلك ولمصالح خاصة- مقاماً، وقال كلمته التاريخية في حقه... تلك الكلمةُ التي تكشف عن عظمة أخلاق رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله وسمو روحه، وعمق حكمته اذ قال:

«مَنْ دخَل دارَ أَبي سفيان فهو آمِن.

و مَنْ أغْلقَ بابَه فهوَ آمِن.
و مَنْ دخل المسجد فهو آمن.
و مَنْ طرَحَ السلاح فهو آمن»[١].

* * *

مكة تستسلم من دون إراقة دماء:

تقدَّم جيشُ التوحيد العظيم نحو مكة، حتى أصبح على مقربة منها.

و قد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله عازماً على أن يفتح مكة من دون إراقة دماء، وإزهاق أرواح، وأن يسلّم العدوُّ من دون أيّة شروط.

و كان من العوامل التي ساعَدتْ على تحقيق هذه الغاية ـ مضافاً إلى عامل التكتم والتستُّر ومبدأ المباغتة ـ أن العباس عمّ النبي صلّى الله عليه وآله توجّه إلى مكة كداعية صلح ووسيط سلام بين قريش والنبي صلّى الله عليه وآله فكان أن أتىٰ بأبي سفيان الى معسكر الاسلام كما أسلفنا، وبذلك توصّل إلى تحييد أبي سفيان، ولم يكن في مقدور سادة قريش أن يتخذوا قراراً حاسماً من دون أبي سفيان.

و عند ماخضع أبو سفيان أمام عظمة رسول الاسلام الفريدة وأظهر الاسلام، رأىٰ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أن يستفيد منه لإرعاب المشركين اكثر قدر ممكن، فأمر العباس بأن يحبسه عند مضيق الجبل ليرى بأُم عينيه حشود المجاهدين من المسلمين ـ كما أسلفنا ـ في وضح النهار مع كامل عدّتهم واسلحتهم، ونظامهم وقوتهم، فيخبر قريشاً بذلك، فيزيدهم خوفاً ورهبة، فينصرفُوا عن فكرة مقاومة الجيش الاسلامي عند دخوله الى مكة.

و فعل العباس ما أمره الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله فحبس أباسفيان

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٤٠٠و٤٠٤، مجمع البيان: ج١٠ ص٥٥٤ ـ ٥٥٦، المغازي: ج٢ ص٨١٦ ـ ٨١٨، شرح نهج البلاغة الحديدي: ج١٧ ص٢٦٨.

٤٨٦ ـــــــ

و عند ما كانت هذه القبائل والقطعات تمرّ، سألَ أبوسفيان العباس عن إسمها، وخصوصياتها، فكان العباس يوضح له كل ذلك.

والذي كان يزيد هذا الجيش المنظم جلالاً وعظمة أن قادة هذه الافواج والكتائب كانوا اذا مروّا على العباس وأبي سفيان كبّروا ثلاثاً بأعلى أصواتهم وبشكل منظّم، وكبّر من ورائهم جنودهم بصوت واحد ومنظم أيضاً كأكبر شعار اسلامي.

ولقد كان لهذه التكبيرات الهادرة التي كانت تدوّي في وديان مكة، وتردّدها الجبال والوديان، أكبر الاثر في نفوس الاصدقاء والاعداء، فكانت تزيد بهيبتها وجلالها من محبة الاصدقاء للنظام الاسلامي العظيم، بينما ترهب أعداءالله، وتغرقهم في خوف ورعب شديدين.

هذا و كان أبوسفيان ينتظر بفارغ الصبر عبور الكتيبة التي فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله ولهذا كان يسأل العباس كلما مرّت قطعةٌ من قطعات الجيش الاسلامي: أفيها محمَّد؟ أو مامضىٰ بعدُ محمَّد؟!

فيقول العباسُ: لم يمض بعدُ، لو رأيت الكتيبة التي فيها محمَّد صلّى الله عليه وآله رأيت الحديد والخيل والرجال وماليس لأحد به طاقةٌ.

و بينما هما كذلك إذ طلعت كتيبةٌ عظيمةٌ قوامُها خمسةُ آلاف مقاتل، فيها ألفا دارع فقط، فيها الرايات والألوية الكثيرة، فيها المهاجرون والانصار، مع كل بطن وقبيلة من قبائل الأنصار راية ولواء، وكانت تسمى كتيبة رسول الله صلّى الله عليه وآله الخضراء لأن أفرادها كانوا في الحديد لايُرىٰ منهم إلا الحدُق، وقد ركبوا الخيول العربية الاصيلة،والحُمُر من الإبل، ورسول الله صلّى الله عليه وآله في وسطها راكبٌ على ناقته القصوى، وقد أحدق به كبارُ الشخصيات من

ج٣ ص٨٠٠ و ٨٠١ و ص ٨١٩ بشكل دقيق، و قد نقلها عنه ابن أبي الحديد في ج١٧ ص ٢٧٠ و ٢٧١.

المهاجرين والانصار، والنبيّ صلّى الله عليه وآله يحدّثهم.

فارعبتْ عظمةُ هذه الكتيبة أباسفيان، بشدة، حتى أنه قال للعباس من دون إختيار: مالِأحَدٍ بهؤلاء قِبَلٌ ولاطاقة يا أباالفضل! والله يا اباالفضل لقد أصبح ملكُ ابنُ أخيكَ الغداة عظيماً.

فقال له العباس ـ بنبرة موبّخة ـ: ويحك يا أباسفيان ليس بملك إنّها النبوّة.

فليس هذه العظمة والجلال من أثر المُلك المادّي الدنيوي إنما هو هو فعلُ الرسالة الالهية، إنه جلال النبوة، وانه بالتالي من فضل الله عزّوجلّ الذي أدخلَ الاسلامَ في قلوب هذه الجماهير المؤمنة، وهذه الجموعُ المجاهدة في سبيل الله.

أبوسفيان يرجع إلى مكة:

إلى هنا قام العباس بدوره على أفضل صورة، فقد أُرعبَ أبوسفيان من قوة الاسلام العسكرية الكبرىٰ، ولهذا رأى النبي صلّى الله عليه وآله أن يخلّىٰ سبيله ليذهب إلى مكة قبل دخول جنود الاسلام فيها، فيخبر أهلها بعظمة وقوة الجيش الاسلامي القادم اليهم، ويحذّرهم من مغبة المقاومة والمواجهة، ويدلهم على طريق الخلاص والنجاة، وهو التسليم للأمر الواقع، والقاء السلاح، والاستسلام من دون قتال ومقاومة، ومن دون قيد وشرط، لأن بمجرد تخويف أهل مكة من دون إرشادهم إلى طريق الخلاص ماكان ليتحقق هدف النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله، وهو الفتح من دون دماء.

فدخل أبوسفيان مكة، وقد بات الناسُ ليلتهم في رعب شديد، و ترقّب رهيب حتى أصبحوا، ولم يكن بامكانه أن يقرّروا شيئاً من دونه، فلما رأوه قادماً أحاطوا به، فاخذ يشير الى ناحية المدينة، وقد اصفرَّ وجهه، وانهارت قواه وصرخ بأعلى صوته: يامعشر قريش، هذا محمَّد قد جاءكم فيما لاقِبَلَ لكم به، أو قال: هذامحمَّد في عشرة آلاف فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمِن. ومن ألقى السلاح فهو آمِن، ومن دخل المسجد فهو آمِن، ومن أغلق بابه فهو آمِن.

على أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يكتف بهذا بل أضاف إلى الأماكن الثلاثة التي أعلنها للجوء الناس اليها حتى يأمنوا من القتل، موضعاً آخر، حيث عقد لابي رويحة «عبدالله بن عبدالرحمان الخثعمي» لواء وأمره أن ينادي:

«من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن»[1].

و قد تسبّب أبوسفيان بندائه في إضعاف المعنويات عند أهل مكة بشدة حتى أنهم انصرفوا عن فكرة المقاومة، لو كانت، وأثمرت جهود العباس ومساعيه في الليلة الفائتة، وأصبح فتحُ مكة من دون مقاومة في نظر أهل الرأي وعند من ينظر الى واقع الامور، أمراً مسلّماً وقطعياً.

ففزع الناس، وتفرّقوا، ولجأ بعضهم إلى دُورهم، والبعض الآخر الى المسجد، وأسدى أعدى أعداء الرسالة ونعني أباسفيان، ونتيجة لتدبير رسول الله الحكيم، أكبر خدمة لجنود الاسلام، حيث مهّد لهم ـ بما أوجده في نفوس المكيين وقلوبهم من هزيمة نفسية ـ طريق الفتح العظيم بسلام، ومن دون مشاكل تُذكر، اللّهم إلا «هند» زوجة أبي سفيان التي كانت تحرّض الناس على المقاومة، وراحت تشتم زوجها وتسبُّه باقذع الشتائم والسباب، وتتهمه بالجبن والذل.

بيد أنَّ الأمر كان قد قُدِر، ولم تعد تنفع أيّة محاولة معاكسة، ولم تكن تلك الكلمات والأعمال المعارضة سوى هباء في شبك!

و نظير هذا الذي فعلته هند، مافعله وقام به بعض الزعماء المتطرفين مثل «صفوان بن أُميّة» وعكرمة بن أبي جهل» و «سهيل بن عمرو» ممثّل قريش في صلح الحديبية، الذين تحالفوا فيما بينهم على أن يعملوا على منع قوات الاسلام من دخول مكة، وانخدع بهم فريق من البسطاء والمغفلين، فشهروا السلاح ني وجه أول قطعة من قطعات الجيش الاسلامي، وسدّوا بذلك الطريق عليها في محاولة

---

(١) امتاع الاسماع: ج١ ص٣٧٩.

٤٩٠ ـــــــ

و مراعاة لجانب الحذر والاحتياط فرّق صلّى الله عليه وآله جنوده فأمر البعض بأن يدخلوا مكة من أسفلها، وأمر البعض بأن يدخلوها من أعلاها، ولم يكتف بهذا بل أمر وحدات من الجيش بان تدخل من جميع المداخل والطرق المؤدية إلى داخل مكة.

فدخلت جميع وحدات الجيش الاسلامي وقطعاته وكتائبه وفرقه مكة من دون قتال ومن دون ان تلقى من أهلها مقاومة، فقد كانت جميع الأبواب مفتحة في وجوههم الاّ المدخل الذي دخل منه «خالد بن الوليد» بفرقته، فقدعمد جماعة من المكيين بتحريض من «عكرمة» و «صفوان» و «سهيل» على شهر أسلحتهم في وجوه المسلمين، ورموا بالنبل لمنعهم من دخول مكة، ووقع قتال بين الجانبين، ولكن محرّضي هذه الجماعة اختفوا بعد شيء من القتال والمقاومة، وفرّ الآخرون بعد أن قتل منهم المسلمون اثنى عشر أو ثلاثة عشر شخصاً[1].

و مرة أُخرى قام أبوسفيان و من حيث لايشعر بعمل آخر لصالح الاسلام في هذه الحادثة، فانه كان لايزال مرعوباً ممّا رأى من كثرة الحشود العسكرية الاسلامية وقوتها وكان يعلم ان المقاومة لاتجدي نفعاً ولاتجرُّ على أهل مكة إلاّ الضرر، ولهذا نادى بأعلى صوته ـ حقناً للدماء ـ: يامعشر قريش علام تقتلون أنفسكم؟ من دخَل داره فهو آمن، ومن وضع السلاح فهو آمن... فلايدفع محمَّداً شيء، فضعوا اسلحتكم، وادخلوا في بيوتكم، واغلقوا عليكم أبوابكم او ادخلوا المسجد، تسلموا.

فكان لنداء أبي سفيان هذا أثره في نفوس الناس فجعلوا يقتحمون الدور، ويغلقون عليهم، ويطرحون السلاح في الطرقات حتى يأخذها المسلمون، بينما لجأ بعضهم إلى المسجد.

و لما ظهر رسول الله صلّى الله عليه وآله على «ثنية أذاخر» نظر إلى لمعان

---

(١) السيرة النبوية: ج١ ص٤٠٨، وحسب المغازي: ج٢ ص٨٢٥ ـ ٨٢٦ قُتِلَ ثمان وعشرون رجلاً.

٤٩٢ ـــــــ

ودوّى صوتهم في الجبال والوهاد، وسمعه المشركون الذين كانوا قد تفرّقوا فوق الجبال ينظرون إلى ذلك المشهد وقد بلغ من هياج المسلمين، وهم يطوفون بالبيت من شدة سرورهم جداً كاد أن يمنع رسول الله صلّى الله عليه وآله من الطواف بالبيت بفكر هادئ فاشار اليهم صلّى الله عليه وآله أن أسكتوا، فسكت الجميع بأمره، وساد الصمت كل أرجاء المسجد الحرام، فطاف رسول الله صلّى الله عليه وآله بالبيت على راحلته، وقد أخذ بزمامها «محمَّد بن مسلَمة» وفيما احتبست الاصواتُ في الصدور، واتجهت الأبصارُ إليه صلّى الله عليه وآله فوقعت عيناه الشريفتان ـ في الشوط الأول من طوافه ـ على الاصنام الكبرى «هبل» و«اساف» و«نائلة» منصوبة فوق الكعبة، فجعل رسول الله صلّى الله عليه وآله كلّما مرّ بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: «جاء الحقُ وزهقَ الباطلُ إن الباطلَ كانَ زهُوقا» فيقع الصنم لوجهه.

و أمر صلّى الله عليه وآله بهُبل اكبر أصنام المشركين فحطم وكسر في مرأى من المشركين، ولقد كان هذا الصنم الكبير يهيمن على عقول الجاهليين في الجزيرة العربية، ويسيطر على أفكارهم أعواماً عديدة.

و لما كسر المسلمون ذلك الصنم قال الزبير لأبي سفيان وكان ينظر إلى ذلك المشهد: يا أباسفيان لقد كُسِر هُبَل، أما إنك قد كنت منه يوم «اُحُد» في غرور، حين تزعم أنه قد أنعمَ.

فقال أبوسفيان: دعْ هذا عنك يا ابن العوام فقد أرىٰ لو كان مع إله محمَّد غيرُه لكان غير ما كان.

و لما انتهى رسول الله صلّى الله عليه وآله من طوافه بالبيت انصرف فجلس ناحية من المسجد، والناس حوله، ثم أرسل بلالاً إلى «عثمان بن طلحة» يأتيه بمفتاح الكعبة، وكان عثمان يومذاك سادن الكعبة، وقد كانت السدانة تُتوارث جيلاً بعد جيل.

فجاء بلال إلى عثمان فقال: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله يأمرك أن

تأتي بمفتاح الكعبة، فاستجاب عثمان، إلّا أنّ أُمّه منعته عن ذلك، وكان المفتاح يومئذ عندها وقالت له: أُعيذك بالله أن تكون الذي تذهب مأثرةُ قومه على يديه.

فقال لها عثمانُ: فوالله لتدفعنَّه إليَّ، **أوليأتينّك** غيري فيأخذ منك، فسلَّمتْه إياه.

ففتح رسول الله صلّى الله عليه وآله به باب الكعبة ودخل البيت، ودخل من بعده صلّى الله عليه وآله أُسامة بن زيد وبلالُ وعثمانُ وسادتُها، ثم أمر النبيَّ باغلاق باب الكعبة، ووقف خالد بن الوليد على الباب يذبُّ الناس عن الباب.

و كانت جدرانُ الكعبة من الداخل مغطّاة بصور الانبياء والملائكة وغيرهم، فأمر النبيّ صلّى الله عليه وآله بمحوها جميعاً، وغسلها بماء زمزم.

عليٌّ عليه السَّلام على كَتِف النبيّ:

يقول المحدّثون والمؤرّخون: لقد كُسِرَت بعض الأصنام الموضوعة في الكعبة على يد «عليّ بن أبي طالب» وذلك عند ما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لعليّ عليه السَّلام:

«إجْلِسْ».

فجلس إلى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله صلّى الله عليه وآله على منكبي ثم قال: إنهَضْ بي إلى الصنم ... فحاول أن ينهض فلم يُطِقْ.

فلما رأى النبي ضعفَهُ تحته، قال:

«إجلسْ».

فجلس عليٌّ عليه السَّلام ثم نزلَ النبي صلّى الله عليه وآله عنه، ثم جلسَ صلّى الله عليه وآله ثم قال:

«ياعليّ إصعدْ على مِنكبي».

فصعد عليٌّ عليه السَّلام على منكبه، ثم نهض به فالقىٰ صنمَ قريش الاكبر، وكان من نحاس، ثم ألقى بقيّة الاصنام إلى الارض وحطّمها.

وقد أنشد شاعر الحلة الشهير بابن العرندس، وهو من شعراء القرن التاسع الهجريّ قصيدة ذكرها فيها هذه الفضيلة بقوله:

وَ صُعودُ غارب أحمد فضلٌ لهُ دون القرابة والصحابة أفضلا[1]

ثم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر بان يُفتح باب الكعبة فوقف على الباب، وأخذ بعضادتى الباب فاشرف على الناس بطلعته المنيرة ومحياه الجميل وقال:

«الحمدلله الَّذي صدَق وعْدَهُ وَ نصَرَ عَبْدَهُ وَ هَزَمَ الأَحزابَ وحْدَهُ».

ولقد كان الله سبحانه قد وعد نبيّه الكريم في آية من آيات الكتاب العزيز بأن يعيده الى مسقط راسه اذ قال: «إنَ الذي فَرضَ عَليكَ القرآن لرادُّك إلى معاد قُلْ ربّي اعلَمُ مَنْ جاء بالهدىٰ وَ مَنْ هُوَ في ضلال مُبين»[2].

و قد أخبر النبي صلّى الله عليه وآله بحمده هذا عن تحقّق وعدالله له، وبرهَن مرة أُخرى على صدقه، وصحة دعواه.

و في ما كان الصمتُ يخيّم على أرجاء المسجد الحرام، وفي ما كانت الانفاسُ محتبسة في الصدور، وتجول في رؤوس الحاضرين وانفسهم أفكارٌ مختلفة، وخواطرُ شتى، ويتذكر أهل مكة المشركون ماألحقوه برسول الله صلّى الله عليه وآله واتباعه من الأذى والعذاب الشديد، فتذهب بهم تصوراتهم مذاهب شتىٰ!!

إن الذي سبق لهم أن اشعلوا حروباً كثيرة ضد رسول الله صلّى الله عليه وآله وقتلوا خيرة شبابه وأصحابه، بل وتمادوا في غيهم وعدوانهم حتى أنهم تآمروا

---

(١) مسند احمد بن حنبل: ج١ ص٨٤ باسناد صحيح، السيرة الحلبية: ج٣ ص٨٦. تاريخ الخميس: ج٢ ص٨٦ و ٨٧، مستدرك الحاكم: ج٢ ص٣٦٧، وراجع بقية المصادر في موسوعة الغدير: ج٧ ص١٠ - ١٣.

(٢) القصص: ٨٥.

لاغتياله بالهجوم عليه في منزله ليلاً، وتقطيعه بالسيوف إربا إرباً، هاهمُ الآن يرون أنفسهم أسرى في قبضته، وهو صلّى الله عليه وآله قادر على أن ينتقم منهم كيفما شاء!!

إن من الطبيعي أن يتحدث أهل مكة في أنفسهم وهم يتذكّرون معاداتهم الشديدة والطويلة لرسول الله صلّى الله عليه وآله وجرائمهم الكبرىٰ بحقه، وبحق دعوته ويقول بعضهم: أنه سيقتلنا حتماً، أو يقتل فريقاً منا، ويحبس آخرين، ويسبي ذريتنا ونساءنا، جزاءَ مافعلنا.

و بينما كانوا ـ في تلك اللحظات ـ فريسة هذه الافكار والتصورات الشيطانية، كسر رسول الله صلّى الله عليه وآله جدار الصمت الرهيب الذي يخيم على أرجاء المسجد الحرام وقال سائلاً:

«ماذا تقولونُ... وماذا تظنون؟!».

فقال أهل مكة: وقد تملّكتهم حيرةٌ شديدةٌ، وخوفٌ عظيمٌ وهم قد عَرَفوا رحمة النبي ورأفته، ولطفه لطفه، وخُلقه العظيم: نقول خيراً، ونظن خيراً، أخٌ كريم، وابن أخ كريم، وقد قدرت.

فقال رسول الله و نبي الرحمة صلّى الله عليه وآله، وقد سمع هذه العبارات العاطفية:

فاني أقولُ لكُمْ كما قال أخي يوسف «قال لا تثْريب عليكُمُ اليوم يَغْفِرُ الله لكُمْ وَ هُوَ أَرحمُ الراحمين»[1].

و كان أهلُ مكة قد اطمأنُّوا إلى عفو النبي وصفحه قبل ذلك نوعاًمّاً عند **مارأوا ردّ** فعله الشديد على أحد قادة جيشه عند ما أخذ ينادي حين دخول مجموعته العسكرية مكة من احدى مداخلها:

اليومَ يومُ المَلحمة اليومَ تُسبىٰ الحُرمَة

---

(١) المغازي: ج٢ ص٨٣٥، بحارالأنوار: ج٢١ ص١٠٧ و ١٣٢ والآية المذكورة هي ٩٢ من يوسف.

فغضب رسول الله صلّى الله عليه وآله لهذا الشعار وقال رداً عليه:

«اليوم يوم المرحمة»(١)

كما أنه أمر ـ لغرض تأديب من أطلق هذا الشعار ـ بأخذ اللواء منه، وأعطاه إلى شخص آخر، وقيل إنّه صلّى الله عليه وآله عزله عن قيادة المجموعة، وأمرٌ أبنه مكانه، وكان هذا الأمير هو سَعد بن عبادة رئيس الخزرج.

و قد دفع هذا النوع من اللُطف والموقف الايجابي الذي لاحظه أهل مكة المشركون أن يأمل الناس المغلوبون في العفو العامّ إلى درجة كبيرة، خاصّة أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قد أمّن من دخل المسجد الحرام أو بيت أبي سفيان، أو ألقى السلاح، أو أغلق على نفسه باب منزله.

كلُ هذه الأُمور كانت قد فُتحت على أهل مكة بصيصاً من الأمل في العفو الشامل.

النبيُ يعلنُ عن العفو العام:

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله أعلنَ عن العفو العام عن جميع أهل مكة بقوله:

«ألا لبئسَ جيرانُ النبيّ كنتُمْ، لقد كذّبتُمْ، وطردتمْ، وأخرجتُمْ، وَ آذيتمْ، ثم مارضيتُمْ حتى جئتموني في بلادي تقاتلونني إذهبُوا فانتمُ الطُلقاء»(٢).

بلالُ يرفع الأذان على سطح الكعبة:

ثم حان وقتُ صلاة الظهر، فعلا مؤذن الاسلام «بلال» الحبشي سطح الكعبة المعظمة، ورفع في الحاضرين وبصوت عال نداء التوحيد والرسالة

---

(١) المغازي: ج٢ ص ٨٢١ و ٨٢٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٢١ ص ١٠٦، السيرة النبوية: ج٢ ص٤١٢.

٤٩٨ ـــــــ

إنه لم يكن بالذي يهضمُ حقوقَ الناس ويدوسُها، في ظل ماأُوتي من قوة، ويقول للناس بكل صراحة: «خُذوها يابني أبي طلحة، تالدة خالدةٌ لاينزعها أحدٌ منكم الاظالم».

ثم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله ألغى جميع مناصب الكعبة التي كانت في الجاهلية إلّا ما كان نافعاً للناس كالسدانة والحجابة (وهي القيام بشؤون أستار الكعبة) وسقاية الحجيج[1].

النبيُ يتحدث إلى أقاربه:

و لكي يعرف أقرباء النبي صلّى الله عليه وآله أن وشيجة القربىٰ التي تربطهم برسول الله صلّى الله عليه وآله لا ترفع عن كاهلهم أيّة مسؤولية من المسؤوليات، بل تزيد من مسؤوليتهم ألقىٰ فيهم خطاباً خاصاً بيّن فيه أن رابطة القربىٰ مع النبي صلّى الله عليه وآله لا تبرّر لأحد من أقربائه بأن يتجاهل قوانين الحكومة الاسلامية، ويتخذ من انتسابه إلى زعيم هذه الحكومة ذريعة وغطاء لارتكاب مالايحلُ للآخرين كما هو الحال في أنظمة الحكم البشرية.

و لقد شجب رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في خطابه هذا الذي خطبه في اجتماع ضمّ رجال بني هاشم وبني عبدالمطلب، كل تمييز، وتفضيل غير صحيح، ودعا إلى لزوم العدل ومراعاة المساواة، بين جميع الطبقات اذ قال:

«يا بني هاشم، يا بني عبدالمطلب إنّي رسولُ الله اليكُمْ، و إنّي شفيقٌ عليكم، لا تقولوا: إنّ محمّداً منّا، فوالله ما أوليائي منكُمْ ولامِن غيركم إلّا المتقون فلا أعرفكم تأتوني يومَ القيامة تحملُون الدُنيا على رقابكم ويأتي الناسُ يحملون الآخرة.

ألا و إني قد أعذرت فيما بيني وبينكم، وفيمابين الله عزّوجلّ وبينكم و إن

---

(١) بحارالأنوار: ج٢١، ص١٣٢.

لي عَملي ولكم عملكم»[١].

خطابُ النبي التاريخي في المسجد الحرام:

كان الاجتماع الذي شهده المسجد الحرام يوم فتح مكة اجتماعاً عظيماً جداً.

المسلمون و المشركون، **والصديق** والعدو حضروا بأجمعهم في ذلك الاجتماع، **وكانت تجللُ** هالةٌ من عظمة الاسلام وعظمة نبيه الكريم صلّى الله عليه وآله رحاب ذلك المكان المبارك ، وكان الصمت والهدوء، وحالة من الانتظار والترقب، تخيم على اجواء مكة.

لقد آن الأوان- الآن - لأن يكشف رسولُ الله صلّى الله عليه وآله للناس عن الملامح **الحقيقية لدعوته** المباركة ويوقف ذلك الحشد الهائل المتعطش على معالم رسالته العظمى، ومبادى دينه الحنيف، وبالتالي أن يكملَ حديثه الذي بدأه قبل عشرين عاماً ولكنّه لم **يُوفق** لإتمامه بسبب مضايقات المشركين، ومعارضتهم، وبسبب ماأوجدوه من عقبات وعراقيل في طريقه.

ولقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله ابن تلك المنطقة، وتلك البيئة، ولهذا كان عارفاً -تمام المعرفة- بأمراض المجتمع العربي، وأدوائه، وعلاج تلك **الأدواء ودوائها**.

لقد كان يعرف صلّى الله عليه وآله علل إنحطاط المجتمع المكيّ واسباب تخلفه عن ركب الحضارة **والمدنية**، وعن اللحاق بقافلة التكامل البشري الصاعد.

من هنا رأى أن يضع يده على مواضع الداء في ذلك المجتمع المريض، وأن يعالج امراض البيئة العربية بشكل كامل، وكأي طبيب حاذق، وحكيم ماهر.

و نحن هنا ندرج أبرز المقاطع في الخطاب التاريخي الذي ألقاه سيد المرسلين

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص١١١.

صلّى الله عليه وآله على الحشود الكبيرة المتجمعة في ذلك اليوم عند بيت الله المعظم.

تلك المقاطع التي يعالج كل واحد منها مرضاً اجتماعياً خاصاً من أمراض المجتمع في ذلك العصر وحتى في عصرنا الحاضر.

١ ـ التفاخر بالنسَب:

كان التفاخر بالنسب والقبيلة **والعشيرة من** الامراض المستحكمة المتجذرة في البيئة العربية الجاهلية، وكان من اكبر أمجاد المرء أن ينتسب إلى قبيلة معروفة، ويتفرع نسبه عن عشيرة بارزة كقريش مثلاً:

و لقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطابه المذكور لإبطال هذه السنّة الجاهلية المقيتة.

«أيّها الناسُ إنَّ الله قد أذهبَ عنكم نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها.

ألا إنّكُمْ من آدم، وآدم من طين.

ألا إنَّ خير عباد الله عبدٌ إتّقاه».

لقد عمد رسول الله صلّى الله عليه وآله في خطابه ـ لإفهام العالم البشري بأن ملاك الشخصية والتفوق انما هو (التقوى) والورع فقط ـ إلى تصنيف الناس الى صنفين لا ثالث لهما، واعطى الفضيلة والمنزلة لأهل التقوى والورع خاصة.

و بهذا التصنيف الواقعي في ملاكاته أبطل جميع المعايير الخيالية والملاكات والمقاييس المصطنعة إذ قال:

«إنما الناسُ رجلان:

مؤمنٌ تقيٌّ كريمٌ على الله.

وفاجرٌ شَقيٌّ هَينٌ على الله».

٢ ـ التفاضل بالقومية العربية:

لقد كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعلم جيداً أن هذه الجماعة من

٥٠٢ ـــــــ

العربية هذه المشكلة.

فقد كان يتوجب عليه -بغية إقرار الأمن والهدوء والحفاظ عليهما في البيئة الاسلامية- أن يبادر الى وضع نهاية لهذه المعضلة، وأن يعالج هذا الداء المزمن فلم يجد دواء لهذا الداء إلّا أن يطلب من الناس كافة أن يتنازلوا عمّا لهم من دماء في أعناق الآخرين سُفِكت في العهد الجاهلي، وأن تعتبر جميع ملفات العهد القديم باطلة، ومنتهية، ليمكن عن هذا الطريق الحيلولة دون إراقة الدماء التي تعرض المجتمع الاسلامي الناشئ للخطر، وحتى ينتزع من أذهانهم ونفوسهم فكرة الاغارة والقتل العشوائي الذي كان يتمُ بحجة القصاص في حين كان من الممكن ان يتم بشكل القصاص الحقيقي العادل، فقال صلّى الله عليه وآله **للوصول إلى مثل هذه الغاية السامية.**

ألا إن كلَّ مال ومأثرة ودم في الجاهلية تحت قدميَّ **هاتين**».

٥ ـ الأُخوة الاسلامية:

و لقد ارتبط قسمٌ من خطاب رسول الله صلّى الله عليه وآله في ذلك الحشد العظيم بمسألة اتحاد المسلمين ووحدة كلمتهم، وحق المسلم على اخيه المسلم.

وقد كان مقصودهُ صلّى الله عليه وآله من **بيان** هذه الحقوق المتبادلة بين المسلمين التي تعتبر من مميزات الدين الاسلامي **الحنيف**، هو أن يرغّب غير المسلمين في الاسلام إذا هم سمعوا ورأوا مثل هذه الحقوق، ومثل هذه العلاقات المتينة بين المسلمين.

فقد قال في **هذا الصعيد:**

«المُسلِمُ أخو المُسلم،والمسلمون إخْوَةٌ وهم يدٌ واحدة على من سواهم، نتكافؤ دماؤهم،ليسعى بذمتهم أدناهم»[1].

---

(١) لقد نقلنا هذه المختارات من: روضة الكافي: ص٢٤٦، السيرة النبوية: ج٢ ص٤١٢، المغازي: ج٢ ص٨٣٦، بحارالأنوار: ج٢١ ص١٠٥، شرح ابن أبي الحديد: ج١٧، ص٢٨١.

معاقبة المجرمين:

ليس من شك في أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان مظهراً كاملاً للانسانية والرحمة ومثلاً أعلى في العفو والصفح، فهو رغم مشاعر بعض المتطرفين الملتهبة، أصدر عفوه العام عن أهل مكة كافة.

بيد أنه كان هناك بين المكيين عدة أشخاص تجاوزوا الحد في معاداتهم للنبي ومعارضتهم للرسول، وارتكبوا في هذا السبيل جرائم لا تغتفر، فلم يكن من الصالح -مع كل ماتسبّبوه من فجائع وفضائع- أن يعيشوا بين المسلمين في أمان وراحة، إذ كان من الممكن أن يسيئوا استخدام العفو النبويّ فيعودوا إلى مشاغبتهم، وتآمرهم ضدّ الاسلام مرة أُخرى ويتسببوا في ظهور مشاكل أمنية جديدة لايُعرف مداها، وتبعاتها.

وقد قُتِلَ بعض هؤلاء المجرمين على أيدي المسلمين في الطرقات، ولجأ اثنان منهم إلى بيت «أُم هاني» بنت أبي طالب أُخت الامام علي عليه السَّلام، فلاحقهما «عليٌ» وهو غارقٌ في الحديد لايُعرف، فدخلَ بيت أُمّ هانئ يطلبهما[1] فواجهت أُم هانئ فارساً لايُعرف فقالت: أنا امرأة مسلمة وقد أجرتُ هذين، وجوار المسلمة محترم.

و في اكثر المصادر أنها قالت: ياعبدالله أنا أُم هاني ابنة عم رسول الله صلّى الله عليه وآله وأُختُ علي بن أبي طالب، انصرفْ عن داريَ.

وهنا عمَد الامام علي عليه السَّلام إلى الكشف عن هويته لتعرفه، فنزع المغفر عن رأسه، واسفر عن وجهه.

فما أن وقعت عينا أُم هاني على أخيها «علي» بعد فراق طال سنيناً عديدة

---

(١) يقول ابن هشام إن الرجلين هما: «الحارث بن هشام» و«زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة (السيرة النبوية: ج٢ ص٤١١).

ومديدة إلا وانحدرت منهما دموع الشوق والفرحة، واعتنقت أخاها، ثم توجها معاً الى رسول الله صلّى الله عليه وآله ليعطي رأيه في أمانها، وجوارها فامضى رسول الله صلّى الله عليه وآله جوار تلك المرأة المسلمة، وأمانها قائلاً:

«قد أجرْنا من أجرتِ وأمَّنّا من أمَّنتِ فلا يقتلها»[1].

وقد كان عبدالله بن أبي سرح الذي أسلم ثم ارتدّ عن الاسلام احد العشرة الذين أمر النبي بقتلهم، ولكنه نجا من القتل بشفاعة عثمان له.

قصّة عكرمة وصفوان:

ولقد فرّ «عكرمة بن أبي جهل» أحد كبار مثيري الحروب ومشعلي الفتن ضد الاسلام والمسلمين، إلى اليمن، إلا أنّه نجا من القتل هو الآخر بشفاعة زوجته، في قصة مفصلة.

و أمّا «صفوان بن أُميّة» فانه مضافاً إلى جرائمه الفادحة، كان قد قتل مسلماً إنتقاماً لأبيه «أُمية بن خلف» الذي قُتِلَ على أيدي المسلمين في بدر، وذلك عند ماصلبَهُ أمام حشد كبير **من أهل مكة في وضح** النهار، ولهذا أهدر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله دمَه، فعزم ان يخرج من الحجاز عن طريق البحر فراراً من القتل، وبخاصة عند ما علم بأنه من جملة العشرة الذين أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بقتلهم وأهدَرَ دمهم.

فطلب «عمير بن وهب» من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يعفو عنه، فقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله شفاعته، وأعطاه عمامَتهُ ليدخلَ بها مكة كعلامة أمان من رسول الله صلّى الله عليه وآله، ويصطحب معه إلى مكة «صفوان بن أُمية»، فذهب عُميرٌ إلى جَدّة، وأخبر صفوان بذلك، وقدم به مكة

---

(١) الارشاد: ص٧٢ إعلام الورى بأعلام الورى: ص١١٠، السيرة النبوية: ج٢ ص٤١١، الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٤٤ و١٤٥.

٥٠٦ ـــــــ

الله عليه وآله البيعة من النساء بشكل ظاهريّ ورسميّ، ولقد بايعنَهُ على الامور التالية:

١ ـ أن لايُشركنَ بالله شيئاً.

٢ ـ ولايسرقن.

٣ ـ ولايزنين.

٤ ـ ولايقتلن أولادهن.

٥ ـ ولايأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهنَّ.

٦ ـ ولايعصين النبي في معروف.

ولقد تمت هذه البيعة بالكيفية التالية وهي: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر بقدح من ماء ثم ألقى في الماء شيئاً من الطيب والعطر ثم ادخل يده فيه وتلا الآية[1] التي وردت فيه الامور المذكورة ثم نهض من مكانه وقال صلّى الله عليه وآله للنساء:

«مَنْ أرادتْ أن تبايع فلتُدخلْ يدها في القدح فاني لاأُصافحُ النساء»[2].

وكانت العلّة في أخذ مثل هذه البيعة ـ الخاصة في موادها وبنودها ـ من نساء مكة هي وجود عدد كبير من النسوة الفاسدات بينهن، فلو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لم يُقدِمْ على أخذ مثل هذه البيعة منهن لكان من المحتمل أن تستأنف تلك النسوة الفاسدات عمَلهنَّ القبيح حتى في السرّ.

و كانت «هند» زوجة أبي سفيان بن حرب، وأُم معاوية ذات السوابق السوداء والفاضحة من بين تلك النسوة.

و قد كانت هذه المرأة لفضاضة في طبعها وخشونة، في سلوكها، تهيمن على عقلية زوجها أبي سفيان، ولطالما فرضت عليه آراءها، حتى أنها يوم قرّر أبوسفيان الاستسلام للأمر الواقع، ورغّب أهل مكة في السلام حرّضت الناس على القتال

---

(١) الممتحنة: ١٢.

(٢) بحار الأنوار: ج٢١ ص١١٣.

٥٠٨ ـــــــ

العبارة سيلتفتون بانظارهم إليها لذلك لهذا سارعت فوراً -وبهدف صرف الأنظار عن نفسها- إلى القول: وهل تزني إلّا الأمة دون الحرة.

و من الصدف انه كان من الرجال في ذلك المجلس بعض من سَبقت له معها علاقات غير مشروعة في العهد الجاهلي فتعجب من إنكارها، فضحك حتى استغرق في الضحك، وتسبّب دفاع هند عن نفسها في المزيد من افتضاحها[١].

هدمُ بيوت الاصنام بمكة وماحولها:

كانت في مكة وضواحيها بيوتٌ عديدةٌ وكثيرةٌ للاصنام التي كانت تقدّسُها، وتحترمُها القبائلُ المختلفةُ القاطنة في تلك المناطق، وحتى يقضي رسول الله صلّى الله عليه وآله على جُذُور الوثنية في أرض مكة قام بارسال فرق عسكرية متعددة إلى تلكم المناطق لهدم تلك المعابد، والبيوت، وإزالة الاصنام والاوثان.

كما أنّه صلّى الله عليه وآله أعلن في مكة نفسهاأن من كان في بيته صنمٌ فليكسره، وفي هذا السياق أرسل «عمرو بن العاص» لتحطيم صنم «سواع» وسعد بن زيد لهدم صنم «منات».

و توجه «خالد بن الوليد» على رأس فرقة عسكرية الى «تهامة» لدعوة قبيلة «جذيمة بن عامر» إلى الاسلام، وهدم صنم «عزّى»، وقدنهاهُ رسول الله صلّى الله عليه وآله حين كلّفه بهذه المهمة عن القتال وإراقة الدماء وبعث معه «عبدالرحمان بن عوف» ليعينه على ذلك.

و كانت قبيلةُ بني جذيمة قد قتلت عمّ خالد بن الوليد[٢] ووالد عبدالرحمان لدى رجوعهما من اليمن في ايام الجاهلية وصادرت أموالهما، ولهذا كان «خالد»

---

(١) مجمع البيان: ج٥ ص٢٧٦.

(٢) هو الفاكه بن المغيرة بين عبدالله بن عمر بن مخزوم راجع للوقوف على اصل هذه الواقعة السيرة النبوية: ج٤ ص٧٤ وتاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٦١.

٥١٠ ـــــــ

«أصبت واحسنت».

ثم قام رسول الله صلّى الله عليه وآله واستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى انه ليُرى ممّا تحت إبطيه وقال:

«اللّهم إنّي أبرأ ممّا صنَع خالد بن الوليد».

قالها ثلاث مرات[١].

لقد تلافى علي عليه السَّلام جميع الخسائر المادية والروحية التي لحقت ببني جذيمة، وقد أعطى شيئاً من ذلك المال لمن ارتاع، وفزع من صنع خالد وجنوده، وطيّب خواطرهم وقال: وهذه لروعة القلوب.

و عند ماعرف رسول الله صلّى الله عليه وآله بصنيع عليّ عليه السَّلام وإجراءاته العادلة والانسانية مع بني جذيمة المنكوبين قال في حقه:

«والله مايسرُّني ياعليُّ أنَّ لي بماصنعت حُمُر النِعَم[٢].. أرضيْتَني رضي الله عنك... يا عليُّ أنت هادي أُمّتي، ألا إن السعيدَ كُلَ السعيد من أحبَّك وأخذ بطريقتك، ألا إن الشقيَّ كل الشقيّ من خالفكَ ورغبَ عن طريقتك إلى يوم القيامة...»[٣].

جرائم أُخرى لخالد:

لم تقتصر جرائم خالد التي ارتكبها طيلة حياته الاسلامية في ظاهرها على ماذُكر بل لقد ارتكب جريمة أُخرى في أيام حكومة «أبي بكر» اكبر وافضع ممّا مرت، واليك خلاصة هذه الواقعة:

لقد ارتدَّتْ بعض القبائل ـ بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله، أو

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٤٢٠، الكامل لابن الأثير: ج١ ص١٧٣و١٧٤ امتاع الاسماع: ج١ ص٤٠٠.

(٢) الخصال: ص ٥٦٢.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص ٣١٨.

٥١٢ ـــــــ

٥٠

معركة حنين

كانت طريقةُ رسول الله صلّى الله عليه وآله عند فتح أيّة منطقة من المناطق هي أن يقوم بنفسه بادارة شؤونها السياسية والدينية مادام هو فيها، فإذا أراد أن يغادرها عيّن أفراداً صالحين للقيام بتلك الأُمور، وشغل تلك المناصب لأن الناس في تلك المناطق كانوا قد اعتادوا على النظام المباد، ولم يكن لهم معرفة بالنظام الجديد، هذا من جهة، ومن جهة أُخرى فإن الاسلام دينٌ متكامل، ونظامٌ سياسي، إجتماعي، أخلاقي،ومعنوي يستمد قوانينهُ من منبع الوحي الطاهر، ويحتاج إيقاف الناس على تلكم القوانين والتعاليم، وتطبيقها العملي إلى أفراد صالحين متمرسين ومدرَّبين على التثقيف والتطبيق الصحيحين، ليمكنهم إيقاف الناس في تلك المناطق على مبادئ الاسلام وأُصوله الصحيحة، وتنفيذ البرنامج السماوي الاسلامي في حياتهم على النحو الصحيح.

و قد فعل رسول الله صلّى الله عليه وآله هذا عند فتح مكة، فانه صلّى الله عليه وآله بعد أن قرر مغادرة مكة والمسير إلى قبيلتي «هوازن» و«ثقيف» عيَّن «معاذ بن جبل» ليعلِّمَ الناس القرآن، وأحكام الاسلام، و«عتابَ بن أُسيد» الذي كان رجلاً مؤهَّلاً، لادارة الامور، والصلاة بالناس جماعة، ثم غادررسول‌الله صلّى الله عليه وآله مكة بأصحابه بعد أن مكث فيها خمسة عشر يوماً متوجهاً إلى أرض هوازن[1].

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٣٧، والمغازي: ج٣ ص٨٨٩.

جيشٌ قليل النظير:

كان الجيش الذي ساربه رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى هوازن يبلغ (١٢) ألفاً من الجنود المسلحين: عشرة آلاف هم الذين صحبوه من المدينة، وشاركوا في فتح مكة، وألفان من رجال وشباب قريش الذين أسلموا بعد الفتح، وقد أوكل النبي صلّى الله عليه وآله قيادتهم إلى أبي سفيان[١].

و لقد كان مثل هذا الجيش العظيم والجمع الكبير قليل النظير، ونادر المثيل في تلك العصور، وقد صارت هذه الكثرة ذاتها سبباً في هزيمته في مبدأ الأمر، فقد أعجب أفراد هذا الجيش بكثرتهم -على خلاف مامضى- فتجاهلوا التكتيكات النظامية الدقيقة، وغفلوا عن خطط العدو ونواياهُ فكان ذلك داعياً إلى هزيمتهم!!

فقد قال أبوبكر لما رأى كثرة المسلمين: لو لَقِينا بني شيبان ماباليَنا،لن نُغلَبَ اليومَ من قِلة[٢].

و لكنه لم يكن يعرف أن الانتصار ليس هو بكثرة الافراد وضخامة الجيش، بل ان هذا العامل غير مهمّ بالقياس إلى بقية العوامل.

و لقد أشار القرآن الكريمُ إلى هذه الحقيقة اذ قال تعالى:

«لَقدْ نصركُم الله في مواطِنَ كثيرة ويوم حُنيْن إذْ أعجبَتكُمْ كثرتكُمْ فلَمْ تُغن عَنْكُمْ شيئاً وضاقت عليكم الأَرض بما رحُبَتْ ثم ولَّيْتُمْ مُدبرينَ»[٣].

تحصيل المعلومات العسكرية:

بعد فتح مكة دبّت حركةٌ خاصةٌ في قبائل هوازن وثقيف، وجرت اتصالات مكثفة بينها، وكان حلقة الا تصال، والمدبر الحقيقي لهذه التحركات شاب عُرف

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٣٩، المغازي: ج٣ ص٨٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٥٠، المغازي: ج٣ ص٨٨٩.

(٣) التوبة: ٢٥.

بالفروسية والشجاعة يدعى «مالك بن عوف النصري».

و قد تقرّر بعد سلسلة من الاتصالات والمداولات بين زعماء هوازن وثقيف أن تبادر القبيلتان المذكورتان الى توجيه ضربة قوية الى جيش الاسلام عبر خدعة عسكرية، قبل أن يغزوها جنود الاسلام في عقر دورها.

فقد اختارت لقيادة هذه المهمة شاباً متهوراً في العقد الثالث من عمره هو مالك بن عوف النصرى الذي أشرنا اليه عماقريب، واشترك في هذه الغزوة جميع قبائل هوازن وثقيف بصورة موحّدة.

فكان من تدبير هذا القائد أن اقترح على جيشه أن يجعلوا النساء والاطفال والاموال وراء ظهورهم وعندما سألوه عن علة ذلك الاجراء قال: اردتُ من جعل كل رجل أهله وماله وولده ونساءه خلفه حتى يقاتل عنهم[1].

فقبل المشتركون في تلك العملية بأمر قائدهم هذا بالاجماع، وجعلوا أموالهم وأهليهم خلفهم.

وقد خالف شيخٌ مجربٌ حنّكته الحروب منهم يدعى «دريد بن الصمة» هذه الخطة عندما سمع رغاء البعير، وثغاء الشاء، وخوار البقر، وبكاء الصغير، وجادل فيها مالكاً، واعتبرها خطة فاشلة من الناحية العسكرية وقال للناس: ياقوم إن هذا فاضحُكُم في عورتكم، وممكِّنٌ منكم عدوَّكم، وهل يردُ المنهزم شيء؟

و لكن مالكاً لم يعر كلام هذا الشيخ ونصيحته اهتماماً وقال: ـوهو يتهمه بالجهل بفنون القتال الحديثةـ: أنك قد كبرت، وكبر علمك، وحدث بعدك من هو أبصرُ بالحرب منك.

و لقد اثبت المستقبلُ صحة ما قاله ذلك الشيخ المحنَّك فان إشراك النساء والاطفال والانعام في الحرب، وإخراجهم إلى ساحة القتال أحدث لمقاتلي

---

(١) المغازي: ج٣ ص٨٩٧.

٥١٦ ـــــــ

الوادي فاستراحوا ليلتهم عند فم الوادي، ومع غلس الصبح انحدرت كتيبة «بني سليم» بقيادة «خالد بن الوليد» في وادى «حنين»، وبينما دخل اكثر جنود الاسلام ذلك الوادي حمل عليهم رجالُ هوازن من كمائنهم في مضيق الوادي وشعابه حملة رجل واحد، وأخذوا يرشقونهم بالاحجار والنبال، فالقت أصواتُ الاحجار والنبال فزعاً شديداً في قلوب المسلمين الذين مُطروا بالسهام والنبال والاحجار من جانب، بينما احتوشهم فريقٌ آخر من هوازن بسيوفهم ووقعوا فيهم ضرباً وقتلاً.

أجل لقد فعلت مكيدة هوازن فعلتها في قلوب المسلمين، فقد أوحشتها، وأصابت المسلمين بالفوضىٰ، وخلخلت صفوفهم فلاذوا بالفرارمن دون إختيار، وقد أخلّوا هم بنظامهم أكثر من مافعله العدوُّ بهم.

ففرح المنافقون في جيش رسول الله صلّى الله عليه وآله لهذا الحادث، وسروا به سروراً عظيماً حتى قال أبوسفيان شامتاً: لاينتهي هزيمتُهم دون البحر، وقال آخر: الْا بطَلَ السحرُ اليوم، وقال ثالثٌ: لايجتبرها محمَّد و أصحابه، وعزم رابعٌ على اغتيال رسول الله صلّى الله عليه وآله في ذلك الوضع المضطرب وإطفاء شعلة رسالته المقدسة(١).

استقامة النبي و من ثَبتَ من أصحابه:

لقد ازعج فرارُ المسلمين الذي كان نابعاً ـ في الدرجة الاولى من الفزع والفوضى التي أصابتهم، رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأدرك صلّى الله عليه وآله بأنه لو تأخّر لحظة واحدة عن فعل مايجب أن يفعله لتغيَّر وجهُ التاريخ ولتبدّل مسار البشرية، ولحطّم جيش الشرك جيش التوحيد.

---

(١) المغازي: ج٣ ص ٩٠٩ ـ ٩١٠، السيرة النبوية: ج٢ ص٤٤٣، امتاع الاسماع: ج١ ص٤١١ و٤١٢.

٥١٨ ـــــــ

«أنا النبي لا كذب
أنا ابن عبدالمطلب».

و قد تسبَّب **استخدام** هذا التدبير العسكري الحكيم في إرعاب رجال هوازن ومن ساعدهم من ثقيف المقاتلين، بشدة بحيث انهزموا أمام هجوم المسلمين **هذا** هزيمة قبيحة ومنكرة، تاركين وراءهم اموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين**أتوبهم** الى ساحة المعركة، وجعلوهم خلف ظهورهم بناء على أوامر قائدهم مالك ـ كما أسلفنا، وفروا بعد أن قُتِلَ منهم جماعة إلى منطقة أوطاس ونخلة، وقلاع الطائف.

غنائمُ الحرب:

لقد بلغت خسائرُ المسلمين من الارواح في هذه المعركة ثمانية أشخاص في مقابل أسرستة آلاف نفر من العدو.

كما وأن المسلمين غنموا في هذه الواقعة أربعة وعشرين ألف بعير، وأربعين ألف رأس غنم، وأربعة آلاف أُوقية(١) من الفضة.

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله أمر بأن يؤخذ الاسرى والغنائم الى منطقة تدعى الجعرانة (وهي ماء بين الطائف ومكة) وكلّف أشخاصاً معيّنين بحراستها وحفظها وجعل الأسرى في بيوت خاصة، كما أمر بأن تُحفظ الغنائم من دون أن يتصرف فيها أحدٌ في ذلك المكان، ريثما يرى فيها رأيه، بعد ان يلاحق فلول العدو الذي فرّ الى أوطاس ونخلة والطائف(٢).

لقطتان من الخلق النبوي العظيم:

وينبغي ان نشير هنا إلى قصتين تدلان على سمو الاخلاق النبوية، وعمق

---

(١) الرطل ٢٥٦٤ غرام والاوقية ١/١٢ من الرطل فعلى هذا تكون الأُوقية ٢١٣ غراماً، وأربعة آلاف أُوقية تساوى ١٥٢. كيلو غراماً.

(٢) كتب ابن هشام في سيرته أن عدد القتلى في هذه المعركة كان أربعة أشخاص، ولكن معركة واسعة مثل هذه يتوقع أن يكون قتلاها اكثر من هذا العدد.

٥٢٠ ـــــــ

٥١

غزوة الطائف

«الطائف» من مصايف الحجاز و مِنَ المناطق الخصبة، الكثيرة الزرع فيها، وتقع الطائف في الجنوب الشرقي من مكة على بعد (١٢) فرسخاً منها، وقد كانت ولا تزال بسبب مناخها اللطيف، وبساتينها المثمرة، ونخيلها الكثيرة مقصداً بل مركزاً وموطناً لطلاب اللذة والراحة من أهل الحجاز.

و قد كانت قبيلة ثقيف التي كانت تُعدُّ من القبائل العربية القوية الكثيرة العدد تسكن في هذا البلد.

و كانت أعراب ثقيف من الذين شاركوا في معركة «حنين» ضدّ الاسلام والمسلمين، ثم لجأوا بعد الهزيمة المنكرة التي لحقت بهم على أيدي جنود الاسلام الظافرين إلى بلدهم الذي كان لهم آنذاك فيه حصن قويّ ومنيع.

و لتكميل الانتصار الاسلامي أمر الرسولُ القائدُ صلّى الله عليه وآله بملاحقة الهاربين المنهزمين في معركة حنين.

من هنا كلّف صلّى الله عليه وآله أبا عامر الأشعري وأباموسى الأشعري وفريقاً من جنود الاسلام بملاحقة من لجأ منهم إلى «أوطاس» فقُتِل القائدُ الأوّل في هذه الواقعة، واستطاع الثاني أن يحرز انتصاراً كبيراً على العدو ويفرق جمعه[1].

و أما النبي صلّى الله عليه وآله نفسه فقد توجه بالبقية من جيشه الى

---

(١) المغازي: ج٣ ص٩١٥ و ٩١٦.

٥٢٢ ـــــــ

فزاد من رميه واستمر في ذلك، فوقعت بين المسلمين بعضُ الاصابات نتيجة ذلك[١].

و الآن يجب أن نرى كيف حصل المسلمون على جهاز المنجنيق، هذا؟

يرى البعض أن سلماناً هو الذي صنع هذا الجهاز وعلّم المسلمين كيفية استخدامه في هذه الغزوة[٢].

و يرى آخرون ان المسلمين حصلوا على هذا الجهاز وغنموه من اليهود في خيبر عند فتح قلاعهم وحصونهم واصطحبوه معهم إلى الطائف واستخدموه في غزوها.

ولايبعد أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي قد ادخل بعض التحسينات على ذلك الذي جلبه المسلمون من خيبر، وعلّم المسلمين كيفية نصبه واستخدامه في القتال، فانه يستفاد من التاريخ أن المنجنيق لم يكن منحصراً في المنجنيق الذي حُصِل عليه من يهود خيبر، لأن النبي صلّى الله عليه وآله بعث الطفيل بن عمرو الدوسي لتحطيم أصنام لقبيلة «دوس» في وقت متزامن مع خروجه الى معركة حنين ثم الطائف فعاد الطفل فاتحاً مع من خرجوا تحت إمرته من جنود الاسلام الاربعمائه، وكانوا برمتهم من أبناء قبيلته، فقد قدم الطائف على رسول الله صلّى الله عليه وآله مع عدد واحد من جهاز المنجنيق وعربتين حربيتين خاصتين، وقد استُخدمت هذه الآليات في غزوة الطائف.

شدخُ جدار الحصن بالمنجنيق:

كان لابدّ لاخضاع العدو و دفعه إلى الاستسلام من القيام بحملات واسعة ومن مختلف الاطراف والنواحي، ولهذا تقرر أن يقوم جنود الاسلام، مضافاً إلى

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٥٨.

(٢) السيرة النبوية: ج٤ ص١٢٦، وابن هشام يرى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله هو اول من أستخدم المنجنيق في الجزيرة العربية.

٥٢٤ ـــــــ

في الحجاز بخصبها، وكثرة محاصيلها وخيراتها، لأن أهلها كانوا يجهدون كثيراً في تنمية نخيلهم وأعنابهم ورعايتها، ويُولُون الحفاظ عليها اهتماماً كبيراً، ويعطون هذا الأمر القسط الاكبر من جهودهم.

فأعلن رسولُ الله صلّى الله عليه وآله لتهديد المتمردين اللاجئين إلى الحصن، والمعتصمين به، بأنه سيعمد إلى قطع أعناب ثقيف، وإفناء مزارعها إذا واصل المعتصمون بالحصن مقاومتهم ولم يسلموا للمسلمين.

فلم يكترث العدوُ بهذا التهديد لأنه لم يك يتصور أن رسول الله صلّى الله عليه وآله ـ وهو النبي الذي عُرف برحمته ورافته ـ يستخدم مثل هذه الطريقة.

و فجأة وجدت «ثقيف» أن رسول الله صلّى الله عليه وآله أصدر أوامره بقطع الأعناب، واتلاف المزارع وتحريقها، فوقع المسلمون فيها يقطعون ويحرقون.

فعجّت «ثقيفٌ» لذلك وضجّت، واستغاثت برسول الله صلّى الله عليه وآله وأقسمت عليه بالرحم والقرابة أن يكف عن ذلك، فتركها رسول الله صلّى الله عليه وآله إحتراماً لوشيجة القربىٰ التي كانت بينه وبين «ثقيف».

ان المعتصمين بحصن الطائف وان كانوا من مثيرى معركة حنين والطائف، وتانك الغزوتان اللتان كلّفتا رسول الله صلّى الله عليه وآله الكثير من الخسائر والمتاعب غير أنه صلّى الله عليه وآله قَبِل مع ذلك التماس العدو وطلبه هذا، فابدىٰ وللمرة الأُخرى وجه الاسلام الرحيم وكشف عن إنسانيته في التعامل مع العدوّ اللدُود في ميدان القتال، وأمر أصحابه بالكف عن قطع الاعناب وتحريقها.

ثم إن مع مانعرفه ونعهدهُ من أخلاق رسول الله صلّى الله عليه وآله وأساليبه الانسانية في مجال التعامل مع العدوّ، يمكننا أن ندرك بسرعة أن الامر بقطع الاعناب وتحريق المزارع كان مجرد تهديد ومحاولة ضغط على العدو بحيث إذا لم تنجح هذه الطريقة معه لكفَّ عنها رسول الله صلّى الله عليه وآله حتماً.

* * *

٥٢٦ ـــــــ

الأسف أسماءهم، وخصوصياتهم، ولهذا كان قددبَّ نوعٌ من التعب في نفوس جنود الاسلام لم يكن من الصالح تجاهلُه.

وثانياً: أن شهر شوال قد انتهى، وبدأ شهر ذى القعدة الذي كان معدوداً عند العرب من الاشهر الحرُم وقد أيّد الاسلام فيما بعد هذه السُنّة، وأكّد حرمة الاشهر الحُرم.

من هنا كان من الضروري -حفاظاً على هذه السُنّة-[1] إنهاء الحصار في أقرب وقت لكي لا تتّهمُ عربُ ثقيف رسول الله صلّى الله عليه وآله بمخالفة السُنّة الصالحة وخرقها.

أضفْ إلى ذلك دُنوَّ حلول موسم الحج، مع العلم بأن إدارة ذلك الموسم ومناسكه كانت في ذلك العام للمسلمين، بعد أن كانت -قبل ذلك- تُدار بواسطة المشركين وبرعايتهم.

و لاشك أن موسم الحج الذي كان سبباً لحصول اجتماع بشريّ عظيم من سكان الجزيرة العربية كان يوفّر اكبر وافضل فرصة لتبليغ الاسلام، وبيان حقيقة التوحيد، وكان على النبي صلّى الله عليه وآله ان يستغلَ هذه الفرصة العظيمة التي أُتيحت له لأوّل مرة، في مجال الدعوة، ويستفيد منهااكثرقدر ممكن ويولي إهتمامه لقضايا أُخرى اكثر أهميّة وخطورة من فتح حصن واقع في منطقة نائية.

مع أخذ هذه الظروف بنظر الاعتبار ترك الرسول القائد صلّى الله عليه وآله حصار الطائف وعاد بجيشه إلى **الجعرّانة التي جعلها محلاً لحفظ أسرى حنين وغنائمها.**

---

(١) ويدلُّ على هذا الأمر أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله تَرك مكة متوجهاً الى الطائف في الخامس من شهر شوال واستغرقت مدةُ الحصار عشرين يوماً، وصرفت بقيّة الايام (وهي خمسة) في المسير إلى حنين، وفي المعركة.

وقولنا بأن الحصار طال عشرين يوماً يستند إلى رواية نقلها ابن هشام، إلّا أن ابن سعد ذكر مدة الحصار أربعين يوماً (الطبقات الكبرى ج٢ ص١٥٨).

حوادث مابعد الحرب :

انتهت حوادثُ معركة «حنين» و «الطائف» وعاد رسول الله صلّى الله عليه وآله من دون تحقيق نتيجة قطعية الى «الجعرانه» لتقسيم غنائم معركة «حنين».

و الغنائم التي حصل عليها المسلمون في معركة «حنين» كانت من اكبر الغنائم التي غنموها طوال المعارك الاسلامية كلّها، لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله يوم قدم «الجعرّانه» كان هناك ستة آلاف أسير و (٢٤) ألف من الإبل واكثر من (٤٠) ألف رأس غنم و(٨٥٢) كيلو غرام من الفضة يحافظ عليها في مركز الغنائم[١] وكان من الممكن أن تسدّد القيادة من هذه الغنائم قسماً كبيراً من ميزانية الجيش الاسلامي.

لقد مكث رسول الله صلّى الله عليه وآله في «الجعرّانة» ثلاثة عشر يوماً، وفي هذه المدة قسَّم تلك الغنائم بطريقة خاصة ملفتة للنظر وجديرة بالتأمل والدراسة.

فقد خلّى سبيل بعض الأسرىٰ، وتركهم لذويهم، وخطّط لاخضاع (او بالاحرى إسلام) مالك بن عوف النصري مثير معركة حنين والطائف الهارب، كما أظهر تقديره وشكره لمواقف الاشخاص في هاتين الغزوتين وخدماتهم، وجذب بسياسته الحكيمة افئدة أعداء الاسلام، ورغّبها في عقيدة التوحيد الشريفة، وأنهىٰ نقاشاً حدث بينه وبين جماعة الأنصار حول طريقة تقسيم الغنائم بخطبة جميلة.

و اليك تفصيل الكلام في المواضيع المذكورة:

١ ـ لقد دأب رسولُ الاسلام صلّى الله عليه وآله على احترام حقوق الأفراد، وتثمين جهودهم مهما ضؤلت ودقّت، وعلى أن لايبخس أحداً عمله، فإذا أحسن

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٥٢.

إليه أحدٌ قابل إحسانه بمايزيد عليه أضعافاً مضاعفة. و كان ذلك من أبرز صفاته وأخلاقه صلّى الله عليه وآله.

فقد رضعَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله و ترعرع في قبيلة بني سعد التي هي من قبائل هوازن، وقد ارضعته إمرأةٌ من هذه القبيلة تُدعى «حليمة السعدية»، وقد بقي في تلك القبيلة خمسة أعوام.

و قد شاركت قبيلة بني سعد في معركة حنين ضدَّ الاسلام فَسُبيت بعض نسائهم وأطفالهم على أيدي المسلمين، كما وقعت بعضُ أموالهم بأيديهم أيضاً، وقد ندمت على فعلها ندماً شديداً.

و قد كانوا يعلمون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله نشأ وترعرع فيهم، ورضع بلبن نسائهم هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى كانوا يعرفون أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ملء قلبه الرحمة والمروءة ومعرفة الجميل، فاذا سنَح لهم أنْ يذكّروه بذلك لأطلق أسراهم حتماً.

فقدمَ أربعة عشر رجلاً من رؤسائهم الذين كانوا قد أسلموا جميعاً «الجعرانة» على رسول الله صلّى الله عليه وآله وقد أمّروا على أنفسهم شخصيتين من رجالهم أحدهما هو «زهير بن صرد» والآخر عمٌّ للنبي صلّى الله عليه وآله من الرضاعة، فقالوا: يارسولَ الله إنّما في هذه الأسرى من يكفُلك من عماتِكَ وخالا تك، وحواضنك، وقد حضنّاك في حجورنا وارضعناك بثدينا، ولقد رايتُك مرضعاً فما رأيتُ مرضعاً خيراً منك، ورأيتُك فطيما فما رأيتُ فطيماً خيراً منك، ورأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منكِ، وقد تكاملَتْ فيك خلال الخير، ونحن مع ذلك أهلك وعشيرتُك فأمننْ علينا مَنَّ الله عليك.

و قال زهير بن صُرد: يا رسول الله إنّما في هذه الحظائر عماتُك وخالا تُك وحواضنُك اللاتي كنَّ يكفُلنَكَ، ولو أننا مَلحْنا للحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به رجونا عطفَه وعائدته علينا وأنت خير المكفولين.

٥٣٠ ـــــــ

ومن أبىٰ منكم وتمسك بحقه فليردَّ عليهم، فله بكل انسان ست فرائض (أي سوف أعطيه بدل الواحد ستاً) من أول مايفيء الله به علينا[١].

فكان لعمل النبي صلّى الله عليه وآله هذا أثرٌ عظيم في نفوس المسلمين حيث خلّوا سبيل جميع من كان في أيديهم من الاسرى والسبايا إلا امرأة عجوزٌ امتنع «عيينة» من ردّها إلى ذويها.

و هكذا أثمر عمل صالحٌ غُرست شَتيلته -قبل ستين عاماً- في أرض قبيلة بني سعد على يدى حليمة السعدية، فاتت أُكلَها بعد مدة طويلة، وأُطلق بفضل ذلك العمل الصالح سراح جميع الاسرى والسبايا من هوازن[٢].

ثم انَ رسول الله صلّى الله عليه وآله دعا أُخته من الرضاعة «الشيماء»[٣] وبسط لها رداءه ثم قال: اجلسي عليه، ورحّب بها، ودمعت عيناه، وسألها عن أُمّه وابيه من الرضاعة، فاخبرته بموتهما في الزمان، ثم قال صلّى الله عليه وآله لها:

«إن أحببت فأقيمي عندنا محبَّبة مكرَّمة و إن أحببت أن أُمتِّعك وترجعي الى قومك فعلت».

فقالت: بل تُمتّعني وتردّني إلى قومي، فمتَّعها رسول الله صلّى الله عليه وآله وردَّها الى قومها، بعد أن أسلمت طوعاً ورغبة، وأعطاها رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثة أعبُد وجارية[٤].

و قد قوىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله باخلائه سبيل جميع أسرى هوازن وسباياها من رغبة هوازن في الاسلام، فاسلموا من قلوبهم، وهكذا فقدت

---

(١) المغازي: ج٣ ص ٩٤٩ - ٩٥٣.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ١٥٣ و ١٥٤، السيرة النبوية: ج٢ ص٤٩٠، والحادثة التاريخية هذه جسّدت مضمون قول الله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صالحاً مِنْ ذكر أوْ أُنْثىٰ وَ هُوَ مُؤمنٌ ،فلنحيينَّهُ حَياة طيّبة **ولنجزينهم بأحسن** ماكانُوا يَعْملَون» (النحل: ٩٧).

(٣) هي الشيماء بنت الحارث بن عبدالعزى.

(٤) البداية والنهاية: ج٢ ص٣٦٣ و ٣٦٤، الامتاع: ج١ ص٤١٣.

٥٣٢ ـــــــ

وإذا الكتيبة عرَّدتْ أنيابُها بالسمهريّ وضرب كُلِّ مهنَّد
فكأنَّه ليثٌ على أشباله وسط الهباءة خادرٌ في مرصد

وصار يقاتل بتلك القبائل ثقيفاً لايخرج لهم سرحٌ إلّا أغار عليه حتى ضيّق عليهم لماحصل عليه من مكانة وعزة في الاسلام، وبعد أن أدرك قُبح موقف «ثقيف»[1].

٣ ـ تقسيم الغنائم :

كان أصحابُ رسول الله صلّى الله عليه وآله يلحّون عليه أن يسرع في تقسيم غنائم الحرب، ولكي يدلّل النبيُ الكريم صلّى الله عليه وآله على حياده الكامل في تقسيم الغنائم قام إلى بعير فأخذ وبرة من سنامه فجعلها بين إصبعيه ثم رفعها ثم قال:

«أيّها الناس والله مالي في فيئكم ولاهذه الوبْرة إلّا الخُمس، والخُمس مردودٌ عليكم، فادّوا الخياط والمخيط فإن الغُلولَ (أي الخيانة في بيت المال) يكونُ على أهْله عاراً، ونارا، وشناراً يومَ القيامة».

ثم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله قسَّم أموال بيت المال بين المسلمين، واما الخُمس الذي هو حقُه الخاص به فقد وزَّعه بين أشراف قريش الحديثي العهد بالاسلام يتألّفهم، ويتألفُ بهم قومهُمْ، فأعطىٰ من هذا المال لـ: أبي سفيان بن حرب، وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن الحارث، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وحويطب بن عبدالعزىٰ، والعلاء بن جارية وصفوان بن أُمية، وغيرهم ممّن كانوا يعادونه الى الأمس القريب من رؤوس الشرك ورموز الكفر، لكلِّ واحد منهم مائة بعير[2].

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص٤٩١ وعرّدت أي عوّجت.

(٢) راجع المحبّر: ص ٤٧٣، المغازي: ج٣ ص٩٤٤ ـ ٩٤٨، السيرة النبوية: ج٣ ص٤٩٣، امتاع الاسماع: ج١ ص٤٢٣.

و قد كان لهذا العطاء السخيّ أثره الطيب والبالغ في نفوس تلك الجماعة التي شملها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله برحمته، ولطفه، وعنايته، وكرمه، واشتدت رغبتهم في الاسلام.

و هذا الفريق هم من يُصطلح عليهم في الفقه الاسلامي بالمؤلفة قلوبُهم، وهم يشكّلون إحدى مصارف الزكاة بنص القرآن الكريم.

و يقول ابن سعد في الطبقات الكبرى بعد ان ذكر قصة هذا التقسيم الخاص للغنائم: وأعطى ذلك كله من الخمس وهو أثبت الاقاويل عندنا[1].

و لقد شق هذا النوع من الاسلوب في تقسيم الغنائم وهذا النمط من البذل الذي مارسه رسول الله صلّى الله عليه وآله، شقّ على بعض المسلمين، وبخاصة الانصار وقد جهلوا بالمصالح التي كان يراعيها، والأهداف العليا التي كان يتوخّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله من هذا النوع من البذل والعطاء (وهو تخصيص حديثي العهد بالاسلام باكثر الغنائم).

لقد كانوا يتصورون ان التعصب القبلي هو الذي دفع بالرسول القائد صلّى الله عليه وآله إلى أن يقسم خمس الغنيمة بين أبناء قبيلته حتى أن احدهم (وهو ذوالخويصرة التميمي) قال لرسول الله صلّى الله عليه وآله بكل وقاحة: يامحمّد قد رأيتُ ماصنعتَ في هذا اليوم، لم أركَ عدلت!!

فغضب رسول الله صلّى الله عليه وآله من كلامه هذا وقال:

«وَ يحَكَ إذا لَمْ يكُنْ العَدلُ عِندي فِعندَ مَنْ يكونُ»؟!

فطلب عمر بن الخطاب من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يأذن له بقتله، فلم يأذن له النبيُ وقال صلّى الله عليه وآله:

«دعْهُ فانَّه سيَكُونُ له شيعةٌ يتعمّقون في الدين (أي يتتبّعون أقصاه) حتى

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٣ ص١٥٣.

يخرجوا منه كما يخرج السهمُ من الرميّة»[١].

و قد كان هذا الرجلُ ـ كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله زعيم فرقة الخوارج في عهد حكومة الإمام علّي عليه السَّلام، فهو الذي قاد تلك الفرقة الخطرة، غير أن النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يقدم على عقوبته على مابَدَر منه فيما بعد لأن القصاص أو العقاب قبل الجناية يخالف قواعد الإسلام.

و لقد رفع «سعد بن عبادة» شكوى الأنصار حول كيفية تقسيم الخمس إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال النبي صلّى الله عليه وآله لسعد: إجمَعْ مَن كان هاهنا من الأنصار في هذه الحظيرة.

فجمع سعدٌ الانصار في تلك الحظيرة، فلما اجتمعوا دخل عليهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وعليه جلالُ النبوة، وهيبة الرسالة، فحمدالله واثنى عليه بالذي هو أهله ثم قال:

«يا مَعشَر الأنصارما مَقالةٌ بلغتني عنكم وجدَةٌ وجدتموها في أنفسكم؟ ألمْ آتكمْ ضُلاّلاً فهداكُمْ الله وعالة فاغناكم الله، وأعداءً فألّف الله بَين قُلُوبكُمْ»؟

قالوا: بلى الله ورسولُه أمَنُّ وافضلُ!

قال:

ألا تجيبوني يامعشر الانصار»؟

قالوا: وماذا نجيبك يارسول الله ولرسول الله المَنُّ والفضلُ؟

قال:

«أما والله لو شِئْتُمْ قُلْتُمْ فَصدَقْتُمْ أتيتَنا مكذَّباً فَصدّقناك ومخذولاً فنصَرْناكَ

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٤٩٦، السيرة الحلبية: ج٣ ص١٢٢، وفي المغازي: ج٣ ص٩٤٨ أن النبيّ صلّى الله عليه وآله قال فيه: «دعه إنّ له أصحاباً يحقّر أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... يخرجون على فرقة من المسلمين». وراجع امتاع الاسماع: ج١ ص٤٢٥، جاء في السيرة الحلبية انه أصل الخوارج.

٥٣٦ ـــــــ

٥٢
لاميّة كعب بن زهير المعروفة

«بانت سعاد...»

فرغَ رسول الله صلّى الله عليه وآله في منتصف شهر ذي القعدة، من السَنة الثامنة للهجرة من قسمة غنائم حنين في الجعرانة، وكان موسم الحج على الأبواب، وكانت هذه السنة هي السنة الأُولى التي كان يتوجب على الحجيج العرب، مسلمين ومشركين، أن يقوموا بمناسك الحج تحت رعاية الحكومة الاسلامية.

و كان اشتراك رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذه الشعائر يزيد الحج عظمة وجلالاً، وكان من الممكن ـ وبفضل قيادته الحكيمة ـ أن تتم في ذلك الحشد الهائل والاجتماع العظيم دعوةٌ صحيحةٌ وقويةٌ وواسعة إلى الاسلام، بينما كانت ثمة مسؤوليات في المدينة تنتظر عودة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد مضى على مفارقته المدينة مايقرب من ثلا ثة أشهر، وكانت الأعمال التي يجب أن يقوم بها هو بنفسه قد تعطّلت طوال هذه المدة.

و بعد دراسة هذه المسألة من جوانبها المختلفة رأى الرسول القائد صلّى الله عليه وآله أن يكتفي بعُمرة، يغادر بعدها مكة ليصل الى المدينة في أقرب وقت ممكن.

و لكنه صلّى الله عليه وآله رأى أنه لابدَّ أن يعيّن شخصاً صالحاً لادارة الامور السياسية والدينية في المنطقة الحديثة العهد بالفتح الاسلامي (نعني مكة) حتى لاتحدث في غيابه أزمةٌ فيها، وحتى تجري الأُمور على النسق الصحيح والمطلوب.

من هنا استخلف النبيُ صلّى الله عليه وآله «عتّاب بن اسيد» على مكة، وكان عتاب شاباً لبيباً يتسم بالصبر والجلد، وكان له من العمر اذ ذاك عشرون سنة، وقد قرّر له النبي راتباً قدره درهمٌ واحدٌ كل يوم.

وبهذا العمل (أي تعيين شاب حديث العهد بالاسلام والايمان في مقتبل العمر، ولكن كفؤ لتسيير الامور في مكة، وتفضيله على كثير من الشيوخ وكبار السنّ) حطّم رسول الله صلّى الله عليه وآله سداً خيالياً، ومفهوماً باطلاً في مجال التوظيف والتأمير.

فان جماعة من الناس لما أمّر رسول الله صلّى الله عليه وآله «عتاباً» على أهل مكة قالوا: إن محمّداً لايزالُ يستخفُّ بناحتى ولّىٰ علينا غلاماً حدث السنّ ابن ثمانية عشر سنة، ونحن مشايخُ ذوو الاسنان فاجابَهمْ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بقوله في كتاب كتبه لعتاب:

«لايحتجُّ مُحْتَجٌّ مِنْكُمْ في مخالَفتِه بِصغَر سنّه، فليسَ الاكبرُ هُوَ الأفضَلُ بَل الأَفضلُ هَوَ الاكبرُ وَ هُوَ الاكبرُ في موالاتنا وموالاة أوليائنا ومعاداة أعدائنا فلذلك جَعلناهُ الأَمير عليكمْ والرئيسَ عليكم فمن أطاعَه فمرحباً به و من خالفَهُ فلايُبعِدُ الله غيره»[١].

و بهذا أثبت صلّى الله عليه وآله عملياً أن حيازة المناصب الاجتماعية إنما تدور فقط حول معيار الأهلية والجدارة، والكفاءة، وأنَّ صِغر السنّ لايمنع من ذلك اذا كان صاحبُه يتمتع بكفاءة عالية.

ثم ان «عَتّاباً» قام فخطب في الناس فقال: أيّها الناسُ أجاع الله كبِدَ من جاع على درهم، فقد رزقني رسولُ الله صلّى الله عليه وآله درهماً كل يوم، فليست بي حاجةٌ إلى أحد[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢١ ص ١٢٢ و ١٢٣. امتاع الاسماع: ج١ ص٤٣٢ و ٤٣٣.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٠٠.

و أحسن رسولُ الله صلّى الله عليه وآله الاختيار أيضاً عندما عيّن «معاذ بن جبل» ليعلّمَ الناس القرآن ويفقههم في الدين، فقد كان معاذ ممن عرف بالفقه، والمعرفة باحكام القرآن بين أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لمابعثه للقضاء، الى اليمن سأله صلّى الله عليه وآله: بمَ تَقضي إن عَرضَ قضاءٌ فقال: أقضى بما في كتاب الله.

قال: فإنْ لم يكنْ في كتابِ الله؟

قال: أقضي بماقضىٰ بهِ الرسولُ.

قال: فإنْ لم يكنْ فيما قضىٰ به الرسولُ؟

قال: أجتَهِدُ رأيي ولاآلو.

فضرب النبي صلّى الله عليه وآله صدره، وقال:

«الحمدُ الله الّذي وفّقَ رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[1].

قصة كعب بن زهير بن أبي سلمىٰ:

كان «زهير بن أبي سلمى» من شعراء العرب البارعين في العهد الجاهلي. فهو صاحب إحدى المعلّقات السبع التي بقيت منصوبة في الكعبة المعظّمة حتى قُبيل نزول القرآن الكريم، وكانت تفتخر بها العربُ، وتبدأ معلّقتُه تلك بقوله:

أَمِنْ أُمّ أوفىٰ دِمنةٌ لم تكَلّمَ بِحَومانةِ الدرّاج فالمتثلّم

وقد توفي «زهير» قبل عصر الرسالة، وخلّف ولدين هما: «بجير»، و«كَعْب» وكان الأولُ ممّن آمنَ برسول الله صلّى الله عليه وآله ونَصَره، وأحبّه، بينما عادىٰ الثاني (كعب) رسول الله صلّى الله عليه وآله بشدّة، وحيث أنه كان ذاقريحة شعرية موروثة قوية، لهذا كان يهجو رسول الله صلّى الله عليه وآله في قصائده

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٣٤٧ و ٣٤٨، ويكتب الجزري في اسدالغابة: (ج٣ ص٣٥٨) كان عتاب رجلاً خبيراً صالحاً فاضلاً.

وأشعاره ويؤلّب الناس ضدَّ الإسلام.

و لما قدم رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة في الرابع والعشرين من شهر ذي القعدة كان «بجير» قد شارك مع النبي صلّى الله عليه وآله في فتح مكة، وحصار الطائف، وقد شاهد عن كثب كيف هدّدَ النبي صلّى الله عليه وآله بالقتل بعض الشعراء الذين كانوا يهجون رسول الله صلّى الله عليه وآله ويؤلّبون الناس ضدَّ الإسلام، وأهدر دماءهم.

فكتبَ بهذا إلى أخيه (كعب) ونصحه في آخر كتابه قائلاً: إن كانَتْ لكَ في نفسك حاجة فَطِر الى رسول الله صلّى الله عليه وآله فانه لايقتل أحداً جاءه تائباً.

فاطمأنَّ كعبُ بكلام أخيه، وتوجّه من فوره إلى المدينة فدخل المسجد ورسولُ الله صلّى الله عليه وآلهَ يتهيأ لصلاة الصبح، فصلّى مع رسول الله صلّى الله عليه وآله لأوّل مرّة ثم جلس اليه، ووضع يده في يده، وكان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله لايعرفه، فقال: يارسول الله إنَ كعب بن زهير قد جاء ليستأمِنَ مِنكَ تائباً مُسلِماً فهل أنت قابلٌ منه إن أنا جئتك به؟

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: نعم.

قال: أنا يارسول الله كعبُ بن زهير[1].

ثم أخرج كعبٌ قصيدته اللامّية العصماء التي مدح فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله والتي كان قد أنشأها من قبل، وانشدَها بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله في المسجد ليتلافىٰ بها ماسبق أن بدَرَ منه من هجاء وطعن في سيد المرسلين صلّى الله عليه وآله[2].

---

(١) روي أنه وثب على كعب -في تلك الحال- رجلٌ من الانصار فقال: يارسولَ الله دعني وعدوَّالله أن أضرب عنقه، فقال النبي صلّى الله عليه وآله: دعهُ عنكَ فانهُ قدجاء تائباً نازعاً (عما كان عليه) السيرة النبوية: ج٢ ص٥٠١.

(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص٢٤٢.

و هذه القصيدة الرائعة هي من أفضل قصائد كعب وقد اعتنى المسلمون بحفظها ونشرها منذ أن أنشدها الشاعرُ المذكور بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله في المسجد، وقد شرحها علماء الإسلام كثيراً، وعدد ابيات هذه اللامية (أي التي تنتهي قوافيها باللام المضمومة) ٥٨ بيتاً ومطلعها:

بانَتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ متيَّمٌ إثرَها لم يَغدَ مكبولُ

لقد بدأ كعب قصيدَته هذه ـ على عادة شعراء العهد الجاهلي (الذين كانوا يبدأون قصائدهم بمخاطبة محبوبتهم او مخاطبة الاطلال)ـ بذكر سعاد زوجته وابنة عمه، ولقد خصّها بالذكر لطول غيبته عنها، لهروبه من النبي صلّى الله عليه وآله فيقول: فارقَتْني سعادٌ فراقاً بعيداً فقلبي اليوم أسقَمه الحبُّ، وأضناه، فهو ذليلٌ لغيبتها لم يخلص من الأسر والقيد.

ثم يمضي في هذه النمط من الكلام حتى يصل إلى أن يعتذر من صنيعه السيّئ فقال:

نُبِّئتُ أنَّ رسولَ الله أَوعدَني والعَفوُ عند رَسول الله مأمولُ

مهلاً هَداك الذي أعطاك نافلَةَ القرآن فيها مواعيظٌ وتَفصيلُ

لا تأخُذَنّي بأقوال الوُشاة وَلَمْ أُذْنبْ ولو كَثُرتْ فيَّ الأَقاويلُ

إلى أن قال:

إن الرسولَ لنورٌ يُستَضاءبُه مُهنَّدٌ من سيوف الله مَسلولُ(١)(٢)

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٠١ـ٥١٤.

(٢) يقال: إن كعباً عندما فرغ من انشاء قصيدته كساه النبي صلّى الله عليه وآله بُردة كانت عليه، فلما كان زمن معاوية أرسل الى كعب أن بعنابُردة رسول الله، فقال: ماكنتُ لأُوثر بثوب رسول الله أحداً، فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم وهي البردة التي كان يلبسها الخلفاء الامويون والعباسيون (راجع الكامل في التاريخ ج٢ ص٢٧٦). وجاء في ناسخ التواريخ الجزء الثالث من المجلد الثاني ان كعباً لما قال «ان النبي لسيفٌ يستضاء به» قال رسول الله صلّى الله عليه وآله «إن النبي لَنُورٌ».

٥٤٢ ـــــــ

٥٣
علي بن أبي طالب في أرض طيّ

إسلام عَدِيّ بن حاتم :

انقضت السنة الهجرية الثامنة بكل حوادثها المُرّة والحُلوة، فقد سقطت اكبر قاعدة من قاعدة الوثنية والشرك في أيدي المسلمين، وعادَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى المدينة ظافراً منتصراً على أعداء الإسلام إنتصاراً كاملاً، وقد هيمنَت ظلالُ القوة العسكرية الإسلامية على اكثر أنحاء الجزيرة العربية ونقاطها.

كما أخذت القبائل العربية المتمرّدة التي لم تكن تتصور إلى ذلك اليوم أن يتحقق مثل هذه الإنتصارات لدين التوحيد، أخذت تفكّر شيئاً فشيئاً في التقرب الى المسلمين وقبول معتقداتهم، واعتناق دينهم.

من هنا كانت وفودُ القبائل العربية المختلفة، وأحياناً مجموعة من أفراد قبيلة مّابقيادة رئيسها تقدم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعلن عن إسلامها، وقبولها للرسالة المحمدية.

و قد ازداد قدومُ وفود القبائل هذه على عاصمة الإسلام (المدينة المنورة) في هذا العام حتى سمّي بعام الوفود[1].

---

(١) لقد سجّل المؤرخ المعروف محمّد بن سعد ـ في كتابه ـ خصوصيات واسماء هذه الوفود وتفاصيل القسم الاكبر من تفاصيل مادار بينها وبين النبي صلّى الله عليه وآله وماخصّهم به رسولُ ←

٥٤٤ ـــــــ

هو قمع أُولئك الطواغيت الذين كانوا يَصدُّون عن سبيل الله ويمنعون من دخول مجموعات الدعوة والتبليغ الاسلامية إلى مناطق الحجاز ونجد وغيرها.

إنَّ من البديهيّ أن لايتيسَّرانتشارأيّ دين، وتطبيق أي برنامج إصلاحي من دون تحطيم الطواغيت، وإزالة الأشواك من طريقه.

و من هنا نرى أنَّ جميع الانبياء والرسُل، وليس رسول الله فقط كانوا يجتهدون قبل أي شيء في تحطيم الطواغيت وإزالة السدود والموانع، من طريق الدعوة.

و يتحدث القرآنُ الكريم في سورة خاصة عن قدوم هذه الوفود على رسول الله صلّى الله عليه وآله وماحققه الإسلام من فتح وانتصار ساحق اذ يقول:

«بسْم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نَصْرُالله وَ الْفَتْح.وَ رأيتَ النّاسَ يَدخُلُونَ في دينِ الله أفواجاً.فَسبِّحْ بَحْمدِ رَبِّكَ وَ اسْتَغْفِرْه إنّهُ كانَ تَوّاباً»[1].

و بالرغم مِن هذا الإقبال المتزايد على الإسلام لدىٰ القبائل وقدوم الوفود المتلاحق على رسول الله صلّى الله عليه وآله فقد قام في السنة التاسعة من الهجرة ببعث عدة سرايا، ووقعت غزوة واحدةٌ، وكانت السرايا هذه لأجل إفشال المؤامرات التي كانت تحاك ضدّ الاسلام والمسلمين، وكانت في الأغلب لهدم الأصنام الكبيرة التي كانت لا تزال القبائلُ العربيةُ المشركةُ تقدسها وتعبدها، ومن جملة هذه السرايا سرية علي بن أبي طالب عليه السَّلام التي وُجِّهت إلى أرض «طيّ» بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله ومن بين ماوقع في السنة التاسعة يمكن الاشارة إلى غزوة «تبوك».

ففي هذه الغزوة غادر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله المدينة متوجهاً إلى أرض تبوك، ولكنه لم يلق فيها أحداً، فعاد مِن غير قتال، إلّا أنّه مَهَّدَ الطريق لفتح البلاد الحدُودية لمن يأتي في المستقبل.

---

(١) النصر: ١ ـ ٣.

٥٤٦ ـــــــ

الفِرَق العسكرية لتحطيم وهدم كل بيوت الأَصنام، وأنْ لايبقوا في منطقة الحجاز صنماً إلّا هَدَّموه.

عليٌّ في أرض طيّ:

ولقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يعرفُ من قَبل، أن في قبيلة طيّ صنماً كبيراً يُقدَّس إلى الآن ومن هنا بَعث صلّى الله عليه وآله بطل جيشه الشجاع علي بن أبي طالب عليه السَّلام على رأس مائة وخمسين فارس إلى أرض طيّ، وأمره بأن يحطّم صنم طيّ، ويهدم بيته.

و قد أدرك قائد هذه السرية أن القبيلة المذكورة ستقاومُ جنود الاسلام، وأنَّ الأمر لن يتمَّ من دون قتال، ولهذا حمل بأفراده على موضع ذلك الصنم، عند الفجر والناس نيام، فاستطاع أن يأسر جماعة من تلك القبيلة ممن قاوم، وان يعود بهم وبالغنائم الى المدينة وقد فرّ «عديّ بن حاتم الطائي» الذي انضمّ فيما بعد الى صفوف المسلمين، المجاهدين في سبيل الله، وكان يرأس تلك القبيلة، حين سمع بتوجه على عليه السَّلام نحوها.

ولنستمع إلى عدّيّ الطائي نفسه وهو يقصُّ علينا قصة هروبه.

يقول عديّ: مامن رجل كان أشدّ كراهية لرسول الله صلّى الله عليه وآله حين سمع به، منّي.

أمّا أنا فكنتُ إمرءاً شريفاً، وكنتُ نصرانياً، وكنتُ اَسيرُ في قومي بالمرباع (أي آخذ الربع من الغنائم لأني سيدهم) فكنتُ في نفسي على دين، وكنتُ ملكاً في قومي لماكان يُصنَع بي. فلما سمعتُ برسول الله صلّى الله عليه وآله كرهته، فقلت لغلام كان لي عربيّ، وكان راعياً لابلي: لاأباً لك أعددْ لي من إبلي أجمالاً ذُلُلاً سماناً، فاحتبسْها قريباً منّي، فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطيء هذه البلاد فآذنّي؛ ففعل؛ ثم أنه أتاني ذات غداة، فقال: ياعديّ ماكنت صانعاً اذا غشيَتْك خيلُ محمَّد، فأصنَعْهُ الآن، فاني قد رأيتُ رايات، فسألتُ

عنها، فقالوا: هذه جيوش محمّد. قال: فقلت: فقرّبْ إليَّ أجمالي فقرّبها، فاحتملتُ بأهلي ووُلدي، ثم قلتُ: ألحَقُ بأهل ديني من النصارىٰ بالشام فسلكتُ الجوشية[1] وقد تركتُ أُختي في قومي.

ثم تغزو خيلُ رسول الله صلّى الله عليه وآله قومي فتصيب (أُختي) ابنة حاتم فيمن أصابت، فقدم بها على رسول الله صلّى الله عليه وآله في سبايا من طيّ، وقد بلغ رسول الله صلّى الله عليه وآله هربي الى الشام.

فَجُعِلَت ابنة حاتم في حظيرة ببابُ المسجد كانت السبايا يُحبَسن فيه، فمرَّ بها رسول الله صلّى الله عليه وآله فقامت إليه أُختي وكانت امرأة جزلة، فقالت: يارسول الله هلَك الوالدُ، وغابَ الوافدُ، فامْنُنْ عليَّ مَنَّ الله عليك.

قال: ومن وافدُك ؟

فقالت: عديُّ بن حاتم.

قال: الفارُّ من الله ورسوله؟

ثم مضىٰ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وتركني حتى إذا كان من الغَدِ مرّبي، فقلت له مثلَ ذلك، وقال لي مثلَ ماقالَ بالأمس، حتى إذا كان من الغد مرّبي وقد يئستُ منه، فاشار إليّ رجلٌ من خلفهِ أن قُومي فكلّميه، فقامتْ اليه، وقالت: يارسول الله هلك الوالدُ، وغابَ الوافدُ، فامنُن عليَّ منَّ الله عليك، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«قَدْ فَعلتُ فلا تعجَلي بخروج حتى تجدي مِنْ قومكِ من يكونُ لك ثقةٌ حَتى يُبلغك إلى بلادك ثم آذنيني».

تقول أُختي: فسألت عن الرجل الذي أشار إليّ أن أُكلمه فقيل: علي بن أبي طالب رضوان الله عليه.

ثم إن أُختي أقامت حتى قدم ركبٌ من بلّي او قضاعة قالت: وأنما أُريد أن

---

(١) الجوشية: جبل للضباب قرب ضرية. من أرض نجد.

آتي أخي بالشام. قالت: فجئتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فقلتُ: يارسول الله قد قدم رهطٌ مِن قومي لي فيهم ثقةٌ وبلاغٌ.

قالت: فكساني رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وحَملني، واعطاني نفقة، فخرجتُ معهمْ حتى قدمت الشامَ.

قال عَديّ: فوالله إني لقاعدٌ في أهلي إذ نظرتُ إلى ظعينة (وهي المرأة في هودجها) تصوّبُ إليّ تؤمُنا قال: فقلتُ ابنة حاتم، قال: فإذا هي هي، فلما وقفَتْ عليّ أخذتْ في اللوم تقول: القاطع الظالم، احتملتَ أهلك وولدك، وتركت بقيّة والدك عورتك.

فقلتُ: أي أُخيّة، لا تقولي إلّا خيراً، فوالله مالي من عُذر، لقد صنعتُ ماذكرتِ، ثم نَزلَتْ فاقامت عندي فقلتُ لها، وكانت امرأة حازمة: ماذاترين في أمر هذا الرجل؟

قالت: أرىٰ والله أن تلحق به سريعاً، فان يكن الرجُل نبياً فللسابق إليه فضلُه، وان يكن مَلِكاً فلن تذل في عِز اليمن، وأنت أنت. فقلت: والله إنّ هذا الرأي.

قال عديّ: فخرجتُ حتى أقدمُ على رسول الله صلّى الله عليه وآله المدينة فدخلتُ عليه، وهو في مسجده، فسلّمتُ عليه، فقال: مَنِ الرجلُ؟ فقلت: عديُّ بن حاتم، فقام رسول الله صلّى الله عليه وآله فانطلَقَ بي إلى بيته، فوالله إنه لعامدٌ بي إليه، إذْ لقيَتْه إمرأةٌ ضعيفة كبيرة فاستوقفَتْهُ، فوقف لها طويلاً تكلّمُه في حاجتها. فقلتُ في نفسي: والله ما هذا بملك.

ثم مضىٰ بى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله حتى إذا دخل بي بيته تناول وسادةمن أدم محشوّة ليفاً فقذفها إليّ، فقال: إجلسْ على هذه، فقلت: بل انت فاجلسْ عليها فقال: بل انتَ، فجلستُ عليها، وجلس رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بالأرض (وهو عظيم الحجاز) فقلتُ في نفسي: والله ماهذا بأمر ملك ثم قال: إيه ياعديّ بن حاتم، ألم تكُ ركوسيّاً (وهو دينٌ بين دين النصارى

٥٥٠ ـــــــ

فقلت له: انّا لَسْنا نعبدُهم، فقال: أليس يحرّمونَ ماأحلَّ الله فتحرّمونَه، ويُحلّون ماحرّمَ الله فتستحلُّونه، فقلتُ: بلى، قالَ: فَتِلكَ عبادتُهم[1].

(١) مجمع البيان: ج٣ ص ٢٤.

٥٤
غَزْوَةُ تَبُوك

كانت القلعةُ القويّة، الرفيعة الجدران المقامة عند عين ماء على الشريط الحدودي السوري في طريق «حجر» و «الشام» تسمّىٰ تبوكاً.

و كانت سوريةُ آنذاك من مستعمرات إمبراطورية الروم الشرقية، التي كان عاصمُتها القسطنطنية.

و كان جميعُ سكان المناطق الحدودية للشام نصارىٰ على دين المسيح عيسى بن مريم عليه السَّلام وكان اكثر زعمائها ولاة منصوبين من قِبَل حاكم الشام الذي كان يمثّلُ هو بدوره إمبراطور الروم، ويمتثل أوامره.

و لقد كان لانتشار الاسلام السريع في شبه الجزيرة العربية وفتوحات المسلمين المشرقة في الحجاز صداه في خارج الحجاز ينعكسُ بالوسائل الموجودة في ذلك اليوم، وكان ذلك يُرعبُ الأعداء، ويدفعُهمْ إلى التفكير في حيلة.

و لقد دفعَ سقوطُ حكومة «مكة» الوثنية، واعتناقُ زعماء الحجاز الكبار للدين الاسلامي، وبطولات جنود الاسلام الباهرة وبسالتهم وتفانيهم الفريد في طريق عقيدتهم، بامبراطور الرّوم إلى أن يحشد جموعاً كبيرة، ويتهيّأ لمهاجمة المسلمين وغزوهم بغتة، لأنّه كان يرى تزلزل سلطانه مع انتشار الاسلام المطّرد، وكانت مخاوفه تزدادُ يوماً بعد يوم وهو يرى تعاظم القوة الاسلامية العسكرية، وانتشار نفوذه السياسيّ.

كانت الرومُ ـ آنذاك ـ المنافسة الوحيدة، والقوية لإيران، وكانت تملك أعظم قوة عسكرية، وكانتْ مغترَّة أشدّ الغرور بنفسها، لما أصابتْهُ من فتوحات وانتصارات في معاركها الكبرىٰ مع إيران، وما ألحقتْهُ من هزائم نكراء بإيران في تلك العصور.

و قد كان جيش الروم يتألّفُ من أربعين ألف فارس وراجل، وكان مجهّزاً بأحدث أسلحة وتجهيزات ذلك العصر، وقد استقرَّ هذا الجيش على الشريط الحدوديّ لأرض الشام، والتحقت به قبائل عديدةٌ تسكن الحدود مثل قبيلة «لخم» «عاملة» «غسان» «جذام»، وتقدمت طلائع ذلك الجيش حتى منطقة «البلقاء».

و لقد بلغ نبأ استقرار فريق من جنود الروم على الشريط الحدودي للشام إلى مسامع النبي صلّى الله عليه وآله عن طريق القوافل التجارية التي تعملُ على طريق الحجاز ـ الشام فلم يَر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بُدّاً من أن يردَّ على هؤلاء المعتدين، بجيش عظيم، ويحافظ بذلك على الدين الَّذي قام بفضل الدماء الزكية التي أُريقتْ من أصحابه، وبفضل تضحياته هو صلّى الله عليه وآله وهو الآن على أبواب أن يعمَّ العالم نورُه وهُداه، من ضربات العدوّ المفاجئة.

و لقد بلغ هذا الخبرُ المقلق أهل المدينة، وأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله أصحابه بالتهيّؤ لغزو الروم، والناس في زمان عسرة، وشدة من الحرّ، وجَدْب من البلاد، وقد طابت الثمار، والناسُ يحبّون المقام في ثمارهم وظلالهم، ويكرَهُون الشخوص على الحال من الزمان الذي هم عليه.

ولكن الدوافع المعنوية، وروح الحفاظ على الأهداف المقدَّسة، والجهاد في سبيل الله مقدّمٌ ـ عند عباد الله المؤمنين الصالحين ـ على كل تلك الامور.

تعبئةُ المقاتلين وتهيئة نفقات الحرب:

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعرفُ على نحو الاجمال مدى وحجم

استعدادات العدوّ، وطاقاته، وقدرته على القتال.

من هنا كان مطمئناً إلى أن الانتصار في هذه المعركة بحاجة ـ مضافاً الى الخلْفية المعنوية القوية وهي الايمان بالله والقتال ابتغاء لمرضاته ـ الى قوة عسكرية كبيرة جداً ولهذا بعث رجالاً إلى مكة، ونواحي المدينة يدعون المسلمين إلى المشاركة في الجهاد في سبيل الله، ويحثُّون أهل الغنى والثروة، على تهيئة نفقات الجهاد في سبيل الله من الزكاة.

و أخيراً أعلن ثلاثون ألفاً من المسلمين استعدادهم للمشاركة في هذه الغزوة واجتمعوا في معسكر عند «ثنية الوداع» وتهيَّأ قدرٌ كبيرٌ من نفقات القتال عن طريق الزكاة، وكان الجيش الاسلاميّ يتألف من عشرة آلاف فارس، وعشرين الف راجل.

و قد أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أن تتخذَ كلُ قبيلة راية لنفسها.

المتخلِّفُون عن القتال:

كانت غزوةُ «تبوك» خير محَكّ لمعرفة المجاهدين الصادقين وتمييزهم عن غير الصادقين من أدعياء الإيمان والمنافقين لأن التعبئة العامّة لهذه الغزوَة أُعلِنت في وقت كان الناسُ يستعدُّون فيه للحصاد من جهة، وكان الحرّ على أشدّه من ناحية أُخرى، فكشف تخلّفُ البعض ـ بالأعذار والحجج المختلفة ـ القناع عن وجههم الحقيقي ونزلت آياتٌ في ذمّهم جميعها في سورة البراءة.

لقد تخلّف البعضُ عن المشاركة في هذه الغزوة للاسباب والعلل التالية:

١ ـ عندما قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله للجدّ بن قيس، ـ وكان من الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المرموقة ـ:

«أبا وَهَبْ هَلْ لكَ العامَ تخرجُ مَعنا»؟

فقال: يا رسولَ الله أوتأذنُ لي، ولا تفتِنّي[1] فوالله لقد عرف قومي ماأحدٌ

---

(١) أي أخشىٰ الافتتانُ ببنات الروم فلا تفتني بهنَّ يارسول الله.

اشدُّ عَجباً بالنساء مني، واني لأخشىٰ إنْ رأيتُ بنات بني الأصفر (الروم) لاأصبرُ عليهنَّ.

فاعرضَ عنه رسول الله صلّى الله عليه وآله بعد أن سمع منه ذلك العذر الصبياني، وقد نزل فيه قول الله تعالى:

«وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائذَن لي ولا تَفْتِنّي ألا في الفِتْنَةِ سَقطُوا وان جَهنمَ لمحيطةٌ بالكافِرين»[1].

٢ ـ **المنافقون:** إن جماعة ممن تظاهروا بالإسلام و الإيمان وهم منه خلوٌ، أخذوا يثبّطون الناس عن رسول الله صلّى الله عليه وآله في غزوة تبوك ، وربما تحجّجوا بشدة الحرّ فقالوا: يغزُو محمَّدٌ بني الأصفر مع جَهْدِ الحال والحرّ، والبلد البعيد، إلى ماقِبَل له به، يحسب محمَّدٌ أنّ قتال بني الاصفر اللعب، فنزل فيهم قول الله تعالى:

«وَ قالُوا لا تَنْفِرُوا في الحرِّ قُلْ نارُ جَهَنّم أَشدُّ حَرّاً لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحكُوا قَليلاً وَ ليبكُوا كَثيراً جَزاء بِما كانُوا يكسِبُونَ»[2].

و قد كانَ بعضُ المنافقين يخوّفون المسلمين من المشاركة في هذه الغزوة، وكانُوا يقولونَ في هذا الصدد: تحسَبُون قتال بني الأصفر كقِتال غيرهم، والله لكأنّا بكم غداً مقرَّنين في الحبال؟![3].

اكتشافُ شَبكَةٍ جاسُوسيَّة في المدينة:

كانَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله كما أسلَفْنا يولي مسألة تحصيل المعلومات عن العدو وتحركاته اهتماماً كبيراً، وكان اكثر انتصاراته تَعُودُ إلى حُسْن إستخدامه لهذه الوسيلة وبالتالي لمعرفته الدقيقة بتحركّات العدو ونشاطاتهِ، وعلى

---

(١) التوبة: ٤٩.

(٢) التوبة: ٨١ و ٨٢.

(٣) امتاع الاسماع: ج١ ص ٤٥٠.

٥٥٦ ـــــــ

في التاريخ الاسلامي بالبكائين، ونزل فيهم قرآنٌ اذ يقول تعالى:

«وَ لٰا عَلى الَّذينَ إذا مٰا أتوكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلتَ لٰا أجدُ مٰا اَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَوا وَ أعيُنُهُمْ تفيضُ مِنَ الدَمْعِ حَزَناً ألّا يَجِدُوا مٰا يُنْفِقُونَ»[1].

٤ ـ **المتخلفون:** و لقد أبطأ بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله عن الخروج، وتخلّفوا لاعَنْ شكّ وارتياب، أو رغبة عن الجهاد في سبيل الله، وقد كانوا أهل صِدق لايُتّهمون في إسلامهم، إنّما تخلّفوا حتى يلتحقوا بركب النبي صلّى الله عليه وآله بعد أن يَفرغوا من الحصاد والقطاف وهم (المخلّفون) الثلاثة حسب تعبير القرآن الكريم الذين فاتتهم غزوةُ تبوك ، فوبّخهمُ الله تعالى وعاقبهم على تخلّفِهم ليكونَ في ذلك عبرة لمن سواهم كما ستعرف تفصيل ذلك عمّا قريب.

٥ ـ **المجاهدون الصادقون:** الذين لَبّوا نداء رسول الله صلّى الله عليه وآله وتهيّأوا من فورهمْ للخروج معه في شوق بالغ، ورغبة عظيمة في الجهاد.

عدمُ مشاركة «عليّ» في غزوة تَبُوك :

لقد كان من أبرز فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام أنه شارك في جميع المعارك ، ولازم رسول الله صلّى الله عليه وآله في جميع غزواته،ـوكان هو حاملُ لوائه في تلك المعارك والغزوات ـماعدا تبوك حيث بقي في المدينة بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم يشاركْ في هذا الجهاد المقدس لأن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يدرك جيّداً أن بعض المنافقين والمتربّصين، والمتحينين الفرصَ من رجال قريش سيستغِلّون فرصةَ غيبة النبي القائد عن المدينة (مركز الدولة الاسلامية) فيثيرون فيها فتنة، ويجهزون على الحكومة الاسلامية الفتية بانْقلاب أو ماشابه ذلك، وأن مثل هذه الفرصة انما تسنح لهم إذا قصد رسول الله صلّى

---

(١) التوبة: ٩٢.

الله عليه وآله مكاناً نائياً، وانقطع ارتباطه بعاصمة الاسلام (المدينة)!!

و لقد كانت «تبوك» أبعد نقطة خرج اليها رسول الله صلّى الله عليه وآله في جميع غزواته، فكان يحدس -بقوة- أن تقوم القوى المضادّة للاسلام بقلب الاوضاع في غيابه، ويجمعوا من يروا رأيهمْ ويذهبُ مذهبَهم من شتى أنحاء الحجاز، ويتحدوالضرب الدولة الاسلامية والقضاء عليها من الداخل.

و لهذا -رغم أنه استخلف «محمَّد بن مَسْلَمة» على المدينة- قال للامام «علي بن أبي طالب»:

«أنتَ خليفَتي في أهل بيتي ودار هجرتي وقومي.

يا علي إنّ المدينة لا تَصْلُحُ إلّا بي وبكَ».

و لقد أزعج بقاء عليّ عليه السَّلام في المدينة، المنافقين الذين كانوا يتربَّصون بالاسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرصة، ويفكرون في انقلاب في غيبة النبيّ صلّى الله عليه وآله لأنهم كانوا يعرفون أنهم لن يعودُوا يستطيعون مع وجود عليّ عليه السَّلام في المدينة، ومراقبته الدقيقة لتحرّكاتهم ونشاطاتهمْ فعل أي شيء ممّا كانوا ينوون القيام به، ولهذا أرجفوا به، وبثّوا شائعات خبيثة حوله،بغية إجباره على مغادرة المدينة فقالوا: ماخلّف رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عَلِيّاً إلّا استثقالاً له، وتخفّفاً منه، أو: أن رسول الله صلّى الله عليه وآله دعاهُ إلى الخروج لتبوك ، ولكن علياً امتنعَ من الخروج بحجّة الحرّ الشديد، وبُعد الطريق وإيثاراً للدعة والراحة والرفاهية!!

و لإبطال هذه الشائعة الخبيثة، وتكذيب هذا الكلام، أخذ علي عليه السَّلام سلاحه، وخرج حتى أتى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وهو نازلٌ بالجرف (وهو موضعٌ على ثلاثة أميال من المدينة) فقال:

«يا نبيَ الله، زَعَمَ المنافقون أنَّكَ إنّما خَلَّفْتَنِي أنَّكَ استثْقَلتَنِيْ وَ تَخفَّفْتَ منّي».

فقالَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله حينئذٍ كلمته التاريخية الخالدة التي تعتبر

من أبرز الادلة وأقواها وأوضحها على إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام وخلافته بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله بلافصل:

«كَذِبُوا، وَ لكنّني خلَّفتُك لما تَركتُ ورائي فارجعْ فاخلُفْني في أهْلِيْ وَ أهْلِكَ أفَلا تَرْضىٰ ياعَليّ أنْ تَكُونَ مِنّي بِمنزلةِ هارونَ مِنْ مُوسىٰ إلّا أنَّه لانبيَّ بعدي»[1].

فرجع عليٌّ عليه السَّلام الى المدينة المنورة، ومضىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله على سفره[2].

جيش الاسلام يتحرك نحو تبوك:

لقد دأب رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ خرج لتأديب قوم يكيدون بالاسلام، ويمنعون من تقدمه وانتشاره أو يقصدون الهجوم على المدينة واجتياحها، أو إيجاد فتن فيها، على أن لايبوح بمقصده ووجهته لجنوده وأُمراء جيشه، وأن يسير بالجيش في طريق آخر غير الوجه الذي ينويه باطناً، حتى لايعرف به العدوفيهيّأ لمواجهته، وبذلك يتسنى له صلّى الله عليه وآله أن يباغت العدوَّ، ويحقّق الانتصار الساحق عليه[3]

غير أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله عدَل عن هذه السيرة في قضية غزو الروميّين الذين أجتمعوا في حدود الشام وهم يتأهَّبون للهجوم على عاصمة الاسلام.

فقد بَيّن للناس ـ منذ أعلن التعبئة العامة ـ الوجهة التي يقصُدُها، وكان السرُّ في ذلك هو أنْ يعرف المجاهدون أهمية هذا السفَر وصعوبتَهُ، وأن يحملوا الزاد الكافي والعدة اللازمة.

---

(١) امتاع الاسماع: ج١ ص ٤٤٩ و ٤٥٠.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢٠، بحارالأنوار: ج٢١ ص٢٠٧و٢٠٨، وللوقوف على دلالة هذا الحديث على امامة اميرالمؤمنين عليه السَّلام راجع كتب العقائد والكلام.

(٣) المغازي: ج٣ ص٩٩٠.

هذا مضافاً إلى أن رسولَ الله صلّى الله عليه وآله كان مضطرّاً لتقوية الجيش الاسلامي -إلى أنْ يستعينَ بقبائل «تميم» و «غطفان» و «طيّ» التي كانت تسكن في مناطق بعيدة عن المدينة.

و قد عَمد رسول الله صلّى الله عليه وآله لهذا الغرض إلى مراسلة زعماء تلك القبائل، وساداتها كما كتب إلى «عتّاب بن أُسيد» أمير مكة الشاب دعا فيه رجال تلك القبائل، وفتيان مكة إلى المشاركة في هذا الجهاد المقدس[1].

و مثل هذا النوع من الدعوة الصريحة العامة لاينسجم مع الكتمان والسريّة، لأنه كان لابدَّ أن يخبر صلّى الله عليه وآله رؤساء القبائل في هذا الموضوع، ويذكر لهم أهميّته، ليحملُوا معهم الزاد والعدة اللازمة الكافية.

النبيُّ صلّى الله عليه وآله يَستعرضُ جيشَهُ:

و لما حانَ موعد تحرك الجيشُ استعرض رسول الله صلّى الله عليه وآله جيشَه في معسكر المدينة العظيم، المؤلّف من المؤمنين الفدائيين الغيارى على الإسلام، والذين فضّلوا المشقة والموت في سبيل الهدف على الاستراحة في الظلال، والتجارة، وكسب المال واكتناز الثروة، وخرجوا يستقبلون الموت في سبيل الدين بقلوب تفيض إيماناً ويقيناً.

لقد كان هذا المشهد جميلاً ورائعاً جداً، وكان له أثرٌ قويٌ في نفس المتفرجين.

و في هذه المناسبة ألقىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله خطبة مهمة، لتقوية معنويات المجاهدين، قد شرح فيها هدفه من هذه التعبئة العامة الواسعة.

فبعد أن حمدالله وأثنى عليه بماهو أهله قال:

«أيُّها الناس! أما بعدُ، فإنَ أصدقَ الحديث كتابُ الله وأوثق العُرى كَلِمة

---

(١) بحارالأنوار: ج٢١ ص ٢٤٤.

التقوىٰ وَ خير المِلَل ملةُ إبراهيم عليه السَّلام وخير السنن سننُ محمَّد وأشرف الحديث ذكرُالله وأحسنَ القصَص هذا القُرآن وخير الأُمور عواقبها وَ شرّ الأُمور محدَثاتُها وأحسن الهدىٰ هَديُ الأنبياء وأشْرفَ القَتْل قتل الشهداء».

إلى آخر الخطبة التي وردتْ بكاملها في المصادر التاريخية والتي ادرج فيها مجموعة كبرى وهامّة من التعاليم الاسلامية الهامة فرغبَ الناسُ في الجهاد لما سمِعوا هذا مِن رسول الله صلّى الله عليه وآله[1] ثم أصدر رسولُ الله أوامره للجنود بالتوجه الى ثغور الشام من الطريق الذي عيّنه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله.

قصة مالك بن قيس:

رجع مالك بن قيس «ابوخيثمة» بعد أن سارَ رسول الله صلّى الله عليه وآله أياماً إلى أهله في يوم حار، فوجد المدينة فارغة، وعرف بمسير جنود الإسلام ثم دخل في عريش له، فوجد امرأتين له قد رشّتا الماء في العريش، وبرّدتا له ماءً، وهيأتا له طعاماً، فلما دخل قام على باب العريش، فنظر إلى إمرأتيه، وماصنعتا له، وفكّر في مافيه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه من الحال، وقد انطلَقُوا إلى جهاد العدوّ في شدّة الحرّ فقال: رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في الشمس والريح والحرّ، وأبوخيثمة في ظل بارد، وطعام مُهيّأ، وامرأة حسناء في ماله مقيم؟ ماهذا بالنصف.

ثم قال: لا أدخلُ عريش واحدة منكُما حتى ألحق برسول الله صلّى الله عليه وآله وأصحابه المجاهدين فهيئا لي زاداً، ففعلتا ثم قدّم بعيره فارتحله، ثم خرج في طلب رسول الله صلّى الله عليه وآله حتى أدركه حين نزل تبوك، وقد لقيَ في أثناء الطريق أباخيثمة «عميرُ بن وهيب الجمحى» وهو يطلب رسول الله صلّى الله عليه وآله[2].

---

(١) المغازي: ج٢ص١٠١٦ بحار الانوار: ج٢١ص٢١٠-٢١٢.

(٢) السيرة النبوية: ج١ص٥٢٠ وقدذكر الواقدي هذه القصة باختلاف يسيرونسبها الى عبدالله بن خيثمة.

لقد كان هذا الرجل ممّن لم يُوفَّق -في بداية الامر- لمرافقة رسول الله صلّى الله عليه **وآله إلاّ أنه التحق** بركبه المقدس ونال السعادة العظمى بحسن اختياره الذي يستحق الاكبار والتقدير، ولم يكن مثل أُولئك الذين طلبتهم السعادة ولكنهم رفضوها، وابتعدوا عنها، وآثروا البقاء في ضلالهم وشقائهم.

فهذا «عبدالله بن أُبي» رئيس المنافقين وكبيرهم الذي عزم على أن يشارك مع رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذه الغزوة أقام خيمته في معسكر المسلمين، ولكنه لخبث سريرته، وعدائه الشديد للاسلام ونبيّه الكريم صلّى الله عليه وآله بدّل رأيه ساعة رحيل الجيش الاسلامي، وعاد الى **المدينة** مع أصحابه ليقوم بالشغب، وحيث إن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان على عِلم بنفاقه، وخُبث سريرته وكان يدرك جيداً أن مشاركة هذا العنصر المنافق وجماعته في ذلك الجهاد لن تعود على المسلمين بفائدة، لذلك لم يهتم صلّى الله عليه وآله بانفصاله عن الجيش الاسلامي ورجوعه الى المدينة.

مصاعبُ الطريق :

لقد واجه جيش الاسلام في أثناء الطريق متاعب ومشاق كثيرة، ولهذا سمّي هذا الجيش بجيش «العُسرة» ولكن ايمانهم العميق بالله، وحبّهم الشديد للهدف المقدس سهّل لهم تلك المصاعب، وهوّن عليهم تلك المشاق، التي استقبلوها بصدور رحبة.

و عندما وصل جيش الاسلام إلى أرض ثمود غطّى رسول الله صلّى الله عليه وآله وجهه بثوبه، واستحثّ راحلته ومرَّ على بيوتهم، وأطلالهم بسرعة وقال لأصحابه:

«لا تَدْخُلُوا بُيوتَ الَّذينَ ظَلَمُوا إلا وَ أَنْتُمْ باكونَ خوفاً أنْ يُصِيبكُمْ مثلَ ما أصابَهُمْ».

و هو بذلك يحثُ أصحابه على التدبر في أحوال من مضىٰ مِن الاقوام

والشعوب، والتفكّر في مصائرهم وماآلوا عليه بسبب عُتوّهم وعنادهم، وتمرّدهم على الحق، فان ضلال الموت التي كانت تخيّم على تلك الربوع، والأطلال الصامتة خيرُ عبرة للاجيال والاقوام الأُخرى.

ثم نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله الناس عن أن يشربوا من مائها شيئاً، وأن لايتوضأوا به للصلاة، وأن لايحاسَ به حيس، ولايطبَخَ به طعامٌ، وأن العجينَ الذي عُجِنَ به، أو الحيس الذي فُعِلَ به يُعلَف الإبل، وأن الطبيخ الذي طُبِخَ به يُلقىٰ، ولايأكُلُوا منه شيئاً[1].

ففعل الناس ما أمرَهُمْ به رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ثم انَ الناس ارتحلوا من تلك المنطقة حتى إذا مضىٰ من الليل بعضُه وصلوا إلى البئر التي كان يشرب منها ناقةُ صالح النبيّ عليه السَّلام، فنزلُوا عليها بأمر رسول الله صلّى الله عليه وآله.

تعليماتٌ احتياطيّة:

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يعرفُ بالرياح الشديدة والسامّة والعواصف القوية التي كانت تهبُّ في تلك الأَرض بين الحين والآخر، وتبلغ من الشدة والقوة بحيث ربما تحتمل البعير بصاحبه، وتلقيه في واد آخر.

و لهذا أصدر صلّى الله عليه وآله إلى أصحابه تعليمات إحتياطية مشدَّدة فأمرهم بأن يعقلوا آبالهم ولايخرج أحدٌ منهم في تلك الليلة وحده، بل يخرج من خبائه مع صاحبه.

و قد اثبتت التجاربُ والاحداثُ فيما بعد أن التعليمات الاحتياطية النبوية المذكورة كانت مفيدة جداً، لأن شخصين من بني ساعدة من الَّذين كانوا في ركب رسول الله صلّى الله عليه وآله تجاهَلا هذه التعليمات فخرجا منفردين من

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢١ و ٥٢٢، السيرة الحلبية: ج٣ ص١٣٤ و ١٣٥.

خبائهماليلاً، فاختنق أحدهما لشدة الرياح، بينما احتملت الريحُ الرجل الآخر، وضربت به الجبَل، ولما علم رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك انزعجَ بشدّة وقال:

«ألمْ أنهكُمْ أنْ يَخرجَ منكم أحدٌ إلّا وَ معهُ صاحبَه»[١].

هذا وقد استعمل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله على حرس العسكر «عباد بن بشر» فكانَ يطوف في أصحابه على العسكر.

ثم اصبح الناس ولا ماء معهم، وحصل لهم بسبب العطش ماكاد يقطَعُ رقابهم، حتى حملَ ذلك بعضهم على نحر إبلهم ليشُقوا اكراشها، ويشربُوا ماءها، بينما صبر آخرون، وانتظروا حصول الماء على ظمأٍ شديد، وقلوب ملتهبة عطشاً.

و لقد أعان الله تعالى الذي كان قد وَعَد نبيّه الكريم بالنصر أصحابه المسلمين الأوفياء، مرة أُخرىٰ إذ أرسل سحابة فمطرت حتى ارتوى الناسُ، واحتملوا مايحتاجون إليه.

علم رسول الله بالمغيّبات:

لاشك في أن في مقدور رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يَطلِعَ على الغيب ممّا يخفىٰ على الناس، ويخبر به كما يصرح القرآنُ الكريم بذلك، إلّا أنَّ هذا العلم لاريب محدودٌ، ويحتاجُ إلى تعليم الله سبحانه. يقول تعالى:

«عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظهِرُ عَلىٰ غَيبِهِ أَحَداً إلّا مَنِ ارْتَضىٰ مِنْ رَسُولٍ»[٢].

من هنا يمكن أن تخفى على رسول الله صلّى الله عليه وآله في بعض الاحايين، أبسط الأُمور، كأن يفقد مفتاحاً، أو يضيّع مالاً ولايعرف بمكانه ومصيره، بينما يقدر صلّى الله عليه وآله أن يعلم بأخفى الأُمور الغيبية واشدها غموضاً فيثير حيرة

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص ١٣٤، السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢٢.

(٢) الجن: ٢٦ و ٢٧.

الناس ودهشتهم وعجبهم.

و السبب في كل ذلك هو ماذكرناه، فان مشيئة الله سبحانه لو تعلّقت بأن يعلم نبيّه بشيء من عالم الغيب ويخبر به علمَ وأخبر، وإلّا كان صلّى الله عليه وآله كغيره من أفراد البشر العاديين.

و في ضوء هذا البيان لابد أن ننظر الى القصة التالية:

لما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله ببعض الطريق إلى تبوك ضلّت ناقته، فخرج أصحابه في طلبها، فقام أحد المنافقين، وقال: أليس محمَّد يزعم أنه نبي، ويخبركم عن خبر السماء، وهو لايدري أين ناقته؟

فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وهو يكشفُ النقاب ببيانه الرائع:

«إن رجُلاً قال: هذا محمَّدٌ يخبرُكُمْ أنه نبيٌّ ويزعَمُ أنه يخبركمْ بأمر السماء، وهو لايدري أين ناقته؟ وإني والله ماأعلمُ إلّا ماعلّمني الله، وقد دلّني الله عليها وهي في هذا الوادي في شِعب كذا وكذا وقد حبَستْها شجرةٌ بزمامها فانْطلِقُوا حتى تأتوني بها».

فذهب بعضُ الصحابة من فورهم، وجاؤوا بها[1].

إخباره بمغيَّب آخر:

لقد تخلّف أبوذر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ أبطأ به بعيره، فانتظرهُ المسلمون ريثما يقوم بعيرُه، ولكن دون جدوى فترك أبوذر البعير، وأخذ متاعه فحملَهُ على ظهره ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلّى الله عليه وآله ماشياً، ونزل رسول الله صلّى الله عليه وآله في بعض منازله ونزل المسلمون ليستريحوا فيه بعض الوقت، وفجأة لاح من بعيد رجلٌ، فلما نظر إليه ناظرٌ من المسلمين قال: يارسول الله هو والله أبوذر، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢٣، امتاع الاسماع: ج١ ص٤٥٦.

«رَحِمَ الله أُباذر يَمشي وحدَه وَ يموتُ وحدَه وَ يُبْعَثُ وحدَه»[١].

و قد كشف المستقبل عن صحة هذه النبوءة، فقد توفي أبوذر في صحراء «الربذة»، وعنده ابنتُه بعيداً عن الناس في حالة مأساوية[٢].

لقد تحققت نبوءة رسول الله صلّى الله عليه وآله في معركة تبوك بعد ثلاثة وعشرين عاماً، فقد نُفِيَ هذا الصحابيُ المجاهدُ الصادق إلى الشام ثم الى الربذة لا لشيء إلّا لأنّه جهر بالحق، وطالب بالعدل، وفقد قواه وطاقاته البدنية شيئاً فشيئاً حتى غدى طريح الفراش، في تلك المنطقة الوعرة.

و فيما كان يمضي الدقائق الاخيرة من حياته الحافلة بالاحداث والتطورات، وامرأته جالسةٌ عنده ترمق محيّاه المشرق المتعب وقد عرق جبينه، وهي تمسح بيدها العرق وتبكي قال لها: مايُبكيك؟

فقالت: أبْكي أنه لايَد لي بتغييبك (أي ليس لي من يعينني على دفنِكَ، أوَ لَيسَ عندي ثوبٌ يسعُك كَفناً)!

فارتسمت على شفتَيْ أبي ذر ابتسامةٌ مُرّة وقال: لا تبكي عليَّ، فاني سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وآله ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول: ليموتُنَّ رجلٌ منكم بفلاة من **الأرض تشهدهُ** عِصابةٌ من المؤمنين (ثم قال:) فكلُّ من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية، فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت فراقبي الطريق، فانك سوف ترين ماأقولُ لك فاني والله ماكَذِبتُ ولا كُذِبتُ.

قال هذا وفاضت روحه المباركة[٣].

* * *

و لقد صَدَق ابوذر، فقد كانت ثمة قافلة من المسلمين تضم شخصيات

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢٥.

(٢) المغازي: ج٣ ص ١٠٠٠ و ١٠٠١.

(٣) اسدالغابة: ج١ ص ٣٠٢، الطبقات الكبرى: ج٤ ص٢٢٣، حلية الاولياء: ج١ ص٣٠٢.

كبرى مثل «عبدالله بن مسعود» و «حجر بن عدي» و «مالك الاشتر» تتقدم نحو تلك المنطقة.

رأى «عبدالله» مِن بعيد مشهداً عجيباً... مشهدَ جسد بلا روح على قارعة الطريق، وعند ذلك الجسد إمرأة وصبيّ وهما يبكيان.

فعطف «عبدالله» زمام راحلته نحو ذينك الشخصين وتبعه من معه في القافلة أيضاً، وما أن وقعت عينا عبدالله على ذلك الجسد حتى عرف صاحبه، فهذا هو رفيقه وأخوه في الاسلام أبوذر!!

فاغرورقتْ عيناهُ بالدموع، ووقف عند جثمان أبي ذر، وتذكّر نبوءة رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله في غزوة تبوك وقال: رحم الله أباذر يمشي وحدَه، ويموتُ وحدَه، ويبعث وحده».

ثم صلى ابن مسعود على أبي ذر، ثم واراهُ الثرىٰ، وبعد أن فرغ من دفنه، وقف مالك الاشتر عند قبره وقال:

اللّهمّ إنَّ هذا صاحبُ رسول الله صلّى الله عليه وآله عَبَدك في العابدين، وجاهَدَ فيك المشركين، لم يغيّر ولم يبدّلْ لكنَّه رأى غريباً منكراً فغيّره بلسانه وقلبه، حتى جُفيَ ونُفيَ وحُرم واحتقر ثم مات وحيداً غريباً (١).

وقد اشار السبكى في ابيات له إلى هذا كما في السيرة الحلبية:

وعاش أبوذر كما قلتَ وحدَه ... و مات وحيداً في بلاد بعيدة

* * *

(١) ذكرالمؤرخون قصة وفاة أبي ذر ودفنه بصور مختلفة، فيستفاد من بعض المصادر التاريخية أن أباذر كان على قيد الحياة عندما قدمت القافلة المذكورة وتحدث مع رجالها، ولكن بعض المصادر الاخرى تنص على أنه مات قبل قدوم تلك القافلة الى تلك المنطقة كما أنه صرح البعضُ أن زوجة أبي ذر وابنه حَملا جثمانه إلى قارعة الطرق بينما قال آخرون أن زوجته وابنه جلسا على قارعة الطريق ودلّا القافلة على محل جثمانه الطاهر، راجع للوقوف على ذلك الطبقات الكبرى: ج٤ ص ٣٤ - ٢٣٢، والدرجات الرفيعة: ص٥٣.

٥٦٨ ـــــــ

و لقد اضاف كبار المشيرين ـحفاظاً على مكانة الرسول القائد، وإشعاراً بان رأيهم هذا قابل للأخذ والردـ قائلين: إن كنتَ أُمِرت بالسَيْر فسِرْ[١].

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«لو أُمرتُ بهِ ما اْستشَرْتُكُمْ فِيهِ».

و هكذا احترم رسول الله صلّى الله عليه وآله آراء مشاوريه ورضى بالعودة إلى المدينة[٢].

وحيث كان هناك حكامٌ وولاةٌ يعيشون في المناطق الحدودية السورية والحجازية لهم نفوذ كبيرٌ في قبائلهم ومناطقهم، وكانوا جميعاً نصارىٰ، ولهذا كانَ من المحتمل بقوة أن يستغل الروم قواهم ضد الاسلام، ويحملوا بمساعدتهم على الحجاز.

و لهذا كان يتعين أن يعقد معهم رسولَ الله صلّى الله عليه وآله معاهدة عدم اعتداء، ليأمن جانبهم ويحصل على أمن أوسع، فأجرى صلّى الله عليه وآله اتصالات مباشرة مع أُولئك الحُكّام والولاة الذين كانوا يعيشون على الشريط الحدودي على مقربة من تبوك وعقد معهم معاهدات عدم تعرض واعتداء بشروط خاصة كما أرسل مجموعات إلى النقاط النائية عن تبوك ليحقق بذلك مزيداً من الأمن للمسلمين.

لقد اتصلَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله شخصياً بزعماء «أيلة» و«أذرح» و «الجرباء»، وتمَّ عقدُ معاهدة عدم تعرّض واعتداء بين الجانبين. و «أيلة» مدينةٌ ساحليةٌ تقعُ على ساحل البحر الأحمر، ولا تبعدُ عن الشام كثيراً، وكان زعيم تلك المنطقة هو «يوحنا بن رُؤبة»، فهو يومَ أُتي به إلى النبي صلّى الله عليه وآله وعليه صليب من ذهب على عادة النصارى، قدّم لرسول الله صلّى الله عليه

---

(١) المغازي: ج٣ ص١٠١٩

(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص ١٤٢.

وآله فرساً أبيضاً، وأعلن عن طاعته لرسول الله صلّى الله عليه وآله، فاحترمه النبي واكرمهُ، وصالحه، وكساه بُرداً يمنياً.

و قد قبلَ «يوحنا» **هذا** أن يبقىٰ على نصرانيته شريطة أن يدفع للنبي جزية قدرها **ثلا ثمائة دينار** سنوياً وعلى أن يحسنَ إلى مَنْ يمرُّ على أيلة من المسلمين وكتب لهُ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله كتابَ أمان وقَّعهُ الطرفان، واليك نص الكتاب المذكور:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا أمنةٌ من الله و محمَّد النبيّ **رسول الله ليوحنا** بن رؤبة وأهل أيلة لسُفُنِهِمْ وسياراتهم في البرّ والبحر، لهم ذمةُ الله وذمةُ محمَّد رسول الله ولمن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر، ومن أحدث حدثاً، فانه لايحولُ مالُه دون نفسه، وأنه طَيّبةٌ لمن أخذه من الناس وانه لايحلُّ أن يُمنَعُوا ماء يردونه ولاطريقاً يُريدونه من بَرٍّ وبَحر.

هذا الكتاب يكشفُ عن قاعدة مهمّة في السياسة الاسلامية وهي أن أيّ شعب أراد أن يسالِم المسلمين وفَّر الاسلام له كلَ أمن وسلام[١].

ثم إن رسول الله صلّى الله عليه وآله صالَحَ بقية الحكام الحدوديين مثل سادة أقوام «أذرح» و «جرباء» التي كانت تتمتع باهمية استراتيجية، وبذلك ضمنَ أمن المنطقة الاسلامية من ناحية الشمال.

بعث خالد إلى دَومة الجندل:

على طريق تبوك كانت تقعُ منطقةٌ عامرةٌ خضراء ذات أشجار وزروع ومياه جارية تضمُ حصناً منيعاً، وتبعد عن الشام بمايقرب من خمسين فرسخاً، تسمى «دومة الجندل»[٢] وكان يحكمها يومذاك رجلٌ مسيحيٌ يدعى «اكيدر بن

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢٦، السيرة الحلبية: ج٣ ص ١٤١، بحارالأنوار:ج٢١ص١٦٠.

(٢) يقول الواقدي في المغازي: ج٣ ص ١٠٢٥ تقع دومة الجندل على عشرة اميال من المدينة.

عبدالملك».

و حيث أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله كان يخشى هجوماً آخر من الروم، والاستعانة بحاكم دومة المسيحي وبهذا يعرِّضون أمن الحجاز للخطر، لذلك رأى صلّى الله عليه وآله أن يستفيد من قوته الحاضرة أكبر قدر ممكن فبعث مجموعة من المقاتلين بقيادة خالد بن الوليد الى المنطقة المذكورة لتطويعها وتطويع حاكمها.

فتوجه خالد مع فرسانه الى دومة الجندل حتى اقتربوا إلى حصنها، وكمنوا قريباً منه.

و في تلك الليلة خرج «اكيدر» وأخوه «حسان» من الحصن ومعه نفر من اهل بيته للصيد فلما ابتعدوا عن الحصن حاصرهم خيلُ خالد وأسروا «اكيدراً» بعد قليل من القتال والمواجهة، وقُتل اخوه «حسان» ولجأ البقية إلى الحصن، واعتصموا به، فصالح خالد «اكيدراً» على **أن يطلب** له ولقومه الأمان من رسول الله صلّى الله عليه وآله لقاء أن يفتح أبواب الحصن في وجوه المسلمين ويلقي أهلُها الاسلحة.

فأمر اكيدر الذي كان يثق بصدق المسلمين واحترامهم لوعودهم وعُهودهم، أمر قومه أن يفتحوا أبواب الحصن ويسلّموا للمسلمين، ويلقوا اسلحتهم ويتركوا القتال، وكانت الاسلحة تبلغ أربعمائة درع، وأربعمائة رمح وخمسمائة سيف ثم توجه خالد باكيدر وقومه وماحصل عليه من الغنائم الى رسول الله صلّى الله عليه وآله فخلبت منظرُ الديباج المخوّص بالذهب عيون جماعة من طُلاب الدنيا. فاخذوا يتلمسونه بأيديهم ويتعجَّبون منه فقالَ رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو لايكترث بتلك الثياب:

«فَوَ الَّذي بنفسي لَمناديلُ الجنة أحسنُ مِنْ هذا».

لقد حضر «اكيدر» عند رسول الله صلّى الله عليه وآله وامتنع عن قبول الاسلام إلّا أنه رضي بأن يعطي الجزية للمسلمين، وصالحه النبي صلّى الله

٥٧٢ ـــــــ

الاسلام والمسلمين.

ثالثاً: مهّد رسول الله صلّى الله عليه وآله بهذا السفر الشاق الطريق لفتح الشام، فقد عرف قادة جيشه طرق هذه المنطقة ومشاكلها، وعلمهم كيفية تجييش الجيوش الكبرىٰ في وجه القوى العظمى في ذلك العصر، من هنا كانت الشام وسورية هي أوّل منطقة فتحها المسلمون بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله.

رابعاً: تميّز المؤمن عن المنافق في هذه التعبئة العامة وحصلت عملية تصفية وفرز كبيرة وعميقة في جماعة المسلمين.

المنافقون يخطّطُون لاغتيال النبي:

أقام رسول الله صلّى الله عليه وآله مدة بضع عشرة يوماً في تبوك [1] وبعد أن بعث خالد إلى «دومة الجندل» توجه بالمسلمين الى المدينة. ولدى العودة تآمر (١٢) منافقاً ثمانية منهم من قريش والباقي من أهل المدينة لاغتيال رسول الله صلّى الله عليه وآله في أثناء الطريق وقبل أن يصلَ إلى المدينة، وذلك بتنفير ناقة النبي صلّى الله عليه وآله في عقبة بين المدينة والشام **ليطرحوه** في واد كان هناك. وعندما وصل الجيشُ الاسلاميُ إلى بداية تلك المنطقة (العقبة) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله:

«من شاء مِنكُمْ أنْ يأخذَ بطنَ الوادي فَإنَّه أوسعُ لَكُمْ».

فأخذَ الناس بطن الوادي، ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذَ طريق العقبة فيما يسوق «حذيفة بن اليمان» ناقة النبي، ويقودُها «عمار بن ياسر» فبينما هم يسيرون إذ التفت رسولُ الله صلّى الله عليه وآله إلى خَلْفِه، فرأى في ضوء

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٢٧ وذهب ابن سعد في الطبقات انه مكث بتبوك عشرين يوماً (ج٢ ص١٦٨).

٥٧٤ ـــــــ

بين «تبوك» و «المدينة»، وكانت تغمر جنودَ الاسلام فرحةٌ كبيرة، وتظهرُ على كلماتهم وأعمالهم إماراتُ الاعتزاز لما أحرزوه مِن غلبة على العدوّ، ومن أداء لحق الجندية، وكان السببُ واضحاً لأنَّهمْ أرعَبوا دولة قويّة سبق لها أن هزمت الامبراطورية الايرانية، فهم أخافوا الروم التي انسحبت من تبوك قبل وصول المسلمين اليها، وهم طَوّعوا حكّامَ وزعماء المدن والمناطق الحدودية السورية والحجازية، وأخضعوهم للدولة الاسلامية.

لا شكّ أنَّ الغلبة على العدوّ فخرٌ عظيم أصاب هذا الجيش، وكان طبيعياً أن يفتخر أفرادُ هذا الجيش ويتباهوا على الذين تخلّفوا في المدينة من دون عذر، ولكنْ حيث أن مثل هذا النمط من التفكير وهذه العودة الظافرة كان من الممكن أن يوجِدَ غروراً لدَى البعض فيسيئوا إلى بعض الذين تخلّفوا في المدينة الذين بقوا فيها لعذر وقلوبهم مع جنود الاسلام، ويشاركونهم بافئدتهم في أفراحهم، وأتراحهم لهذا إلتفَتَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله وهُمْ علىٰ مشارف المدينة وقد توقَّفُوا خارج المدينة بعض الوقت:

«إنَّ بالمدينة لأَقْواماً ماسِرتُم سَيْراً ولا قَطعْتُمْ وادياً إلّا كانُوا مَعكُمْ».

قالوا يا رسولَ الله: وهم بالمدينة؟

قال: «نعم، حَبَسَهُمُ العُذرُ»[1].

أجل أنهم كانوا يتشوّقون إلى الجهاد هذا الواجب الاسلامي الكبير، ولكن العذر منعهمْ من الاشتراك فيه.

إن النبيَ الاكرم بهذه العبارة المقتضبة اشار ـ في الحقيقة ـ إلى واحد من البرامج الاسلامية التربوية، وذكّر بأن النية الطيبة والفكر الصالح يقومُ مقام العمل الصالح الطيب، وأن الذين يُحرَمون من القيام بالأعمال الصالحة لافتقادهم القدرة عليها أو فقدان الامكانيات يمكنهم أن يشاركوا الآخرين في

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص ١٦٣، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٢١٩.

ثواب العمل الصالح اذا نَوَوْا ذلك، واشتاقُوا إليه قَلْبياً.

إذا كان الاسلام يهتمُّ باصلاح الظاهر، فانه يهتمُّ أكثر باصلاح القلب والفكر، باصلاح الباطن والسريرة، لأن اصلاح العقيدة وطريقة التفكير هو منبع جميع الاصلاحات، وأعمالنا كلُها وليدة أفكارنا ونوايانا.

إذا خفّف النبيُ الاكرمُ بقوله هذا من غُلَواء المجاهدين وغرورهم، وحفظ مكانة المعذورين من المخلفين فلا يلحق بهم هوانٌ إلّا أنه قرّر في نفس الوقت أن يوبّخ المتخلفين من دون عذر ويلقِّنهمْ دَرساً لن ينسَوْه، وللنموذج ننقل هنا قصة ثلاثة من المتخلّفين.

أخذ المتخلّفين بالعقاب النفسيّ:

يوم أُعلِنَ في المدينة عن التعبئة العامة تخلّف ثلاثةٌ من المسلمين في المدينة هم: «هلال بن أُمية»، و «كعب بن مالك» و «مرارة بن الربيع» فقد حضر هؤلاء عند رسول الله صلّى الله عليه وآله لدى خروجه إلى تبوك واعتذروا اليه بمعاذير عن الاشتراك في الجهاد، فأعتذَر أحدُهم، بأن الوقت هو وقتُ إدراك الثمر، وأنهم سيلتحقون بجيش الاسلام إذا فرغوا من الحصاد والقطاف.

إن هؤلاء و امثالهم ممن يريدون الدين والدينار، وتهمُّهم مصالحهم المادية الشخصية والاستقلال السياسي معاً يعانون من نظرة ضيقة **وقصيرة تعادل** اللذائذ الماديّة العابرة بالحياة الانسانية الشريفة، التي تتحققُ تحت لواء الإستقلال الفكريّ والسياسيّ والثقافي، بل ربما رجّحوا الأُولى على الثانية.

و لهذا كان على النبي صلّى الله عليه وآله ـ بعد العودة ـ أن يؤدب مثل هذه العناصر حتى لا تسري عدوىٰ هذه الحالة المرضيّة إلى الآخرين.

إنهم لم يتخلّفوا عن هذا الجهاد فحسب، بل لم يعملوا بالعهد الذي أعطوه لرسول الله صلّى الله عليه وآله أيضاً،فإنهم انشغَلوا بالتجارة، وجمع المال حتى فُوجئوا بعودة رسول الله صلّى الله عليه وآله المُظفَّرة إلى المدينة فبادروا عند

ذلك لملاقاة ما بَدَر منهم من تخلُّف إلى الحضور عند رسول الله صلّى الله عليه وآله للتسليم عليه وتقديم التهاني إليه كما فعَل الآخرُون.

إلّا أنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أعرض بوجهه عنهم ولم يكترثْ بهم، وعندماتحدث رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بالكلام في ذلك الاجتماع العظيم وسط موجة من الفرح والابتهاج كان أوّل ماقاله هو:

«لا تُكلمنَّ أحداً مِن هؤلاء الثلاثة».

و مع أن عدد المتخلفين كان يقارب التسعين شخصاً، إلا أن اكثرهُمْ حيث كانوا من المنافقين، ولم يكنْ يتوقع منهم أن يشاركوا المسلمين في جهاد العدُوّ لهذا تركَّز ثقلُ هذه القطيعة على هؤلاء المسلمين الثلاثة الذين كان بعضهُم سبقَ منه أنْ اشترك في غزوة بدر مثل «مرارة» و «هلال»، وكانت لهم شخصية ومكانة بين المسلمين!!

و لقد تركت سياسة رسول الله صلّى الله عليه وآله الحكيمة التى كانت جزء لاينفك من دينه أثراً عجيباً، فقد تعطَّلت التجارة والأخذ والعطاءمع المتخلفين، وكسُدَتْ بضائعُهم، ولم يشترها أحدٌ، وقطع أقرب أقرباء المخلّفين روابطهم وعلاقتهم مع المخلفين المذكورين إتباعاً لأوامر النبي صلّى الله عليه وآله، وتركوا حتى الحديث العابر معهم.

ففعلت مقاطعة الناس للمخلفين فعلتها، وضغطت عليهم نفسياً بشدة حتى ضاقت عليهم الأرض على رحابتها في نظرهم كما يقول القرآن الكريم.

«حَتىٰ إذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رحُبتْ وَ ضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسهمْ»[1].

و لكنَ هؤلاء الثلاثة المعرون بفراسة كاملة أدركوا أن العيش في البيئة الاسلامية لايمكن إلا بالالتحاق الحقيقي بصفوف المسلمين، وأنه لادوام لحياة الأقليّة الصغيرة أمام الاكثرية القاطعة، وبخاصة اذا كانت الأقلية تتألف من

---

(١) التوبة: ١١٨، وتذكر التفاسير كيفية توبتهم وأنابتهم على وجه التفصيل فليراجعها من يريده.

٥٧٨ ـــــــ

و قد كتب الى المنافقين في المدينة في إحدىٰ رسائلهم ان استعدّوا وابنوا مسجداً في قباء في مقابل مسجد المسلمين وصلّوا فيه في أوقات الصلاة ليمكنكم ـتحت غطاء أداء الفرائضـ التحدث حول الأُمور المتعلقة بالاسلام والمسلمين، وكيفية تنفيذ المؤامرات الحزبية ضدهم.

لقد كان «ابوعامر» على غرار أعداء الاسلام في العصر الحاضر يرىٰ أن أفضل وسيلة لهدم واستئصال الدين في بلد يسوده الدين هو الاستفادة من نفس سلاح الدين، ومن المعلوم أنه يمكن توجيه الضربة إلى الدين باسم الدين أكثر من أيّ عامل أو وسيلة أُخرى.

لقد كان «ابوعامر» يعلم أن النبي صلّى الله عليه وآله لايسمح لحزب المنافقين بإقامة مركز لهم مطلقاً إلّا إذا كان لذلك صبغةٌ دينيةٌ، وكان تحت عنوان مسجد.

عند ما كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يتجهّز إلى «تبوك» أتاه جماعة من المنافقين وطلبوا منه ان يسمح لهم ببناء مسجد في محلتهم بقباء بحجة أن ذوي العلة والحاجة لايمكنهم أن يقطعوا المسافة بين قباء ومسجد النبي للصلاة معه صلّى الله عليه وآله في الليلة المطيرة والليلة الشاتية، فأوكل النبي صلّى الله عليه وآله أمر النظر في طلبهم الى مابعد العودة من تبوك [1].

غير أن حزب النفاق بادروا الى اختيار نقطة من الأَرض في قباء، واسرعوا في اقامة مركز لهم تحت غطاء المسجد ولما عاد النبي صلّى الله عليه وآله من تبوك حضروا عنده وطلبوا منه أن يصلي فيه ركعتين ليُسبغوا بذلك الشرعيّة على مركزهم، وفي هذا الاثناء نزل جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله وأخبره بحقيقة هذا الأمر، وسمّاه في آيات نزَلَ بها على النبي بمسجد الضرار، ووصفه بأنه مركز بُني لايجاد الفُرقة بين المسلمين، والتآمر عليهم إذ يقول تعالى:

---

(١) المغازي: ج٣ ص ١٠٤٦.

«وَ الَّذينَ اتَّخَذُوا مَسجِداًضِراراً وكُفْراً وَ تَفريْقاً بَيْنَ المُؤْمنينَ وَ إرْصاداً لِمَنْ حَارَبَ الله وَ رَسُولَهُ مِنْ قَبلُ وَ لَيحْلفُنَّ إن أرَدْنا إلّا الحُسْنىٰ والله يشهَدُ إنَّهُمْ لكاذبُونَ لا تقُم فيه أبداً لمسجد أُسِّس عَلىٰ التَقْوىٰ مِنْ أَوَّل يَوْم أَحقُّ أنْ تَقُومَ فيهِ فيهِ رجالٌ يُحبُّون أنْ يتَطهَّروا والله يُحبُّ المُطَّهِّرينَ»[1].

فأمر النبيُ صلّى الله عليه وآله فوراً بإحراق ذلك المسجد وتسويته بالأَرض فحرِّق وهُدِّمَ وَ سُوِّيَ بالأَرض وتحوَّل مكانُه إلى مزبلة فيما بعد[2].

إن تحريق و هدم مسجد الضرار كانت ضربة قاضية لحزب النِّفاق فمنذئذ تلاشت وشائج وروابط ذلك الحزب الخبيث، وهلك حاميهم الوحيد عبدالله بن أُبي بعد شهرين من غزوة تبوك .

و لقد كانت غزوة تبوك آخر الغزوات الاسلامية التي شارك فيها رسول الله صلّى الله عليه وآله إذ لم يشارك صلّى الله عليه وآله بعدها في أي قتال.

---

(١) التوبة: ١٠٧ و ١٠٨.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٣٠، بحارالأنوار: ج٢٠ ص٢٥٣.

٥٥

وَفد ثقيف في المدينة

انتهت غزوة تبوك بكل مشاكلها، ومتاعبها الكثيرة وعاد جنودُ الاسلام المجاهدون الى المدينة بابدان متعبة من وعثاء السفر، وبُعد الطريق، ولم يلق جنود الاسلام كيداً ولم تحصل بينهم وبين الجيش الرومي اية مواجهة كما ولم يواجهوا عدواً طوال ذلك الطريق، ولم يغنموا غنيمة. من هنا اعتبر بعض السذَّج من المسلمين تسيير هذا الجيش الضخم عملاً لغواً وعبثاً، وذلك لأنهم لم يعرفوا بالآثار والنتائج غير المرئية لهذه الحركة العسكرية الواسعة، ولم يمض وقتٌ كبيرٌ إلّا وأتضحت نتائجها، فقد أسلمت على أثر هذه المناورة العسكرية العظمى أشد القبائل عداء وعناداً للاسلام، وخضعت لسلطان المسلمين، بايفاد مندوبيها ووفودها إلى المدينة، وإظهار الطاعة والاسلام عن طريقها، كما أنها عمدت الى فتح أبواب حصونها الحصينة في وجه المسلمين ليحطّموا أصنامها وأوثانها، وينصبوا على حطامها ألوية التوحيد.

ان الجماعات السطحية التفكير القصيرة النظر تهتم ـ عادة ـ بالنتائج المرئية الحاضرة، فمثلاً إذا واجه جنودُ الاسلام خلال الرحلة عدوّاً، وقاتلوه وقضوا عليه، وغنموا غنائم من أمواله قالت هذه الجماعة: لقد حققت هذه العملية العسكرية نتائج باهرة!!

و لكن أصحاب الرؤية العميقة والنظرة البعيدة يحلّلون الامور على غير هذا النمط، فهم يمتدحون أي عمل يخدم الهدف والنتيجة النهائية ويعتبرونه نجاحاً باهراً.

٥٨٢ ـــــــ

منهم.

و قال له: انهم قاتلوك .

فقال عروة: يا رسول الله أنا أحبُّ إليهم من أبكارهم، (أو من أبصارهم)، وكان فيهم كذلك محبَّباً مُطاعاً.

و لقد كان قومُ عروة وسائر قادة ثقيف لم يدركوا بعدُ ماأدركه عروة من عظمة الاسلام، وكان فيهم نخوةٌ وكِبرٌ يمنعانهم من الخضوع للحق.

و لهذا قرّرت أن ترشق بالنبال والسهام أول داعية أتاها ليدعوها إلى الاسلام... وهكذا رشقوا بالنبال «عروة» في الوقت الذي كان يدعوهم الى الاسلام، فقال وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة: كرامةٌ اكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ[1].

وَفْدُ ثَقِيف :

ندم رجالُ ثقيف -بعد مقتل عروة- على فعلهم هذا بشدة وعرفوا بأن الحياة لم تعُدْ ممكنة ومُيسَّرة لهم في قلب الحجاز الذي رُفِعَت على جميع مناطقه ألوية التوحيد وخاصّة بَعد أن أصبحت جميع المراعي والطرق التجارية تحتَ رحمة المسلمين، فقرّروا في ندوة مشاورة عقدت لدراسة مشكلاتهم أن يبعثوا مندوباً من قِبَلهم إلى المدينة ليتفاوض مع رسول الله صلّى الله عليه وآله ويعلن له عن استعداد قومه لاعتناق دين التوحيد ضمنَ شروط معيَّنة، واتفقُوا على إيفاد «عبديالليل» إلى المدينة وابلاغ رسالتهم إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله ولكن عبد ياليل رفض القيام بهذه المهمّة وقال: لستُ فاعلاً ذلك حتى تُرسلوا مَعي رجالاً، لأنه كان لايثق بثبات رأيهم، وكان يخشىٰ أن يصنَعوا به ماصنَعوا بعروة بن مسعود. فاتفقوا ان يبعثوا معه خمسة رجال من ثقيف ليقوموا جميعاً بالقدوم

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٣٧ و ٥٣٨.

٥٨٤ ـــــــ

أراض، ولكن بعض شروطهم كانت غير صحيحة، ووقحة الى درجة أن النبي صلّى الله عليه وآله غضب بسببها، ولابأس بأن نتعرض لذكر بعض هذه الشروط:

قال وفد ثقيف: ان قبيلة ثقيف مستعدة لان تعتنق الاسلام شريطة أن يترك بيت أصنامهم على حاله، وأن يعبُدوا «اللات» وهو صنم القبيلة الاكبر مدة ثلاث سنين فأبى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فلما رأوا غضب النبي واباءَه أخذوا يتنازلون عن المدة التي ذكروها سنة سنة وهو يأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً، فابى عليهم أن يدعها ولايوماً.

ولقد كان مثل هذا الطلب من النبي صلّى الله عليه وآله الذي كان نَشْرُ التوحيد، وهَدْم بيوت الاصنام، وتحطيم الاوثان يشكل هدفه الاساسي كان طلباً مخجلاً جداً، ولقد كان مثل هذا الطلب يكشف عن أنهم كانوا يريدون إسلاماً لايضر بمصالحهم الماديّة وميولهم الباطنية، أما إذا كان غير هذا فلن يقبلوه ولن يرضوا به.

و لهذا عندما عرف وَفدُ ثقيف بقبح مطلبهم هذا بادَروا إلى التعلل والاعتذار بأنهم إنما أرادوا بذلك أرضاء نسائهم وذراريهم وسفهاء قبيلتهم، حيث إنهم يكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام، فاذا أبى رسول الله صلّى الله عليه وآله عليهم ذلك فليبعث معهم شخصاً من غير قبيلتهم ليهدمَها، فوافق النبي صلّى الله عليه وآله على هذا الشرط، لأنّ النبي صلّى الله عليه وآله كان يريد محو وازالة جميع المعبودات الباطلة عن الحياة البشرية سواء أتمّ هذا على أيدي الطائفيين أم على أيدي غيرهم.

و الشرط الآخر هو أن يعفيهم رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من الصلاة. فلقد كانوا يتصوَّرون أن رسول الله صلّى الله عليه وآله يمكنُه التصرّف في الأحكام الآلهية كما يفعل قادة أهل الكتاب، حسب زعمهم، حيث كانوا يكلّفون جماعة بهذه الاحكام، بينما يُعفون جماعة أُخرى منها، وذلك غفلة منهم عن

أنّه صلّى الله عليه وآله يتبع الوحي الالهيّ، ولا يمكنه التغيير فيه قيد شعرة.

إن هذا الشرط كان يكشف عن انه لم يكن قد تَرَسَّخت في أفئدتهم روح التسليم المطلق بَعدُ، وأنّ اعتناقهم للاسلام كان نتيجة ظروف ساقتهم إلى اسلام ظاهريّ سطحيّ، وإلّا فلا داعي ولامبرّر للايمان ببعض ماجاء في الاسلام دون بعض، فيقبلوا شيئاً ويرفضوا شيئاً آخر.

إن الاسلام، والايمان بالله إن هو إلّا نوعٌ من التسليم الباطني الروحيّ، والخضوع القلبي الذي يقبل المرءُ في ظلّه جميعَ التعاليم والدساتير الإلهية عن طواعية ورغبة، وفي مثل هذه الحالة لاغير لاتجد فكرة التبعيض في التعاليم الإلهية طريقاً إلى روح إنسان ومخيّلتهِ.

و لأجل هذا قال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في جوابهم:

«لاخَيْر في دِيْن لا صَلاة فيه»[1].

إن المسلم الذي لا يسجد ولا يركع لله تعالى في اليوم والليلة ولامرة واحدة، ولايذكر ربَّه لايكون مُسلماً بالمعنى الصحيح.

هذا و عندما اتفق الطرفان على شروطهما نظمت معاهدة تشمل المواد والشروط المتَّفق عليها، وقَّع عليها رسول الله صلّى الله عليه وآله، وحينئذ أذِنَ رسول الله صلّى الله عليه وآله لوفد ثقيف بالعودة إلى قومهم، واختار منهم أحدثهم سناً وهو «عثمان بن أبي العاص» الذي كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلّم القرآن خلال وجوده بالمدينة فأمَّره عليهم، وجعله نائباً دينياً، وسياسياً عنه في قبيلة ثقيف وأوصاه ـ فيما أوصاه ـ بأن يصلّي بالناس جماعة مراعياً أضعفهم قائلاً له:

«يا عُثمان تجاوز[2] في الصَلاة وأقدُر الناس بأضعفِهم فانَّ فيهمُ الكبير

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص٣١٧.

(٢) تجاوَزْ: أي خفف الصلاة وأسْرِعْ بها.

والصغير والضعيفَ وذا الحاجة».

ثم كلّف رسولُ الله صلّى الله عليه وآلهِ «أباسفيان بن حرب»، و «المغيرة بن شعبة» بالتوجّه الى الطائف مع وفد ثقيف لهَدم الاصنام فيها، أجَلْ إن أباسفيان الذي كان وحتى يوم أمس من حَفظَة الأصنام وهو الذي أراق في سبيلها أنهراً مِنَ الدّماء، يمشي الآن إلى الطائف وهو يحمل فأسه ومعوله لتحطيم الأصنام فيها، ويحوّلها الى تلٍّ من الحطب، ويبيع مايتعلق بها من ذهب وفضّة وحليّ ليقضى بأموالها ديون «عروة» و «الأسود» حسب اوامر رسول الله صلّى الله عليه وآله[1].

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٣٧ ـ ٥٤٣، السيرة الحلبية: ج٣ ص ٢١٦ ـ ٢١٨، ولقد وردت قصة وفد ثقيف في كتاب «أُسدالغابة»: ج١ ص٢١٦ و ج٣ ص٤٠٦ أيضاً.

٥٦

إعْلان البراءة من المشركين في منىٰ

في أواخر السنة التاسعة من الهجرة نزل أمين الوحي جبرئيلُ على رسول الله صلّى الله عليه وآله بعدة آيات من سورة التوبة (سورة البراءة)، وكلّف رسولَ الله صلّى الله عليه وآله بأن يبعث بها رجلاً إلى مكّة ليتلوها مع عهد ذي أربعة بنود في موسم الحج.

و لقد رُفِعَ الأمان في هذه الآيات عن المشركين، وأُلغيت جميعُ العهود (إلّا العهود والمواثيق التي التزم بها أصحابها ولم ينقضوها)، وأُبلغَ إلى رؤوس الشرك وأتباعهم أن عليهم أن يوضحوا مواقفهم من الحكومة الاسلامية التي تقوم على اساس التوحيد ـ وذلك خلال أربعة أشهر، وإذا لم يتركوا الشرك والوثنية خلال هذه الأشهر الاربعة نُزعت منهم الحصانة، ورفع عنهم الأمان.

عندما ينتهي المستشرقون إلى هذه القصة وهذا الفصل من التاريخ الاسلامي يصوبون رماح حملاتهم إلى الاسلام ويعتبرون هذا الموقف الحاسم والحكيم مخالفاً لمبدأ الحريّة الإعتقادية، ولكنهم اذا طالعوا صفحات التاريخ الاسلامي من دون أيّ تعصب وانحياز، ودَرَسوا الدوافع الحقيقية وراء هذا الاجراء، والتي ذُكرت في هذه السورة، وفي النصوص التاريخية لسلموا من كثير من هذه الاخطاء، ولصَدّقوا واعترفوا بأن هذا العمل لاينافي حرية العقيدة التي يحترمها عقلاءُ العالم، أبداً واليك فيما يأتي الدوافع وراء صدور هذا العهد (البراءة).

١ ـ كان التقليد السائد عند العرب في العهد الجاهلي هو أن على زائر

الكعبة ان يعطي الثوب الذي يدخل به الى مكة المكرمة للفقير ويطوف بثوب آخر، واذا لم يكن له ثوبٌ آخر، فان عليه أن يستعير ثوباً ويطوف به حتى لايضطرَّ إلى الطواف عرياناً، وإن لم يمكنه ان يستعير ثوباً طاف بالبيت المعظم عارياً، بادي السوأة.

و قد دخلت إمرأة ذاتُ جمال كبير، ذات يوم المسجد الحرام، وحيث أنّها لم تكُ تملكُ ثوباً آخر، لذلك اضطرّت تبعاً لذلك التقليد الجاهليّ الخرافي أن تطوف عارية بالبيت المعظَّم، ومِنَ الواضح أنّ مِثل الطواف الفاضح أي الطواف بالجسد العاري في أقدس بقعة من بقاع العالم على مرأىٰ من جموع الطائفين بالبيت ينطوى على نتائج سيّئة بالغة السوء.

٢ ـ لقد نزلت الآيات الأُولى من سورة التوبة بعد أن انقضت عشرون سنة على بعثة النبي الكريم صلّى الله عليه وآله، وفي هذه المدة كان منطق الاسلام القوي حول المنع من الوثنية والشرك قد بَلغ الى مسامع المشركين في شبه الجزيرة العربية فاذا كانت جماعةٌ قليلةٌ منهم لايزالون يُصرّون على الشرك والوثنية لم يكن ذلك إلّا عن عصبية وعناد.

من هنا كان الوقت قد جان لأن يستخدم رسول الله صلّى الله عليه وآله آخر علاج لإصلاح ذلك المجتمع المنحرف، وأن يستعين بمنطق القُوّة لضرب كل مظاهر الوثنيّة، وأن يعتبرها نوعاً من العدوان على الحقُوق الالهية والإنسانية، وبهذه الطريقة يقضي على منبع ومنشأ مئآت العادات السيئة في المجتمع.

و لكن المستشرقين الذين اعتبروا هذا العمل مخالفاً لمبدأ حرية الاعتقاد الذي هو أساس الدين الاسلامي وقاعدة المدنية الراهنة، قد غفلوا عن هذه النقطة لأن مبدأ حرية العقيدة محترم مادام لايضرُّ بسلامة الفرد والمجتمع، إذ في غير هذه الصورة يجب مخالفتها حتماً بحكم العقل وسيرة جميع المفكّرين.

فإذا كان في أوربا اليوم مثلاً جماعة من الشباب المنحرفين ينادون بحرية العري إنطلاقاً من افكار منحرفة فاسدة وقاموا ـ على أساس أن إخفاء بعض

٥٩٠ ـــــــ

هو مركز الاعتقاد ومقرّه، وظرفه ومكانه، وهو لايخضع لأي قهر أو تسخير، وإن ظهور العقائد في منطقة الضمير يتوقف على سلسلة من المقدمات والأوليّات التي توجب حصول العقيدة، وظهور العقيدة وحصولها من دون تلك المقدمات أمر محال.

و على هذا الأساس فإن مسألة الاعتقاد لاتخضع للقهر، ولا تقبل الفرض، بل كان نضالُ النبي ينحصر في النضال ضدَّ مظاهر هذه العقيدة وهي عبادة الاوثان.

من هنا هَدَم كل بيوت الاصنام، وحطَّم الأوثانَ بينما ترك الانقلاب في العقائد والضمائر لعامل الزمن الذي كان مروره يستتبع ـ لامحالة ـ مثل هذا التطور والتحول والانقلاب.

ان العوامل الاربعة المذكورة دفعت برسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أن يستدعي أبابكر ثم يعلّمه الآيات الاولىٰ من سورة التوبة ويأمره بأن يذهب برفقة اربعين رجلاً من المسلمين[1] الى مكة، ويتلو هذه الآيات التي تتضمن البراءة من المشركين في يوم الأضحىٰ على مسامع الناس.

فتهيأ أبوبكر للقيام باداء هذه المهمة، وتوجه نحو مكة، إلّا أنه لم يلبث أن نزل أمين الوحي على رسول الله صلّى الله عليه وآله برسالة من الله سبحانه وهي:

«إنّه لايُؤَدِّي عَنْكَ إلّا أَنْتَ أو رَجُلٌ مِنْكَ».

و لهذا استدعى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله عليّاً وأخبره بالخبر ثم قال له: إركبْ ناقتي العضباء والحقْ أبابكر فخذ براءة من يده، وامض بها الى مكة وانبذ بها عهد المشركين إليهم، أي إقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى انحاء الجزيرة العربية براءة بمافيها النقاط الاربعة التالية:

---

(١) وقد ذكر الواقدي انهم كانوا ثلثمائة (المغازي: ج٣ ص١٠٧٧).

٥٩٢ ـــــــ

إلّا أن بعض روايات أهل السنّة تفيدُ أنّ أبابكر أُنيط اليه أمارة الحجيج في ذلك العام، بينما كُلّف علي عليه السَّلام وحده بمهمة قراءة آيات البراءة والنقاط الاربعة المذكورة على الناس يوم الحج الاكبر بمنىٰ[1].

دخل أميرُالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السَّلام مكة وفي اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، صعد على جمرة العقبة وقرأ على الناس الآيات الثلاث عشرة من صدر سورة التوبة (البراءة) وأذان رسول الله المتضمن للنقاط الاربعة، رافعاً صوته به، بحيث يسمعه جميع من حضر، وذلك بمنتهىٰ الشجاعة والجرأة، وأخبر المشركين الذين لاعهد ولامدة لهم مع النبي صلّى الله عليه وآله بأن لهم أن يسيحوا في الارض أربعة أشهر إبتداء من يوم قراءة ذلك الاعلان، فاذا انقضت هذه المدة قُتِلُوا اذا وُجدوا على الشرك ، فعليهم أن يبادروا خلال هذا الأجل المضروب إلى تطهير بيئتهم من كل أنواع الوثنية وإلّا سُلِبَت عنهم الحصانة، ورفع عنهم الأمان.

لقد كان أثرُ هذه الآيات وهذا الأذان النبويّ هو أنه لم يمض على قراءتهما أربعة اشهر إلّا وأقبلَ المشركون على اعتناق عقيدة التوحيد أفواجاً افواجاً، وهكذا استُئصِلت جذور الوثنية في شبه الجزيرة العربية في أواسط السنة العاشرة من الهجرة.

تعصّبٌ بغيضٌ في تحليل هذا الحدث:

لاريب أن عزل أبي بكر عن مقام إبلاغ آيات البراءة، وتنصيب علي بن أبي طالب مكانه لأداء تلك المهمة بأمر الله تعالى يُعدُّمن ابرزفضائل علي ومناقبه المسلّمة التي لا تقبل الانكار والشك ، ولكن جماعة من الكتّاب المتعصبين وقعوا في الخطأ والانحراف مع ذلك عند تحليل ودراسة هذه الحادثة.

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٤٦ وراجع للوقوف على المصادر العديدة لهذه القضية الغدير: ج٦ ص ٣٣٨ - ٣٥٠.

فهذا «الآلوسي البغدادي» يكتب في تفسيره عند دراسة وتحليل هذه الحادثة: النكتة في نصب الامير كرم الله تعالى وجهه مبلِّغاً نقضَ العهد في ذلك المحفَل ان الصِّديق رضي الله تعالى عنه لما كان مظهراً لصفة الرحمة والجمال كما يرشد اليه ماتقدم في حديث الاسراء ولما كان علي كرم الله وجهه والذي هو أسد الله ومظهر جلاله فوض اليه نقض عهد الكافرين الذي هو من آثار الجلال وصفات القهر[1].

إن هذا التفسير النابع من منبع التعصُّب لاينسجم مع كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله لأنه قال عند الإجابة على أبي بكر: «إنَ هذه الآي لايؤدِّيها إلّا أنا أو رجلٌ منّي» أيْ لايصلُحُ لأدائها غير هذين الرجلين وليس في هذا الكلام أي اشارة إلى الرأفة والشجاعة.

هذا مضافاً إلى أن رسول الله صلّى الله عليه وآله المظهر الكامل للرحمة والرأفة وبناء على ماقاله الآلوسي يجب أن لايُكلف حتى رسول الله صلّى الله عليه وآله بابلاغ هذه الآيات، على حين أن الوحيَ قال: هذه الآيات لايؤديها إلّا أنت أو رجلٌ مِنكَ».

و لقد برّر جماعة أُخرى هذا المطلب بنحو آخر فقالوا: لقد كان التقليد المتّبَع عند العرب في نقض العهود مهما كانت هو ان يقدم نفسُ الموقِّع على العَهْد أو أحد أنسبائه على نبذ العهد ونقضه، اذ في غير هذه الصورة كان المتعارف عندهم أن يبقى العهد على حالِه، وحيث إن علي بن أبي طالب كان من اقرباء النبي لهذا كُلِّف بإبلاغ هذه الآيات التي تضمنت نبذ العهد.

و لكن هذا التفسير والتوجيه غير مقنع، لأنه كان ثمة بين أقرباء رسول الله صلّى الله عليه وآله من هو أقرب إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله مثل عمّه العباس، فلماذا لم يكلَّف بابلاغ آيات البراءة، ونبذ العهد الى المشركين.

---

(١) روح المعاني: ج١٠ ص ٤٥ تفسير سورة التوبة.

ثم لماذا لم يتبع النبي صلّى الله عليه وآله هذه العادة من أول الأمر وهو العارف بتقاليد مجتمعه؟

إذا أردنا أن نقضي في هذه القضية التاريخية بالقضاء المحايد المنصف وجب أن نقول: إن علة هذا العزل، والنصب لم يكن لادافع الرغبة في المقام، والطموح الى السلطة، ولا وشيجة القربى مع علي عليه السَّلام بل كان الغرض من هذا التغيير هو الكشف عملياً عن أهليّة أمير المؤمنين علي عليه السَّلام وصلاحيّته للقيام بالمهامّ المتعلّقة بالحكومة الاسلامية، وليعلَمَ الناس أنه عديلُ النبي صلّى الله عليه وآله في الجوانب الروحية، وفي مجال الأهليّة، والصلاحية.

و انه اذا ماغابت شمسُ الرسالة بعد حين وجب أن تُسَلَّم مقاليدُ الحكم، وازمّة التصرُّف في المسائل والأُمور المتعلّقة بشؤون الخلافة الى عليّ عليه السَّلام إذ لايصلح لهذا العمل الخطير سواه، وانه يجب أن لايقع المسلمون بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله في الإشكال والتشتت، والاختلاف والحيرة في هذا الأمر، لأنهم قد رأوا بأمّ عينهم كيف نصب «علي» من جانب النبي بأمرالله تعالى لنبذ العهود مع المشركين، الذي هو من صلاحيات واختيارات، الحاكم الاسلامي وشؤونه.

٥٧

في رثاء الولدِ العزيز

«يا إبراهيم إنّا لَنْ نُغنيَ عَنْكَ مِنَ الله شَيئاً إنّا بِكَ لمحزُونُون تبكي العين ويحزن القلب وَ لا نَقُولُ مايُسْخِطُ الربُّ، وَ لَوْلا أنَّهُ وَعْدٌ صادِقٌ وَ مَوعُودٌ جامِعٌ فانّ الآخِرَ منّا يَتبعُ الأولَ لَوَجَدْنا عَلَيْكَ ياإبراهيم وَجْداً شَدِيداً ما وَجَدْناهُ»[١].

هذه العبارات قالها رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في رثاء ولدهِ العزيز «إبراهيم» في اللحظات التي كان يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة في حجر أبيه الرحيم، وبينما كان الوالد العظيم واضعاً شفتيه على خدّ ابنه، ويودّعه بروح ملؤها المشاعرُ والعواطفُ، من جانب، وراضية بالتقدير الإلهي.

إنَ حبَّ الأولاد والأبناء من أرفع وأظهر تجلّيات الروح الانسانية، كما انه خير دليل على سلامة الروح ولطافتها.

لقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله يقول دائماً: «اكرمُوا أوْلادَكُمْ»[٢] وذهب إلى أبعد من ذلك إلى درجة أنّه اعتبر مودَّة الأبناء والعطف عليهم من مكارم أخلاقه ومحاسن سجاياه[٣].

ففي السنين والأعوام الماضية واجه النبيُ الاكرم صلّى الله عليه وآله مصيبة

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص ٣١١ بحارالأنوار: ج٢٢ ص١٥٧.

(٢) بحارالأنوار: ج١٠٤ ص ٩٥ عن مكارم الاخلاق.

(٣) المحجة البيضاء: ج٣ ص ٣٦٦.

افتقاد ثلاثة من أولاده هم: «القاسِم والطاهر، والطيب»[١] وثلاث من بناته وهن: «زينب» و «رقيّة» و «أُم كلثوم» و لقد حزن لفقدهم حزناً شديداً وكانت «فاطمة» هي البنت الوحيدة التي بقيت له من زوجته الكريمة خديجة.

لقد بعثَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في السنة السادسة من الهجرة سفراء إلى البلاد المختلفة خارج الجزيرة العربية وكان من جملة الكتب التي أرسلها إلى الامراء والملوك هي رسالته إلى حاكم مصر يدعوه فيها إلى الاسلام، وإلى عقيدة التوحيد، وهذا الحاكم وإن لم يلبّ نداء النبيّ في الظاهر، ولم يقبل دعوته إلّا أنه اجاب على كتاب النبي باجابة حسنة مضافاً إلى أنه أرسلَ اليه صلّى الله عليه وآله هدايا منها جارية تدعىٰ «مارية».

و لقد نالت هذه الجارية فيما بعد شرف تزوج النبي الكريم بها وولدت له إبناً سماه «إبراهيم» أحبَّه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله حبّاً شديداً.

و لقد خفّفت ولادة إبراهيم الكثير من الاحزان التي كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعاني منها بسبب افتقاده لأولاده الستة، واشعَلَتْ في نفس النبي صلّى الله عليه وآله بصيصاً من الأمل، ولكن هذا البصيص من الأمل سرعان ما غاب بعد ثمانية عشر شهراً، وانطفأ.

لقد خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من بيته ذات يوم لعمل،وعندما عرف بتدهور خطير في صحة ولده الحبيب الوحيد «إبراهيم» عاد من فوره الى منزله، واخذ ابنه من حضن أُمه، وفيما كانت تعلو ملامحه علامات الغم والاضطراب نطق بهذه العبارات.

إن حزن النبي صلّى الله عليه وآله وبكاءه في موت ابنه «إبراهيم» دليل حيٌّ على عاطفته الانسانية التي استمرت حتى بعد وفاة ذلك الولد الحبيب، وإن إظهار تلك العواطف والإعراب عن الحزن والأسى كان يكشف عن روح

---

(١) بحارالأنوار: ج٢٢ ص ١٦٦، ولكن بعض علماء الشيعة قالوا: أولاده الذكور من خديجة اثنان فقط راجع ج٢٢ ص١٥١ من بحار الأنوار.

رسول الله صلّى الله عليه وآله العاطفية التي كانت تبرز من دون اختيار فيما دلّ تجنب رسول الله صلّى الله عليه وآله التكلم بما يسخط الله في هذه المصيبة المؤلمة على إيمانه ورضاه بالتقدير الالهيّ الذي لامفرّ لأحد منه.

إعتراض غير وجيه:

استغرب عبدالرحمان بن عوف الأنصاري من بكاء النبيّ على ولده «إبراهيم»، فاعترض على رسول الله صلّى الله عليه وآله: أو لم تكن نهيتَ عن البكاء، وانت تبكي؟

إن هذا المعترض لم يكن جاهلاً بمبادئ الاسلام و قواعده الرفيعة فحسب، بل كان غافلاً حتى عن العواطف والمشاعر الانسانية الخاصّة التي أودعتْها يد الخالق في ضميره أيضاً.

إن جميع الغرائز الانسانية خُلِقَتْ في الكيان البشري لأهداف خاصة ويجب ان يتجلىٰ كل واحد منها في وقته المناسب وموقعه اللازم، فالشخصُ الذي لايحزن لفقد أحبّائه وأعزّائه ولايغتم لفراقهم، ولا تدمع عيناه لذلك، وبالتالي إذا لم يُظهر من نفسه أية ردة فعل عند فراقهم لم يكن سوى قطعة من الصخر، ولايستحق إسم الانسانية.

و لكن ثمة نقطة مهمة وجديرة بالانتباه، وهي أنَّ هذا الإعتراض وان كان اعتراضاً غير موجَّه، إلّا أنه يكشف عن وُجود حرية كاملة، وديمقراطية حقيقية في المجتمع الإسلامي الحديث التأسيس إلى درجة أنَّ شخصاً عادياً من الناس تجرّأ على أن ينتقد عمل قائده بمطلق الحريّة ومن دون خوف أو وجَل، وسمع الجواب.

ومن هنا قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم:

«لا، إنّما هذا رَحْمة، ومن لايرحم لايُرحَم»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج٢٢ ص١٥١.

او قال:

«لا، ولكنْ نَهيتُ عن خَمش وجوه وشَقٍّ جيوب ورنة شيطان»[١].

و لقد كلّفَ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب[٢] بتجهيز «إبراهيم» وغسله وكفنه وتحنيطه، ثم إنّ النبي صلّى الله عليه وآله شيّعه مع جماعة من أصحابه، ومضى حتى انتهىٰ به إلى قبره في البقيع.

ثم إن النبي صلّى الله عليه وآله رأىٰ في قبر «إبراهيم» خللاً فسوّاه بيده ثم قال:

«إذا عَمِل أحدُكُمْ عَملاً فَليُتْقِنْ»[٣].

مكافحة الخرافات:

عندما مات إبراهيم بن رسول الله صلّى الله عليه وآله انكسفت الشمسُ فتصوّرَ البعضُ ممن جهل سننَ الطبيعة وقوانينَ العالم الطبيعيّ أن الشمس انكسفَتْ لموت إبراهيم.

و لا شك أنّ مثل هذا التصور الباطل وان كان قضية خيالية ووهماً سخيفاً إلّا أنه كان من شأنه أن ينفع النبي، ويعزّز مكانته في المجتمع الذي طالما آمن بالخرافة وعشقها.

ولو أن رسول الله صلّى الله عليه وآله كان قائداً عادياً و ماديّاً لكان من الجائز أن يؤيّد صحّة هذا التصور ليكتسب من وراء ذلك عظمة وقوة.

و لكن النبي صلّى الله عليه وآله على عكس هذه التوقّع رقىٰ المنبر، وأطْلَعَ الناسَ على حقيقة الأمر وقال:

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص ٣١٠ و ٣١١.

(٢) بحارالأنوار: ج٢٢ ص ١٥٦، وروي في السيرة الحلبية ان رسول الله صلّى الله عليه وآله كلّف الفضل بن العباس (ابن عم النبي) بتجهيز إبراهيم.

(٣) بحارالأنوار: ج٢٢ ص ١٥٧.

٦٠٠ ـــــــ

٥٨

وفد نجران في المدينة

تقع «نجران» بِقُراها السبعين التابعة لها، في نقطة من نقاط الحجاز واليمن الحدودية، وكانت هذه المنطقة في مطلع ظهور الاسلام المنطقة الوحيدة التي غادر أهلُها الوثنية لأسباب معيّنة واعتنقوا المسيحية[١] من بين مناطق الحجاز.

و قد كتب رسولُ الاسلام كتاباً إلى اسقف نجران[٢] «أبوحارثة» يدعو أهلها فيه الى الاسلام يوم كتب كتباً إلى ملوك العالم ورؤسائه.

و اليك مضمون هذا الكتاب:

«بِسْم إله إبراهيم و إسحاق وَ يَعقوب من مُحمَّد رسول الله إلى أسْقُف نَجْران وأهل نَجْران إن أسْلَمْتُمْ فإنّي أحْمَدُ إليكُم الله إله إبْراهيم وَاسحاق[٣] ويعقوب أمّابعد فإني أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعُوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فان أبيتم فالجزية، فان أبيتم فقدآذنتكم بحرب والسلام» .

و اضافت بعض المصادر التاريخية الشيعية أن النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله كتب في ذلك الكتاب الآية المرتبطة بأهل الكتاب[٤] والتي تدعوهم إلى عبادة الله الواحد القهار.

---

(١) ذكر الياقوت الحموي في معجم البلدان: ج٥ ص٢٦٦ - ٢٧٧ علل اعتناقهم للمسيحية.

(٢) الاسقُف معرب كلمة يونانية هي ايسكوپ وتعني الرقيب والمناظر وهو اليوم منصب اعلى من منصب القسيس.

(٣) بحارالأنوار: ج٢١ ص ٢٨٥.

(٤) المرادُ من تلك الآية هو قوله تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الكِتابِ تَعالَوا إلى كلِمَة سَواء بَيْننا وَ بَيْنكُمْ ألاّ نعبد إلا الله ولا تشرك به «شيئاً» (آل عمران: ٦٤. الاقبال: ص٤٩٤).

٦٠٢ ـــــــ

ففعلوا ذلك ثم دخلوا على النبي صلّى الله عليه وآله فسلّموا عليه فرد عليهم السَّلام، واحترمهم، وقبلَ بعض هداياهم التي أهدوها اليه صلّى الله عليه وآله، ثم إن الوفد ـ قبْل ان يبدأوا مفاوضاتهم مع النبي صلّى الله عليه وآله قالوا: إن وقت صلاتهم قدحان واستأدنوه في أدائها، فاراد الناسُ منعهم ولكن رسول الله صلّى الله عليه وآله اذن لهم وقال للمسلمين: دعوهم فاستقبلوا المشرق، فصلّوا صلاتهم[1].

و بذلك اعطى النبي صلّى الله عليه وآله درساً في التسامح الديني يدفع افتئات اعداء الاسلام على هذا الدين.

مفاوضاتُ وَفد نجران مع النبي:

لقد نَقَل طائفة من كتّاب السيرة، والمحدثين الاسلاميين نصَّ الحوار الذي دار بين وفد نجران المسيحي ورسول الله صلّى الله عليه وآله، ولكن المرحوم السيد ابن طاووس نقل نص هذا الحوار و قضية المباهلة بنحو أدقّ واكثر تفصيلاً ممّا ذكره الآخرون من المحدثين والمؤرخين.

فقد ذكر جميع خصوصيات المباهلة من البداية الى النهاية نقلاً عن كتاب المباهلة لمحمد بن المطلب الشيباني[2]. و كتاب عمل ذي الحجة للحسن بن اسماعيل[3]، غير أن نقل جميع تفاصيل هذه الواقعة التاريخية الكبرى التي قصّر حتى في الاشارة اليها اشارة عابرة بعض أصحاب السيَر أمر خارجٌ عن نطاق هذا الكتاب، ولهذا فاننا نكتفي بنقل جانب من هذا الحوار الذي نقله رواه الحلبي في

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص ٢١٢.

(٢) هو محمَّد بن عبدالله بن محمَّد بن عبيدالله بن البهلول بن همام بن المطلب المولود عام ٢٩٧هـ والمتوفى عام ٣٨٧هـ.

(٣) من اراد الوقوف على خصوصيات هذه الواقعة التاريخية فليراجع كتاب الاقبال للمرحوم السيد ابن طاووس ص ٤٩٦ ـ ٥١٣.

٦٠٤ ـــــــ

خروجُ النبي للمباهلة:

تُعتبر قصة مباهلة رسول الله صلّى الله عليه وآله مع وَفد نجران من حوادث التاريخ الإسلاميّ المثيرة والجميلة، وهي وإن قصّر بعض المفسّرين والمؤرخين في رواية تفاصيلها، وتحليلها، إلّا أنَّ ثلة كبيرة، مِن العلماء كالزمخشري في الكشاف[١] والإمام الفخر الرازي في تفسيره[٢] وابن الاثير في الكامل[٣] أعطوا حق الكلام في هذا المجال وها نحن ننقل هنا نصَّ ماكتبَه الزمخشريُ في هذا المجال:

حان وقت المباهلة... وكان النبي صلّى الله عليه وآله ووفد نجران قد اتفقا على أن يُجريا المباهلة خارج المدينة، في الصحراء... فاختار رسول الله صلّى الله عليه وآله من المسلمين ومن عشيرته وأهله أربعة أشخاص فقط وقد اشترك هؤلاء في هذه المباهلة دون غيرهم، وهؤلاء الاربعة لم يكونوا سوى علي بن أبي طالب عليه السَّلام وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلّى الله عليه وآله والحسن والحسين لأنه لم يكنْ بين المسلمين من هُوَ أطهر من هؤلاء نفوساً، ولا أقوى وأعمق إيماناً.

طوىٰ رسولُ الله صلّى الله عليه وآله المسافة بين منزله،وبين المنطقة التي تقرر التباهلُ فيها في هيئة خاصة مثيرة، فقد غدا محتضناً الحسين[٤] آخذا بيد الحسن و فاطمة تمشي خلفَه وعلي خلفَها، وهو يقول: إذا دعوتُ فأمِّنوا.

كان زعماء وفد نجران ورؤساؤهم قد قال بعضهم لبعض ـقبل أن يغدو

---

(١) ج١ ص ٣٨٢ و ٣٨٣.

(٢) مفاتيح الغيب: ج٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢.

(٣) ج ٢ ص ١١٢.

(٤) جاء في بعض الروايات أن النبي غدا آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعه فاطمة وبين يديه عليّ (بحارالأنوار: ج٢١ ص٣٣٨).

رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى المباهلة: أُنظروا محمّداً في غد، فإن غدابولده وأهله فاحذَروا مباهلته، وإن غدا بأصحابه فباهلوه فانه ليس على شيء. وهم يقصدون أن النبي إذا جاء إلى ساحة المباهلة محفوفاً بأُبهة مادية، وقوة ظاهرية، تحفُ به قادة جيشه وجنوده فذلك دليلٌ على عدم صدقه، وإذا أتى بوُلده وأبنائه بعيداً عن أيّة مظاهر مادية وتوجه الى الله بهم وتضرع الى جنابه كما يفعل الانبياء دلّ ذلك على صدقه لأنّ ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه، حيث استجرأ على تعريض أعزته، وأفلاذ كبده، وأحبَّ الناس اليه لذلك، ولم يقتصر على تعريض نفسه له، وعلى ثقته بكذب خصمه.

وفيما كان رجال الوفد يتحادثون في هذه الأُمور اذ طلع رسولُ الله صلّى الله عليه وآله والاغصانُ الاربعة من شجرته المباركة بوجوه روحانية نيّرة فاخذ ينظر بعضهم إلى بعض بتعجب ودهشة، كيف خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله بابنته الوحيدة، وأفلاذ كبده وكبدها المعصومين للمباهلة، فادركوا أن النبي صلّى الله عليه وآله واثق من نفسه ودعوته وثوقاً عميقاً، اذ ان المتردد غير الواثق بدعوته لا يخاطر بأحبائه واعزته ويعرضهم للبلاء السماوي.

و لهذا قال أُسقف نجران: يامعشر النصارىٰ إني لأرىٰ وُجُوهاً لوشاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لازاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا، ولايبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة[1].

* * *

---

(١) يروى العالم الشيعي الكبير السيد ابن طاووس في كتاب «الاقبال»: أقبلَ الناسُ من أهل المدينة من المهاجرين والأنصار، وغيرهم من الناس في قبائلهم وشعاراتهم من راياتهم واحسن شاراتهم وهيئتهم... ولبث رسول الله صلّى الله عليه وآله في حجرته حتى متع النهار ثم خرج آخذاً بيد علي والحسن والحسين أمامه، وفاطمة عليهاالسَّلام من خلفهم فاقبل بهم حتى أتى الشجرتين فوقف بينهما من تحت الكساء على مثل الهيئة التي خرج بها من حجرته، ثم أرسل الى وفد نجران ليباهلهم.

إنصراف وَفْد نجران عن المباهلة:

لما رأى وفد نجران هذا الأمر (وهو خروج النبي باحبَّته واعزته) وسمعوا ماقاله اسقفُ نجران تشاوروا فيما بينهم ثم اتفقوا على عدم مباهلة النبي صلّى الله عليه وآله، معلنين عن استعدادهم لدفع الجزية للنبي كل سنة، لتقوم الحكومة الاسلامية في المقابل بالدفاع عن أنفسهم وأموالهم، فقبل النبي صلّى الله عليه وآله بذلك، وتقرَّر أن يتمتع نصارى نجران بسلسلة من الحقوق في ظل الحكومة الإسلامية لقاء مبالغ ضئيلة يدفعونها سنوياً، ثم قال النبي صلّى الله عليه وآله:

«أما والَّذي نَفْسي بيده لقد تَدلّى العذابُ على أهل نجران، ولو لاعَنُوني لَمُسِخُوا قردة وخنازير ولأضرم الواديُ عليهم ناراً ولا ستأصل الله تعالى نجران وأهله».

عن عائشة: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله خرج(أي يوم المباهلة)وعليه مرط[1] مرجَّل من شعر أسود، فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله، ثم فاطمة، ثم عليٌّ، ثم قال: «إنَّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنْكُم الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَ يُطهِّرَكُمْ تَطْهِيْراً»[2].

ثم يقول الزمخشري في نهاية هذا الكلام: وفيه دليل لاشيء أقوىٰ منه على فَضْل أصحاب الكساء (عليهم السَّلام)، وفيه برهانٌ على صحة نبوة النبي صلّى الله عليه وآله، لأنه لم يرو أحدٌ من موافق ولامخالف أنهم أجابوا إلى ذلك.

صورةُ العهد النبويّ لأهْل نجران:

سأل وفد نجران النبيَّ صلّى الله عليه وآله أن يكتب مقدار الجزية التي اتفق على دفعها من قِبَل أهالى نجران الى النبي صلّى الله عليه وآله في كتاب، وأن

---

(١) كساء.

(٢) الاحزاب: ٣٣.

٦٠٨ ـــــــ

الناحية المعنوية ارتفاعاً وتسموسمواً عظيماً حتى أنه يوصف صاحبها بانه بمنزلة نفس النبي[١].

أليست هذه الآية شاهد صدق على أفضلية أميرالمؤمنين علي عليه السَّلام على جميع المسلمين.

لقد ذكر الفخر الرازي الذي عرف الجميع أُسلوبَه في الابحاث الكلاميّة ومواقفه من القضايا المرتبطة بالإمامة، ذكر استدلال الشيعة بهذه الآية ثم أورد على هذا الاستدلال اعتراضاً قليل الأهمية ممّا لايخفى جوابه على أرباب العلم وأهل المعرفة.

هذا و يستفاد من الأحاديث الواردة عن ائمة أهل البيت أنَّ المباهلة لاتختص بالنبي الاكرم بل يجوز أن يتباهل كلُ مُسْلم في القضايا الدينية مع مَنْ يخالفه ويجادلُه فيها، وقد جاءت طريقة المباهلة والدعاء المخصوص بها في كتب الحديث، وللوقوف على هذا الامر يراجع كتاب «نورالثقلين»[٢].

---

(١) وقد استند رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى هذه الآية في قوله: «عليٌ مني كنفسي».

(٢) نورالثقلين: ج١ ص ٢٩١ و ٢٩٢، وراجع أيضاً الكافي ج٢ كتاب الدعاء باب المباهلة. وقد اشار العلامة الطباطبائي في احدى رسائله إلى هذه الموضوع أيضاً، ويعتبره من معاجز الإسلام الخالدة.

٥٩

تأريخ المباهلة عاماً وشهراً ويوماً

إن حادثة المباهلة من قضايا التاريخ الاسلامي المعروفة المتواترة التي جاء ذكرها في كتب التفسير، والتاريخ والحديث بصورة مبسوطة ومفصَّلة لمناسبة وأُخرى، وتتلخصُ هذه القصة فيمايلي:

لقد كتبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله -يوم راسَلَ ملوك العالم وامراءه يدعوهم الى الاسلام- كتب كتاباً الى اسقف نجران «ابوحارثة» دعا فيه أهل نجران إلى الاسلام ولما تسلّم أبو حارثة كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله شاور جماعة من اصحابه، فاشاروا عليه بأن يَبْعثوا وفداً يمثلون أهل نجران إلى المدينة، ليتفاوضوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله عن كثب.

و فعلاً قدم الوفد المذكور المدينة، والتقى رسول الله صلّى الله عليه وآله و بعد مداولات ومفاوضات كثيرة اقترح النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله على ذلك الوفد المباهِلة بأمر الله سبحانه، بأن يخرج الجميع (الطرفان) إلى الصحراء، ويدعُو كلُ واحد من الجانبين على الآخر فرضوا باقتراح رسول الله صلّى الله عليه وآله، ولكنّهم أحجموا عن المباهلة لما شاهدوا ماعليه رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من حالة معنوية، وروحانية عظيمة، حيث أن رسول الله صلّى الله عليه وآله اصطحب معه إلى المباهلة أربعة انفار من أفضل أحبته وأعزته، وتقرّر أن ينضوي نصارى نجران تحت مظلة الحكومة الاسلامية وهم على دينهم شريطة أن يدفعوا جزية (وهي مبلغ ضئيل).

هذه هي خلاصة قضية المباهلة التي لايستطيع انكارها و إخفاءها أي مفسِّر أو مؤرخ على النحو الذي ذكر، والآن يجب أن نرىٰ متى وفي أي يوم وشهر وعام وقعتْ هذه الحادثةُ الاسلامية الكبرى.

عام المباهلة حسب المشهور:

يقول مؤلف كتاب مكاتيب الرسول في هذا الصدد: لاخلاف عند المؤرخين ان كتاب الصُلح كتب سنة عشرة من الهجرة، فيكون سنة المباهلة نفس هذه السنة أيضاً، لان كتاب الصلح هذا انما كتب عندما أحجم الوفد النجراني النصراني من مباهلة النبي صلّى الله عليه وآله.

و قد ادرج نصُ كتاب الصلح هذا في مصادر عديدة نذكر بعضها في الهامش[١].

الشهر واليوم الذي وقعت فيه المباهلة:

إن المشهور بين العلماء هو أن المباهلة وقعت في اليوم الخامس والعشرين من شهر ذي الحجة، وذهب المرحوم الشيخ الطوسي إلى أنها وقعت في اليوم الرابع والعشرين من ذلك الشهر، وروى في كتابه دعاء خاصاً في هذه المناسبة[٢].

و اما المرحوم السيّد ابن طاووس فقد نقل حول يوم المباهلة أقوالاً ثلاثة، وذكر بأن أصح تلك الأقوال والروايات هو القائل بان يوم المباهلة هو الرابع والعشرون من شهر ذي الحجة، وقد ذهب البعض إلى أنه اليومُ الواحد والعشرون بينما ذهب آخرون إلى أنه اليوم السابع والعشرون[٣].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص ٦٥، الدر المنثور: ج٢ ص ٣٨.

(٢) مصباح المتهجد: ص ٧٠٤.

(٣) الإقبال: ص٧٤٣.

٦١٢ ـــــــ

في سورة التوبة والظاهر أن رسول الله صلّى الله عليه وآله استخدم هذه الجملة واللفظة في الكتاب المذكور اتباعاً للآية المذكورة، وقد نزلت سورة التوبة قبيل غزوة تبوك بقليل، وقد وقعت هذه الغزوة بعد شهر رجب من السنة التاسعة.

و بناء على هذا يبعد أن يكون رسول الله قد كتب لأهل نجران كتاباً، بعثوا بجوابه إليه صلّى الله عليه وآله بعد عام ونصف العام على يد وفدهِمْ.

إن هذه الواقعة التاريخية تحكي عن أن هذه الحادثة قد وقعَتْ في السنة العاشرة من الهجرة.

٢ ـ اتفق كتّاب السيرة على أن رسول الله صلّى الله عليه وآله بعث عليّاً عليه السَّلام إلى اليمن للقضاء وتعليم الاحكام الدينية، وقد مكث علي عليه السَّلام هناك ردحاً من الزمان لأداء مهامّه المخوّلة اليه، وعند ماعلم بتوجه النبي صلّى الله عليه وآله الى مكة للحج، خرج هو أيضاً إلى مكة على رأس جماعة من أهل اليمن، فلقي النبيّ بمكة، وقدَّم اليه الف حلة من البز كان قد أخذها من أهل نجران من باب الجزية التي فرضت وكتبت عليهم في معاهدة الصلح[١].

إن هذه القضية التاريخية تفيد ان واقعة المباهلة وكتابة العهد لا ترتبط بالسنة العاشرة من الهجرة، وذلك لأن أهل نجران تعهدوا في وثيقة الصلح أن يدفعوا الى رسول الله صلّى الله عليه وآله في كل سنة ألفي حلة (مخيَّطة وغير مخيّطة)، الف حلة منها في شهر رجب، والف حلة أُخرى في شهر صفر[٢].

فاذا سلّمنا بأن وثيقة الصلح كتبت في شهر ذي الحجة وجب أن نقول ان المقصود منه هوشهر ذي الحجة من الاعوام السابقة على السنة العاشرة.

لأنه كيف يمكن أن نقول بأن كتابة وثيقة الصلح، وتنفيذها بواسطة الامام

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ص٦٠٢و٦٠٣، الارشاد: ص٨٩.

(٢) الطبقات الكبرى: ج١ ص ٣٤٨، والارشاد: ص ٩٢.

٦١٤ ـــــــ

واليوم الرابع والعشرون أو الخامس والعشرون، وعلى قول: الحادي والعشرون، أو السابع والعشرون من ذلك الشهر.

و الآن يجب أن نرى هل تنطبقُ هذه الاقوال على غيرها من الحوادث التاريخية القطعية أم لا؟

إن الدراسة التالية تثبتُ لنا أن قضية المباهلة من غير الممكن أن تكون قد وقعت في شهر ذي الحجة من السنة العاشرة مطلقاً، لأنَّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قد توجَّه الى مكة المكرمة لتعليم مناسك الحج في السنة العاشرة من الهجرة، وفي اليوم الثامن عشر من هذا الشهر (وهو يوم الغدير) نصب في منطقة غدير خم التي تبعد عن الجحفة[1] بميلين[2]، علياً خليفة على المسلمين من بعده.

و لم تكن حادثة الغدير بالحادثة التي تنتهي ذيولُها في يوم واحد ليتابع النبي سفرَه الى المدينة فوراً لأن النبي -بشهادة التاريخ- أمر بعد نصب علي عليه السَّلام للخلافة أن يجلس علي في خيمة، وان يدخل عليه المسلمون الحاضرون ثلاثة ثلاثة، ويهنئونه بالخلافة والإمرة وقد استمر هذا العمل حتى الليلة التاسعة عشرة من شهر ذي الحجة، وقد هَنّأت «أُمهاتُ المؤمنين» علياً عليه السَّلام في نهاية

---

(١) «الجحفة» على وزن طُعمة تقع على بعد ثلاثة منازل من مكة وسبعة منازل من المدينة وتبعد عن البحر الاحمر بستة اميال تقريباً وتقرب من رابغ التي تقع الآن على الطريق بين مكة والمدينة راجع كتاب التحرير للنووى والتهذيب له أيضاً، هذا ويقول الياقوت الحموي في مراصد الاطلاع ص١٠٩: ان الجحفة تقع على بعد أربعة أميال من مكة وهي ميقات أهل مصر والشام، وتبعد عن البحر بستة أميال، وعن غدير خم بميلين. وهي الآن تبعد عن مكة -حسب المقاييس الحديثة- بمائتين وعشرين كيلومتراً ويقول المسعودي في كتابه «التنبيه والاشراف» ص٢٢١ - ٢٢٢ أيضاً: أن غدير خم يقرب من الماء المعروف بالخرار بناحية الجحفة، وولد علي رضي الله عنه وشيعته يعظمون هذا اليوم.

(٢) الميل عبارة عن ثلاثة آلاف ذراع، والفرسخ عبارة عن تسعة آلاف ذراع وقيل: ان الميل عبارة عن أربعة آلاف ذراع، والفرسخ عبارة عن اثنى عشر الف ذراع، وعلى أيّة حال فان الميل ثلث الفرسخ، وثلاثة اميال تعادل فرسخاً كاملاً (راجع القاموس مادة: ميل).

٦١٦ ـــــــ

كما أن رسول الله صلّى الله عليه وآله قطع هذه المسافة في مدة أحد عشر يوماً[١].

و سبب التفاوت بين هاتين الرحلتين هو أن النبي صلّى الله عليه وآله قطع المسافة المذكورة في الرحلة الأُولى برفقة شخصين، بينما قطع تلك المسافة في الرحلة الثانية بصحبة جيش قوامُه عشرة آلاف رجل، ومن الطبيعي أن تتم الحركة في الصورة الثانية بصورة اكثر بُطؤاً.

و لنفترض أن رسول الله صلّى الله عليه وآله غادر أرض «غدير خم» في اليوم التاسع عشر، فاننا إذا اتخذنا تسعة ايام مقياساً لتقييمنا وجب أن نقول أن رسول الله صلّى الله عليه وآله لابدّ أنه قطع المسافة بين الجحفة والمدينة في ستة أيام لأن المسافة بينهما هي ثلثامجموع المسافة بين مكة والمدينة، وبالتالى دخل المدينة في اليوم الرابع والعشرين.

و اذا اعتبرنا الثاني (أي احد عشر يوماً) انه هو المقياس وجب أن يقطع تلك المسافة (أي بين الجحفة والمدينة) في سبعة ايام ونصف اليوم، فيكون -حسب القاعدة- قد قدم المدينة في اليوم السادس والعشرين حوالى الظهر منه.

فهل يمكن القول -في ضوء هذه المحاسبة- بأن قضية المباهلة وقعت في اليوم الرابع والعشرين أو الخامس والعشرين او السابع والعشرين.

إن بطلان هذا القول، وخلوّه عن الصحة يتضح اكثر اذا عرفنا بأن وفد نجران قبلوا بالتباهل بعد سلسلة من المفاوضات والمداولات، وقد انصرفوا عن التباهل في المآل ووقّعوا على وثيقة صلح بينهم وبين النبي صلّى الله عليه وآله، تحت شروط خاصة.

فإن أعضاء الوفد المذكور دخلوا المدينة وهم يرتدون ثياباً راقية من الديباج والحرير، وفي أيديهم خواتيم من ذهب، وعلى صدورهم صلبان من ذهب، وتوجه

---

(١) بحارالأنوار: ج٢٢ ص ١٩.

فور قدومهم -وعلى هذه الهيئة- إلى مسجد النبي صلّى الله عليه وآله ولكن النبي واجههم بالكره بسبب الهيئة التي دخلوا بها عليه.

فانتهى هذا اللقاء من دون عمل شيء و تفرق أعضاء الوفد، وهم في حيرة من موقف النبي صلّى الله عليه وآله فالتقىٰ الوفد علياً عليه السَّلام وسألوه عن سبب استياء النبي واعراضه عنهم، فأخبرهم الامام عليّ عليه السَّلام بأن عليهم أن ينزعوا تلك الثياب والحليّ عنهم، ويدخلوا على رسول الله صلّى الله عليه وآله بثياب عادية حتى يرتاح اليهم النبيُّ ويستقبلهم بوجه منبسط.

فعاد أعضاء الوفد ودخلوا على النبي صلّى الله عليه وآله ثانية ولكن بثياب عادية خالية عن الزينة والحليّ، فاستقبلهم رسول الله صلّى الله عليه وآله ببشاشة خاصة، ورحّب بهم ترحيباً كبيراً، ثم سألوا النبي صلّى الله عليه وآله أن يؤدوا صلاتهم في المسجد، فاذن لهم رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك، ثم دخلوا مع النبي صلّى الله عليه وآله في مناظرات ومناقشات مفصّلة، وبعد مناظرات مفصلة ذكرها اكثر المفسرين والمؤرخين ومنهم ابن هشام في سيرته[1] اتفقوا على أن يحسموا الأمر بالمباهلة، وحُدِّدَ يوم المباهلة.

و لما كان ذلك خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله في ذلك اليوم مع ابنته الزهراء وصهره عليّ بن أبي طالب، و سبطيه الحسن والحسين، إلى الصحراء للمباهلة مع وفد نجران.

و لكن وفد نجران بعد أن رأوا النبي ومن معه وماهم عليهم من البساطة والجلال انصرفوا عن الدخول في المباهلة ورضخوا طائعين لدفع جزية سنوية الى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فهل هذه الوقائع التي استغرقت -كما يقول بعض المؤرخين- اربعة مجالس يمكن أن تكون قد تمّت في يوم واحد؟

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٥٧٥، مجمع البيان: ج١ ص٤١٠.

إن المحاسبات تقضي وتفيد بأن مراسيم المباهلة، وكتابة وثيقة الصلح من غير الممكن أن تكون قد وقعت في اليوم الواحد والعشرين أو الرابع والعشرين، أو الخامس والعشرين أو السابع والعشرين من شهر ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة.

هذا مضافاً إلى أن «نجران» مدينة حدودية بين الحجاز واليمن، ولابد أن تردّد القبائل كان من شأنه ان ينقل الى مسامع النجرانيين أنباء وجود رسول الله صلّى الله عليه وآله في مكة لاداء مناسك الحج، ولهذا فان من المستبعد ان يكون وفد نصارى نجران قداقدم على التوجه إلى المدينة للحضور عند رسول الله صلّى الله عليه وآله قبل التاكُّد الكامل من عودته إلى المدينة والاستقرارالكامل فيها.

هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟

هنا يمكن أن يقال بأن قضية المباهلة وقعت في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة، وقد ذهب إلى هذا الرأي بعض المؤرخين أيضاً[1].

و لكن المحاسبات التاريخية تثبت أيضاً بطلان هذا الرأى، وذلك لأن الامام علياً الذي كان من الشاهدين لقضية المباهلة، كما أنه هو الذي كتب وثيقة الصلح بيده الشريفة كان قدكلِّف في التاسع من شهرذي الحجة من هذه السنة (التاسعة) من قِبَل النبي صلّى الله عليه وآله بمهمة إبلاغ آيات البرائة- على

---

(١) جاء ذكر هذا عند تفسير سورة التوبة. نقل صاحب الغدير: في ج٦ ص٣١٨ - ٣٢١ هذا الرأى من اثنين وسبعين شخصاً من علماء السنة، وكأن قضية المباهلة بين النبي ووفد نجران وقعت في آخر هذه الستة (التاسعة)، لأنه ورد أن هذا الأمر قدتم في شهر ذي الحجة بعد فتح مكة، ولابد ان المراد بذي الحجة ليس هو ذوالحجة من عام حجة الوداع وهي السنة العاشرة التي وقعت فيها قضية الغدير فاذن هو ذوالحجة من السنة السابقة على عام الغدير واستغرقت اربعة مجالس (بتلخيص).

٦٢٠ ـــــــ

علماء الرجال، نظراء:

١ ـ محمَّد بن أحمد بن مخزوم استاذ التلعكبرى في الحديث فهو ممن لم يوثّق[١].

٢ ـ الحسن بن على العدويّ وقد ضعّفه العلامة[٢].

٣ ـ محمَّد بن صدقة العنبرى و قد وصفه الشيخ الطوسى بالغلوّ[٣].

و قد ذكر المرحوم السيد ابن طاووس في كتاب «الاقبال» اموراً تتعلق بالمباهلة نقلاً عن كتاب أبي المفضل وقد ذكرنا في الهامش (ص٢٠٧٣) أن اباالمفضل له فترتان في حياته، فهو موثق في حال وغير موثق في حال أُخر، ولايُدرى في أي حال من الحالين كتب أبوالمفضل قضايا المباهلة، واخذها عنه العلماء.

كما ان السيّد استند في كتابه المذكور (ص ٧٤٣) على حديث مرفوع (وهو مافيه نقص في رجال سنده)، وذكرفي ضوئه ان يوم المباهلة هو اليوم الرابع والعشرون على حين لا تقوم مثل هذه الرواية باثبات المدعىٰ.

---

(١) وان حاول المامقاني في تنقيح المقال توثيقه لكونه استاذ حديث.

(٢) تنقيح المقال: ج١ ص ٢٩٤.

(٣) رجال الشيخ الطوسي: ص ٣٩.

٦٠

١ ـ تقييم البراءة من المشركين
٢ ـ وفود القبائل في المدينة

تركت البراءة القوية التي أعلنها اميرالمؤمنين علي عليه السَّلام في موسم الحج في السنة التاسعة بمنى بامر رسول الله صلّى الله عليه وآله والتي أعلن فيها بصراحة وبصورة رسمية ان الله ورسوله بريئان من المشركين والوثنيين، وأن على المشركين أن يضعوا حدّاً لشركهم خلال أربعة أشهر فإما أن يسلموا ويكفّوا عن عبادة الاصنام ويهجروها، وإما أن يستعدوا لمواجهة شاملة.

لقد ترك إعلان هذه البراءة الصريحة أثرها العميق والسريع، فقدارتبكت القبائلُ العربية القاطنة في شتى أنحاء الجزيرة العربية التي كانت بسبب عنادها ولجاجتها ترفض الخضوع لمنطق القرآن والاستجابة لنداء التوحيد وتصر على المضي في عاداتها الشنيعة، والعكوف على الاوهام والخرافات وعبادة الاصنام والأوثان.

لقد ارتبكت هذه القبائل، على اثر تلك البراءة الصريحة القوية، فعمدت إلى إيفاد وفود ومندوبين من جانبها الى المدينة عاصمة الإسلام، وقد دار بين كل واحد من هذه الوفود وبين رسول الله صلّى الله عليه وآله حوار خاص.

و قد ذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى[1] مواصفات وخصوصيات اثنين

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٩١ ـ ٣٣٠.

وسبعين وفداً من تلك الوفود.

إن توافد هذه البعثات والوفود العجيب وخاصة في أعقاب إعلان البراءة يكشف عن أن مشركي العرب فقدوا في السنة العاشرة من الهجرة كل حصين يمنعهم عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، والّا لكانوا يلجأون اليه، ويتظاهرون على رسول الله صلّى الله عليه وآله.

و لم تنته المدة المضروبةُ (اربعة أشهر) بعد إلّا ودخلت كل مناطق الحجاز وكل أقوامها تحت راية التوحيد، ولم يبق في الحجاز بيت تعبد فيه للاصنام والاوثان ظاهراً حتى أن فريقاً من سكان اليمن والبحرين واليمامة انتبهوا الى الاسلام فاقبلوا عليه واعتنقوه.

محاولة اغتيال النبي:

عُرفت قادةُ بني عامر من بين القبائل العربية -يومئذ- بالشر والطغيان، وقد اَعتزم ثلاثة اشخاص منهم هم: «عامر» و«أربد» و«جبار» على أن يدخلوا المدينة راس وفد من بني عامر، ويتظاهروا بالتفاوض مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، ثم يغدروا به في المجلس ويغتالوه.

و كانت الخطة تقضي: بأن يتحدث «عامرٌ» الى رسول الله صلّى الله عليه وآله ويفاوضه، وفيماهو يفعل ذلك يبادر «أربد» الى ضرب رسول الله صلّى الله عليه وآله بسيفه.

و لم يخبر بقية اعضاء الوفد بنوايا هؤلاء الثلاثة وخطتهم، ولهذا أعلنوا لرسول الله صلّى الله عليه وآله عن رغبتهم الصادقة في الاسلام، ووفائهم لشخص النبي صلّى الله عليه وآله، ولكن «عامراً» احجم عن أي نوع من انواع

التظاهر بالإسلام في ذلك المجلس وكان يصرّ على رسول الله صلّى الله عليه وآله أن يخلو به في مكان آخر ليتحدث معه على انفراد تمهيداً لتنفيذ الخطة المشؤومة وهو ينظر الى أربد وينتظر منه ما كان أمره به واتفقا عليه، ولكنه لا يزداد نظراً إلى «اربد» إلّا ويزداد «اربد» حيرة ودهشة هذا ورسول الله صلّى الله عليه وآله يقول لعامر كلما قال: خالِّني: لا والله حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له.

فلما أيس «عامر» من «اربد»، و كأنّ «اربداً» كلما عزم أن يجرد سيفه ويهجم على رسول الله صلّى الله عليه وآله هاب النبي، ومنعته عظمته ومهابته، فانصرف عن نيته، قال عامر وهو يترك مجلس النبي صلّى الله عليه وآله: أما والله لأملأنّها عليك خيلاً ورجالاً وهو بذلك يكشف عن عناده وعتوه.

فقابله رسول الله بحلم كبير، ولم يرد على كلامه وتهديده وانما اكتفى بأن دعا عليه وعلى صاحبه بعد أن غادر مجلس النبي صلّى الله عليه وآله.

و لقد استجاب الله لدعاء نبيه سريعاً فقد خرج هو وصاحبه راجعين إلى بلادهم حتى اذا كانوا في اثناء الطريق بعث الله الطاعون في عنق «عامر» فقتله ذلك المرض الوبيء في بيت امرأة من بني سلول في صورة فضيعة، وحالة سيئة.

وأما «اربد» فارسل الله عليه وعلى جمله صاعقة وهو في الصحراء فاحرقتهما، وقد تسببت هاتان الحادثتان الفضيعتان اللتان أصابتا عدوَّين لدُودين من أعداء النبي صلّى الله عليه وآله في أن يزداد تعلقُ بني عامر برسول الله صلّى الله عليه وآله ويتضاعف حبهم له صلّى الله عليه وآله.

أمير المؤمنين في ربوع اليمن:

لقد مكّن اقبال اهل الحجاز على الاسلام، وأمن النبي صلّى الله عليه وآله

جانب القبائل العربية، مكّن النبي من العمل على مدّ شعاع الاسلام إلى البلاد المتاخمة للحجاز.

فكان أول مافعل صلّى الله عليه وآله في هذا الصعيد هو بعث أحد أصحابه العلماء وهو «معاذ بن جبل» الى اليمن ليبلِّغَ إلى اهلها نداء التوحيد ويشرح لهم معالم الاسلام وتعاليمه المقدسة، وقد أوصاه بوصايا كثيرة ومفصلة منها قوله صلّى الله عليه وآله.

«يَسِّرْ ولا تُعَسِّر وَ بَشِّرْ وَ لا تُنَفِّر وَ إنَكَ ستقدِمُ عَلىٰ قَوم مِن أهل الكتاب يسألونك **مامفتاح الجنة: فقل** شهادة أنْ لااله الّاالله وحده لاشريك له».

و يبدو أن معاذاً رغم انه كان ملمّا بالكتاب العزيز والسنة النبوية وتعاليمها واحكامها، إلا انه لما سألته امرأة عن **حق الزوج** على الزوجة لم يملك لها جواباً مقنعاً، ولهذا رأى رسول الله صلّى الله عليه وآله بأن يوجه الى اليمن تلميذه المتميز «علي بن أبي طالب» عليه السَّلام حتى يتمكن في ضوء دعوته الدائبة، واحاديثه المبرهنة، ومايمتلك من شجاعة أدبية نادرة، وقوة عقلية متميزة **من نشر الإسلام العظيم في تلك الربوع.**

هذا مضافاً إلى أن النبيَّ صلّى الله عليه وآله كان قد بعث «خالد بن الوليد»[1] الى اليمن من قبل ليزيل المشكلات التي كانت تعرقل تقدّم الاسلام في تلك الديار ولكنه لم يُوفَّق في مدة بقائه لعمل شيء في هذا المجال[2].

فاستدعا النبيُ صلّى الله عليه وآله علياً عليه السَّلام وأخبره بأنه يريد أن يذهب الى اليمن ليدعو أهلها إلى الإسلام، وليخمّس ركازهم، ويعلّمهم

---

(١) صحيح البخارى: ج٥ ص ١٦٣.

(٢) السيرة الحلبية: ج٣ ص ٢٦٤.

٦٢٦ ـــــــ

قد استقروا هناك من قبل بقيادة خالد بن الوليد، ثم صلّى بهم صلاة الفجر، ثم دعا قبيلة همدان كلّها، وكانت اكبر القبائل اليمنية، ليقرأ عليهم كتاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، فحمدالله، واثنى عليه، ثم قرأ على القوم كتابَ رسول الله صلّى الله عليه وآله فاسلَمتْ همدانُ كلُها في يوم واحد متأثرة بجلال المشهد، وحلاوة البيان، وعظمة المنطق النبوي، فكتبَ اميرالمؤمنين عليه السَّلام بذلك إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فلمّا قرا كتابه استبشر وابتهج وخرَّ ساجداً شكراً لله تعالى ثم رفع رأسه وجلس وقال:

«السلام على أهْلِ هَمْدان. السلام على أهلِ هَمْدان».

ثم تتابع -على أثر اسلام همدان- أهلُ اليمن على الاسلام[1].

(١) الكامل في التاريخ: ج٢ ص ٣٠٥، بحارالأنوار: ج٢١ ص٣٦٠ - ٣٦٣.

٦١

حجة الوداع

تُعتبر مراسيم الحج و مناسكه من أعظم العبادات الاسلامية الجماعية التي يؤديها المسلمون، جلالاً وأُبهة، وذلك لأنّ أداء مراسيم الحج ومناسكه في كل سنة مرة واحدة يُمثِّلُ بالنسبة للأُمة الإسلامية أكبر مظاهر الاتحاد، والوحدة ودليلاً كاملاً على الترفع على المناصب والدرجات وتكونُ نموذجاً بارزاً للمساواة بين جميع أبناء البشر، وسبيلاً إلى تقوية أواصر الأُخوة المتينة بين المسلمين، فاذا كان المسلمون لاينتفعون بهذه المائدة الكبرىٰ التي منحها ربُهم لهم، واذا كانُوا لايستفيدون من هذا المؤتمر الاسلامي السنوي العظيم (الذي يمكنه بِحقّ أن يجيبَ ويعالج الكثير من مشكلا تنا الاجتماعية، ويكون نقطة تحول عميق في حياتنا) استفادة كاملة لائقة، فانَّ ذلك ليس ـ وبدون ريب او شك ـ ناشئاً من قصور في القانون الاسلامي، بل هو دليلٌ على قصور قادة المسلمين وتقصير حُكامهم الذين لايُولون هذه المراسم وهذا الموسم العظيم إهتماماً مناسباً، ولايفكرون في استغلاله على الوجه المطلوب.

فمنذ أن فرغ إبراهيم الخليل عليه السَّلام من اقامة صرح الكعبة المعظَّمة ودعا الموحّدين إلى زيارتها، والحج إليها لم تزلْ هذه البنية الشريفة كعبة القلوب، ومطاف الشعوب والاقوام والجماعات الموحّدة التي تأتي اليها كل عام من شتى نقاط العالم، ومن مختلف انحاء الجزيرة العربية، ويؤدُّون عندها المناسك التي علّمهاإياهم النبيُ العظيمُ ابراهيم الخليل عليه وعلى نبينا السَّلام.

و لكن تقادم العهد، وانقطاع شعب الحجاز عن قيادة الأنبياء، وأنانية قريش، وسيادة الوثنية على عقول العرب أوجب أن تتعرض مراسم الحج ومناسكه ـ من حيث الزمان والمكان ـ لعملية تحريف وتغيير، وان تفقد صبغتها الحقيقية و وجهها الواقعيّ.

لهذه الجهات أُمر رسول الله صلّى الله عليه وآله في السنة العاشرة من الهجرة، ومن قِبَلِ الله سبحانه ان يشارك في مراسم الحج شخصياً، ويقوم بتعليم مناسك الحج للناس، ويوقفَهم على واجباتهم في هذه العبادة الكبرى عملياً، كمايقوم بإزالة كلِّ ماعَلِق بها من زوائد طيلة السنوات الغابرة، ويعيّنُ حدود «عرفات» و «منىٰ» ويوم الإفاضة منها ولهذا فانّ السفر كان سفراً ذاطابع تعليمي، قبل أن يكون ذاطابع سياسيّ واجتماعي.

أمر رسول الله صلّى الله عليه وآله في الشهر الحادي من العام العاشر للهجرة (أي شهر ذي القعدة) بأن ينادىٰ في المدنية وبين القبائل بأن رسول الله صلّى الله عليه وآله يقصد مكة للحج هذا العام، فاحدث هذا الاعلان شوقاً وابتهاجاً عظيمَيْن في نفوس جمع كبير من المسلمين، فتهيّأ عددٌ هائلٌ منهم لمرافقة رسول الله صلّى الله عليه وآله و ضربت مضارب وخيم كثيرة خارج المدينة المنورة بانتظار حركة النبي صلّى الله عليه وآله وتوجّهه الى مكة[1].

و في اليوم السادس و العشرين من شهر ذي القعدة خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله من المدينة متوجهاً الى مكة وقد استخلف مكانه في المدينة أبادجانة الانصاري، وقد ساق معه مايزيد عن ستين بدنة.

و عندما بلغ الموكب النبويُ العظيمُ إلى «ذي الحليفة» (وهي نقطة فيها مسجد الشجرة أيضاً) أحرم بلبس قطعتين عاديتين من القماش الأبيض من مسجد الشجرة، ودخل الحرم، ولبّى عند الاحرام قائلاً:

---

(١) السيرة الحلبية: ج٣ ص ٣٨٩.

«لَبَّيْكَ اللَّهمَ لَبَّيْك لَبَّيْكَ لا شَرِيْكَ لَكَ لَبَّيْك إنَّ الحَمد والنعمة لك والملكَ لَبَّيْكَ لا شريكَ لَكَ لَبَّيْكَ».

و هو بذلك يلبي نداء إبراهيم، كما أنّه صلّى الله عليه وآله كان يكرّر هذه التلبية كلّما شاهد راكباً، أو علا مرتفعاً من الأرض، أو هبط وادياً.

و لما شارف مكة قطع التلبية المذكورة.

و في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة، دخل صلّى الله عليه وآله مكة المكرمة وتوجّه نحو المسجد الحرام رأساً، ثم دخله من باب بني شيبة وهو يحمدالله ويثني عليه ويصلي على إبراهيم عليه السّلام.

ثم بدأ من الحجَر الأسود فاستلمه[1] أولاً، ثم طاف سبعة أشواط حول الكعبة المعظمة، ثم صلى ركعتين خلف مقام إبراهيم و عندما فرغ من صلاته سعى بين الصفا والمروة[2] ثم التفت إلى حجاج بيت الله الحرام وقال:

«مَنْ لَمْ يَسُقْ منكُمْ هَدياً فَلْيُحلَّ وليَجْعَلها عُمرة (أي فليقصِّر أي يأخذ من شعره وظفره فيحلّ له ماحرم عليه بالاحرام) ومن ساق منكُمْ هَدياً فَلْيُقِمْ على إحرامه».

و قد كرهَ البعضُ هذا و اعتذَروا بانه يعزُّ عليهم (أولا يلذُّ لهم) أن يخرجوا من الاحرام فيحلّ لهم مايحرم على المحرم فيلبسوا الثياب ويقربوا النساء ويتدهنوا ورسول الله صلّى الله عليه وآله على إحرامه أشعث أغبر.

---

(١) المراد من الاستلام هو مسح الحجر الاسود باليدين قبل الشروع بالطواف وفلسفة هذا العمل هي أن هذا الحجر كان يقف عليه ابراهيم لدى بناء جدران الكعبة واقامتها ورفعها، واستلامُه نوعٌ من تجديد الميثاق مع الخليل عليه السّلام والعمل على نصرة عقيدة التوحيد على نحومافعل ابراهيم.

ولقداعتمر رسول الله صلّى الله عليه وآله في الفترة المدنية مرتين، إحداهما في السنة السابعة والأُخرى في السنة الثامنة بعد فتح مكة، وكانت هذه ثالث عمرة يقوم بها رسول الله صلّى الله عليه وآله مع الحج (الطبقات الكبرى: ج٢ ص ١٧٤).

(٢) الصفا والمروة جبلان على مقربة من المسجدالحرام والسعي هوالمشي بينهما ابتداءمن الصفاوانتهاءبالمروة.

و ربّما قالوا: لايصحّ هذا، كيف تقطر رؤوسنا من الغسل[١] ونحنُ زوّار بيت الله؟

فالتفت النبي صلّى الله عليه وآله الى عُمر وكان ممن بقى على احرامه وقال له: مالي أراك ياعمر مُحرماً؟ أسقتَ هدياً؟

قال عُمر: لم أسُقْ.

فقال النبيُ: فَلِم لا تُحِلّ وقد أمرتُ مَن لَم يَسُقْ بالإحْلال؟

قال عمر: والله يارسول الله لاأحلَلْتُ وانت محرمٌ.

فغضب النبيُ لموقف الناس المتلكي هذا وقال:

«لو كنتُ استقبلتُ من أمري ماستَدْبَرتُ لَفعلْتُ كما أمرتُكم».

و هو صلّى الله عليه وآله يعني: أنني لو كنتُ أعلم بالمستقبل ولو عرفت بموقف الناس المتردّد وخلافهم هذا من قَبْل لماسقتُ الهدي، ولفعلتُ مافعلتموه من عدم سوق الهدي، ولكن ماذا عساي أن أفعل الآن وقد سقتُ الهدي، ولايمكنني الإحلالُ من الإحرام، فيجبُ عليَّ أن أبقىٰ على إحرامي «حتى يبلغ الهدْيُ مَحِلَّه» أي أنحرُ هديي بمنى كما أمر الله سبحانه، وأما أنتم فمَنْ لم يَسُق الهديَ منكم فانَّ عليه أن يُحلَّ إحرامه، واحسبوها عمرة، ثم أحرموا للحج مرة أُخرىٰ[٢].

الامام علي يعود من اليمن:

لما علم علي عليه السَّلام بتوجه رسول الله صلّى الله عليه وآله الى مكة

---

(١) هذه العبارة كناية عن مقاربة الازواج وغسل الجنابة لان مقاربتهن هي أحد محرمات الحرام وترتفع هذه الحرمة بالتقصير وهو أخذ شيء من شعر الرأس أو اللحية أو تقليم الظفر.

(٢) بحارالأنوار: ج ٢١ ص ٣١٩، وهذه القصة توقفنا على تعنّت فريق من الصحابة وتمرّدهم على تعليمات النبي وأوامره الاكيدة وهم يعلمون أنه لاينطق عن الهوى إن هو إلاوحيٌ يوحىٰ وثمة شواهدُ وموارد أُخرى كثيرة على الموضوع، وقد جمعها المغفور له العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين العاملي في كتاب اسماه «النص والاجتهاد».

٦٣٢ ـــــــ

وجدأن الرجل الذي استخلفه على اولئك الجنود قدعمد فكسا كلّ رجل من القوم حلةمن البزّالذي كان قد أخذه علي من أهل نجران ليسلّمهاالى رسول الله صلّى اللهعليه وآلهفانزعج من هذاالتصرّف غيرالمشروع وقال له: ويلك ماهذا؟

قال: كسوتُ القوم ليتجملوا به اذا قدموا في الناس بمكةفقال علي عليه السلام: ويلك !أنزع قبل أن تنتهي إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله،فانتزع ذلك الرجل الحلل من الجنود، وردّها إلى مكانهامع الأشياء الأُخرى من جزية أهل نجران.

فانزعج جماعةٌ من اولئك الجنود ممن يزعجهم العدل والنظام دائماً ويريدون أن تسير الامور وفق أهوائهم ومشتهياتهم وان خالفت سنن الحق ومبادئ العدالة،وأبدوا شكواهم من ماصنع بهم من إسترداد الحلل والثياب.

ولما قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وآله بمكة اشتكوا علياً عليه السلام فقام رسول الله خطيباً في الناس وقال:

«أيُّها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله (أو في سبيل الله) مِنْ أن يشكى»[1].

مراسِمُ الحج تبدأ:

انتهتْ أعمالُ العمرة، وكان النبيُ صلّى الله عليه وآله يكره أن ينزل ويمكثَ في دار أحد في المدة التي بين العمرة والحج ولهذا أمر بأن تُضرب له خيمة خارج مكة.

لقد حلَّ اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، فخرجَ زوّار بيت الله الحرام في ذلك اليوم من مكة إلى أرض عرفات ليقفوا في اليوم التاسع وهو يوم عرفة من ظهر ذلك اليوم وحتى الغروب منه.

---

(١) السيرة النبوية: ح٤ ص٦٠٣ وفي البحار: ج٢١ ص٣٨٥: أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله منادياً أن ينادي في الناس: «ارفعوا ألسنتكم عن عليٍّ فانه خشنٌ في ذات الله غير مداهن في دينه».

٦٣٤ ـــــــ

«قُلْ يا أيُّها الناسُ إن رسولَ الله صلّى الله عليه وآله يقول: هَلّا تدرون أيّ شهر هذا»؟

فاجابوا: الشهرُ الحرام الذي يحرم فيه القتال واراقة الدماء. فقال النبي صلّى الله عليه وآله لربيعة:

«قُلْ لَهُمْ: إن الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكمْ إلى أن تَلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا».

ثم قال صلّى الله عليه وآله لربيعة:

«قل: يا أيُّها الناسُ إن رسول الله يقول هلْ تدرون أيّ بَلد هذا؟»

فاجابوا جميعاً: البلدُ الحرام، الذي يحرُم فيه القتال والعدوان. فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وآله لربيعة: ·

«قل لَهُمْ: إن الله قد حَرَّم عليكُمْ دماءكم وأموالكمْ إلى أن تَلقوا ربّكم كحرمة بلدكم هذا».

ثم قال صلّى الله عليه وآله لربيعة:

«قُلْ لهم: هل تَدرُون أي يوم هذا؟».

فأجابوا بأجمعهم: يوم الحج الاكبر.

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لربيعة:

«قُل لَهُمْ: إنّ الله قد حرّم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربّكم كحرمة يومِكم هذا.

أيُّها الناس: إن كل دم كان في الجاهلية موضوعٌ، و إن أول دمائكم أضعُ دم ابن ربيعة بن الحارث (وكان من أقرباء النبي)».

و هكذا ألغىٰ رسول الله صلّى الله عليه وآله عادة الثارات الجاهلية المشؤومة وبدأ بأقربائه.

ثم قال صلّى الله عليه وآله:

«إنّكُمْ ستَلْقونَ ربّكُمْ فيسالُكم عَن أعمالكمْ وَ قَد بلّغتُ فَمَن كانت

عندَهُ أمانة فليؤدِّها إلى من ائتمنَهُ عليها.

أيّها الناسُ إنَّ كل رباً موضوعٌ ولكن لكم رؤوسُ أموالكم لا تَظلِمُونَ ولا تُظلَمون وإنَّ ربا عباس بن عبدالمطلب موضوعٌ كلُه.

أيها الناس إن الشيطان قديئس مِن أنْ يُعبَد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يُطَع فيما سوى ذلك فقد رضيَ به ممّا تحقرون من أعمالِكُمْ (أو رضي منكُمْ بمحقّرات الأعمال)، فاحذرُوه على دينكم.

أيّها الناس إنَ النسيء[1] زيادةٌ في الكفر يُضلّ به الذين كَفَروا يُحلّونه عاماً ويحرِّمُونَهُ عاماً ليواطِئُوا عِدَّة ماحرّم الله فَيحلّوا ماحرّم الله ويُحرّموا ماأحلَّ الله وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عندالله اثناعشر شهراً منها أربعة حُرُمٌ ثلاثةٌ متوالية (ذوالقِعدة وذوالحجة وشهرالمحرم ورجب).

أيّها الناس إن لكم على نسائكم حَقاً ولهنّ عليكم حقاً:

لكم عليهن أنْ لايوطئن فُرشَكُمْ أحداً تكرهونه (أيْ لا تضيِّفن في بيوتكم من تكرهونه).

و عليهن أن لايأتين بفاحشة مبيّنة فإن فعلنَ فان الله قد أذن لكم أن تهجُروهنَّ في المضاجع، وتضربُوهُنَّ ضرباً غير مبرِّح، فان انتهين فلَهُنَّ رزقُهُنَّ وكسوتُهنَ بالمعروف واستَوصُوا بالنساء خيراً فإنَّهنَ عندكم عَوان لايملكن لأنفسهنَّ شيئاً، وإنكم انما أخذتمُوهُنَّ بأمانة الله واستحللتم فروجَهُنَّ بكلمات الله فاعقلوا أيهاالناسُ قولي فاني قد بلّغتُ وقد تركت فيكم ماإن اعتصمتُمْ به فلنْ تَضِلُّوا أبداً أمراً بيّناً كتاب الله وسنة نبيّهِ(٢)

أيها الناس اسمَعوا قولي واعقلوه تَعلَّمُنّ أنّ كل مسلم أخٌ للمسلم وإنَّ

---

(١) شرحنا النسيء في ص ٨٣ من هذا الكتاب فراجع.

(٢) لقد اوصى رسول الله صلّى الله عليه وآله الأُمة في هذه الخطبة التاريخية بالكتاب والسنة، ←

المسلمين إخوة فلايحلُّ لامرئٍ من أخيه إلّا ماأعطاهُ عن طِيب نفس منهُ فلا تظلِمُنَّ أنفسكُمْ ألا فَلْيبلّغْ شاهدُكمْ غائبكم لانبيّ بعدي ولا أُمّة بَعْدكُمْ[١].

«ألا كُل شيء من أمْر الجاهليّة تحت قدمي موضوع»[٢].

و هنا قطعَ النبي صلّى الله عليه وآله خطابه، ورفع سبّابَتهُ نحو السماء (كعلامة على الشهادة) وهو ينكتها الى الناس وقال:

«اللّهم اشْهَدْ

اللّهم اشْهَدْ

اللّهم اشْهَدْ»[٣].

* * *

و لقد مكث رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في عرفات حتى غروب اليوم التاسع، وعندما اختفىٰ قرصُ الشمس عن الأُفق، واظلمَّ الفضاء بعض الشيء ركبَ ناقته، وافاضَ إلى المزدلفة وامضى فيها شطراً من الليل ولم يزلْ واقفاً من الفجر إلى طلوع الشمس في المشعر، ثم توجَّه في اليوم العاشر إلى «منىٰ» وأدّى مناسكها من رمي الجمار والذبح والتقصير ثم توجَّه نحو مكة لأداء بقية مناسك الحج.

ولكنه أوصى في خطبة الغدير وفي أُخريات حياته بالكتاب والعترة، وحيث ان هذين الحديثين وردا في واقعتين فلا تنافي بينهما، لانه يصح ان يجعل النبي صلّى الله عليه وآله السنة عدلاً للكتاب في واقعة، ويوصى بالعترة والخلفاء من أهل بيته في موضع آخر ويؤكد على اتباعهم الذي هو أخذٌ بالسُنّة أيضاً.

و قد تصور بعض اعلام السنة كالشيخ محمود شلتوت في تفسيره ان النبي صلّى الله عليه وآله تحدث بمثل هذا الكلام في واقعة واحدة فقط، ولهذا جعل لفظ «عترة» في الهامش نسخة بدل في حين لانحتاج الى مثل هذا التصحيح ابداً لانه لا تعارض بين النقلين أساساً ليعالج بهذه الطريقة.

(١) الخصال:ص ٤٨٧.

(٢) بحارالأنوار: ج٢١ ص ٤٠٥.

(٣) امتاع الاسماع: ج١ ص ٥٢٣ والطبقات الكبرى: ج٢ ص١٨٤

٦٣٨ ـــــــ

٦٢
إكمال الدين الإسلامي بتعيين الخليفة

الخلافةُ حسب عقيدة علماء الشيعة الإمامية منصبٌ إلهيّ يعطىٰ من قبل الله تعالى لأفضل أفراد الأُمة، وأصلحهم، وأعلمهم، والفرق الواضح بين الامام والنبيّ هو: أن النبي مؤسسُ قواعد الشريعة، وهو الذي يوحىٰ اليه، وينزلُ عليه الكتابُ من السماء، والامام وان كان لايتمتع بأي واحد من هذه الشؤون إلّا أنه مضافاً إلى شؤون الحكومة والقيادة هوالمبيّن لما جاء به رسول الله من الدين ممّا لم يوفق ـ بسبب الظروف المعاكسة او عدم الفرص المناسبة ـ لبيانه أو اظهاره، وترك مهمة بيانه على عاتق اوصيائه وخلفائه.

و على هذا الاساس فان الخليفة ـ من وجهة نظر عقيدة الشيعة الإمامية ليس مجردحاكم زمنيّ للمسلمين وليس المطبق لقوانين الشريعة المقدسة والحافظ للحقوق الاجتماعية، والحارس لثغور المسلمين وحدود بلادهم المدافع عنها، فحسب بل هو علاوة على كل ذلك الموضح لماخفي من مَعالم الدين، والمكمِّل المبيِّن لذلك الجانب من أحكام الشريعة وقوانينها الذي لم يُبيَّن من قبَل مؤسس الشريعة لبعض الاسباب.

أمّا الخلافة في عقيدة أهل السنة فهي منصبٌ عاديّ وليس الهدف منها إلّا حفظ الكيان الظاهري والشؤون المادية للأُمة الإسلامية، ولخليفة لاينصَبُ إلّا باختيار الناس وانتخابهم أحداً لشَغل منصب الحكم والقضاء وإدارة الأُمور السياسية والاقتصادية وماشابهها، وذكر تفصيل مابيّنه صاحبُ الشريعة من

٦٤٠ ـــــــ

و لكن بناءعلى النظرية الثانية لايشترط أيُّ شيء من هذه الشروط المعتبرة في النبي، في الخليفة فلا تجب العصمة، ولا العدالة، ولايجبُ العلم والاحاطة بالشريعة ولايشترط فيه التعيين من جانب الله، والارتباط بعالم الغيب، بل يكفي في استحقاق الخلافة أن يكون الشخصُ قادراً في ظلّ ذكائه، ومشورة المسلمين على حفظ الكيان الاسلاميّ، وقادراً على إقرار الأمن في البلاد بتطبيق قوانين الشريعة الجزائية، كما ويتمكن من توسيع رقعة الأَرض الاسلامية في ظل الدعوة الى الجهاد.

و علينا الآن ان نعالج هذه المسألة (أي هل الخلافة والامامة منصبٌ تنصيصي أو انتخابي وهل على النبي ان يعيّن بنفسه من يخلفه، أو يوكل الامر الى الأُمة لتختار من تريد). وندرسها في ضوء المحاسبات الاجتماعية ليلمس القارئ بوضوح أنَّ الأحوال والظروف الاجتماعية كانت توجبُ أن يقوم النبي صلّى الله عليه وآله بتعيين خليفته في حياته ويحلّ بذلك مشكلة الخلافة من بعده، ولايوكل الأمر إلى الأمة.

و اليك توضيح هذا القسم وبيانه:

إقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة:

لاشك في أن الدين الاسلامي دينٌ عالمي، وشريعة خاتمة، وقد كانت قيادةُ الامة الاسلامية من شؤون النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله مادام على قيد الحياة، وكان عليه أن يوكل مقام القيادة من بعده إلى أفضل أفراد الأُمة واكملهم.

إن في هذه المسألة وهي هل أن منصب القيادة بعد النبي صلّى الله عليه وآله هل هو منصب تنصيصي تعييني أو انه منصب انتخابي اتجاهين:

فالشيعة يَرون أن مقام القيادة منصبٌ تنصيصيٌ ولابد أن يتعيَّن خليفة النبي من جانب الله سبحانه.

٦٤٢ ـــــــ

و لقد تسبّب انسحاب الجيش الاسلاميّ بعد مقتل القادة المذكوره إلى تزايد جرأة الجيش القيصري المسيحي فكان يخشى بصورة متزايدة أن تتعرض عاصمة الاسلام للهجوم الكاسح من قبل هذا الجيش.

من هنا خرج رسولُ الله صلّى الله عليه وآله في السنة العاشرة للهجرة على رأس جيش كبير جداً إلى حدود الشام ليقود بنفسه أيّة مواجهة عسكرية، وقد استطاع الجيش في هذه الرحلة الصعبة المضنية أن يستعيد هيبته الغابرة وتجدّد حياته السياسية.

غير أنَّ هذا الانتصار المحدود لم يُقنِعْ رسولَ الله صلّى الله عليه وآله فأعدّ قُبَيل مرضه جيشاً كبيراً من المسلمين وأمَّر عليهم «أُسامة بن زيد» و كلّفهم بالتوجه إلى حدود الشام، والحضور في تلك الجبهة.

أما الضلعُ الثاني من المثلّث الخطير الذي كان يتهدد الكيان الاسلامي فكان الامبراطورية الايرانية (الفارسية) وقد بلغ من غضب هذه الامبراطورية على رسول الله صلّى الله عليه وآله ومعاداتها لدعوته أن أقدم امبراطور ايران «خسروابرويز» على تمزيق رسالة النبي، وتوجيه الاهانة الى سفيره باخراجه من بلاطه والكتابة إلى واليه وعميله باليمن بان يوجه إلى المدينة من يقبض على رسول الله صلّى الله عليه وآله، أو يقتله ان امتنع!!

و «خسرو» هذا و إن قُتِلَ في زمن رسول الله صلّى الله عليه وآله إلّا أن موضوع استقلال اليمن ـ التي رزحت تحت استعمار الامبراطورية الايرانية ردحاً طويلاً من الزمان ـ لم يغبْ عن نظر ملوك إيران آنذاك ، وكان غرور أُولئك الملوك وتجبّرهم، وكبرياؤهم لايسمح بتحمّل منافسة القوة الجديدة (القوة الاسلامية) لهم.

و الخطر الثالث كان هو خطر حزب النفاق الذي كان يعمل بين صفوف المسلمين في صورة الطابور الخامس، على تقويض دعائم الكيان الاسلامي من الداخل إلى درجة أنهم قصدوا اغتيال رسول الله، في طريق العودة من تبوك إلى

المدينة.

فقد كان بعضُ عناصر هذا الحزب الخطر يقول في نفسه: ان الحركة الاسلامية سينتهي أمرها بموت رسول الله صلّى الله عليه وآله ورحيله وبذلك يستريح الجميع[١].

و لقد قام أبوسفيان بن حرب بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله بمكيدة مشؤومة لتوجيه ضربة الى الامة الاسلامية من الداخل، وذلك عندما أتى علياً عليه السَّلام وعرض عليه ان يبايعه في مقابلة من عيّنه رجالُ السقيفة، ليستطيع بذلك تشطير الامة الاسلامية الواحدة إلى شطرين متحاربين متقاتلين فيتمكن من التصيّد في الماء العكر.

و لكن الامام عليا عليه السَّلام أدرك بذكائه البالغ نوايا أبي سفيان الخبيثة، فرفض مطلبه وقال له كاشفاً عن دوافعه ونواياه الشريرة:

«والله ما أردت بهذه إلّا الفتنة وانك والله طالما بغيت للإسلام شراً... لاحاجة لنا في نصيحتك»!![٢].

و لقد بلغ دورُ المنافين التخريبي من الشدة بحيث تعرّض القرآن لذكرهم في سُور عديدة هي سورة آل عمران، والنساء،والمائدة، والانفال، والتوبة، والعنكبوت،والاحزاب، ومحمّد، والفتح، والمجادلة، والحديد، والمنافقين،والحشر.

فهل مع وجود مثل هؤلاء الاعداء الخطرين والاقوياء الذين كانوا يتربّصون بالاسلام الدوائر، ويتحيّنون الفرص للقضاء عليه يصحُّ أن يترك رسولُ الله صلّى الله عليه وآله أُمته الحديثة العهد بالاسلام، الجديدة التأسيس من دون ان يعيّن لهم قائداً دينياً سياسياً.

إن المحاسبات الاجتماعية تقول: انه كان يتوجب ان يمنع رسول الاسلام

---

(١) الطور: ٣٠.

(٢) الكامل في التاريخ: ج٢ ص ٢٢٢، العقد الفريد: ج٢ ص٢٤٩.

بتعيين قائد للامة، من ظهور أيّ اختلاف وانشقاق فيها من بعده، وان يضمن استمرار و بقاء الوحدة الاسلامية بايجاد حصن قوى وسياج دفاعى متين حول تلك الأُمة.

إن تحصين الأُمة، وصيانتها من الحوادث المشؤومة، والحيلولة دون حدوث ظاهرة مطالبة كل فريق الزعامة لنفسها دون غيرها، وبالتالي التنازع على مسألة الخلافة والزعامة لم يكن ليتحقق إلّا بتعيين قائد للأُمة، وعدم ترك الامور للقدر.

إن المحاسبة الاجتماعية تهدينا إلى صحة نظرية «التنصيص على القائد بعد رسول الله»، ولعلَّ لهذا الجهة، ولجهات أُخرى طرح رسول الاسلام مسألة الخلافة في الايام الأُولى من ميلاد الرسالة الاسلامية وظلَّ يواصل طرحها والتذكير بها طول حياته حتى الساعات الأخيرة منها حيث عيَّن خليفتَه ونصَّ عليه بالنص القاطع الواضح الصريح في بدء دعوته، وفي نهايتها أيضاً.

و اليك بيان كلا هذين المقامين:

١ ـ النبوة والامامة توأمان:

بغضّ النظر من الأدلة العقلية على صحة المحاسبة الاجتماعية التي تثبت حقانية الرأى الأول بصورة قطعية هناك أخبار وروايات وردت في المصادر المعتبرة تثبت صحة الموقف والرأى الذي ذهب اليه علماء الشيعة، وتصدقه، فقد نص النبي صلّى الله عليه وآله على خليفته من بعده في الفترة النبوية من حياته مراراً وتكراراً، واخرج موضوع الامامة من مجال الانتخاب الشعبي، والرأى العام.

فهو لم يعيّن (ولم ينص على) خليفته ووصيه من بعده في أُخريات حياته فحسب، بل بادر إلى التعريف بخليفته ووصيّه في بدء الدعوة يوم لم ينضوِ تحت راية رسالته بعدُ سوى بضع عشرات من الاشخاص،وذلك يوم أُمرمن جانب الله العلي القدير أن ينذر عشيرته الاقربين من العذاب الالهي الاليم، وأن يدعوهم

٦٤٦ ـــــــ

«الجحفة»[١] بثلاثة أميال نزل أمين الوحي جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه وآله بمنطقة تدعى «غديرخم» وخاطبه بالآية التالية: «يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رسالَتَهُ وَالله يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ»[٢].

إن لسان الآية وظاهرها يكشف عن أن الله تعالى ألقى على عاتق النبي صلّى الله عليه وآله مسؤولية القيام بمهمة خطيرة، وأيُّ أمر اكثر خطورة من أن ينصب علياً عليه السَّلام لمقام الخلافة من بعده على مرأى ومسمع من مائة ألف شاهد.

من هنا أصدر رسول الله صلّى الله عليه وآله أمرهُ بالتوقّف، فتوقفتْ طلائعُ ذلك الموكب العظيم، والتحق بهم من تأخَّر.

لقد كان الوقت وقت الظهيرة، وكان الجوُ حاراً الى درجة كبيرة جداً، وكان الشخص يضعُ قسماً من عباءته فوق رأسه والقسم الآخر منها تحت قدميه، وصُنعَ للنبي صلّى الله عليه وآله مظلةٌ وكانت عبارة عن عباءة أُلقيت على أغصان شجرة، (سمرُة) وصلّى رسولُ الله صلّى الله عليه وآله بالحاضرين الظهر جماعة، وفيما كان الناسُ قد احاطوا به صعدَ صلّى الله عليه وآله على منبر أُعِدَّ من أحداج الإبل وأقتابها، وخطب في الناس رافعاً صوته وهو يقول:

«الحمدُلله وَ نَسْتعينُهُ وَ نُؤْمنُ به وَ نَتوكَّلُ عَلَيهِ وَ نَعُوذُ بِهِ مِن شُرُور أنفُسنا وَ مِنْ سيئاتِ أعمالِنا، الذي لا هاديَ لِمَنْ ضَلَّ وَ لا مُضِلَّ لِمَنْ هَدىٰ وَ أَشهَدُ اَنْ لااله إلّاهو وأن محمّداً عبده ورسوله.

أمّا بَعْد، أيّها الناس قَد نَبَّأني اللطيف الخبيرُ أنّه لم يعمّر نبيٌّ إلّا مثلَ نصف الذي قبْلَهُ، وإني أوشك أن أُدعىٰ فأجيبُ وأني مسؤول وانتمْ مسؤولون فماذا انتم قائلون؟

---

(١) من مواقيت الاحرام وتنشعب منها طرق المدنيين والمصريين والعراقيين.

(٢) المائدة: ٦٧.

٦٤٨ ـــــــ

واقعة الغدير خالدة الى الأبد:

لقد تعلّقت المشيئةُ الربانية بأن تبقى واقعة الغدير التاريخية في جميع القرون والعصور كتاريخ حيّ يجتذب القلوب والافئدة، ويكتب عنه الكتّاب الاسلاميون في كل عصر وزمان ويتحدثون حوله في مؤلفاتهم المتنوعة في مجال التفسير والتاريخ والحديث والعقائد، كما يتحدث حوله الخطباء في مجالس الوعظ ومن فوق صهوات المنابر، ويعتبرونها من فضائل الإمام «علي» الذي لايتطرق اليها أي شك أو ريب.

و لم يقتصرْ هذا على الكتّاب والخطباء بل استلهم الشعراء من هذه الواقعة الكبرى التي فجرت بالتفكير حول هذه الحادثة، وبالاخلاص لصاحب الولاية ينابيع التعبير في وجودهم فانشأوا أروع القصائد، وجادت قرائحهم بأنواع مختلفة من القصيد الجميل، وخلّفوا لِمن بعدهم وبلغات مختلفة آثاراً أدبية ولائية خالدة.

و لهذا قلّما نجدُ حادثة تاريخية حظيت في العالم البشري عامة وفي التاريخ الاسلامي والامة الاسلامية خاصة بمثل ماحظيت به واقعة الغدير، وقلما استقطبت اهتمام الفئات المختلفة من المحدّثين والمفسرين والكلاميين والفلاسفة، والشعراء والأدباء، والكتّاب والخطباء، وارباب السير والمؤرخين كما استقطبت هذه الحادثة، وقلّما اعتنوا بشيء مثلها اعتنوا بها.

إن من أسباب خلود هذه الواقعة الكبرى و دوام هذا الحديث هو: نزول آيتين من آيات القرآن الكريم فيها[1]، فما دام القرآن الكريم باقياً مستمراً يتلى آناء الليل وأطراف النهار تبقى هذه الحادثة في الاذهان والنفوس ولا تمحو خاطرتها من العقول والقلوب.

---

(١) المائدة: ٦٧ و ٣.

٦٥٠ ـــــــ

اليوم بالدخول على «عليّ» عليه السَّلام وتهنئته بهذه الفضيلة الكبرى.

يقول زيد بن ارقم: كان أول من صافق النبي صلّى الله عليه وآله وعلياً: أبوبكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وباقي المهاجرين والانصار وباقي الناس[1].

الدلائل الأُخرى على أبديّة الغدير:

و يكفي في أهميّة هذا الحدث التاريخي أنّ هذه الواقعة التاريخية رواها مائة وعشرة صحابيّ، على أن هذه العبارة لا تعني أنّ رواية هذه الواقعة اقتصرت على هؤلاء المائة والعشرة من ذلك الحشد الهائل بل يعني أن هؤلاء جاء ذكرهم في كتب أهل السنّة ومصنفاتهم.

صحيحٌ أن رسول الله صلّى الله عليه وآله ألقىٰ خطابه المذكور الذي تضمّن نصب عليّ عليه السَّلام للخلافة في مائة الف او يزيدون من الناس ولكن كثيراً منهم كانوا قد أتوا من مناطق نائية من الحجاز ولهذا لم يُروَعنهم هذا الحديث، كما ان كثيراً من الذين حضروا ذلك المشهد التاريخي العظيم رووا ونقلوا للآخرين هذا الحديث ولكن التاريخ لم يوفق لذكر أسمائهم، أو إذا تمَّ ذلك لكن لم يصلْ إلينا.

ثم إنّه روى هذا الحديث في القرن الثاني الاسلاميّ وهو عصر التابعين تسعة وثمانون تابعياً.

و قد بلغ عددُ من روىٰ حديث «الغدير» في القرون اللاحقة في كتابه من علماء أهل السنة وفضلائهم ثلاثمائة وستون شخصاً، وصحَّحهُ جمعٌ كبيرٌ منهم واعترفوا بتواتره.

فني القرن الثالث رواه اثنان وتسعون عالماً.

و في القرن الرابع رواه أربعة واربعون.

---

(١) راجع مصدره في الغدير: ج١ ص ٢٧٠.

٦٥٢ ـــــــ

الأمير محمَّد اليمني	بـ ٤٠
النسائي	بـ ٢٥٠ سنداً
أبوالعلاء الهمداني	بـ ١٠٠ سنداً
أبو العرفان الحبان	بـ ٣٠ سنداً

و بلغ عددُ من ألّف رسالة خاصة أو كتاباً مستقلاً حول هذه الواقعة وخصوصياتها وتفاصيلها ٢٦ شخصاً ولعلَّ هناك غيرُهم ممن ألّف كتاباً أو رسالة مستقلّة حولَ هذه الحدث التاريخي الهامّ لم يذكر التاريخُ أسماءهم، أو ضاعت مؤلفاتُهم مع التطورات التي طرأت على الأُمة الإسلامية وضيَّعت الكثير من تراثها الفكريّ خلال عمليات الاغارة والنهب أو الهدم والإحراق (ولقد اقتبسنا كل هذه الاحصاءات من كتاب الغدير الجزء الاول).

و لقد كتب علماءُ الشيعة كتباً قيمة حول هذه الواقعة أجمعُها واشملُها كتابُ «الغدير» بقلم العلامة الجليل والكاتب الاسلامي القدير المرحوم آية الله الشيخ الأميني رحمه الله، والذي يقع في أحد عشر مجلداً في مايقرب من ستة آلاف صفحة، وقد استفدنا كثيراً من تلك الموسوعة في تنظيم الفصل الحاضر.

ثم ان النبي صلّى الله عليه وآله لم يلبث ان نزل عليه قوله تعالى بعد نصبه علياً لأمرة المسلمين في تلك الواقعة:

«اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعمَتي وَ رَضيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً»[1].

فكبَّر النبيُ صلّى الله عليه وآله بصوت عال ثم أضاف قائلاً:

«الحمد لله على إكمال الدين و إتمام النعمة ورضىٰ الربِّ برسالتي، وولاية عليّ بن أبي طالب من بعدى».

ثم نزل رسولُ الله صلّى الله عليه وآله من ذلك المنبر المصنوع من حدائج

---

(١) المائدة: ١ و ٣.

٦٥٤ ـــــــ

خلافته عليه السَّلام أيضاً، كما أن شخصيات كثيرة من وجوه المسلمين إحتجوا به على منكري حق عليّ وأفضليته وكان ذلك دأبهم دائماً وأبداً.

٦٣

١ ـ المتنبئون كِذباً[١]

٢ ـ التفكير في أمر الروم

بعد الانتهاء من مراسم تعيين الخليفة في «غدير خم» انفصلتْ جُموعُ الحجيج المشاركة في مراسم «حجة الوداع» من الوافدين من الشام ومصر، عن النبي صلّى الله عليه وآله في أرض الجحفة والذين شاركوا في هذه المراسم من «حضرموت» و «اليمن» انفصلوا عنه في هذه النقطة أو في نقطة سابقة وقفلوا راجعين إلى أوطانهم.

و لكنَّ العشرة آلاف الذين خَرجوا مع رسول الله صلّى الله عليه وآله عادوا مع النبي صلّى الله عليه وآله إلى المدينة، ووَصلوها قبل أن تأتي السنة العاشرة من الهجرة على نهايتها.

كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله والمسلمون فرحين جداً لانتشار الاسلام في شتىٰ نقاط الجزيرة العربية، ولانتهاء عهد الحاكمية الوثنيّة والشرك في كل مناطق الحجاز، وبالتالى لزوال جميع الموانع والعراقيل التي كانت تحول دون نفوذ الإسلام، وانضواء الناس تحت لوائه المبارك.

لم يكن شهر ذي الحجة من السنة العاشرة قد انتهت بعدُ يوم قدم نفران من «اليمامة» المدينة، وسلّما كتاباً من «مسيلمة» الذي عُرفَ فيما بعد بـ «مسيلمة

---

(١) كانت مراسلة مسيلمة للنبي صلّى الله عليه وآله في نهايات السنة الهجرية العاشرة وكذا ادعاء الاسود العنسي للنبوة، وقد دمجنا ذكرهما في حوادث **الفصل الثالث والستين تقليلاً** لفصول هذا الكتاب.

الكذّاب» إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله.

ففتح أحد كتاب النبي صلّى الله عليه وآله الرسالة وقرأها عليه فكان مضمونها ان شخصاً باليمامة يدعى «مسيلمة» يدَّعي النبوة ويشرك نفسه مع رسول الإسلام في أمر الرسالة، ويريد من خلال كتابه أن يُبلغ النبيَّ صلّى الله عليه وآله بذلك، ويعرّفه بنبوته.

و قد اثبتت كتب السير والتواريخ الاسلامية نصَّ الكتاب المذكور.

و يوحي أُسلوبُ الرسالة المذكورة بأنّ صاحبها اراد تقليد الاسلوب القرآني في البيان والتعبير ولكن محاولته باءت بالفشل فلم يستطع تقليده، واتى بعبارات خاوية خالية من روح، يفوقها الكلامُ العادي في القوة بدرجات.

فلقد كتب «مسيلمة» في كتابه هذا:[1].

أما بعد، فاني قد أُشركتُ في الأمر معَك، وان لنا نصف الأَرض، ولقريش نصف الارض، ولكنّ قريشاً قوماً يعتدون.

ولما وقف رسول الله صلّى الله عليه وآله على مضمون الرسالة، التفت إلى من حملها اليه وقال: «أما والله لَولا أنّ الرُسُل لا تُقْتَل لضربتُ أعناقكما لأَنكما أسلمتُما من قَبل وَ قبلْتُما برسالتي فلم اتبعتُما هذا الاحمقَ وتركتُما دينكما».

ثم ان رسول الله صلّى الله عليه وآله أملى على كاتبه كتاباً إلى مسيلمة قصير المحتوى، مفحم المفاد. واليك نصّ رسالة النبي صلّى الله عليه وآله:

«بِسْم الله الرحمن الرحيم.

مِن محمَّد رسول الله إلى مسليمة الكذّاب السلامُ على من اتبعَ الهُدىٰ.

أما بعد فانَّ الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين»[2].

---

(١) و من شدة جهله أنه لم يبدأ كتابه باسم الله، بل و لم يفعل مافعله حتى المشركون في العهد الجاهليّ.

(٢) السيرة النبوية: ج٢ ص ٦٠٠ و ٦٠١ و تكفي مقارنة بين نص الكتابين في معرفة حقيقة الشخصين.

٦٥٨ ـــــــ

ثم ان مواجهة المرتدين من العرب كان أول ماقام به الخلفاء بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله ولهذا حُوصرت منطقة «مسيلمة» من قبل جنود الاسلام، وضيّق عليه الحصار شيئاً فشيئاً، حتى اذا اتضحت هزيمة ذلك الكذاب، قال له بعض اتباعه السذّج: أين ماكنت تعدُنا (من النصر الالهي) فقال مسيلمة: أما الدين فلا، قاتلوا عن أحسابكم.

و لكنَ الدفاع عن الاحساب والكرامة لم يُجد مسيلمة ولااتباعه شيئاً، فقد قتِلَ هو وفريق منهم في بستان على أيدي المسلمين، وانتهت بذلك خرافة نبوته المدّعاة[1].

إن هذه العبارة القصيرة تكشف عن انه كان رجلاً فصيحاً وناطقاً بليغاً، كما انها تفيد انه لم يكن صاحب تلك العبارات الباردة الخاوية التى نُسِبت اليه ـفي التاريخ والسيرةـ في معارضة القرآن الكريم.

التفكير في أمر الرُوم :

مع أن ظهور مثل هؤلاء المتنبئين الكذبة في شتى مناطق الحجاز كان خطراً على وحدة أهلها الدينية، فان التفكير في أمرالروم الذين كانت الشامات وفلسطين من مستعمراتهم آنذاك ـ كان يستأثر باهتمام رسول الله صلّى الله عليه وآله اكثر من غيره لأنه كان يعلم بأنّ القادة اللائقين في اليمامة واليمن قادرين على مواجهة المتنبئين، ولهذا قضي على «الاسود العنسي» وهو رجلٌ آخر ادّعى النبوة كذباً في عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله وذلك بعد يوم من وفاة النبي على والي اليمن.

لقد كان رسولُ الله صلّى الله عليه وآله متيقناً و واثقاً من أن الدولة الرومية التي تلاحظ اتساع رقعة النفوذ الاسلامي الصاعد، والتي رأت كيف أن رسول

---

(١) تاريخ الطبري: ج٢ ص ٥١٤ ـ ٥١٦.

٦٦٠ ـــــــ

«سِر الى موضع قتل ابيك فاوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحاً وشنَّ الغارة على أهل أُبنىٰ»[١].

فاعطى «أُسامةُ» اللواء الى «بريدة» وعسكر بالجرف[٢] ليلتحق به جنودُ الاسلام أفواجاً أفواجاً، وليتحرك الجميع في وقت واحد.

لقد اختار رسول الله صلّى الله عليه وآله لقيادة هذا الجيش شاباً في مقتبل العمر، وأمّره على طائفة كبيرة من شيوخ الانصار والمهاجرين، ولقد أرادَ صلّى الله عليه وآله من فعله هذا أمرين:

أولاً: أن يجبُر ـ من خلال ذلك ـ مالحق من المصيبة بأُسامة بسبب مقتل والده «زيد بن حارثة» الذي استشهد في معركة مؤتة مع الروم، وليرفع من شخصيته.

ثانياً: أراد أن يؤكد قانونه في مجال التوضيف وتوزيع المناصب والمسؤوليات ويجعل ذلك على اساس الكفاءة والشخصية القيادية ان المناصب والمسؤوليات الاجتماعية لاتحتاج إلى غير الكفاءات والموهّلات ولا ترتبط بحال بالعمر والسن.لقد فعل النبي ذلك حتى يهيئُ الشباب الذين يتمتعون بالموهّلات الكافية لتسلّم المسؤوليات الاجتماعية الثقيلة ويحلموا أن المناصب والمهامّ ـ في النظام الاسلامي ـ ترتبط إرتباطاً مباشراً بالكفاءة والمؤهلات القيادية ، لاالعمر والسنّ.

ثم ان الاسلام الواقعي هو الانضباطية الشديدة والانقياد الكامل تجاه التعاليم الالهية السامية، والمُسْلم الحقيقي هو من ينقاد لتعاليم الله تعالى واوامره تعاليمه ويقبل بها من كل قلبه كجندي في ساحة القتال، سواء أكانت له فيها نفع أم لا، وسواء أكانت تضرُّ به أم لا، وسواء أكانت مطابقة لأهوائه ومطامحه أم لا.

---

(١) «أُبنىٰ» من مناطق البلقاء وتقع في الأراضي السورية وقرب مؤتة بين «عسقلان» و «الرملة».

(٢) منطقة واسعة على بعد ثلاثة أميال مدينة من جانب الشام.

و لقد بيّن الامام علي عليه السّلام حقيقة الاسلام في عبارة موجزة ولكن بليغة ومعبرة اذ قال: «الاسلامُ هو التسْليم»[١].

إن الذين يؤمنون ببعض تعاليم الاسلام دون بعض، كلما واجهوا مالايوافق اهواءهم الباطنية منها اعترضوا عليه وحاولوا التملّص من المشاركة في تنفيذه بشتى المعاذير والحجج.

لاشك أن هذا الفريق يفتقر إلى روح الانضباطية، والتسليم الواقعيّ والانقياد الكامل الذي يمثل روح الاسلام وأساسه.

لقد كان تأمير قائد شاب يدعىٰ «أُسامة بن زيد» الذي لم يكن يتجاوز يومذاك ـ العشرين عاماً[٢] شاهد صدق على مانقول، لأنَّ تأميره على لفيف من الصحابة يكبرون عنه في العمر أضعافاً شقَّ على البعض، لأنهم اعترضوا على الاجراء، وطعنوا في أُسامة، واطلقوا عبارات تكشف جميعها عن افتقارهم لروح الانقياد والطاعة والتسليم الذي يجب أن يتحلى بها الجندي المسلم تجاه قائد الاسلام الأعلى (النبي)، واوامره وتعييناته.

و لقد كان محور كلامهم هو أن النبي أمَّر شاباً صغير السنّ على شيوخ من الصحابة[٣].

و لكنهم غفلوا عن المصالح والأهداف التي توخّاها رسول الله صلّى الله عليه وآله من هذا الإجراء، وكانوا يقدّرون كل عمل بعقولهم الضيقة المحدودة، ويقيسونه بمقاييسهم الشخصية.

فرغم أنهم لمسوا من قريب كيف أن النبي صلّى الله عليه وآله كان يحرص على تعبئة هذا الجيش وبعثه، ولكن عناصر مشبوهة أخّرت حركة الجيش المذكور

---

(١) نهج البلاغة: قصار الحكم ١٢٥.

(٢) ذهب البعض مثل السيرة الحلبية إلى انه كان في السابعة عشرة من عمره وذهب آخرون إلى انه كان في الثامنة عشرة من عمره. المهم انهم اتفقوا على انه لم يتجاوز العشرين سنة.

(٣) الطبقات الكبرى: ج٢ ص١٩٠.

من معسكر «الجرف» وتوجهه إلى النقطة المطلوبة، وكانت تسعى لعرقلة هذه المهمة.

و بعد يوم من عقد رسول الله صلّى الله عليه وآله اللواء لأُسامة تمرّض صلّى الله عليه وآله بشدة وأصابه صداعٌ شديدٌ تركه طريح الفراش واستمر هذا المرض عدة أيام حتى قضى صلوات الله عليه.

و قد علم رَسول الله صلّى الله عليه وآله في مرضه أنّ هناك من تخلّف عن جيش أُسامة وأن هناك من يعرقل توجّهه نحو المنطقة التي عيّنها، وأن هناك بالتالي من يطعن في أُسامة فغضب صلّى الله عليه وآله لذلك غضباً شديداً، وخرج وهُو يلتحف قطيفة، وقد عصّب جبهته بعصابة إلى مسجده ليتحدث إلى المسلمين من قريب، ويحذّرهم من مغبّة هذا التخلّف، فصعد المنبر على ماهو عليه من حمّىٰ شديدة وبعد أن حمدَ الله واثنى عليه قال:

«أمّا بعدُ أيُّها الناسُ فَما مَقالةٌ بلغَتْني عن بَعضِكم في تأميرى أُسامة، ولئن طعَنْتُمْ في إمارتي أُسامة لقَدْ طعَنتُمْ في إمارتي أباه من قَبْلِهِ وأَيمُ الله كان للإمارة خليقاً وإن ابنه من بعده لخليقٌ للإمارة، وإن كان لِمن أحبِّ الناس إليَّ وانّهما لَمخيلان لكل خير، واستوصُوا به خيراً فانه من خياركمْ».

ثم نزل صلّى الله عليه وآله ودخل بيته واشتدت به الحمى، فجعل يقول لمن يعوده من أصحابه:

«أنفذوا بَعثَ أُسامة»[1].

و لقد بلغ من إصرار رسول الله صلّى الله عليه وآله على بعث جيش أُسامة انه كان يقول وهو في فراش المرض:

«جَهّزوا جيش أُسامة، لعَن الله من تخلّف عنه»[2].

و قد تسببت هذه التاكيدات في أن يحضر جماعة من المهاجرين والأنصار

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ١٩٠.

(٢) الملل والنحل: ج١ المقدمة الرابعة ص٢٣.

٦٦٤ ـــــــ

صلّى الله عليه وآله وسموا أنفسهم خلفاء النبي لايمكن أن يبرَّر أبداً.

و لقد أراد بعض علماء السنة أن يبرّروا هذا التخلف بطرق و وجوه مختلفة إلّا أنهم عجزوا ـ رغم ذلك ـ أن يُخرِجوا عذراً مقبولاً ودليلاً مرضياً لاولئك المتخلفين عن جيش أُسامة.

و للاطلاع على مانُحِت لذلك من أعذار سقيمة راجع «المراجعات»[١]. و«النص والاجتهاد»[٢].

الاستغفار لأهل البقيع :

كتب فريقٌ من اصحاب السيرة ان رسول الله صلّى الله عليه وآله خرج في الليلة التي توفي في صبيحتها مع أبي موهبة خادمه إلى البقيع مع ماكان عليه من شدة الحمّىٰ والوجع ليستَغفر لأهل البقيع[٣].

و لكن المؤرخين الشيعة يرون أن النبي صلّى الله عليه وآله يوم أحس بالوجع اخذ بيد «عليّ» عليه السَّلام وخرج معه إلى البقيع وخرج خلفه جماعة فقال لمن خرج معه:

«إنّي أُمِرتُ أن استغفر لأهل البقيع».

و عند ماجاء البقيع سلّم على أهل القبور هناك وقال:

«السلامُ عليكم أهل القبور لِيَهْنِئكم ماأصبحتم فيه ممّا أصبح الناسُ فيه اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أوّلها».

ثم استغفر ودعا لأهل البقيع طويلاً ثم التفت إلى عليّ عليه السَّلام وقال: ياعليّ إنّي خُيّرت بين خزائن الدُنيا والخلود فيها أوالجنّة فاخترتُ لقاء ربّي والجنّة. إن جبرئيل كان يعرضُ عليَّ القرآن كلَّ سنة مرّة وقد عرضَهُ عليّ العام مرّتين ولا

---

(١) المراجعة ٩٠ و ٩١.

(٢) ص ١٥ ـ ١٦.

(٣) الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٠٤.

٦٦٦ ـــــــ

٦٤
الكتابُ الذي لم يُكتب

تُعدُّ الايام الأُخيرة من حياة رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله من اكثر حقول التاريخ الاسلامي أهميّة وحساسية ودقة.

لقد مرّ الاسلام والمسلمون في تلك الايام بساعات مؤلمة، وحرجة.

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة لاوامر النبي صلّى الله عليه وآله وتخلّفهم عن جيش أُسامة كلّ ذلك كان يكشف عن نشاطات سرية تنبئ عن عزمهم المؤكّد على الاستيلاء على زمام الحكومة والإمارة والقيادة السياسية في المجتمع الاسلامي بعد رحيل النبي صلّى الله عليه وآله وإزاحة الخليفة الذي نصبه رسول الله صلّى الله عليه وآله في الغدير للإمارة عن مسند الحكم.

و لقد كان النبي صلّى الله عليه وآله نفسه عارفاً بنواياهم على نحو الاجمال ولهذا كان يصرّ على خروج جميع أعيان الصحابة في جيش اسامة ومغادرة المدينة فوراً لمقاتلة الروم، لكي يعطل بذلك خطتهم.

و لكن دهاة السياسة اعتذروا عن الخروج مع أُسامة بحجج ومعاذير معينة، لكي يستطيعوا من تنفيذ خططهم بل وعرقلوا مسير الجيش المذكور حتى توفي رسول الله صلّى الله عليه وآله.

فعادوا إلى المدينة -بعد توقّف دام ١٦ يوماً- على أثر تدهور صحة النبي واحتضاره، فلم يتحقق ماكان يريده رسول الله صلّى الله عليه وآله من تفريغ المدينة منهم، فلا يكون أحدٌ منهم فيها يوم وفاته ليستطيع خليفته المنصوب للامارة

يوم غدير خم (نعنى الامام علياً) من تسلم زمام الحكم دون منازع ومزاحم من المعارضين السياسيين.

إنهم لم يكتفوا فقط بالعودة إلى المدينة بل حاولوا أن يحولوا دون أي عمل من شأنه أن يؤدي إلى دعم وتثبيت منصب الامام علي وخلافته لرسول الله بلافصل، فحاولوا منع النبي صلّى الله عليه وآله وصرفه عن البحث في هذه المسألة بشتى الوسائل، والسبل.

فعمد رسولُ الله صلّى الله عليه وآله الذي عرف بنشاط بعض زوجاته من بنات بعض أُولئك الصحابة، المشين، عمد إلى الخروج إلى المسجد مع ماكان عليه من الحمّىٰ والوجع، ووقف إلى جانب المنبر وقال للناس بصوت عالٍ سُمِع خارج المسجد:

«أيُّها الناسُ سُعّرت النار، وأقْبَلت الفتَن كقِطَع الليل المظلم، وإنّي والله ماتمسَّكون عليّ بشيء، اني لم أُحلّ إلّا ماأحلّ الله، ولم أُحرّم إلّا ماحرّم الله»[1].

إنّ هذه العبارة تكشف عن القلَق الشديد الذي كان يحمله النبي صلّى الله عليه وآله على مستقبل الاسلام بعد وفاته، فماهو المقصود -تُرى- من النار التى سعرت؟

أليس هي فتنة الاختلاف والافتراق التي كانت تنتظر المسلمين، والتي اشتعلت بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله وتعالى لهيبها، ولايزال ذلك اللهيب مشتعلاً، وتلك النار مستعرة؟!

إيتوني بقلم وقرطاس:

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يعرف بمايجرى من نشاطات خارج

---

(١) السيرة النبوية: ج٢ ص ٦٥٤، الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢١٥ و٢١٦.

منزله للسيطرة على مقاليد الحكم، ولهذا قرر بغرض الحيلولة دون انحراف مسألة الخلافة من محوره الأصلي والحيلولة دون ظهور الاختلاف والافتراق ـ أن يدعم مكانة عليّ ويعزز امارته وخلافته وخلافة أهل بيته، وذلك بأن يثبت الأمر في وثيقة حيّة وخالدة تضمن بقاء الخلافة في خطها الصحيح.

من هنا يوم جاء بعض الصحابة لعيادته اطرق برأسه إلى الارض ساعة ثم قال بعد شيء من التفكير وقد التفت اليهم:

«إيتُوني بدواة وصحيفة اكتُبُ لكم كتاباً لا تضلون بعده».

فبادر عمر وقال: ان رسول الله قد غلبه الوجعُ، حسبنا كتابُ الله[1].

فناقش الحاضرون رأى الخليفة، فخالفه قومٌ وقالوا: هاتوا بالدواة والصحيفة ليكتب النبي مايريد، وناصر آخرون عمر وحالوا دون الاتيان بماطلبه النبي، ووقع تنازع بينهم وكثر اللغط فغضب رسول الله صلّى الله عليه وآله بشدة لتنازعهم ولما وجّه اليه من كلمةمهينة، وقال:

«قُومُوا عني لاينبغي عندي التنازعُ»

قال ابنُ عباس بعد نقل هذه الواقعة المؤلمة المؤسفة: «الرزيّة كلُّ الرزيّة ماحال بيننا وبين كِتاب رسول الله»[2].

إن هذه الواقعة التاريخية قد نقلها فريق كبير من محدثي الشيعة والسنة ومؤرخيهم وتعتبر روايتها ـ حسب قواعد فنّ الدراية والحديث ـ من الروايات المعتبرة الصحيحة غاية مافي الأمر ان اغلب محدّثي أهل السنة نقلوا كلام «عمر» بالمعنى لابااللفظ، ولم يورد نص الكلمات الجارحة النابية التي نطق بها في ذلك

---

(١) الملل والنحل: ج١ المقدمة الرابعة ص٢٢. طبعاً لم يكن الهدف من «اكتب» أن يكتب النبي بيده ذلك الكتاب فالنبي لم يكتب شيئاً في حياته أبداً كماهو مبحوث في ابحاث أُمية النبي بل المقصود هو الإملاء على كاتب.

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم: ج١ ص ٢٢ وج٢ ص١٤، صحيح مسلم: ج٢ ص ١٤ مسند أحمد: ج١ ص ٣٢٥، الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٤٤، الملل والنحل: ج١ ص٢٢.

٦٧٠ ـــــــ

ان بعض المتعصبين وان التمسوا لمخالفة الخليفة لطلب النبي اعذاراً[١] في الظاهر إلّا انّهم خطّأوا كلامه الذي قال فيه «حسبنا كتاب الله»، واعتبروه كلاماً غير صحيح، وصرّحوا جميعاً بأن الركن الاساسي للاسلام هو السنة النبوية، ولايمكن أن يغني كتابُ الله الامة الاسلامية عن احاديث رسول الاسلام صلّى الله عليه وآله واقواله.

و لكن الاعجب من كل ذلك أن الدكتور «هيكل» مؤلف كتاب «حياة محمّد»[٢] ضمن دفاعه عن الخليفة كتب يقول: مافتيء ابن عباس بعدها يرى أنهم أضاعُوا شيئاً كثيراً بأن لم يسارعوا إلى كتابة ماأراد النبيّ إملاءه. أمّا عمر فظلّ ورأيُه أن قال الله في كتابه الكريم: «ما فَرَّطنَا في الكتابِ مِن شَيء»[٣].

فلو أنه لاحظ ماقبل هذه الجملة القرآنية ومابعدها لما فسرها بمثل هذا التفسير، ولما أيّد الخليفة في مقابل نصّ النبي المعصوم المطاع، لأن المقصود من الكتاب في الآية هو الكتاب التكويني، وصفحات الوجود، فان لكل نوع من الانواع في عالم الوجود صفحة من كتاب الصنع، وتشكل كل الصفحات غير المعدودة كتاب الخليقة والوجود واليك نص الآية:

«وَ مَا مِن دَابَّة في الارض وَ لاطَائر يَطيرُ بجَناحَيْه إلّا أُمَمٌ أمْثَالكُمْ ما فَرَّطْنافي الكتاب مِنْ شيء ثُمَّ إلى ربِّهم يُحْشرُونَ»[٤].

وحيث أن ماقبل الجملة التي استُدل بها يرتبط بخلقة الدواب والطيور، ويرتبط مابعدها بموضوع الحشر في يوم القيامة يمكن القول بصورة قاطعة بان المراد من الكتاب في الجملة المستدل بها والذي لم يفرَّط فيه من شيء هو الكتاب التكويني، وصفحة الخلق.

---

(١) رد العلامة المجاهد السيد شرف الدين في كتاب المراجعات المراجعة٨٦ جميع هذه الاعذار بصورة رائعة.

(٢) حياة محمّد: ص ٥٠١.

(٣) الانعام: ٣٨.

(٤) الانعام: ٣٨.

٦٧٢ ـــــــ

دلالة ومفاداً، وبعبارة أُخرى الاستعانة في تفسير آية بآية أُخرى.

إن هذه الطريقة لاتختصُّ بتفسير آيات القرآن بل تنسحب على الأحاديث والروايات الاسلامية أيضاً اذ يمكن رفع الاجمال عن حديث بحديث مشابه، لأن القادة الكبار يتحدثون في موضوع مهمّ وخطير بصورة مؤكدة ومكررة لا تتشابه ولا تتحد في دلالتها، فقد تكون دلالتها على الآية واضحة وقد يكون بيان المقصود فيها بالاشارة والكناية حسب المقتضيات.

قلنا ان النبي صلّى الله عليه وآله طلب من اصحابه وهو في فراش المرض دواة وصحيفة ليملي عليهم شيئاً لايضلّون بعده أبداً ثم تسبب التنازع الذي حدث بين الحاضرين في ان ينصرف من كتابة ماأراد.

يمكن أن يسأل سائل: ماذا كان يريدُ رسول الله صلّى الله عليه وآله كتابته في ذلك الكتاب.

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة لأنه مع أخذ الأصل الذي ذكرناه في مطلع البحث بنظر الاعتبار يجب القول بأن هدف النبي لم يكن الّا تعزيز الوصيّة ودعم خلافة الامام أميرالمؤمنين عليّ عليه السَّلام وامرته والتاكيد على لزوم اتباع اهل بيته الذي صرح به النبي صلّى الله عليه وآله في الغدير وغيره.

و هذا المطلب يستفاد من حديث الثقلين المتفق عليه بين محدثي السنة والشيعة، لأن النبي صلّى الله عليه وآله قال في شأن الكتاب الذي نوى كتابته: انه يبتغي كتابة شيء لايضلون بعده ابداً.وقد جاءت هذه العبارة بعينها في حديث الثقلين اذ يقول رسولُ الله صلّى الله عليه وآله معتبراًعدم الضلال بعده معلولاً لا تباع الكتاب والعترة اذ قال:

«إنّي تاركٌ فيكمُ الثقلين ماإن تمسكْتُمْ بهما لَن تضِلّوا: كتابَ الله وعترتي أهلَ بيتي»[1].

---

(١) صحيح الترمذي: ج٥ ص٣٢٨ ح٣٨٧٤ جامع الاصول: ج١ ص١٨٧ راجع المراجعات: المراجعة٨.

ألا يمكن بعد ملاحظة هذين الحديثين والتشابه الموجود بينهما الحدسُ -بصورة قطعية- بان ما كان يهدفه رسول الله صلّى الله عليه وآله من طلب الدواة والصحيفة هو مفاد كتابة حديث الثقلين، أو ماهو أعلى ممّا يفيده حديث الثقلين وهو تعزيز ودعم ولاية الامام علي عليه السَّلام وخليفته مباشرة وبلافصل وهوالذي عيّنه للإمارة والخلافة في الثامن عشر من شهر ذي الحجة عند مفترق طرق الحجاج المدنيين والعراقيين والمصريين والحجازيين وأعلن عن ذلك بصورة شفاهية.

هذا مضافاً إلى أن مخالفة من شكّل شورى الخلافة في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله ورشح رفيقه القديم للخلافة بصورة خاصة بعد رحيل رسول الله إلى ربّه، وحصل هو بدوره على أُجرته عند موت الأوّل بصورة نقديّة وعينِه للخلافة خلافاً لجميع القواعد والاصول، خير شاهدٍ على أن القرائن التي كانت في مجلس النبي وكلامه كانت تكشف عن أن النبي صلّى الله عليه وآله كان يريد أن يملي علي كاتبه امراً يتعلق بخلافة المسلمين والامارة والقيادة التي اثبتها لعلي واهل بيته الطاهرين في احاديثه وخطبه.

و لهذا خالف القوم الحضور هذا المطلب بشدة وحالوا دون الاتيان بالقلم والقرطاس بوقاحة، وخالفوا كتابة شيء، وإلّا فلماذا أصرّوا في مخالفتهم... وارتكبوا ماارتكبوا.

لماذا لم يصرُّ النبي في كتابة الكتاب؟

كان في إمكان رسول الله صلّى الله عليه وآله رغم معاكسات جماعة من أصحابه أن يطلب كاتبه ويكتب الكتاب الذي كان يريد، فلماذا لم يتصرف هكذا، ولم يستغل مكانته القويّة بل امتنع عن ذلك؟

إن الاجابة على هذا السؤال واضحة: فلو أن النبي كان يصرّ على كتابة الكتاب لأصرّوا في الاساءة الى النبي الذي قالوا عنه انه غلبه الوجع أو هجر،

ولعمد أنصارهم إلى اشاعة وبثّ هذا الأمر الرخيص، وصنعوا لاثباته الافاعيل فكانت تتسع رقعة الاساءة إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله في هذه الحالة وتستمرّ، فتفقد الرسالة أثرها المنشود.

من هنا عندما قال البعض للنبي ـ ملافاة لما لحق به من الأذى ـ أبعد الذي قلتم؟ فقال:

«أبعد الذي قلتم؟ لا ولكنْ أُوصيكم بأهل بيتي خيراً»[1].

ملافاة الأمر وتداركه:

إن مخالفة بعض الصحابة الصريحة وإن صرفت النبي عن الكتابة إلّا انه بلّغ مقصوده من طريق آخر، فهو ـ بشهادة التاريخ ـ بينما كان يعاني المرض، والوجع الشديدين، خرج إلى المسجد وهو متوكئ على «علي بن أبي طالب» و «ميمونة» مولاته فجلس على المسجد ثم قال:

«يا أيّها الناسُ إنى تاركٌ فيكم الثقلين».

و سكت، فقام رجل فقال: يارسولُ الله ماهذان الثقلان؟ فغضب حتى احمرّ وجهُه ثم سكن، قال:

«ماذكرتهما إلّا وأنا أُريد أن أخبرَكم بهما ولكنْ رَبوتُ فلم استطعْ، سببٌ طرفه بيدالله، وطرفٌ بايديكم، تعلمون فيه كذى، ألا وهو القرآن، والثقل الأصغر أهل بيتى».

ثم قال:

«و أيمُ الله إني لأقولُ لكم هذا ورجالٌ في اصلاب أهل الشرك أرجىٰ عندي من كثير منكم».

ثم قال:

---

(١) بحارالأنوار: ج٢٢ ص ٤٦٩ نقلاً عن الارشاد واعلام الورى.

٦٧٦ ـــــــ

تقسيم الدنانير:

دأبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله في مجال بيت المال أن يوزع امواله في أقرب فرصة سانحة بين الفقراء والمحتاجين.

و عند ما كان في فراش المرض تذكّر أن هناك دنانير عند إحدىٰ زوجاته فطلبها فوراً، فاحضرتها عنده فاخذها صلّى الله عليه وآله بيده وقال:

«ماظنُّ محمَّد بالله لولقي الله وهذه عنده؟ انفقيها».

ثم أمر علياً عليه السَّلام فتصدّق بها[1].

غضب النبي من الدواء الذي سقي:

لما كانت أسماء بنت عميس وهي من قريبات «ميمونة» زوجة النبي صلّى الله عليه وآله، والتي اقامت ايام الهجرة زمناً في الحبشة تعلّمت من أهلها صنع عقار مركب من النباتات والاعشاب المختلفة، فلما اشتكى وأُغمى عليه تصورت ان الذي دهاه هوداء: «ذات الجنب»، وكانوا في الحبشة يداوون هذا المرض بذلك العقار، فعمدت إلى معالجته بذلك الدواء، بصبّ شيء منه في فم النبي صلّى الله عليه وآله ولما أفاق وعرف بما صنعوا غضب وقال:

«ما كان الله ليسلِّطَ عليّ ذاتَ الجَنب»[2].

وداع النبي مع أهله:

خرج رسول الله صلّى الله عليه وآله في أيام مرضه إلى مسجده **مراراً يصلّي** بالناس، ويذكّرهم اموراً.

و ذات يوم من أيام مرضه أُخرج الى مسجده معصوب الرأس متكئا على

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٣٨ و ٢٣٩.

(٢) الطبقات: ج٢ ص ٢٣٥.

٦٧٨ ـــــــ

«فاقتصَّ مِنّي حتى ترضىٰ».

فقال سوادة: فاكشف لي عن بطنك.

ثم انه وسط دهشة الصحابة وحزنهم وغمهم وبكائهم تقدم سوادة إلى النبي وقال: اتأذن لي ان اضع فمي على بطنك؟ فاذن له، فقال اعوذ بموضع القصاص من بطن رسول الله، وقبّلَ بطن النبي وصدره الشريف. فدعا له رسول الله وقال:

اللّهم اعف عن سوادة بن قيس كما عفى عن نبيك محمّد[1].

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ج١ ص ٢٣٥.

٦٥
اللحظاتُ الأخيرة

كان القلق والاضطراب يلفُّ المدينة المنورة بأسرها فصحابة النبي يحيطون ببيت رسول الله صلّى الله عليه وآله بعيون باكية وقلوب حزينة ليطّلعوا على صحته، وكانت تخرج من منزله بين الحين والآخر أخبار عن اشتداد مرضه، وتفاقم وجعه، لتقضي على كل أمل بتحسّن حالته، وتجعل الناس على يقين بانه لم يبقَ من حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله الّا سويعات قلائل، وانه سرعان ما تنطفئ الشعلة المقدسة، التي أنارت العالم بضيائها.

كان فريق من الصحابة يودّون أن يزوروا نبيّهم وقائدهم من قريب ولكن تدهور صحته ماكان ليسمح لذلك، فلم يكن من الممكن ان يتردد على غرفته إلّا أهل بيته خاصة.

و لقد كانت ابنته الكريمة و وديعته الوحيدة فاطمة الزهراء عليهاالسَّلام جالسة عند فراش ابيها، تنظر إلى وجهه المشرق كانت ترى كيف ان عرق الموت يتحدر على جبينه وخده مثل حبات اللؤلؤ، فراحت تردد أبياتا من الشعر وقلبها يعتصره الحزنُ، ويملأ عيونها دموع الاسى والحزن ويكاد يخنقها الغصة:

وَ أبيضُ يُستسقىٰ الغمامُ بوجهه ثمالَ اليتامىٰ عصمةٌ للارامل

و في هذه اللحظات بالذات فتح رسول الله صلّى الله عليه وآله عينيه وقال لابنته الزهراء بصوت خافت:

يا بنيّة هذا قول عمّك أبي طالب لا تقوليه ولكن قولي:

«وَ ما مُحمَّد إلّا رَسُولٌ قَدْخلَتْ مِنْ قَبْلِه الرُّسُلُ أَفإنْ ماتَ أو قُتِلَ انقَلبْتُمْ عَلىٰ أَعقابِكُمْ وَ مَنْ يَنقَلِبْ عَلى عَقِبَيهِ فَلنْ يَضُرَّ الله شَيئاً وَ سَيجْزى الله الشَّاكِرينَ»[1].

النبيُ يتحدث مع ابنته الزهراء:

لقد كشفت التجربة عن ان عواطف الشخصيات الكبرى تجاه ابنائهم تتضاءل اثر تراكم النشاطات وتزايد الاهتمامات والهموم، لأنّ الاهداف الكبرى، والاهتمامات العالمية تشغل بالهم وفكرهم إلى درجة لا تترك لهم مجالاً لمشاعرهم العاطفية بالظهور والتجلّي، بيد أنّه يُستثنى الشخصيات الروحانية والمعنوية الكبرى من هذه القاعدة فهم مع مايشغل بالهم من الاهداف الكبرى، والاهتمامات العالية، والشواغل اليومية الكثيرة يمتلكون روحاً كبرى ونفسية طيبة سامية فلا يمنعهم عملٌ عن آخر، ولا يشغلهم شُغلٌ عن آخر، فلا مكان للضمور العاطفي عندهم، ولا مكان للجمود الإحساسيّ في حياتهم الاجتماعية والعائلية.

إن محبة النبي صلّى الله عليه وآله لابنته الوحيدة فاطمة كانت من ابرز التجليات العاطفية الانسانية في شخصية النبي الاكرم صلّى الله عليه وآله، ولهذا لم يُعهَد أن يسافر رسولُ الله من دون أن يودع ابنته، كما لم يُعهَد أن يرجع المدينة من دون ان يزور ابنته قبل أي أحد، كما كان يحترمها عند زوجاته احتراماً لائقاً بها ويقول لاتباعه:

«فاطمةُ بَضعةٌ منّي فمن أغضَبها أغضبني»[2].

كما أن رؤية فاطمة كانت تذكرة باشد نساء العالمين طهراً ووفاء، وعطفاً ولطفاً، (خديجة) التي تحملت في سبيل أهداف زوجها المقدس متاعب كبيرة،

---

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) صحيح البخارى: ج٥ ص٢١.

٦٨٢ ـــــــ

جداً في تقوية اللثة، وإزالة الاوساخ وبقايا الطعام عن الاسنان.

و ذات يوم دخل اخو عائشة عبدالرحمان على رسول الله صلّى الله عليه وآله ليعوده و بيده سواكٌ اخضر فنظر النبيُ إليه -وهو في يده- نظراً عرف أنه يريده فقال عبدالرحمان: يارسول الله تريد أن أعطيك هذا السواك . فقال نعم، فقدّمه إلى النبي فوراً فاخذه صلّى الله عليه وآله واستاك به أحسن استياك ، ونظف اسنانه به بدقة وعناية بالغة[١].

وصايا النبي صلّى الله عليه وآله قبيل رحيله:

كان رسول الله صلّى الله عليه وآله خلال فترة مرضه ووجعه يولي إعطاء التعاليم والتذكير بمافيه هداية الناس اهتماماً بالغاً، فقد كان يوصي بالصلاة ورعايةالرقيق في الايام الاخيرة من حياته الشريفة ويقول:

«الصَلاة الصلاة وما ملكَتْ أيمانُكم، ألبِسوا ظهورَهُمْ وأشبعوا بطونَهم وألينوا لهم القَوْلَ»[٢].

وقد سأل كعب الاحبار عمر بن الخطاب بعد وفاة رسول الله وفي ايام خلافة الأخيرما كان آخر ماتكلّم به رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال عمر: سَلْ عليّاً. فسأل علياً عليه السَّلام:

فقال امير المؤمنين عليه السَّلام:

«أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال: الصلاة الصلاة.

فقال كعب: كذلك آخر عهد الأنبياء وبه امروا وعليه يبعثون[٣].

و قد فتح النبيُ صلّى الله عليه وآله عينيه في آخر لحظة من حياته الشريفة وقال:

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٣٤، السيرة النبوية: ج٢ ص٦٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٥٤.

(٣) الطبقات الكبرى: ج٢ ص٢٦٢.

«أُدعوا لي أخي».

فعرف الجميع بأنه يريد علياً عليه السَّلام فدعَوا له علياً فقال:

«أُدنُ منّي».

فدنا منه عليٌّ عليه السَّلام فاستند إليه فلم يزل مستنداً اليه يكلّمه [١].

فلم يلبث أن بدت عليه صلّى الله عليه وآله علامات الاحتضار.

سأل رجلٌ ابن عباس: هل توفّي رسول الله في حجر أحد قال: توفي وهو لمستند إلى صدر علي.

فقال السائل: قلتُ: فان عائشة قالت: تُوُفي رسول الله صلّى الله عليه وآله بين سَحْرى ونَحْرى.

فكذبها ابن عباس وقال: أتعقلُ؟ والله لتُوفّي رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنه لمستند إلى صدر عليّ وهو الذي غسّله، وأخي الفضل بن عباس[٢].

و قد صرح أمير المؤمنين علي عليه السَّلام في إحدى خطبه حيث قال:

«وَ لَقَدْ قُبضَ رسولُ الله و إنّ رأسهُ لعلىٰ صَدري... ولقد وَليتُ غسلَه والملائكة أعواني»[٣].

و ينقل بعض المحدثين أن آخر جملة قالها رسول الله صلّى الله عليه وآله في آخر لحظة من حياته الشريفة هي جملة: «لا، إلى الرفيق الأعلى»، وكأنَّ ملك الموت خيّره عند قبض روحه الشريفة في أن يصحّ من مرضه ويبقىٰ أو يلبي دعوة ربّه، ويلتحق بالرفيق الأعلى، فعبر بجملته، هذه عن رغبته في اللحاق بربه، ليعيش مع الذين أشار اليهم قولُه سبحانه:

«فَأُولَئكَ مَعَ الَّذينَ أَنْعَمَ الله عَليهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ والصِّدّيقينَ والشهَداء

---

(١) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٦٣.

(٢) المصدر: ج٢ ص ٢٦٣.

(٣) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٧.

والصَّالِحينَ وَ حَسُنَ أُولئك رفيقاً»[١].

قال النبي صلّى الله عليه وآله هذا و لفظ أنفاسه الشريفة[٢].

يوم الوفاة:

في منتصف يوم الا ثنين الثامن والعشرين من شهر صفر (٣) طارتْ روحُ النبي الاكرم المقدَّسة إلى بارئها، والى جنان الخلد، فسجِّىَ ببُرد يماني، ووضع في حجرته بعض الوقت، وارتفعت صرخات العيال، وعلا بكاء الاقارب فعرف من كان في خارج المنزل أن النبي صلّى الله عليه وآله قد قضىٰ، فلم يلبث أن انتشر نبأُ وفاته في كل أنحاء المدينة التي تحولت بسرعة إلى مناحة كبرى، ومأتم عظيم.

فصاح الخليفة الثاني خارج البيت ولأسباب خاصّة أنّ النبي لم يَمُتْ انما عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى، وانه لايموت رسول الله صلّى الله عليه وآله! وأصرّ على هذا الموقف وهدَّد كلَ من يخالف ذلك، وكاد أن يوافق عليه فريقٌ من الناس لولا أن أحدَ الصحابة تلا عليه قول الله سبحانه:

«وَ ما مُحمَّد إلّا رَسُولٌ قدخلت من قبله الرسُلُ أفإن مات او قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم».

حتى فرغ من الآية، فسحَب عمر موقفه، مستغرباً من وجود مثل هذه الآية قائلاً: هذا في كتاب الله؟[٤]

ثم قام أمير المؤمنين علّيُ بن أبي طالب عليه السَّلام بتغسيل جسد النبي الطاهر وكفنه لأن النبي صلّى الله عليه وآله كان قد قال: «يغسلني أقرب

---

(١) النساء: ٦٩.

(٢) إعلام الورى: ص ٨٣.

(٣) وهو ماتفق عليه محدثو الشيعة ومؤرخوهم، ونقل في السيرة النبوية ج٢ ص ٦٥٨ بصورة:قيل.

(٤) الطبقات الكبرى: ج٢ ص ٢٦٧.

الناس إليّ» ولم يكن ذلك سوى علي عليه السَّلام.

ولما فرغ «عليٌّ» من تغسيل النبي صلّى الله عليه وآله كشف الازار عن وجهه صلّى الله عليه وآله وقال والدموع تنهمر من عينيه الشريفتين:

«بأبي أنت وأُمّي طبت حيّاً وطبت ميتاً، انقطع بموتك مالم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوة والانباء. ولولا أنّك أمرت بالصبر، ونهيتَ عن الجزع لأنفَدْناعليك ماء الشؤون ولكان الداء مماطلاً، والكمد محالفاً وقلّا لك، ولكنّه مالايُملَك ردّه ولايُستطاع دفعُه! بأبي أنت وأُمّي أُذكُرْنا عند ربك، واجعلنا من بالك ؟»[1].

ثم ان الامام أميرالمؤمنين «علي بن أبي طالب» عليه السَّلام كان أوّل من صلّى على جثمان رسول الله صلّى الله عليه وآله ثم صلّى عليه المسلمون جماعة جماعة، ثم تقرر دفنُه صلّى الله عليه وآله في حجرته المباركة.

فقام ابوعبيدة الجراح وزيد بن سهل بحفر قبر له صلّى الله عليه وآله وإعداده ثم دُفِنَ صلّى الله عليه وآله في تلك الحفرة على يد أميرالمؤمنين علّي عليه السَّلام يساعده في ذلك الفضل والعباس.

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيّرت مسار التاريخ البشري بتضحياته الكبرى وجهوده المضنية، واعظم رسول الهي فتح امام الانسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

و لكن ظهرت على الساحة برحيله مشكلات عديدة كان لها أثرٌ في استمرار رسالته، ومواصلة أهدافه التي من أهمها مسألة الخلافة وموضوع القيادة في المجتمع الاسلامي وقد بدت بعضُ بوادر الاختلاف في الاوساط الاسلامية حتى قبل رحيله.

غير أن هذا القسم و إن كان قسماً مهماً وخطيراً من تاريخ الاسلام، فهو

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة رقم ٢٣٥.

خارجٌ عن اطار بحثنا هذا (وهو دراسة وتحليل الشخصية المحمدية وحياة النبي الرسالية والسياسية والعسكرية).

من هنا فاننا نختم حديثنا هذا بالشكر لله تعالى على هذه النعمة الكبرى، والحمدلله رب العالمين(١).

قم المقدسة ـ الحوزة العلمية

جعفر السبحاني

شعبان المعظم ١٣٩٠ هـ

---

(١) تم تدوين هذه المحاضرات وتوثيقها وتحقيقها في شهر شعبان المعظم عام ١٤٠٩ هجرية في مدينة قم والحمدلله رب العالمين. **جعفر الهادي**

الفهارس

١ـ فهرس الآيات القرآنية
٢ـ فهرس الاحاديث الشريفة
٣ـ فهرس الأشعار
٤ـ فهرس الأعلام
٥ـ فهرس القبائل والامم
٦ـ فهرس الكنى والألقاب
٧ـ فهرس الوقائع والايام
٨ـ فهرس الاماكن والبلدان
٩ـ فهرس المذاهب والأديان ونظم الحكم
١٠ـ فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمناً
١١ـ فهرس المصادر
١٢ـ فهرس المواضيع

(١)
فهرس الآيات القرآنية

البقرة ـ ٢

الآية	رقمها	الصفحة
فأينما تولوا فثم وجه الله	١١٥	٢٠١
سيقول السفهاء ماولاّهم عن قبلتهم	١٤٢	٥١
وماجعلنا القبلة التي كنت عليها	١٤٣	٤٩
وماكان الله ليضيع إيمانكم	١٤٣	٥٠
قد نرى تقلّب وجهك في السماء	١٤٤	٤٨
ومن الناس من يشري نفسه	٢٠٧	١١٣
يسألونك عن الشهر الحرام	٢١٧	٤٠
يسألونك عن الخمر والميسر	٢١٩	٢١٨
وإثمهما أكبر من نفعهما	٢١٩	٢٢٠

آل عمران ـ ٣

قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون..	١٢	١٢٢
قد كان لكم آية في فئتين التقتا..	١٣	٩٦
إنّ مثل عيسى عند الله كمثل آدم..	٥٩	٦٠٤
فمَن حاجك فيه مِن بعد ماجاءك من العلم..	٦١	٦٠٤
فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم..	٦١	٤٠٥
قل ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء	٦٤	٦٠١
وإذ غدوت من أهلك تبوّئ المؤمنين مقاعد للقتال	١٢١	١٥١

٦٩٢ ـــــــ

الأنفال ـ ٨

كما أخرجك ربك بالحق...	٥	٦٢
يجادلونك في الحق بعد ماتبين كأنما يساقون...	٦	٦٢
إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم	٩	٩٦
فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا	١٢	٩٨
إذ يغشيكم النعاس أمنة منه...	١١-١٢	٩٦
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله	١٣	٩٨
ياأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول	٢٧	٢٨٧
إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا	٣٦	١٣٦
إذ انتم بالعدوة الدنيا	٤٢-٤٣	٩٥
ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد	٤٢	٩٧
وإذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً	٤٤	٩٧
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم	٤٧	٩٨
وإذ زيَّن لهم الشيطان أعمالهم	٤٨	٩٨
ياأيها النبيّ قل لمن في أيديكم من الأسرىٰ	٧٠	٩٥
وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل	٧١	٩٥
واذ يعدكم الله إحدى الطائفتين	٨٧	٦٨

التوبة ـ ٩

أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام	١٩	١١٣
والذين اتخذوا مسجد ضراراً	١٠٧-١٠٨	٥٨٠
لقد نصركم الله في مواطن كثيرة	٢٥	٥١٤
إتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً	٣١	٥٥٠
هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ	٣٣	٣٥٥
ومنهم من يقول إئذن لي ولا تفتني	٤٩	٥٥٥

٦٩٤ ـــــــ

ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء	٣٣	٣١٣
إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله	٦٢	١٤٨و٢٥٤
النمل ـ ٢٧		
وورث سليمانُ داودَ	١٦	٤٢٨
القصص ـ ٢٨		
إن الذي فرض عليك القرآن لرادك	٨٥	٤١٥
العنكبوت ـ ٢٩		
وإن جاهداك لتشرك بي	٨	١٧
الروم ـ ٣٠		
يخرج الحي من الميت	٣١	١٤٨
الأحزاب ـ ٣٣		
ياأيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله...	٩ـ٢٥	٢٧٦
بيوتنا عورة...	١٣	٢٨٧
وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب...	٢٦ـ٢٧	٢٩٥
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت	٣٣	٤٢٥و٦٠٧
وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله...	٣٦ـ٣٧	٢٣٢
وتخفي في نفسك ما الله مبديه	٣٧	٢٤٣
فلما قضىٰ زيد منها وطراً	٣٧	٢٤٣
ماكان على النبي من حرج فيما فرض الله له...	٣٨ـ٣٩	٢٣٦و٢٤٤
ماكان محمد ابا أحد من رجالكم	٤٠	٢٣٦
سبأ ـ ٣٤		
وما أرسلناك إلاّ كافة للناس	٢٨	٣٥٥
يس ـ ٣٦		
لينذر من كان حياً ويحق القول	٧٠	٣٥٥

* * *

٦٩٦ ـــــــ

(٢)
فهرس الأحاديث الشريفة

نصّ الحديث	القائل	الصفحة
أبا وهب هل لك العام تخرج معنا	(النبي)	٥٥٤
أتسمون قاتلكم ثم تحلفون عليه	(النبي)	٤١٨
أحب الناس الي من الرجال عليّ	(النبي)	١٢٠
اخبروا مالكا انه إن اتاني مسلماً	(النبي)	٥٣٢
أُخرجوا من بلادي فقد أجلتكم عشراً	(النبي)	٢٠٩
أخرجها من العسكر ثم صح وارمها	(النبي)	٣٩٥
أُدعوا لي أخي	(النبي)	٦٨٤
إدفنوا هذين المتحابين في قبرٍ واحد	(النبي)	١٨٤
إذا خطب إليكم كفوٌ فزوجوه	(النبي)	١٠٣
إذهب ياعباس الى رحلك	(النبي)	٤٨٣
اذهبت منك الرحمة	(النبي)	٤٠٩
ارجعا حتى تاتياني غداً	(النبي)	٣٦٨
إرجعن يرحمكن الله	(النبي)	١٨٧
أرسلته كراراً غير فرار	(النبي)	٤٥٧
إركب فان الله ورسوله عنك راضيان	(النبي)	٤٥٩
إستفدت ياأُم عمارة	(النبي)	١٧٧
إستوصوا بالاسارى خيراً	(النبي)	٨٧

أسندته الى صدري فوضع رأسه على منكبي	(علي)	٦٨٣
السلام على أهل همدان	(علي)	٦٢٧
السلام عليكم ياأهل القبور	(علي)	٦٦٥
إشتد غضب الله في دم وجه نبيه	(علي)	١٧٩
اكرموا اولادكم	(النبي)	٥٩٦
الصلاة الصلاة وماملكت ايمانكم	(النبي)	٦٨٣
الصلاة ياأهل البيت	(النبي)	١٠٩
اطلبوا العلم ولو بالصين	(النبي)	١٣٢
اغزوا باسم الله وادعوهم الى الاسلام	(النبي)	٤٤٠
اغدُ على بركة الله	(النبي)	٦٦٤
الحمد لله الذي صدق وعده	(النبي)	٤٩٥
الحمد لله الذي وفق رسول الله	(النبي)	٥٣٩
الحمد لله ونستعينه ونؤمن به	(النبي)	٦٤٧
ألاّ إن كل مال ومأثرة ودم في الجاهلية	(النبي)	٥٠٣
ألاّ ترضون يامعشر الاوس	(النبي)	٢٨٩
الله أعلى وأجل	(النبي)	١٨٠
الله أكبر ابشروا يامعشر المسلمين	(النبي)	٢٥٨
الله أكبر خربت خيبر	(النبي)	٣٩٢
الله مولانا ولامولى لكم	(النبي)	١٨١
ألستم تشهدون أن لااله إلاّ الله	(النبي)	٦٤٨
ألم انهكم ان يخرج منكم أحد	(النبي)	٥٦٤
اللهم ائتني بأحب خلقك اليك	(النبي)	١١٥
اللهم اجمع شملهما والّف بين قلوبهما	(النبي)	١٠٨
اللهم أرحم الانصار وابناء الانصار	(النبي)	٥٣٦
اللهم إن تهلك هذه العصابة	(النبي)	٧٩

اللهم إنزل عليهم رجسك	(النبي)	١٨٦
اللهم إنك اخذت مني عبيده	(النبي)	٢٦٤
اللهم إنك قد عرفت حالهم	(النبي)	٣٦٥
اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد	(النبي)	٥٠٨
اللهم أني اسألك الأمن يوم الخوف	(النبي)	١٨٦
اللهم أني اسألك كله	(النبي)	١٨٥
اللهم اهد قلبه وثبت لسانه	(النبي)	٦٢٦
اللهم بارك لقوم جل آنيتهم الخزف	(النبي)	١٠٦
اللهم خذ على قريش أبصارهم	(النبي)	٤٧١
اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش	(النبي)	٤٧١
اللهم رب السماوات وما اظللن	(النبي)	٣٩٠
اللهم هؤلاء اهل بيتي	(النبي)	٤٠٥
اللهم هذه قريش قد أقبلت	(النبي)	٧٢
اللهم والِ من والاه	(النبي)	٦٤٨
إليّ يافلان إليّ يافلان أنا رسول الله	(النبي)	١٤٦
اليوم يوم المرحمة	(النبي)	٤٩٧
أما أنت فقد عذرك الله	(النبي)	١٤٧
أما أيها الناس فانه قد حان خفوق مني	(النبي)	٦٧٨
أما بعد أيها الناس مامقالة بلغتني	(النبي)	٦٦٣
أما والذي نفسي بيده لقد تدلى العذاب	(النبي)	٦٠٧
أما مالي وبني عبد المطلب فهو لكم	(النبي)	٥٣٠
أما والله لو شتم لقلتم فصدقتم	(النبي)	٥٣٥
أُمَك أُمَك اعصب جرحها	(النبي)	١٧٧
أحب اهلي اليّ فاطمه	(النبي)	١١٩
ان أحببت فاقيمي عندنا محببة	(النبي)	٥٣١

٧٠٠ ـــــــ

أُولئك العصاة	(النبي)	٤٧٦
إيتوني بقلم وقرطاس	(النبي)	٦٦٨
إيتوني بدواة وصحيفة	(النبي)	٦٦٩
أيّ رجل الحصين بن سلام فيكم	(النبي)	٢٩
أيّ عبد نزل من الحصن وخرج الينا فهو حر	(النبي)	٥٢٦
أيكم يبرز الى عمرو وأضمن له الجنة	(النبي)	٢٦٣
أين علي؟ إيتوني بعلي	(النبي)	٣٩٨
أيها الناس إسمعوا قولي	(النبي)	٦٣٤
أيها الناس أما بعد فانّ أصدق الحديث	(النبي)	٥٦٠
أيها الناس إن الشمس والقمر آيتان	(النبي)	٦٠٠
أيها الناس إن كل ربا موضوع	(النبي)	٦٣٦
أيها الناس سعرت النار واقبلت الفتن	(النبي)	٦٦٨
أيها الناس إن الله قد أذهب عنكم نخوة	(النبي)	٥٠١
أيها الناس إن الله قد بعثني رحمة	(النبي)	٣٥٦
أيها الناس ان هذا عدو الله وعدوكم	(النبي)	٤٥٥
أيها الناس لا تشكوا علياً	(النبي)	٦٣٣
أيها الناس والله مالي في فيئكم	(النبي)	٥٣٣
أيها الناس يوشك أن أقبض	(النبي)	٦٧٦
بئس ماجزيتها	(النبي)	٣٠٢
بارك الله في ابنة رسول الله...	(النبي)	١٠٨
بارك الله عليكم من أهل بيت	(النبي)	١٧٨
برز الايمان كله الى الشرك كله	(النبي)	٢٦٤
بسم إله ابراهيم واسحاق ويعقوب	(النبي)	٦٠١
بل نترفق به ونحسن صحبته	(النبي)	٣١٠
بل هو الرأي أنظر لنا منزلاً بعيداً	(النبي)	٣٩٣

٧٠٢ ـــــــ

فكيف ياعمر اذا تحدث الناس ان محمداً يقتل	(النبي)	٣٠٧
فلذلك الجمل لايمضي	(النبي)	١٨٩
فلم لاتحل وقد أمرت من لم يسبق	(النبي)	٦٣١
فو الذي بنفسي لمناديل الجنة أحسن	(النبي)	٥٧١
قد اجرنا من أجرت وآمنا من أمنت	(النبي)	٥٠٥
قد استعملتك على هؤلاء النفر	(النبي)	٣٠٨
قد علمتم موضعي من رسول الله	(علي)	٢٢٥
قد فعلت فلا تعجلي بخروج	(النبي)	٥٤٨
قوموا الى سيدكم	(النبي)	٢٩٠
قوموا عني لاينبغي عندي التنازع	(النبي)	٦٦٨
كنا اذا أحمر البأس اتقينا برسول الله	(علي)	٧٢و١٦٨
كذبتم، يمنعكم من الاسلام ثلاث	(النبي)	٦٠٤
كذبوا، ولكنني خلّفتك لما تركت	(النبي)	٥٥٩
كيف ترى ياعمر، اما والله لوقتلته	(النبي)	٣١٠
لاأُمثل به فيمثل الله بي وان كنت نبياً	(النبي)	٩٢
لااجد ما احملكم عليه		٥٥٦
لا إنما رحمه		٥٩٦
لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً		٣٩٩
لاتخرجوا معي الا راغبين في الجهاد	(النبي)	٣٨٨
لا تدعوني قريش اليوم الى خطة..	(النبي)	٣٢٨
لا تغفلوا آل جعفر	(النبي)	٤٥١
لا تقتلوه فهذا الاعمى أعمى القلب..	(النبي)	١٤٦
لا تكلمن أحداً من هؤلاء	(النبي)	٥٧٧
لاحاجة لي بهما، اما ابن عمي	(النبي)	٤٧٩
لاخير في دين لاصلاة فيه	(النبي)	٥٨٦

٧٠٤ ـــــــ

ماوقفت موقفاً قط اغيظ إليّ	(النبي)	١٨٢
ماينبغي لنبي اذا لبس لامته أن	(النبي)	١٤٥
المؤمن لايلدغ من جحر مرتين	(النبي)	١٩٤
من أحب ان يلقى الله طاهراً مطهراً	(النبي)	١٠١
من ارادت ان تبايع فلتدخل يدها	(النبي)	٥٠٧
من جاءهم منا فابعده الله	(النبي)	٣٤٠
من دخل دار ابي سفيان فهو آمن	(النبي)	٤٨٤
من دخل تحت لواء أبي رويحة فهو آمن	(النبي)	٤٨٩
من شاء منكم ان يأخذ بطن الوادي	(النبي)	٥٧٣
من لم يقل عليٌّ خير الناس فقد كفر	(النبي)	١١٦
من ياخذ هذا السيف بحقه	(النبي)	١٥٣
من محمد رسول الله الى كسرى	(النبي)	٣٦٥
من محمد بن عبدالله الى المقوقس	(النبي)	٣٧٠
من محمد بن عبدالله الى ملك الحبشة	(النبي)	٣٧٦
من محمد رسول الله الى الحارث بن ابي شمر	(النبي)	٣٨٢
من محمد رسول الله الى هوذة بن علي	(النبي)	٣٨٢
من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب	(النبي)	٦٥٧
نشدتكم بالله هل فيكم احد قتل	(علي)	١٥٦
نصرت ياعمرو بن سالم	(النبي)	٤٦٦
هاك مفتاحك ياعثمان	(النبي)	٤٩٨
هذا ماصالح عليه رسول الله	(النبي)	٣٣٦
هذا ما كتب النبي محمد رسول الله لنجران	(النبي)	٦٠٨
هل أخزاكم الله وانزل عليكم نقمته	(النبي)	٢٨٣
همت اليهود...	(النبي)	٢٠٨
هو لكم لانأكل ثمن الموتى	(النبي)	٢٦٧

٧٠٦ ـــــــ

ياعلي لولا أني أشفق أن تقول طوائف	(النبي)	٤٥٩
ياعمرو انك كنت تقول في الجاهلية	(علي)	٢٦٥
يامن حضر أشهد هذا ان زيداً ابني	(النبي)	٢٣١
يامعشر الأنصار مامقالة بلغتني عنكم	(النبي)	٥٣٥
يامعشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية	(النبي)	٣١
يامعشر يهود احذروا من الله	(النبي)	١٢٢
ياويح قريش لقد أكلتهم الحرب	(النبي)	٣٢٧
يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر	(النبي)	٦٢٥
يفتح الله على يديه	(النبي)	٤٠٣

(٣)
فهرس الأشعار

أتبكي أن يضلّ لها بعير	٩١
إذ يهتدون بجعفر ولو أنّه	٤٤٣
إذا استقبلت وجه أبي تراب	١١٢
إذا متّ فادفنيّ الى جنب كرمة	٢١٨
أصبح وجهُ الزمان قد ضحكا	٤٢٤
أعلي تقتحم الفوارس هكذا	٢٧٠
اليومَ يومُ الملحمة	٤٩٦
الى الله أشكو غربتي ثم كربتي	٢٠١
أمن أم أوفى دمنة تكلم	٥٣٩
أنا الذي سمّتني أُمي حيدرة	٤٠٠
أنا الذي عاهدني خليلي	١٥٤
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول	٥٤١
بيضاء تسحب من قيام شعرها	١٠٥
حسدوا الفتا اذا لم ينالوا فضله	١٠٧
خلّوا بني الكفار عن سبيله	٤٣٣
سِرن بعون الله جاراتي	١٠٨
فلا يبعدن الله قتلي تتابعوا	٤٤٣
قد علمت خيبر أني مرحب	٤٠٠

كادت وبيت الله نار محمد	٥٥٦
لئن قعدنا والنبي يعمل	١٢
لا تعجلن فقد أتاك مجيب	٢٦٤
لايستوي من يعمر المساجد	١٣
لعمرك أني يوم أحمل راية	٤٨٠
لكني أسأل الرحمان مغفرة	٤٤١
لو أن عندي يا ابن حرب جعفرا	٤٤٢
لو كان قاتل عمر وغير قاتله	٢٧٠
ماأن رأيت ولاسمعت بمثله	٥٣٢
نحن بنات طارق	١٥٧
وابيض يُستسقى الغمام بوجهه	٦٨٠
وصعود غارب أحمد فضل له	٤٩٥
وعاش أبو ذرّ كما قلت وحده	٥٦٧
وماأنسَ لاانس اللذين تقدما	٣٩٧
ولقد بححت من النداء	٢٦٣
والله لولا الله ماهتدينا	٣٧٧
ياحبّذا الجنة واقترابها	٤٤٦
يارب اني ناشد محمداً	٤٦٥
ياطلح إن كنتم كما نقول	١٥٦
يناديهم رسول الله لما	٨٤
يناديهم يوم الغدير نبيهم	٦٥٤

(٤)
فهرس الأعلام
ـأ ـ

اربد (العامري) ٦٢٣
أزهر ٣٤٨.
آذرم ٥٦٩، ٥٧٠.
آرشه تونك (الدكتور) ٢١٦.
ابان بن سعيد بن العاص ٣٣٣.
ابراهيم بن رسول الله (ص) ٥٤٢، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩.
ابراهيم الخليل (النبي) ٤٩، ٣١٥، ٣٢٢،٣٢٥، ٥٦١، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٢٨، ٦٣٠.
ابن أبي أحمد ١٦٤.
ابن أبي الحديد ٩٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠، ١٧٨، ١٩٤، ٢٦٥، ٣٩٧، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٨٧.
ابن أبي الحقيق ٢٩٧.
ابن ابي سبرة ١٦٢، ١٦٤.
ابن الأثير ٣٧، ٤٧، ١٣٥، ١٧٠، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٦٨، ٢٦٩، ٣٢١، ٣٦٠، ٣٩٣، ٤٠٤، ٤٤٢، ٥١١، ٦٠٥.
ابن اسحاق ٧، ١٣، ٣٤، ٣٦، ٧٠، ٢٦٨.
ابن أُم مكتوم ١٢٨، ١٩٢، ٢١١، ٣٠٠.
ابن بابويه ١٠٧.
ابن تيمية (الحراني) ٢٦٨،٢٦٩.

ابن جرير ٢٤٠.
ابن حجر العسقلاني ٣٢٢، ٣٦٧، ٦٥٢، ٦٧٦.
ابن حذيفة ٧٦.
ابن الجوزي ٢٠.
ابن خلكان ٦٥.
ابن رواحة ٤١٥، ٤٣٣، **٤٣٤، ٤٤٠، ٤٤١**، ٤٤٣، ٤٤٦، ٤٤٧، ٦٦٠.
ابن سعد (صاحب الطبقات) ٧١، ١٨٩، ٢٠٥، ٣٨٩، ٤٣٨، ٤٩٨.
ابن سلامة **٤٥٠، ٥٢٧**، ٥٣٤، ٥٧٣، ٦٢٢.
ابن سهيل ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤.
ابن شماس ٢١٤.
ابن طلحة ١١٢.
ابن عباس ١٥٥، ٦٦٩، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٨٤، ٦٨٦.
ابن عبدربه ١١٢.
ابن العرندس ٤٩٥.
ابن عقدة ٦٥٢
ابن العوام ٤٩٣.
ابن كثير الشامي ١٦، ١٧، **٢٠، ٥١٢**.
ابن قميئة الليثي ١٦٦، ١٧٦.
ابن مزاحم ١٤.
ابن مسعود ٦١، ١١٦.
ابن مسلمة (محمد) ٤٣، ١٣٣، ١٦٤، ٢٠٩، ٣٩٢، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤١٠، ٤٣٢، ٤٩٣، ٥٥٨.
ابن هشام ٧، ١٣، ١٩، ٣٤، **٤٥، ٤٧**، ٥٨، ٦٠، ٨٣، ١٣٠، ١٦١، ١٦٢، ١٧٢، ١٩٨، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢١١، ٢٢٧، ٢٤٦، ٢٦٨، ٢٨٩، ٢٩٣، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٦، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٨، ٣٨٩، ٣٩٦،

٧١٢ ـــــــ

أنس بن مالك ١٠٩، ١١٥، ١١٨، ١٦١، ١٦٢.
انس بن النضر ١٦١، ١٦٢، ١٦٣.
أنو شيروان ٢٦٤، ٣٧٥.

-(ب)-

باذان ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩
بجير بن زهير ٥٣٩، ٥٤٠.
بديل بن ورقاء ٣٢٨، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٨١، ٤٨٢ .
بريدة ١١٥، ١١٦، ٣٠٤، ٦٦١.
البراء بن عازت ٦٢٦.
بشير بن البراء بن معرور ٤١٦.
بشير بن سفيان ٤٨٦.
بلال بن الحارث ٤٨٦
بلال الحبشي ٨١، ١٠٤، ٤٠٩، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٧، ٦٧٨.

(ت)

تئودوز الكبير ٣٥٧.

(ث)

ثابت بن أرقم ٤٤٧.
ثابت بن قيس ٢١٤، ٢٩٤.
ثمالة الثقفي ٥٣٢.

(ج)

جابر بن عبدالله الانصاري ١٨٨، ٣٠٠، ٥٩٢.
جبار (العامري) ٦٢٣، ٦٢٤.
جبرائيل (المَلَك) ٢٠، ٥٢، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٨٣، ٤٥٥، ٤٧٢، ٥٩٢، ٥٩٧، ٦٤٧، ٦٦٥.
جدّ بن قيس ٥٥٤.

٧١٤ ـــــــ

الحسن بن اسماعيل ٦٠٣، ٦١٣.
الحسن بن علي (الامام) ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٨، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٨.
الحسن بن علي العلوي ٦٢١.
الحسن بن موسى ١٥٥.
حسان بن ثابت ١٠، ٨٣، ٨٤، ٢٠٢، ٢٥٩، ٤٤٣، ٥٧١، ٦٥٤.
الحسمان الخزاعي ٨٨.
الحسين بن علي (الامام) ١٠٣، ١٠٩، ١١٩، ٢٢٩، ٤٢٣، ٤٢٥، ٤٦٨، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦١٨.
الحكيم بن حزام ٧٤، ٧٦، ٢٣١، ٤٨١، ٤٨٢، ٥٣٣.
الحكيم بن كيسان ٣٩.
الحلس بن علقمة ٣٢٩، ٣٣٠.
حمزة بن عبدالمطلب ٢٤، ٣٣، ٣٦، ٤٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ١٠٨، ١٤٢، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٧، ١٨٢، ١٨٦، ٢٦٤، ٤٤٢، ٤٩٠، ٥٠٨.
حنظلة بن ابي سفيان ٧٨، ١٤٨، ١٤٩.
حنظلة (غسيل الملائكة) ٥٧٨.
حويرث بن نقيذ ٤٩٠.
حيي بن اخطب ٢٧، ٢٠٩، ٢١١، ٢٤٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٩٤.

(خ)

خالد بن اسيد ٤٣٤.
خالد بن ثعلب ١٧١.
خالدبن رياح ١٦٤.
خالد بن سعيد ٥٨٤.
خالد بن الوليد ١٥٢، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٢، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٦٢، ٣٤٦، ٤٣١،

٧١٦ ـــــــ

(ز)

زاذان ٢٢٤.
الزبير بن باطا ٢٥٧، ٢٩٤، ٣٣٣.
الزبير بن العوام ٦٤، ١٥٧، ١٦٤، ١٨٣، ٤٧٣، ٤٨٦، ٤٩٣، ٦٥١.
زهير بن أبي سلمىٰ ٥٣٩.
زهير بن أبي آمية ٦٠.
زهير بن صرد ٥٢٩.
زيد بن أرقم ١١٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٦٥١.
زيد بن حارثة ٣٧، ٩٠، ١٣١، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٩٤، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٤٠٧، ٤٤١، ٤٤٤، ٤٤٧، ٤٥١، ٦٤٢، ٦٦٠، ٦٦١.
زيد بن الخيل ٥٤٤.
زيد بن دثنة ١٩٩، ٢٠٠.
زيد بن سهيل ٢٠٠.

(س)

السائب ٣٦.
سراقة بن جعشم ٥٨.
سعد بن أبي وقاص ٣٦، ٤٤، ٦٤، ٨٦، ٤٠٥، ٦٦٠.
سعد بن معاذ ٣٦، ٦١، ٦٣، ٧٠، ١٨٦، ٢١٣، ٢٥٨، ٢٧١، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢.
سعد بن عبادة ٣٦، ١٤٤، ٢١٣، ٢١٤، ٢٥٨، ٢٧١، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٩٧، ٥٣٥.
سعيد بن خيثمة ٥٦، ١٤٣، ٥٦١.
سعيد بن زيد ٥٤.
سعيد بن الربيع ١٨٤، ١٨٥.

٧١٨ ـــــــ

(ص)

صفوان بن أمية ٣٨، ١٣١، ١٣٦، ١٩٢، ١٩٩، ٢٢٩، ٣١٧، ٤٣٤، ٤٨٤، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٥٠٥، ٥١٦، ٥٣٣.

(ض)

الضحاك بن خليفة ٥٥٦.
ضرار بن الخطاب ٢٦٣.
ضمضم بن عمرو الغفاري ٥٧.

(ط)

طالب ٦٨.
الطاهر ٥٩٧.
طلحة بن أبي طلحة ٥٣، ١٥٦، ١٦٤.
طلحة بن عبدالله ٥٤، ١٦١، ١٧٣، ٥٥٦.
طفيل بن عمرو الدوسي ٥٢٣.
الطيب ٥٩٧.

(ع)

العاص بن هشام ٥٧، ٨٧.
عاصم بن ثابت ١٧٣.
عامر بن الحضرمي ٧٤، ٧٥.
عامر بن الطفيل ٢٠٣، ٢٠٥.
عامر بن مالك بن جعفر ٢٠٤.
عباد بن بشير ٢٢٧، ٤٠٧، ٥٧٢.
عبادة بن الصامت ١٧، ١٢٦.
عباس بن عبدالمطلب ٤٨، ٨٠، ٨٢، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ١٣٧، ١٣٨، ٣٠٧، ٤٣٦، ٤٧٧، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٥١٨، ٦٨٦.

٧٢٠ ـــــــ

عبدالله بن سلام ٢٨، ٢٩.
عبدالله بن سهيل ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩.
عبدالله بن شهاب ١٦٥.
عبدالله بن طارق ١٩٩.
عبدالله بن العباس ١١٥.
عبدالله بن عبدالرحمان الخثعمي ٤٨٩.
عبدالله بن عمر بن الخطاب ١٤٥، ٤١٩، ٤٨٦.
عبدالله بن عمرو ١٨٣، ١٨٨.
عبدالله بن عمرو بن حزام ١٧، ١٨٩.
عبدالله بن عمرو بن العاص ١٧.
عبدالله بن عمرو بن مخزوم ٥٠٩.
عبدالله بن قمئة الليثي ٢٢.
عبدالله بن كعب المازني ٨٥، ١٧٧.
عبدالله بن مسعود ٥٦٧.
عبدالله بن موسى ٤٢٤.
عبدالله بن هاشم ١١٥.
عبدالعزيز ٤٢٧.
عبدالمطلب ١٠٧، ١٨٢، ٢٠٦، ٢٣٢، ٢٦٤، ٣٠٨، ٣١٤، ٤٧٨، ٥٨٠، ٦١٢.
عبدياليل ٥٨٣.
عبيدالله بن أبي رافع ٦.
عبيدة بن الحارث ٣٤، ٣٦، ٧٧.
عبيدالله بن بهلول ٦١٢.
عتاب بن أُسيد ٥١٣، ٥٣٨، ٥٦٠.
عتبة بن ابي الوقاص ١٦٥.
عتبة بن ربيعة ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٣، ٥٠٨.

٧٢٢ ـــــــ

٤٤٢، ٤٥٣، ٤٥٥، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٩، ٤٩٤، ٥٠٤، ٥١٠، ٥١١، ٥١٨، ٥٣٥، ٥٤٥، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٢، ٦٠٥، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٢، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٥، ٦٤٤، ٦٤٧، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٦٢، ٦٦٥، ٦٦٨، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٨، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦.

علي الاحمدي (الشيخ) ٣٥٣، ٣٨٥.

علي بن تقي ٤٢٦.

علي بن الحسين (الامام) ٤٢٣.

علي بن الفارقي ٤٢٧.

علي بن الهلالي ١١٨.

عمار بن ياسر ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ٢٠، ٣٧، ١٠٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٥٧٣.

عمارة ٣٥٠.

عمر بن الخطاب ٦٠، ٦١، ٧١، ٩١، ٩٢، ٩٤، ١١٩، ١٣٤، ١٣٥، ١٦١، ١٦٢، ١٧٥، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٦٩، ٣٠٧، ٣١٠، ٣٣٣، ٣٩٨، ٤١٩، ٤٢٦، ٤٥٦، ٤٧٤، ٤٨٢، ٤٨٣، ٦٣١، ٦٦٠، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٨٣، ٦٨٥.

عمر بن عبد العزيز ١٣٤، ٤٢٧، ٤٢٨.

عمرو بن أُميّة ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٩٨، ٣٧٥، ٣٨٤، ٤١٢.

عمرو بن الجموح ١٤٧، ١٤٩، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٨، ١٨٩.

عمرو بن جحاش ٢٠٧.

عمرو بن حزم ١٥.

عمرو بن الحضرمي ٣٩، ٤٤، ٧٤.

عمرو بن الحمق ١١٥.

عمرو بن سالم ٤٦٥.

٧٢٤ ـــــــ

القاسم بن رسول الله ٥٩٧.
قيصر ٢٣١، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٩، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٤٤.

-ك-

كارليل (توماس) الانجليزي ٤٧٨.
كرز بن جابر ٣٧.
كسرى ٣٣١، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٨٧.
كعب بن الاسد ٢٧، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٩١، ٤٦٧.
كعب بن الاشرف ١٣٢، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ٢٩٣، ٢٩٧، ٤٠٢.
كعب بن زهير ١٠، ٥٣٩، ٥٤٠.
كعب بن زيد ٢٠٣.
كعب بن مالك ١٧٨، ٤٤٢، ٥٧٦.
كنان بن الربيع ٤١٠.

-م-

المأمون ٤٢٤، ٤٢٧.
مالك بن أُبي ٢١١.
مالك الاشتر ١١٥، ٥٦٧.
مالك بن الدخشم ١٨٤.
مالك بن عوف ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٧٥، ٥١٥، ٥٢٣، ٥٢٨، ٥٣٢.
مالك بن قيس ٥٦١.
مالك بن نويرة ٥١٢.
محمد بن اسحاق ٦، ١٧١.
محمد بن ابي بكر ١١٥.
محمد بن احمد المخزومي ٦٢١.
محمد بن بشارة ٢٢٢.

٧٢٦ ـــــــ

مرارة بن الربيع ٥٧٦، ٥٧٧.
مرثد بن ابي مرثد ١١٤، ٢٠٥.
مرة بن مروان ٤٠٢.
مروان بن الحكم ٤٢٧.
المستعلى بن المستنصر ٦٥٠.
مسلمة بن اسلم ٢٦٠.
مسيلمة الكذاب ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٩.
مصعب بن عمير ٥٥، ١٥٥، ١٦٠.
مطعم بن جبير ١٣٧.
مقداد بن عمرو ٦٠، ٦١، ٦٢، ٤٧٣، ٤٨٦.
معاذ بن جبل ٥١٣، ٥٣٩، ٦٢٥.
معاوية بن ابي سفيان ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠، ٥١، ٧٧، ٧٨، ٣٣٨، ٤٢٤، ٥٠٧، ٥٣٢، ٥٤١.
مقيس بن صبابة الكندي ٤٩٠.
معبد بن أبي معبد الخزاعي ١٩٢، ١٩٣.
معبد بن خالد ٤٨٦.
معقل بن سنان ٤٨٦.
المغيرة بن شعبة ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٤، ٣٧٣، ٣٧٤، ٥٨٤، ٥٨٧.
المقوقس ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٦، ٥٤٢.
مكرز بن حفص ٣٢٩، ٤٣٢.
مناة (صنم) ٥٠٩.
منذر بن عمرو ٢٠٢.
منذر بن محمد ٢٠٥.
ميسرة ٢٢٤.
موسى (النبي) ٢٠، ٦٠، ٦٢، ٢٩٩، ٣٧١، ٣٧٨.

٧٢٨ ـــــــ

ياسر ١٥.
يحيىٰ بن عمارة ١٥٥.
يحيىٰ بن معين ٢٢٤.
يزيد بن الخصيب ٤٨٦.
يزيد ١٧، ٤٢٧.
يوحنا بن رؤبة ٥٦٩.
يوشع بن نون ٤٢١.
النساء:.
آمنة بنت وهب ١٣٨.
أسماء بنت عميس ٤٥١، ٦٧٧.
جميلة (بنت عمر) ٥٤٤.
جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار ٣١١.
حليمة السعدية ٥٢٩، ٥٣١.
خديجة بنت خويلد ٣، ٩٢، ٩٣، ١١٠، ٢٣١، ٣٥٦، ٥٩٧، ٦٨١.
رقية بنت رسول الله ١٠٣، ١١٠، ١١٨، ٥٩٧.
زينب بنت جحش ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢.
زينب بنت رسول الله ٩٢، ٩٤، ١٠٤، ١٠٩، ١١٠، ١١٨، ٥٤٢، ٥٩٧..
سلمى ٥٤٢.
شيماء بنت الحارث ٥٣١.
صفية بنت حيي بن أخطب (زوجة النبي) ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١٧.
صفية بنت عبد المطلب (عمة النبي) ١٨٣، ٢٥٩.
عائشة بنت ابي بكر ١١٢، ١١٥، ١١٧، ١٢٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٦٠٧، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤.
عاتكة ٤٨٨.
عاصية ٥٤٤.

٧٣٠ ـــــــ

(٥)
فهرس القبائل والأُمم

أذرح (قبيلة) ٥٦٩.

أسد (قبيلة) ١٩٦، ٤٧٢.

الاوس (قبيلة) ٩، ١٨، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٤٢، ٥٥، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٩، ١٥٤، ١٥٥، ٢٠٩، ٢١٤، ٢٢٨، ٢٥٨، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩٠.

أيلة (قبيلة) ٢٩٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٥٦٩، ٥٧٨.

ثمالة (قبيلة) ٥٣٢.

بنو اسرائيل ٦٠، ٦٢، ٢٥٧، ٢٩٤.

بنو أسد ١٩٧، ٢٥٠.

بنو اشجع ٢٥٠، ٤٨٦.

بنو الأصفر ٣٦٢، ٥٥٥.

بنو آمية ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٤.

بنو بكر ٥٩، ١٣١، ١٣٩، ٤٦٥، ٤٦٦.

بنو ثعلبة ٢٤، ٢٢٦.

بنو جذيمة ٥١٠، ٥١١، ٥١٢.

بنو جشم ٢٢، ٢٤.

بنو الحارث ٢٢، ٢٤.

بنو الحجاج ٦٥.

٧٣٢ ـــــــ

فهرس القبائل والأمم ـــــــ

٧٣٤ ـــــــ

٤٨٥، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٥، ٥٠١، ٥١٤، ٥٢٦، ٥٤٢، ٦١٦، ٦٢٩، ٦٥٧.
قيس (قبيلة) ٤٧٢.
بنو هاشم ٦٨، ٨٠، ١٥٥، ٢٣٢، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٩٩، ٦٤٦.
هوازن (قبيلة) ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٩، ٥٣١، ٥٣٢.
ولد اسماعيل ٢٥٧، ٣٢٥.

(٦)
الكنى والألقاب

«الكنى»

الرجال:

أبو الاسود الدؤلي ١١٢.

أبو أيوب الأنصاري ١١٨، ٤١٧.

أبو البائت ٤٠٣.

أبو البحتري ٨٨، ١٥٥.

أبو البراء العامري ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥.

أبو بكر بن أبي قحافة ٦٠، ٦١، ٩٤، ١٠٤، ٣٣٠، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٥٥، ٤٥٦، ٥١١، ٥١٢، ٥٢٤، ٥٦٣، ٥٨٤، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٤، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٤، ٦٦٠.

أبو بكر الجوهري ٦٧٠.

أبو بكر بن حزم ٥٥، ١٣٤.

أبو بصير ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠.

أبو تراب ٤٠٥.

أبو جعفر البصري ٩٤.

أبو جعفر المنصور ٤٢٧.

أبو جندل ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٨.

ابو جهل ٣٣، ٣٤، ٦٨، ٦٩، ٨٣، ٨٨، ١٣٦، ١٧٣، ١٧٤، ٢٦٣، ٤٨٤، ٥٤٤.

ابو جهم العبيدي ١٦٢.
ابو حاتم ٢٢٤.
ابو حارثة ٦٠١، ٦٠٢، ٦١٠، ٦٨٠.
ابو الحسن ٩٤، ١٠٤، ٤٠٨.
ابو الخيرالحاكمي ١١٤.
ابو العقيق ٣٩٤.
ابو حمراء بن سفيان ١٧١.
ابو الخير ٢٦٥.
أبو دجانة الانصاري ١٥٣، ١٥٤، ١٥٧، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٩، ٢١٣.
ابو ذر الغفاري ٤٨٦، ٥٦٥، ٥٦٧.
ابو رافع ٨٩، ٩٠، ١١٥، ١٣٥، ١٧٠، ٤٣٧.
ابو ريحة ٤٨٩.
ابو سعيد بن خيثمة ١٤٨.
ابو سعيد السجستاني ٦٥٢.
ابو سفيان بن الحارث ٤٧٨، ٥١٨.
ابو سفيان ١٥، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٥٧، ٦١، ٦٦، ٦٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ١٢٨، ١٢٩، ١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٧٤، ١٨٠، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٠، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٦٦، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٣٠٧، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٢، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٧، ٤٩٨، ٥٠٨، ٥١٤، ٥١٧، ٥١٨، ٥٣٣، ٥٤٤، ٥٨٧، ٦٤٤.
ابو سلمة ٣٧، ١٩٧.
ابو الشعثاء بن سفيان ١٧١.
ابو طالب ٩٠، ٣٣٣، ٣٥٦، ٤٤٢، ٤٨٥، ٤٩٢، ٥٠٤.

٧٣٨ ـــــــ

أُم سليم بن ملحان ٥٢٠.
أُم عامر ١٧٣.
أُم الفضل ٨٩، ٤٣٦.
أُم كلثوم بنت رسول الله ٥٩٧.
أُم كلثوم بنت عقبة ٣٥٠.
أُم هاني ٥٠٤.

«الألقاب»

الآلوسي ٢٣٨، ٢٤١، ٥٩٤.
ابن طاووس (السيد) ٦٠٣، ٦٠٦، ٦١١، ٦٢١.
الافندي صاحب كشف الظنون ٦.
الاميني ١١١، ١٢٠، ٦٤٨، ٦٥٣.
البحراني (المحدث) ٣٢٣.
البخاري ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢.
البختري ٨٠، ٨١.
البروجردي (السيد) ٢١٦.
الترمذي (الحافظ) ١١٢.
التلعكبري ٦٢١.
الثعالبي ٦٥٠.
الجزري الشافعي ٦٥٢.
الحلبي ٣٩٧، ٤٢٦، ٦٠٣.
الحموي (الياقوت) ٦٠١.
الحميدي ٢٢٤.
الخجندي (الحافظ) ١٠٩.
الدولابي ١٠٧.

٧٤٠ ـــــــ

الواقدي (صاحب السيرة المتوفى ١٥١) ٧، ٦١، ٦٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٥١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٥، ٢٠٧، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٨٦، ٢٩١، ٣٧٤، ٤٣٨، ٥٦١.
الواقدي (صاحب الطبقات المتوفى ٢٣٠) ٧.

(٧)
فهرس الوقائع والايام

الاحزاب (معركة) ٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٥، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٩، ٥٢٢.

بيعة العقبة ٤٥، ٥٩، ٥٠٦، ٥٠٧.

بنوالمصطلق (غزوة) ٣١٥، ٣٢١.

تبوك (غزوة) ٤٠٤، ٤٤٥، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٦١٣.

حجة الوداع (البَلاغ) ٦١٩، ٦٣٨، ٦٥٦.

حمراء الاسد ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

الخندق (معركة) ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٠٤، ٣٨٧، ٥٢٢.

خيبر ٣٥، ١٢١، ١٧٥، ٢١٣، ٢٤٧، ٢٧٠، ٢٨٣، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩١، ٣٩٤، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤.

ذات الرقاع (غزوة) ٢٢٦.

ذات السلاسل (سرية) ٤١٦، ٤٥٤.

صفين (معركة) ١٤، ١٥، ٤٤٣.

قرقرة الكدر (غزوة) ١٢٨.

مؤتة (معركة) ٤٣٩، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٦٨.

(٨)
فهرس الأماكن والبلدان

آسيا الصغرى ٣٥٧، ٣٦٤.

احـــد ٩٠، ١٣٢، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٩، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٤، ١٩٦، ٢٠٣، ٢٠٦، ٢٢٨، ٢٥١، ٢٥٤، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٤٥، ٤٥٣، ٤٩٣، ٥٠٨، ٥٧٨.

اديس آبابا ٣٧٥.

الاردن ٢٦٥.

الاسكندرية ٣٦٠.

أبنى ٦٦١

أوربا ٣٥٧.

أوطاس ٥٢١.

أيران ١٣٢، ٢١٦، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٨١، ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٤٤٤، ٤٤٥، ٦٤٢.

بئر معونة ٢٠٣، ٢٠٤، ٥٦٣.

باريس ٣٥٢.

البحر الأحمر ٦٤، ٦٧، ٥٦٩، ٦١٥.

البحرين ٣٥٦، ٦٢٣.

٧٤٤ ـــــــ

الجرف ٤٤٠، ٥٥٨، ٦٦٣، ٦٦٤.
الجعرانة ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢، ٥٣٦، ٥٣٧.
الجندل ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣.
الجولان ٣٨١.
الحبشة ١٣٧، ١٤٤، ١٥٦، ١٧٤، ٢٩٨، ٣٥٦، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٨، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٨، ٤١٢، ٤٤٢، ٦٧٧.
الحجاز ٤٢، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٩، ٤٣٨، ٤٤٢، ٥٠٥، ٥٢١، ٥٢٥، ٥٤٥، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٥، ٦٠١، ٦٠٢، ٦١٩، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٩، ٦٣٤، ٦٥١، ٦٥٦، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٧٤.
حجر ٥٥٢.
الحجر الاسود ٦٢٠.
الحديبية ١١٨، ٣٢٧، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٧٤، ٣٨٨، ٤٣٠، ٤٦٢، ٤٦٤، ٤٨٣، ٤٨٩.
حضرموت ٦٥٦.
حراء (غار) ٣.
حنين ٥١٦، ٥١٧، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٢.
الحيرة ٣٥٦.
خيبر ٣٥، ٣٩٣، ٤٠١.
دار الندوة ٣٤٥.
دمشق ١٥٥، ١٥٦، ٣٨١.
ذو الحليفة ٣٢٦، ٦٢٩.
ذو طوى ٤٩٠.

٧٤٦ ـــــــ

عرفات ٦٢٩، ٦٣٦.
عسفان ٣٠٠.
عسقلان ٦١٦.
العقبة٥٧٣.
عكاظ (سوق) ٢٣١.
فدك ٩٤، ٢٤٦، ٤٢١، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨.
فرنسا ١٢٦.
فلسطين ٦٤٢، ٦٥٩.
القادسية ٥٥٠.
القاهرة ٢٤١.
قبا ٥٧٩، ٦١٦.
قسطنطنية ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٤، ٥٥٣.
قم ١٣١، ٢١٦.
القموص (حصن) ٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠٩.
الكديد ٤٢٦.
كربلاء ٤٢٣.
الكعبة المعظمة ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٢٠١، ٣٢٤، ٤٣٤، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٣٩، ٥٨٩، ٦٣٠.
الكوفة ٤٢٦.
لبنان ٧.
لندن ٧.
المدائن ٣٦٤.
المدينة ٥، ٦، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩، ٤٠، ٤٢، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧١ ، ٧٧، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١،

٧٤٨ ـــــــ

مسجد ضرار ١٤٨، ٥٦٩.
مسجد العريش ٦٧.
مصـــر (بـــلاط) ٣٣٩، ٣٥٦، ٣٥٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٧٩، ٤٤٢، ٥٤٢، ٦١٥، ٦١٦، ٦٤٧، ٦٥٦، ٦٧٤.
مكة المكرمة ٣، ٨، ٩، ٣٣، ٣٤، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٧، ٤٩، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٥، ٦٧، ٦٨، ٨١، ٨٢، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ١٢١، ١٢٨، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٠، ١٥٠، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٠، ١٨١، ١٩١، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٩، ٢٠٠، ٢١٣، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥٧، ٢٩٣، ٣٠٠، ٣٠٣، ٣٠٧، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٢، ٣٦٦، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٥٢، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٥٠٠، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧.
٥٠٩، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٦، ٥١٩، ٥٢١، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٥٢، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٧٨، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩١، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٤٦.
منى ٦٢٠، ٦٣٠، ٦٣٤، ٦٣٧.
ناعم (حصن) ٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٤، ٤٠٢.
نجد ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٥٠، ٢٩٤، ٣٨٣، ٤٤٥، ٥٤٨.
نجران ٤٠٥، ٥٧٨، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥.
الـنطـاة (حصـن) ٤٠٧، ٤٠٨، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢٦، ٦٣٣، ٦٣٦.
الهند ١١١.

٧٥٠ ـــــــ

(٩)
فهرس المذاهب و الأديان ونظم الحكم

الامامية (الشيعة) ١٧٢، ٦١٢، ٦٦٠.

الروم (الامبراطورية الرومية) ٢١، ٩٣، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٧، ٤٣١، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٦٤، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٦٨، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٨١، ٥٨٢، ٦٠٢، ٦٣٢، ٦٤٢.

الساسانيون ٣٥٧، ٣٦٤.

السنة (أهل) ١٧٢، ٤٢٣، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٧.

الصابئون ٥٥٠.

العباسيون ٤٢٧، ٤٢٨، ٥٤١.

الغساسنة ٣٨٢، ٣٨٣.

الفاطميون ١١٨، ٣٣٨، ٤٢٧.

الفرس ٩٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٥٧٥، ٦٤٣.

القياصرة (الروم) ٦٤٣.

المستشرقون ٤٢، ٤٣، ٤٦، ١١٠، ١٤٧، ١٦٠، ٢٠٣، ٢٣٠، ٢٣٨، ٣٤١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٩٦، ٤١١، ٤١٤، ٤٧٨، ٥٠٦، ٥٨٨، ٥٨٩.

النصارى (المسيحيون) ٤، ٢٨، ١٢٠، ٢٣٩، ٢٤٠، ٣٠٤، ٣٥٢، ٣٦٤، ٣٧١، ٣٨٠، ٤٠٥، ٤١٥، ٤٤٢، ٥٤٧، ٥٥٢، ٥٥٩، ٥٧١، ٥٧٨، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦١٠، ٦١٩، ٦٢٩، ٦٤٢، ٦٤٣.

٧٥٢ ـــــــ

(١٠)
فهرس الموضوعات العلمية المبحوثة ضمناً

١ـ مميزات النهضة الالهية وخصائصها ٣
٢ـ دور المساجد في الاسلام ٩
٣ـ خطأ المستشرقون في تفسير المناورات العسكرية ٤٢
٤ـ كرامة علمية لرسول الله في مسألة القبلة ٥١
٥ـ اهمية الزواج في الاسلام ومشاكل الزواج المعاصرة وعلاجها ١٠٠
٦ـ المستشرقون والاساءة الى النبي (ص) في قصة زينب ٢٣٧
٧ـ عالمية الرسالة المحمدية ٣٥٤
٨ـ فدك وحكم الاراضي المفتوحة بلا قتال ٤٢٢
٩ـ نوعية علم رسول الله (ص) بالمغيبات ٥٦٤
١٠ـ مكافحة الاسلام للخرافة ٥٩٩
١١ـ الخلافة من منظار السنة، والشيعة ٦٣٩
١٢ـ الارتباط بالارواح في ضوء مكالمة أهل البقيع ٦٦٥

(١١)
فهرس المصادر

١ـ الآثار الباقية	للبيروني
٢ـ الأبطال	لتوماس كارلايل
٣ـ ابوطالب مؤمن قريش	للخنيزي
٤ـ الإتحاف	للشبراوي
٥ـ الإحتجاج	للطبرسي
٦ـ إحياء العلوم	للغزالي
٧ـ أخبار إصفهان	لابي نعيم الاصفهاني
٨ـ الاخبار الطوال	للدينوري
٩ـ الارشاد	للمفيد
١٠ـ إرشاد الساري	للقسطلاني
١١ـ از پرويز تاجنكيز	لتقي زاده
١٢ـ الاستغاثة	لأبي القاسم الكوفي
١٣ـ الاستيعاب	لابن عبد البر
١٤ـ أُسد الغابة	لابن الاثير الجزري
١٥ـ الاسفار الاربعة	لصدر الدين الشيرازي
١٦ـ اسلام وجاهليت (بالفارسية)	للنوري
١٧ـ الاشارات والتنبيهات	لابن سينا
١٨ـ الإصابة في تمييز الصحابة	لابن حجر

١٩ـ أصالة روح (بالفارسية) لصاحب الدراسة

٢٠ـ الاصنام للكلبي

٢١ـ اعلام النساء لكحالة

٢٢ـ إعلام الورى بأعلام الورىٰ للطبرسي

٢٣ـ أعيان الشيعة للسيد محسن العاملي

٢٤ـ الأغاني للراغب الاصفهاني

٢٥ـ الاقبال لابن طاووس

٢٦ـ الامالي للطوسي

٢٧ـ الامالي للصدوق

٢٨ـ الامامة والسياسة لابن قتيبة

٢٩ـ إمتاع الاسماع للمقريزي

٣٠ـ الاحوال لابن سلام

٣١ـ الانجيل

٣٢ـ أنيس الاعلام لفخر الاسلام

٣٣ـ اوائل المقالات للمفيد

٣٤ـ ايران در عهد ساسانيان (بالفارسية) ارتوكريستن سن

(ب)

٣٥ـ بحار الانوار للمجلسي

٣٦ـ البداية والنهاية لابن كثير

٣٧ـ برهان رسالة (بالفارسية) صاحب الدراسة

٣٨ـ بلوغ الادب في معرفة احوال العرب للآلوسي

(ت)

٣٩ـ التاج الجامع للاصول لناصف

٤٠ـ تاريخ اجتماعي ايران (بالفارسية) لجماعة من المؤلفين

٤١ـ تاريخ الامم والملوك للطبري

٧٥٦ ـــــــ

٦٧ـ تفسير الكشاف للزمخشري
٦٨ـ تفسير العياشي للعياشي
٦٩ـ تفسير فرات الكوفي لفرات الكوفي
٧٠ـ تفسير في ظلال القرآن لسيد قطب
٧١ـ تفسير القرطبي للقرطبي
٧٢ـ تفسير القمي للقمي
٧٣ـ تفسير مجمع البيان للطبرسي
٧٤ـ تفسير المنار لعبده ـ رشيد رضا
٧٥ـ تفسير الميزان للطباطبائي
٧٦ـ تفسير نور الثقلين للحويزي

٧٧ـ التقريب للحافظ العراقي
٧٨ـ تقييد العلم للبغدادي
٧٩ـ التنبيه والاشراف للمسعودي
٨٠ـ تنقيح المقال للمامقاني
٨١ـ التوراة
٨٢ـ تهذيب الأُصول لصاحب الدراسة
٨٣ـ تهذيب الاسماء واللغات للنووي
٨٤ـ تهذيب التهذيب للعسقلاني

(ث)

٨٥ـ ثمار القلوب للثعالبي

(ج)

٨٦ـ جغرافياى كشورهاى اسلامي (بالفارسية) الفقيهي
٨٧ـ جمهرة خطب العرب لصفوة
٨٨ـ جهان بيني اسلامى (بالفارسية) للشهيد المطهري

٧٥٨ ـــــــ

(س)

١٠٨- سفينة البحار للقمي
١٠٩- السقيفة (كتاب) لابي بكر الجوهري
١١٠- سنن البيهقي للبيهقي
١١١- سيرة الملائي لعمربن محمد
١١٢- السيرة النبوية لابن هشام
١١٣- السيرة النبوية لدحلان
١١٤- السيرة الحلبية للحلبي

(ش)

١١٥- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

(ص)

١١٦- صحيح البخاري للبخاري
١١٧- صحيح الترمذي للترمذي
١١٨- صحيح مسلم لمسلم
١١٩- الصحيفة السجادية للامام السجاد(ع)
١٢٠- الصواعق المحرقة للهيثمي

(ط)

١٢١- الطبقات الكبرى لابن سعد

(ع)

١٢٢- عبقات الانوار لمير حامد
١٢٣- عدة الاصول للطوسي
١٢٤- العقد الفريد لابن عبدربة
١٢٥- علل الشرائع للصدوق
١٢٦- عمدة الطالب لابن المهنا
١٢٧- عيون اخبار الرضا للصدوق

٧٦٠ ـــــــ

١٤٩ـ كنز الفوائد للكراجكي
١٥٠ـ كنوز الحقائق للمناوي
١٥١ـ كنوز الدقائق للمناوي

(ل)

١٥٢ـ اللئالى المصنوعة للسيوطي
١٥٣ـ لسان الميزان لابن حجر
١٥٤ـ اللوامع الالهية للفاضل المقداد

(م)

١٥٥ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي
١٥٦ـ المباهلة (كتاب) لابي المفضل الشيباني
١٥٧ـ المبدأ والمعاد للملا صدرا
١٥٨ـ المحجة البيضاء للفيض
١٥٩ـ مجالس ابن الشيخ للطوسي
١٦٠ـ المجالس للمفيد
١٦١ـ المحاسن والمساوى للبيهقي
١٦٢ـ المحبّر لمحمد بن حبيب
١٦٣ـ مروج الذهب للمسعودي
١٦٤ـ المراجعات لشرف الدين
١٦٥ـ المسند لابن حنبل
١٦٦ـ المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري
١٦٧ـ مصباح الظلام للدمياطي
١٦٨ـ مصباح المتهجد للطوسي
١٦٩ـ معالم العترة للجنابذي
١٧٠ـ معجم البلدان للحموي
١٧١ـ المفصل في تاريخ العرب للدكتور جواد علي

٧٦٢ ـــــــ

(و)

١٩٥- الوثائق السياسية للبروفيسور حميد الله

١٩٦- وسائل الشيعة للحر العاملي

١٩٧- فاء الوفاء للسمهودي

١٩٨- وفيات الأعيان لابن خلكان

١٩٩- وقعة صفين لابن مزاحم

٢٠٠- الولاية في طرق حديث الغدير للطبري

(هـ)

٢٠١- الهدى الى دين المصطفى للبلاغي

(ي)

٢٠٢- ينابيع المودة للقندوزي

(١٢)

فهرس المواضيع

٢٦ـ أول عمل ايجابي للنبي في المدينة

وقائع السنة الأُولى من الهجرة

٩ـ٣٢

عقد ميثاق تعايش بين المسلمين وغيرهم ٩

مع عمار بن ياسر في بناء المسجد النبوي ١٢

ضئر أرأف من والدة ١٦

التآخي أو أعظم معطيات الايمان ١٨

منقبتان عظيمتان ١٩

منقبة أُخرى لعلي ٢٠

معاهدة الدفاع المشترك بين المسلمين ويهود يثرب ٢١

أعظم معاهدة تاريخية ٢٢

ممارسات اليهود الاجهاضية ٢٧

خطة أُخرى للقضاء على الحكومة الاسلامية ٢٩

٢٧ـ مناورات عسكرية واستعراضات حربية

وقائع السنة الثانية من الهجرة

٣٣ـ٤٦

تهديد خطوط قريش التجارية ٣٤

النبي (ص) يلاحق قريشاً بنفسه ٣٦

ماذا كان الهدف من المناورات العسكرية ٤١

نظرية المستشرقين حول هذه المناورات ٤٢

٢٨ـ تحويل القبلة
من بيت المقدس الى الكعبة
٤٧ـ٥٢

كرامة علمية لرسول الله (ص) ٥١

٢٩ـ معركة بدر
٥٣ـ٩٩

النبي (ص) يتوجه الى ذفران ٥٥
المشكلة التي كانت تواجهها قريش ٥٨
النبي (ص) يعقد شورى عسكرية ٥٩
اخفاء الحقائق وكتمانها ٥٩
قرار الشورى الحاسم أو رأي زعيم الأنصار ٦٢
تحصيل المعلومات حول العدو ٦٢
كيف هرب ابو سفيان ٦٥
معرفة المسلمين بافلات قافلة قريش ٦٨
اختلاف قريش في القتال ٦٨
العريش او غرفة القيادة ٧٠
نظرة الى مسألة العريش ٧٠
تحرك قريش باتجاه بدر ٧٢
قريش تتشاور في القتال ٧٢
اختلاف قادة قريش في القتال ٧٤
ماالذي حتّم القتال؟ ٧٥
المبارزات الفردية أولاً ٧٦
أي القولين هو الأصح حول المبارزين؟ ٧٧
الهجوم العام ٧٨

٧٦٦ ـــــــ

غزوات في هذه السنة ١٢٧
١ـ غزوة قرقرة الكدر ١٢٨
٢ـ غزوة السويق ١٢٨
٣ـ غزوة ذي أمر ١٢٩
قريش تغير مسير تجارتها ١٣١

٣٢ـ الدفاع عن الحرية (أو معركة أحد)

حوادث السنة الثالثة من الهجرة

١٣٢ـ١٩٥

سرية محمد بن مسلمة لاغتيال كعب بن الأشرف ١٣٢
اغتيال مفسد آخر ١٣٥
قريش تتكفل نفقات الحرب ١٣٥
الاستخبارات ترفع تقريراً الى النبي (ص) ١٣٧
جيش قريش يتحرك باتجاه المدينة ١٣٨
منطقة أُحد ١٣٩
المشاوراة في كيفية الدفاع ١٤٠
الاقتراع من أجل الشهادة ١٤٢
حصيلة الشورى ١٤٤
النبي (ص) يخرج من المدينة ١٤٥
جنديان فدائيان ١٤٦
العسكران يصطفّان ١٥٠
رفع معنويات الجنود وتقوية عزائمهم ١٥١
العدو ينظم صفوفه ١٥٢
الإثارة النفسية وإلهاب الحماس ١٥٣
القتال يبدأ ١٥٤
المقاتلون بدافع الشهوات ١٥٧

٧٦٨ ـــــــ

كيد المستشرقين ٢٠٣
المؤمن لايلدغ من جحر مرتين ٢٠٤

٣٤ـ غزوة بني النضير
٢٠٦ـ٢١٥

بماذا يجب ان تقابل هذه الجريمة ٢٠٨
المستشرقون ودموع التماسيح ٢١٠
مزارع بني النضير تقسَّم بين المهاجرين فقط ٢١٣

٣٥ـ تحريم الخمر
غزوة ذات الرقاع، غزوة بدر الصغرى
٢١٦ـ٢٢٩

١ـ تحريم الخمر ٢١٦
وقفة عند «البيان الشافي» في الخمر ٢٢٠
رواية مختلقة ٢٢١
٢ـ غزوة ذات الرقاع ٢٢٥
مواقف خالدة في هذه الغزوة ٢٢٧
الحراس الصامدون ٢٢٧
٣ـ غزوة بدر الصغرىٰ ٢٢٨
ولادة الحسين السبط الاصغر لرسول الله (ص) ٢٢٩

٣٦ـ من أجل تحطيم التقاليد الخاطئة
حوادث السنة الخامسة من الهجرة
٢٣٠ـ٢٤٥

زواج النبي (ص) بمطلقة دعيّه زيد ٢٣٠
من هو زيد بن حارثة ٢٣١
زيد يتزوج ببنت عمة النبي (زينب بنت جحش) ٢٣٢
زيد يطلّق زوجته زينب ٢٣٣

٧٧٠ ـــــــ

القرآن الكريم ومعركة الاحزاب ٢٧٦

٣٨ـ سقوط آخر اوكار الفساد والمؤامرة

٢٨١ـ٢٩٥

قوات الاسلام تحاصر بني قريظة ٢٨٢

اليهود يتشاورون حول الموقف ٢٨٣

خيانة أبي لبابة ٢٨٦

الى أيّ مدى ذهب الطابور الخامس في مشاغبته؟ ٢٨٨

حكم سعد في بني قريظة وتقييم مااستند اليه ٢٩٠

٣٩ـ أعداء الاسلام تحت المراقبة المشدّدة

حوادث السنة السادسة من الهجرة

٢٩٦ـ٣٠٢

أهل الرأي من قريش يهاجرون الى الحبشة ٢٩٨

الوقاية من تكرار التجارب المرة ٢٩٩

النذر غير المشروع ٣٠٢

٤٠ـ تمرّد بني المصطَلِق

٣٠٣ـ٣١٢

غزوة بني المصطلق ٣٠٤

منافق حاول إشعال الموقف ٣٠٦

صراع بين الأيمان والعاطفة ٣٠٩

٤١ـ قصة الإفك

٣١٣ـ٣٢٣

الفاسق يفتضح ٣١٣

المنافقون يتهمون شخصاً نقي الجَيب ٣١٤

أبرز النقاط في آيات الافك ٣١٧

الزوائد في هذه القصة ٣١٨

٧٧٢ ـــــــ

قيصر يحقق حول النبي (ص) ٣٦٠
أثر رسالة النبي (ص) الى قيصر ٣٦٣
سفير النبي (ص) في البلاط الايراني ٣٦٣
أوامر خسرو برويز الى واليه على اليمن ٣٦٦
سفير النبي (ص) في أرض مصر ٣٦٩
المقوقس يكتب كتاباً الى النبي (ص) ٣٧٢
سفير النبي (ص) في أرض الذكريات «الحبشة» ٣٧٥
محاورة سفير النبي وحاكم الحبشة ٣٧٧
تقييم سريع لمراسلة النبي (ص) قادة العالم ٣٧٨
كتاب رسول الله (ص) الى امير الغساسنة بالشام ٣٨١
سادس السفراء في أرض اليمن ٣٨٣
رسائل أخرى لرسول الله (ص) ٣٨٥

٤٤ ـ قلعة خيبر أو بؤرة الخطر

٣٨٦ـ ٤٢٠

أحتلال الطرق والنقاط الحساسة ليلاً ٣٩٠
متاريس اليهود تتهاوى ٣٩٢
التقوى في ظروف المخمصة الشديدة ٣٩٤
فتح الحصون الواحد تلو الآخر ٣٩٦
الانتصار الكبير في خيبر ٣٩٩
تحريف الحقائق ٤٠١
ثلاث نقاط مشرقة في حياة الامام علي (ع) ٤٠٤
عوامل الانتصار ٤٠٥
١ـ التخطيط العسكري الدقيق ٤٠٦
٢ـ تحصيل المعلومات حول العدو ٤٠٧
٣ـ تفاني الامام علي (ع) ٤٠٨

٧٧٤ ـــــــ

الجنود المسلمون يعودون الى المدينة ٤٤٨
اسطورة بدل التاريخ الصحيح ٤٤٩
النبي (ص) يبكي بشدة لمقتل جعفر ٤٥٠

٤٨ـ غزوة ذات السلاسل

٤٥٢ـ٤٦١

تفاصيل هذه الغزوة ٤٥٤
الامام علي (ع) ينتدب لقيادة العملية ٤٥٧
عوامل انتصار الامام علي (ع) في هذه الموقعة ٤٥٧
اعتراض وجواب ٤٥٩

٤٩ـ فتح مكة

٤٦٢ـ٥١٢

تفاصيل فتح مكة ٤٦٣
قريش تتوجس خيفة من ردّ النبي ٤٦٦
جاسوس يُكتَشَف ٤٦٩
النبي (ص) يتحرك باتجاه مكة ٤٧٥
العفو عند المقدرة ٤٧٧
تكتيك رائع للجيش الاسلامي ٤٨٠
العباس يصطحب ابا سفيان الى خيمة النبي (ص) ٤٨٢
ابو سفيان بين يدي رسول الله (ص) ٤٨٣
مكة تستسلم من دون إراقة دماء ٤٨٥
ابو سفيان يرجع الى مكه ٤٨٨
القوات الاسلامية تدخل مكة ٤٩٠
كسر الأصنام وغسل الكعبة ٤٩٢
علي عليه السلام على كتف النبي (ص) ٤٩٤
النبي (ص) يعلن عن العفو العام ٤٩٧

٧٧٦ ـــــــ

الجيش الاسلامي يعود الى المدينة ٥٢٦
حوادث مابعد الحرب ٥٢٨
اسلام مالك بن عوف ٥٣٢
تقسيم الغنائم ٥٣٣
رسول الله يعتمر ٥٣٦

٥٢ـ لامية كعب بن زهير المعروفة

٥٣٧ـ٥٤٢

حزنُ قارن فرحاً ٥٤٢

٥٣ـ عليّ بن أبي طالب في أرض طيّ

حوادث السنة التاسعة من الهجرة

٥٤٣ـ٥٥١

اسلام عدي بن حاتم الطائي ٥٤٣
هدم بيوت الأصنام ٥٤٦
عليّ في أرض طيّ ٥٤٧

٥٤ـ غزوة تبوك

٥٥٢ـ٥٨٠

تعبئة المقاتلين وتهيئة نفقات الحرب ٥٥٣
المتخلّفون عن القتال ٥٥٤
اكتشاف شبكة جاسوسية في المدينة ٥٥٥
عدم مشاركة علي (ع) في غزوة تبوك ٥٥٧
الجيش الاسلامي يتحرك نحو تبوك ٥٥٩
النبي (ص) يستعرض جيشه ٥٦٠
قصة مالك بن قيس ٥٦١
متاعب الطريق ٥٦٢
تعليمات احتياطية ٥٦٣

٧٧٨ ـــــــ

صورة العهد النبوي لوفد نجران ٦٠٧
أكبر فضيلة ٦٠٨

٥٩ـ تأريخ المباهلة عاماً وشهراً ويوماً
٦١٠ـ٦٢١

عام المباهلة حسب المشهور ٦١١
الشهر واليوم الذي وقعت فيه المباهلة ٦١١
رأينا حول عام المباهلة ٦١٢
زمن المباهلة يوماً وشهراً ٦١٤
هل كانت قضية المباهلة في السنة التاسعة؟ ٦١٩

٦٠ـ تقييم البراءة من المشركين
وفود القبائل في المدينة
٦٢٢ـ٦٢٧

محاولة اغتيال النبي (ص) ٦٢٣
أميرالمؤمنين علي (ع) في ربوع اليمن ٦٢٤

٦١ـ حجة الوداع
٦٢٨ـ٦٣٨

الامام علي (ع) يعود من اليمن ٦٣١
مراسم الحج تبدأ ٦٣٣
خطاب النبي التاريخي في حجة الوداع ٦٣٤

٦٢ـ إكمال الدين الاسلامي بتعيين الخليفة
٦٣٩ـ٦٥٥

اقتضاء المحاسبات الاجتماعية في مسألة الخلافة ٦٤١
الوقائع التاريخية تؤيد المحاسبات ٦٤٥
النبوة والامامة توأمان ٦٤٥
قصة الغدير ٦٤٦

٧٨٠ ـــــــ